

شواهد التّزّيل

لمن خصّ بالتّفصيل

العلامة المجاهد عيروس بن احمد السقاف العلوي

المعروف بابن رويش الاندونيسي

بالتعاون مع رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية

الكتاب: شواهد التنزيل لمن خصّ بالتفضيل للمؤلف: ابن رويش الأندونيسي تحقيق: لجنة التحقيق في المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت (ع) - قم الطبعة: الأولى المطبعة: أمير سنة الطبع: 1996 - 1416 هـ الكمية: 3000 «حقوق الطبع محفوظة» قم، ص. ب 837 - 37185، ت 740771

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المجمع

الحمد لله رب العالمين ، وأشرف الصلاة وأتم التحية والسلام على خير الأنام ، الهادي إلى النور من مآهات الظلام ، محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الكرام الهداة الميامين .

إن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) صفات وميزات لم تكن تتوفر في غيره ، وقد أكد القرآن الكريم على لسان رب العالمين هذه الحقيقة ، فالمتتبع لآيات الكتاب العزيز يجد الكثير من الآيات التي جاءت في حق أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وبيان اسبقية إلى الايمان وأفضليته في كل شيء على جميع صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

هذه الحقيقة لفتت أنظار العلماء والحفاظ والمحدثين والمفسرين ، واسترعت انتباههم ، الأمر الذي دفع بهم إلى تأليف تصانيف وافية في سرد جميع الآيات التي وردت في أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وبيان أفضليته ، ثم ذكر جميع التفاسير التي وردت على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو على لسان صحابته الاجلاء ، والتي أكدت اختصاص الامام علي (عليه السلام) بهذا الشرف دون غيره ، وتفوقه في هذا المضمار على من سواه .

ولكن هذه الكتب والمصنفات اكتفت بذكر الآيات والروايات التي وردت في تفسيرها ، دون محاولة التعرض إلى مناقشة بعض هذه الروايات ، فيما إذا كان هناك ما يحرف النص عن هدفه ، ويحاول صرفه إلى غير مستحقه ، بل كان هؤلاء المصنفون ينقلون الروايات المفسرة لتلك الآيات على علاقتها ، سواء كانت تلك الروايات صحيحة أو غير صحيحة ، متناً أو مسنداً .

والكتاب الذي بين ايدينا من مميزات أن مؤلفه لم يكتف بسرد الآيات والروايات التي ذكرها غيره من الاعلام، بل عرض الروايات على محك الدليل ، وتناول بعضها بالنقاش العلمي والموضوعي ، مفنداً ما جاء فيها من محاولات نسبة سبب النزول إلى غير أمير المؤمنين ، ومبرهنناً على أن ذلك كله إنما هو من أجل سلب الحق عن نصابه .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب وقيمه العلمية قام المجمع العالمي لأهل البيت بطبعه، لا سيما وأن مؤلفه العالم الجليل «ابن رويش الاندونييسي» ممن سبق للمجمع أن نشر له كتاب «المقتطفات» و «البيان الجلي» لما يتمتعان به من مزايا تحقيقية ومطارات علمية تثبت الحق لأهله، وذلك كله من خلال ما أورده أعلام إخواننا أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم وكتبهم التفسيرية والحديثية . من روايات تصرّح بأحقية أمير المؤمنين علي(عليه السلام)وتثبت له الفضل على غيره، بما لا يدع مجالاً للشك عند القارئ

المتنزه عن روح العصبية ، والمبتغي للحقيقة كما وردت على لسان صاحب الرسالة وناشر معالمها الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله).

يضع المجمع العالمي لأهل البيت هذا السفر بين يدي قرائه ليعرفوا الحق فيتبعوه ، ويبصروا مواطن الخلل في التراث العلمي فيجتنبوها ، حتى يكونوا على الصراط المستقيم الذي أمرنا الله بسلوكه حيث قال تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) [الانعام : 153].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)
قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منّ على خلقه بجلال النعم الباطنة والظاهرة، وخصّ من بينهم عباداً بخصائص عظام ومعالي الفضائل الزاهرة، والصلاة والسلام على مصطفى الأمين المؤتمن بالوحي والتبليغ على رغم أنوف الحسدة والبغاة والكفرة، النبيّ الأقدس والشهاب الأقبس، سيّدنا محمد (صلى الله عليه وآله) منية أهل الدنيا والآخرة، وعلى آله المنزّهة ذاتهم بشاهد آية التطهير الباهرة، وأصحابه المكرّمين بالاهتداء إلى ولاية أفضل السّابقين ويعسوب المؤمنين إمام البررة، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم يعصّ فيه الظالم بنانه من فرط الندامة والحسرة.

أمّا بعد :

فهذه بعض مقبّداتي التي اقتطفتها من عدة من كتب الأعلام، راجياً من المولى العظيم أن ينفعني بها دنياً وأخرى، وينتفع بها من هو لي رفيق وصديق. بحرمة من لقبه الرسول بأكبر صديق، فإنه نعم المولى وليّ التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، وسمّيتها بـ: «شواهد التّنزيل لمن خصّ بالفضل».

* * *

المبحث الأول

في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة : 67].

نزلت هذه الآية الشريفة في (18) من ذي الحجة عند منصرف النبي من حجة الوداع مع مئة ألف نسمة أو يزيدون. وفي رواية ابن الجوزي كان مجموعهم مئة وعشرين ألف نفس. وذلك حين بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غدير خم من الجحفة التي تنتشعب فيها طرق المدنيين والعراقيين والمصريين. وقف (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر أن يعود من تقدم من الأمة وينتظر من تأخر منهم، وكان ذلك في يوم الخميس، وقد بلغت الرمضاء وقتئذ من الحرارة ما بلغت، حتى إن الرجل ليضع رداءه تحت قدمه من شدة وطأة الحر، فنزل وقتذاك إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) جبرئيل الأمين عن الله تعالى بالآية الشريفة، كما رواه جمع من أئمة المفسرين وحفظة السنن المبرزين في عصرهم، وأثبتوا في كتبهم على أن نزولها في فضل علي بن أبي طالب (عليه السلام). فمنهم :

1 - الطبري :

وهو محمد بن جرير أبو جعفر، صاحب التفسير والتأريخ السائرين الدائرين، المتوفى سنة (310) قال الخطيب البغدادي في تاريخه [12 : 169] مثنياً عليه : كان أحد العلماء، يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله الخ.. وذكره الذهبي في تذكرته [1 : 277 - 283] وأثنى عليه بالإمامة والزهد والرفض للدنيا. وقد أغدق في الثناء على تفسيره (جامع البيان) رجال : كالسيوطي كما في كتابه الإتيان بقوله : وكتابه - أي الطبري - أجل كتب التفسير وأعظمها، إلى أن قال : فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين. وقال النووي : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري. وقال الإسفرائيني : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً. توجد تلك العبارات في أول صفحة من تفسير جامع البيان. انتهى.

وإليك ما أخرجه في مصنفه المسمى كتاب (الولاية في طريق حديث الغدير) [مخطوط] مسنداً عن زيد بن أرقم قال : لما نزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع، وكان وقت الضحى وحر شديد، أمر بالدوحات فقامت ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة، ثم قال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ إِلَيَّ : (بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)، وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد، واعلم كل أبيض وأسود : أن علي بن

أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربّي لعلمي بقلة المتّقين وكثرة المؤذنين لي، واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي وشدة إقبالي عليه. حتى سمّوني اذناً. فقال تعالى : (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ⁽¹⁾)، ولو شئت أن أسميهم وأدلّ عليهم لفعلت، ولكنّي بسترهم قد تكرّمت، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه.

فاعلموا معاشر النّاس ذلك، فإنّ الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد، ماض حكمه، جائزٌ قوله، ملعونٌ من خالفه، مرحومٌ من صدّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم وعليّ(عليه السلام) إمامكم، ثمّ الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله. ولا حرام إلا ما حرّم الله ورسوله وهم، فما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه، فلا تضلّوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له، حتماً على الله من يفعل ذلك أن يعذّبه عذاباً نكراً أبداً الأبد، فهو أفضل النّاس بعدي ما نزل الرّزق وبقي الخلق، ملعونٌ من خالفه، قولي عن جبرئيل عن الله، فلتنظر نفسٌ ما قدّمت لغد.

إفهموا محكم القرآن ولا تتّبِعُوا متشابهه، ولن يفسّر ذلك إلا من أنا أخذٌ بيده، وشائلٌ بعضده، ومعلمكم : أن من كنت مولاة فهذا علي مولاة، وموالاته من الله عزّوجل أنزلها عليّ . ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلّغت، ألا وقد أسمعتم، ألا وقد أوضحت، لا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لاحد غيره.

ثمّ رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركة النّبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال :

معاشر النّاس، هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربّي. وفي رواية : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، والعن من أنكره، واغضب على من جحد حقه، اللهم إنك أنزلت عند تبیین ذلك في علي: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ⁽²⁾) بإمامته، فمن لم يأتّم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة فأولئك حبّطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إن ابليس أخرج آدم(عليه السلام) من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزلّ أقدامكم، في عليّ نزلت سورة: (وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ).

معاشر النّاس، آمنوا بالله ورسوله والنّور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها ونلعنهم كما لعنّا أصحاب السبب. النور من الله فيّ، ثمّ في علي، ثمّ في النسل منه إلى القائم المهدي.

معاشر النّاس، سيكون من بعدي أئمّة يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون، وإن الله وأنا بريئان منهم، إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الاسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً، فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان، يرسل عليكم شواظاً من نار ونحاس فلا تنتصران. الحديث [راجع : احقاق الحق 2 : 419 - 420 عن ضياء العالمين].

(1) التوبة : 61 .

(2) المائدة : 3 .

2 - ابن أبي حاتم:

وهو الحافظ أبو محمد الحنظلي الرازي المتوفى سنة (327) ترجمه الذهبي في تذكرة الحفاظ [3 : 830 ط. بيروت] وأثنى عليه بالإمامة والحفظ والنقد، وحكى عن أبي الوليد الباجي ثقته. وترجمه السبكي في طبقاته [2 : 237] وحكى عن أبي يعلى الخليلي أنه قال : كان زاهداً يعدّ من الأبدال. انتهى.

وقد أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري أن الآية نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدِير خم في علي بن أبي طالب.

راجع : الدر المنثور [2 : 298] للسيوطي. وتفسير فتح القدير للشوكاني [2 : 60].

3 - المحاملي:

وهو الفقيه أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل بن سعيد الضبيّ، المتوفى سنة (330) عن (95) سنة. قال السمعاني في كتاب الأنساب [5 : 208]: كان فاضلاً صادقاً ديناً ثقةً صدوقاً.

وقال فيه ابن كثير في تأريخه [11 : 230 ط. دار الاحياء - بيروت -] : كان صدوقاً ديناً، فقيهاً محدثاً، ولي قضاء الكوفة ستين سنة، وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها. ثم استعفى من ذلك كله ولزم منزله، واقتصر على إسماع الحديث وسماعه. انتهى.

وقد أخرج الحديث في أماليه على ما نقله عنه الشيخ إبراهيم الصابي في كتابه «الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء» بإسناده عن ابن عباس قال : لما أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقوم بعلي بن أبي طالب المقام الذي قام به فانطلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكة، فقال : رأيت الناس حديثي عهد بكفر بجاهليّة، ومتى أفعل هذا به يقولوا صنع هذا بابن عمّه، ثم مضى حتى قضى حجة الوداع ثم رجع، حتى إذا كان بغدير خم أنزل الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الآية، فقام مناد فنادى : الصلاة جامعة، ثم قام وأخذ بيد علي (عليه السلام)، فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ».

راجع: كنز العمال [11 : 609، ح: 32946] للمتقي الهندي، وتاريخ الخلفاء [ص 169] للسيوطي، وشمس الأخبار [ص 38] للقرشي، و نزل الأبرار للبدرخشاني [ص 52] ورواه الحاكم [3 : 110]، والإمام أحمد [في مسنده 1 : 84]، والبزار وابن مردويه، وابن حبان.

4 - الشيرازي:

وهو الحافظ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الفارسي، المتوفى سنة (407 أو 411) قال فيه الذهبي مترجماً في كتابه تذكرة الحفاظ [3 : 267]: الحافظ الإمام الجوال. وحكى فيه عن أبي الفرج البجلي أنه قال : كان صدوقاً حافظاً يحسن هذا الشأن جيداً جيداً. انتهى.

وقد أخرج الحديث عن ابن عباس في كتابه (ما نزل من القرآن في علي) مسنداً، وقال : إن الآية نزلت يوم غدیر خمّ في علي بن أبي طالب.

5 - ابن مردويه:

وهو الحافظ أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المكنى بأبي بكر، المتوفى سنة (416) المولود سنة (323) ذكره الذهبي في تذكرته [3 : 252] وقال : هو الحافظ الثبت العلامة، كان قيماً بمعرفة هذا الشأن، بصيراً بالرجال، طويل الباع، مليح التصانيف.

وقد أخرج الحديث بإسناده عن أبي سعيد الخدري، في أن الآية نزلت يوم غدیر خمّ في علي بن أبي طالب.

وبإسناد آخر عن ابن مسعود أنه قال : كنّا نقرأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (يا أيّها الرّسولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنْ عَلَيَّا مَوْلى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).

راجع : الدر المنثور للسيوطي [2 : 298] وتفسير فتح القدير للشوكاني [2 : 58] وكشف الغمّة للإربلي [1 : 319 ط. دار الكتاب الاسلامي - بيروت].

وروى بإسناده عن ابن عبّاس قال : لمّا أمر الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقوم بعليّ (عليه السلام) فيقول له ما قال، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا ربّ إن قومي حديثو عهد بجاهلية، ثم مضى بحجّه، فلمّا قفّل راجعاً نزل بغدير خمّ أنزل الله عليه : (يا أيّها الرّسولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الآية. فأخذ بعضد عليّ ثمّ خرج إلى الناس، فقال : «أيّها الناس أأست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وأعن من أعانه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه». قال ابن عبّاس : فوجبت والله في رقاب القوم، وقال حسان ابن ثابت :

يناديهم يوم الغدير نبيهم *** بخم وأسمع بالرسول مناديا

وقد مرّ الإيعاز إليه بتمامه في مقتطفاتنا من المجلد الأول.

وروى أيضاً عن زيد بن علي أنه قال : لما جاء جبرئيل بأمر الولاية، ضاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك ذرعاً، وقال : « قومي حديثو عهد بالجاهلية »، فنزلت الآية.

6 - الثعلبي:

وهو أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المفسّر المشهور، المتوفى سنة (427) أو (437). قال ابن خلكان في تأريخه [1 : 22] : كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير

الذي فاق غيره من التفاسير. وذكره الفارسي في تاريخ نيسابور وقال : هو صحيح النقل موثق به، إلى أن قال : وكان كثير الحديث كثير الشيوخ. انتهى.

روى في تفسيره الكبير (الكشف والبيان) [مخطوط] عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر : إن معناها - أي الآية - بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي، فلما نزلت أخذ رسول الله بيد علي فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه.

وروى بإسناد آخر من طريق أبي محمد عبد الله القائي، عن ابن عباس في قوله تعالى : (بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الآية، قال : نزلت في علي، أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبلغ فيه، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي، فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه ».

قال الأميني في التعليقات من غديره [1 : 218] : وروى الحديثين عنه : ابن بطريق في العمدة [ص 99] وابن طائوس في الطرائف [ص 151 - 152] والإربلي في كشف الغمّة [1 : 318] والطبرسي في تفسيره مجمع البيان [2 : 223] وروى عنه ابن شهر آشوب في مناقبه [3 : 21].

7 - أبو نعيم:

وهو الحافظ أحمد بن عبد الله الأصفهاني المولود سنة (336) المتوفى سنة (430) أثنى عليه جمع من أهل المعاجم والتواريخ في كتبهم، قال ابن خلكان في تاريخه [1 : 27] : كان من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل وأخذوا عنه وانتفعوا به، وكتابه الحلية من أحسن الكتب. وقال الذهبي في التذكرة [3 : 292] : قال ابن مردويه : كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه، لم يكن في أفق من الأفاق أحدٌ أحفظ وأسند، كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده، وكلّ يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر. انتهى.

وقد روى في تأليفه «ما نزل من القرآن في علي» [ص 56 ط. وزارة الارشاد] بإسناده من طريق أبي بكر بن خالد عن عطية، قال : نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم غدير خمّ. راجع: الغدير [1 : 218]. والخصائص [ص 29].

8 - الواحدي:

وهو المفسر الكبير أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مثنويه النيسابوري المتوفى سنة (428).

قال ابن خلكان في تاريخه [1 : 361] : كان استاذ عصره في النحو والتفسير، ورزق السعادة في تصانيفه، فأجمع الناس على حسنها، وذكرها المدرّسون في دروسهم، منها : الوسيط والوجيز في التفسير، وله كتاب أسباب النزول. انتهى.

وقد روى في كتابه أسباب النزول [ص 150] بالإسناد من طريق أبي سعيد محمد ابن علي الصقار عن أبي سعيد الخدري، قال : نزلت هذه الآية يوم غدیر خمّ في علي بن أبي طالب (عليه السلام).

9 - السجستاني:

وهو الحافظ مسعود بن ناصر بن عبدالله بن أحمد أبو سعيد السجزي، المتوفى سنة (477). قال الذهبي في تذكرته [4 : 16]: الحافظ الفقيه الرّحال صاحب المصنّفات. قال محمد بن عبد الواحد الدقاق : لم أر في المحدثين أجود إتقاناً ولا أحسن ضبطاً منه. وقال ابن كثير في تاريخه [12 : 127]: رحل في الحديث، وسمع الكثير، وجمع الكتب النفيسة، وكان صحيح الخطّ صحيح النقل حافظاً ضابطاً. انتهى.

أورد في تأليفه «كتاب الولاية» بإسناده من عدة طرق عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبلغ بولاية علي فأنزل: (يا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الآية، فلما كان يوم غدیر خمّ قام، فحمد الله وأثنى عليه، وقال : « ألسنت أولى بكم من أنفسكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأعزّ من أعزّه، وأعزّ من أعانّه » راجع: كتاب الطرائف للسيد ابن طاووس [ص 152].

10 - الحاكم الحسكاني:

وهو الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسان أبو القاسم النيسابوري الحنفي. قال الذهبي في تذكرته [3 : 390] : شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث، كان معمرّاً عالي الإسناد، صنّف وجمع، توفي سنة (490). انتهى.

وقد أورد في كتابه «شواهد التنزيل لقواعد التفضيل والتأويل» [1 : 166 ط. بيروت] بإسناد من طريق الكلبي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري، قالوا : أمر الله محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينصب عليّاً للناس، فيخبرهم بولايته، فتخوّف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقولوا حابى ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه. فأوحى الله اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) الآية : (يا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بولايته يوم غدیر خمّ.

راجع: تفسير مجمع البيان، للإمام الطبرسي [2 : 278 ط. مؤسسة التاريخ العربي - بيروت].

11 - ابن عساكر الشافعي :

وهو الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي الملقب بـ «ثقة الدين» المتوفى سنة (571) صاحب التاريخ الكبير السائر الدائر، تجد ترجمته في تاريخ ابن خلكان [1 : 363] وأثنى عليه ابن الأثير في تاريخه الكامل [11 : 177] وقال ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية [12 : 294] : أحد أكابر حفاظ الحديث، ومن عني به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً وإطلاعاً وحفظاً لأسانيده ومتونه، وإتقاناً لأساليبه وفنونه، صنّف تاريخ الشام في ثمانين مجلداً. ثمّ أطنب في الثناء عليه وعلى تأليفه. وذكره السبكي في طبقاته [4 : 273 - 277] وأكثر الثناء عليه وعلى ثقته وإتقانه وتأليفه. انتهى. وقد أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في غدير خمّ في علي بن أبي طالب. راجع : الدر المنثور [2 : 298] للسيوطي، وتفسير فتح القدير [2 : 60] للشوكاني.

12 - النطنزي:

وهو أبو الفتح محمد بن علي بن إبراهيم المولود سنة (480) قال السمعاني في كتابه أنساب الأشراف : أفضل من هو بخراسان والعراق في اللغة والأدب والقيام بصناعة الشعر، قدم علينا مرو سنة إحدى وعشرين، وقرأت عليه طرفاً صالحاً من الأدب، واستفدت منه واغترفت من بحره، ثمّ لقيناه بهمدان، ثمّ قدم علينا بغداد غير مرّة في مدة مقامي بها، وما لقيناه إلا وكتبته عنه واقتبست منه. ثمّ ذكر فيه مشايخه. انتهى.

وقد روى في كتابه الخصائص العلوية من طريق الحسن بن أحمد المهري بإسناده عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا الناس إلى علي (عليه السلام) في غدير خمّ، وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقمّ، وذلك يوم الخميس، فدعا عليّاً فأخذ بضبعيه، ورفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ لم يتفرّقوا حتى نزلت هذه الآية : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتني والولاية لعلي من بعدي، قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله »، فقال حسان بن ثابت : إنّني لي يا رسول الله فأقول في علي أبياتاً لتسمعها، فقال : قل على بركة الله، فقام حسان فقال : يناديهم يوم الغدير نبيهم «الخ» كما أسلفنا.

13 - الفخر الرازي:

وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الشافعي، المتوفى سنة (606) صاحب التفسير الكبير الشهير.

قال ابن خلكان في تاريخه [2 : 48] : فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، وذكر فيه تأليفه. وذكره ابن كثير في تاريخه [13 : 55] وقال : كان إمام الدنيا

في عصره. وترجمه السبكي في طبقاته [5 : 33 - 40] وأثنى عليه وبالح في الردّ على الذهبي في غمزه على المترجم في ميزان الاعتدال. انتهى.

قال في تفسيره الكبير [12 : 49 ط. دار الاحياء - بيروت]: العاشر : نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب(عليه السلام) ولما نزلت هذه الآية أخذ(صلى الله عليه وآله وسلم) بيده وقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه »، فلقبه عمر فقال : هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس، والبراء بن عازب، ومحمد بن علي.

14 - ابن طلحة الشافعي:

وهو أبو سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي، المتوفى سنة (652) قال في كتابه مطالب السؤل [ص 16] : نقل الإمام أبو الحسن علي الواحدي في كتابه المسمى أسباب النزول، يرفعه بسنده إلى أبي سعيد الخدري(رضي الله عنه) قال : نزلت هذه الآية يوم غدير خمّ في علي.

15 - الرسعني الحنبلي:

وهو الحافظ عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر عز الدين الرسعني الحنبلي المتوفى سنة (661).

قال فيه الذهبي في تذكرته [4 : 243] : كان إماماً متقناً ذا فنون وأدب، صنّف كتاب مقتل الحسين(عليه السلام)، وجمع وصنّف تفسيراً حسناً رأيته يروي فيه بأسانيده.

وأثنى عليه ابن كثير في تأريخه [13 : 241].

وقال زميله الإربلي صاحب كشف الغمة [1 : 85 ، ط. بيروت] : كان صديقنا وكنا نعرفه، وكان حنبلي المذهب، وكان رجلاً فاضلاً أديباً حسن المعاشرة، حلّو الحديث، فصيح العبارة، اجتمعت به في الموصل. انتهى.

وقد روى في تفسيره عن ابن عباس(رضي الله عنه) قال : لما نزلت هذه الآية أخذ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي فقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ».

16 - الحمّوني:

وهو شيخ الاسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين محمد بن المؤيد بن حمويه الخراساني الجويني، المتوفى سنة (722) عن 87 عاماً، أطراه الذهبي في تذكرته [4 : 298] بالإمام المحدث الأوحّد الأكمل، وقال : كان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الاجزاء، وعلى يده أسلم الملك غازان. وأغدق الثناء عليه ابن حجر كما في كتابه الدرر [1 : 67].

وقد أورد في كتابه المسمى بـ «فرائد السّمطين في فضائل المترضى و البتول والسبطين» [1: 72 - 75] عن مشايخه الثلاث، وهم : السيد برهان الدين إبراهيم بن عمر الحسيني، والشيخ الإمام مجد الدين عبدالله بن محمود الموصلّي، والشيخ بدر الدين محمد ابن محمد بن أسعد البخاري، بإسنادهم عن أبي هريرة أنّ الآية نزلت في علي.

17 - الهمداني:

وهو السيّد علي بن شهاب بن محمد الهمداني الملقب في بعض المعاجم بشهاب الدين، المتوفى سنة (876). وقد أثنى عليه وعلى تأليفه ومقاماته وكراماته غير واحد من الأعلام، كما قاله الأميني في تصنيفه «الغدير» في طبقات الرواة من العلماء، وقال : توجد ترجمته في غدير العبقات [1 : 241 - 244]. انتهى.

وقد أورد في كتابه «موّدة القربى» عن البراء بن عازب، قال : أقبلت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع، فلما كان بغدير خمّ نودي : الصلاة جامعة، وجلس رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) تحت شجرة وأخذ بيد علي وقال : « ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « ألا من أنا مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه »، فلقبه عمر(رضي الله عنه) فقال : هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب. أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وفيه نزلت : (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الآية.

18 - العيني الحنفي:

وهو العلامة محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد قاضي القضاة بدر الدين، المولود بمصر سنة (762) والمتوفى سنة (855) ترجمه السخاوي في الضوء اللامع [10 : 131] وذكر فيه أساتذته في الفقه وأصوله والحديث والأدب، وعد تأليفه وأثنى عليها، وقال : حدّث وأفتى ودرّس وأخذ عنه الأئمة من كلّ مذهب طبقة بعد أخرى، بل أخذ عنه أهل الطبقة الثالثة، وكنت ممن قرأ عليه أشياء. وذكره ابن خطيب الناصرية في تأريخه فقال : إمام عالم فاضل مشارك في علوم، وعنده حشمة ومروءة وعصبيّة وديانة. وذكره السيوطي في كتابه «بغية الوعاة» [ص 386] وأثنى عليه وذكر مشائخ قراءته وتأليفه وقال : كان إماماً عالماً علامة، عارفاً بالعربيّة والتصريف وغيرهما.

وقد ذكر العيني في كتابه «عمدة القاري في شرح صحيح البخاري» [8 : 584] في قوله تعالى : (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الآية : عن الحافظ الواحدي كما مرّ في الرواة الثامن من هذا الكتاب، ثمّ حكى فيه سبب نزول الآية عن مقاتل والزمخشري، فقال : قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر: معناه : بلّغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي بن أبي طالب(عليه السلام) فلما نزلت هذه الآية، أخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه.

19 - ابن الصباغ المالكي:

وهو العلامة نور الدين علي بن محمد بن أحمد الغزي الأصل، المولود سنة (784) المتوفى سنة (855) روى عنه السخاوي بالإجازة، وترجمه في الضوء اللامع [5 : 283] وذكر مشائخه في الفقه وغيره. ثم قال : له مؤلفات، منها الفصول المهمة لمعرفة الأئمة وهم اثنا عشر. وقد نقل عن كتابه المذكور: الشبلنجي في كتابه نور الأبصار، والصقوري في كتابه نزهة المجالس.

وقد ذكر في فصوله [ص 41 ط. بيروت] المذكور أحاديث في هذا الموضوع، منها ما نقله عن أبي الفتوح أسعد بن أبي الفضائل العجلي يرفعه بسنده إلى حذيفة بن أسيد، وعامر بن ليلي بن ضمرة، قال : لما صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع ولم يحج غيرها، أقبل حتى إذا كان بالجحفة نهى عن سمرة متغاديات بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحدًا، حتى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل فأقام تحتهن، حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، وذلك يوم غدير خم، وبعد فراغه من الصلاة قال : «أيها الناس، إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر النبي الذي كان قبله، وإنني لأظن أنني أدعى وأجيب، وإنني مسؤولٌ وأنتم مسؤولون هل بلغت ؟ فما أنتم قائلون ؟»، قالوا : نقول: قد بلغت، وجهدت، ونصحت، وجزاك الله خيراً.

قال : « أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، والبعث بعد الموت حق ؟ » قالوا : اللهم أشهد. ثم قال : «أيها الناس، ألا تسمعون ؟ ألا فإن الله مولاي، وأنا أولى بكم من أنفسكم، ألا و من كنت مولاه فعلي مولاه ».

وفي رواية ابن عساكر، وابن كثير في البداية والنهاية [5 : 209، و 7 : 348] بزيادة لفظ : أيها الناس إني فرطكم وإيكم واردون عليّ الحوض، حوضٌ أعرض مما بين بصرى وصنعاء، فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر : كتاب الله، سببٌ طرفه بيد الله وطرفٌ بأيديكم فاستمسكوا به، لا تزلوا ولا تبدلوا. والثقل الأصغر⁽³⁾ : عترتي أهل بيتي، فإنه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وفي رواية السهمودي، فعن ابن عقدة كما ذكره الأميني في رواة الغدير من الصحابة [1 : 25] بلفظ : إني سائلكم حين تردون عليّ الحوض عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، قالوا : وما الثقلان ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله، سببٌ طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، والأصغر عترتي. الحديث. ثم قال : وأخرجه الطبراني في الكبير. والضياء في المختارة.

20 - النيسابوري:

(3) راجع البداية والنهاية 7 : 386 ط. دار الاحياء .

وهو العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. فقد أورد في تفسيره السائر الدائر، غرائب القرآن ورغائب الفرقان [6 : 194 بهامش تفسير الطبري] عن أبي سعيد الخدري، أنها نزلت في فضل علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم غدير خم، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وواله وعاداه. فلقبه عمر ، فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس، والبراء بن عازب، ومحمد بن علي.

21 - الميذبي:

وهو العلامة كمال الدين حسين بن معين الدين اليزدي شارح ديوان أمير المؤمنين، وقال فيه [ص 415] : روى الثعلبي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ما قال في غدير خم بعد ما نزل قوله تعالى : (يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ولا يخفى على أهل التوفيق أن قوله تعالى : (النبيُّ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) يلائم حديث الغدير. والله أعلم.

22 - السيوطي:

وهو الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين المصري الشافعي، المتوفى سنة (911). قال عبد الحي في شذراته [8 : 51 - 55] : المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة. وأثنى عليه وأكثر، وذكر تأليفه وقال : إنه رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بضعا وسبعين مرة يقظة، وحكى له كرامة طي الأرض وأخذ صاحبه معه من القرافة إلى مكة، ذهاباً وإياباً بخطوات عديدة. وذكره ابن العيدروس في كتابه التور السافر [ص 54 - 57] وأثنى عليه، وذكر بعض كراماته وتأليفه. قال في كتابه الدر المنثور [2 : 298] : أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس مكذبني، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني، فأنزل : (يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير. وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد، قال : لما نزلت : (بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يا رب إنما أنا واحدٌ كيف أصنع يجتمع علي الناس ؟ »، فنزلت : (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ).

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت هذه الآية : (يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن علياً مولى المؤمنين، (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).

23 - السيّد عبد الوهاب البخاري:

وهو ابن محمد رفيع الدين بن أحمد الحسيني⁽⁴⁾، المتوفى سنة (932). قال الأميني في طبقات الرواة من العلماء من كتابه الغدير [1 : 135] : توجد ترجمته والثناء عليه وذكره الجميل بالعلم والعمل في «أخبار الأخيار» للشيخ عبد الحق الدهلوي. وفي «تذكرة الأبرار» للسيد محمد كما في العبقات [1 : 537]. قال في تفسيره عند قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) : عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) : أي : بلغ من فضائل علي، نزلت في غدير خم، فخطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال : « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه »، فقال عمر : بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن و مؤمنة.

24 - الشيرازي:

وهو العلامة جمال الدين عطاء الله بن فضل الله الحسيني، المتوفى سنة (1000) صاحب كتاب الأربعين في مناقب أمير المؤمنين، وكتاب روضة الأحاب في سيرة النبي وآله والأصحاب. قال الأميني في طبقاته من الغدير [1 : 137] : قد ذكر تفصيل فصوله كاتب جلبي في كشف الظنون [1 : 582]. وقد روى في أربعينه المذكور نزول آية التبليغ في علي بغدير خم، كما مرّ فيما أخرجه المحاملي عن ابن عباس.

25 - محمد محبوب العالم:

وهو ابن صفى الدين جعفر بدر العالم، له تفسيره المعروف بـ «تفسير الشاهي»، وقد حكى في تفسيره الحديث الذي مرّ لفظه عن تفسير النيسابوري.

26 - البدخشاني:

وهو العلامة ميرزا محمد بن معتمد خان مؤلف كتاب مفتاح النجا في مناقب آل العبا، وكتاب نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار، قال الأميني في طبقاته : والكتابان يئمان عن طول باع مؤلفه⁽⁵⁾ في علم الحديث وفنونه، والتضلع في مسانيد. قال (رحمه الله) في كتابه مفتاح النجا : الآيات النازلة في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كثيرة جداً، لا أستطيع استيعابها، فأوردت في هذا الكتاب لبّها ولبابها. إلى أن قال : وأخرج ابن مردويه عن زر عن عبد الله (رضي الله عنه) قال : كنّا نقرأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنْ عَلَيَّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)، ثم أورد ما أخرجه عن أبي سعيد الخدري السالف ذكره، وما أخرجه الرسعني بلفظه المذكور.

(4) في كشف الظنون وفي هداية العارفين ورد اسمه عبد الوهاب بن أحمد الملتاني.

(5) هكذا في الأصل ، راجع : الغدير 1 : 143 . والصحيح مؤلفهما.

27 - الشوكاني:

وهو القاضي محمد بن علي بن محمد الصنعاني، المولود سنة (1173) كما في البدر الطالع، والمتوفى سنة (1250) كما هو مكتوب في تفسير فتح القدير، قال الأميني: فقيه متضلّع مشارك في العلوم، بارع في الفضائل. ألف وأكثر وأحسن في تأليفه وأجاده، توجد له ترجمة ضافية بقلمه في كتاب البدر الطالع [3 : 214 - 225] ذكر فيه مشايخه في الحكمة والكلام والفقه وأصوله والحديث وفنونه، والمعاني والبيان والعلوم العربيّة، وعدّ من رسالاته وكتابات ما يبلغ المائة، وهناك تأليف أخرى لم يذكرها في عدّ كتبه، استدركها من علق على كتابه البدر الطالع في هامشه، وقد طبع كثير من تأليفه، وهي تعرب عن تضلّعه في الفنون، وطول بابه في العلوم الشرعيّة كتاباً وسنّة، وما يتعلّق بهما من معرفة المشيخة والمسانيد، وله مقدّمة في كتابه «نيل الأوطار» [ط. بولاق] بقلم حسين بن محسن السّبعي. وقد قال في تفسيره «فتح القدير» [2 : 60] : نزلت هذه الآية يوم غدير خمّ في علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وأورد أحاديث من عدّة طرق عن قادة السنن، كما مرّ ذكرها في هذا الكتاب.

28 - الألوسي:

وهو السيد محمود بن عبدالله الحسيني شهاب الدّين أبو الثناء البغدادي الشافعي المولود بالكرخ سنة (1217) والمتوفى سنة (1270). قال الأميني في طبقاته من كتاب الغدير [1 : 147] : أحد نوابغ العراق وأعلامها، الطائر الصيت في الآفاق، المتضلّع في الفنون، المشارك في العلوم، من أسرة عراقية شهيرة في العلم والأدب، له تأليف قيّمة كثيرة لا يستهان بعدتها، توجد ترجمته في أعلام العراق [ص 21] ومشاهير العراق [2 : 198] وجلاء العينين [ص 27 - 28].

قال في تفسيره «روح المعاني» [6 : 192 ط. دار الاحياء - بيروت] : زعمت الشيعة أن المراد من الآية (ما انزل إليك) : خلافة علي كرم الله وجهه، فقد رووا بأسانيدهم عن ابي جعفر وأبي عبد الله رضي الله تعالى عنهما : أن الله تعالى أوحى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يستخلف علياً كرم الله وجهه، فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له عليه الصلاة والسلام بما أمره بأدائه.

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : نزلت هذه الآية في علي كرم الله تعالى وجهه، حيث أمر سبحانه أن يخبر الناس بولايته، فتخوّف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقولوا: حابى ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية، فقام بولايته يوم غدير خمّ، وأخذ بيده، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وذكر فيه أيضاً ما أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم، وابن عساكر، وابن مردويه راوين عن أبي سعيد الخدري، قال : نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، وروى فيه ما أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود،

قال : كُنَّا نقرأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنْ عَلَيَا وَلِي الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ).

29 - القندوزي الحنفي:

وهو الشيخ سليمان بن الشيخ إبراهيم المعروف بـ (خواجه) كلان ابن الشيخ محمد المعروف بـ (بابا خواجه) الحسيني البلخي الأصل، توفي في القسطنطينية سنة (1293) كان من الأعلام الأفاضل، من نوابغ الحديث و فنونه، جمع «أجمع الفوائد» و«مشرق الأكوان»، و«ينابيع المودة»، الدائر السائر المكرر طبعه في شتى الأقطار. قال الأميني في طبقاته من كتاب الغدير : توجد ترجمته في أعلام العراق، و مشاهير العراق [2 : 198] و جلاء العينين [ص 27 و 28].

قال في كتابه «ينابيع المودة» [ص 120] : أخرج الثعلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن محمد الباقر رضي الله عنهما، قالاً : نزلت هذه الآية في عليّ، وأخرجه أيضاً الحمّوي في كتابه «فرائد السمطين» [1 : 74] عن أبي هريرة، وأخرجه أيضاً المالكي في كتابه الفصول المهمة [ص 40] عن أبي سعيد الخدري، قال : نزلت هذه الآية في علي في غدير خمّ، ثمّ قال : هكذا ذكره الشيخ محيي الدين النووي.

30 - الشيخ محمد عبده:

وهو ابن حسن خير الله المصري، المتوفى سنة (1323) مفتي الديار المصرية وعلامتها الكبير. قال الأميني في طبقاته : له شهرة طائلة في العلم، وقدم راسخة في الإصلاح، والسعي وراء صالح الأمة، سجّلها له التاريخ في صحائف مشاهير الشرق [ص 19 و 20 و 44]. قال في تفسيره «المنار» [6 : 463] : روى ابن أبي حاتم، وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خمّ في علي بن أبي طالب.

والى ذلك أشار العوني بقوله :

يا بائع الدّين بدنياه *** ليس بهذا أمر الله

فارجع إلى الله وألق الهوى *** إن الهوى في النار مأواه

من أين أبغضت عليّ الرضا *** وأحمدُ قد كان يرضاه

جهدك أن تسلبه اليوم ما *** كان رسول الله أعطاه

من ذا الذي أحمدُ من بينهم *** يوم غدير الخمّ ناداه

أقامه من بين أصحابه *** وهم حواليه فسمّاه

هذا علىّ بن أبي طالب *** مولى لمن قد كنت مولاه

فوال من والاه يا ذا العلى *** وعاد من قد كان عاداه

وله أيضاً :

لقد سمعوا مقالته بخرم *** غداة يضمهم وهو الغدير
فمن أولى بكم منكم فقالوا *** مقالة واحد وهم الكثير
جميعاً أنت مولانا و أولى *** بنا منّا وأنت لنا نذير
فقال لهم علانية جهاراً *** مقالة ناصح وهم حضور
فإن وليكم بعدي عليّ *** ومولاكم هو الهادي الوزير
وزيري في الحياة وعند موتي *** ومن بعدي الخليفة والأمير
فوالى الله من والاه منكم *** وقابله لدى الموت السرور
وعادى الله من عاداه منكم *** وحل به لدى الموت النشور⁽⁶⁾
وقال خطيب منيح :

وقال لهم رضيتم بي ولياً *** فقالوا يا محمد قد رضينا
فقال وليكم بعدي عليّ *** ومولاكم فكونوا عارفيناً
فقام لقوله عمرٌ سريعاً *** وقال له مقال الواصفينا
هنيئاً يا عليّ أنت مولى *** علينا ما بقيت وما بقينا

راجع مناقب ابن شهر آشوب [2 : 234 ط. النجف، 3 : 32 - 34 ط. دار الاضواء - بيروت].

31 - الطبراني:

أخرج في معجمه [5 : 167] بالإسناد الصحيح إلى زيد بن أرقم قال : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بغدير خمّ تحت شجرات، فقال : « أيها الناس، يوشك أن أدعى فاجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون ؟ ».

قالوا : نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً، فقال : « أليس تشهدون أن لا إله إلا الله. وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ الجنة حق. وأنّ نارَه حق، وأنّ الموت حق، وأنّ البعث حق بعد الموت، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور »؟ قالوا : بلى نشهد بذلك. قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهم اشهد »، ثم قال : « يا أيها الناس إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت موله فهذا موله - يعني علياً - اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ».

ثم قال : « يا أيها الناس إني فرطكم، وإتكم واردون عليّ الحوض، حوضٌ أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحانٌ من فضة. وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزوجل، سببٌ طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا

(6) هكذا في الأصل ، والصحيح الثبور.

تصلُّوا ولا تبدَّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنَّه قد نبأني اللطيف الخبير أنَّهما لن ينقضيا حتى يردا عليَّ الحوض».

قد ذكر ابن حجر هذا في كتابه الصواعق [ص 25] في الشبهة الحادية عشرة في الفصل الخامس من الباب الأول⁽⁷⁾.

قال الامام شرف الدِّين الموسوي في كتابه المراجعات [ص 180 ط. المجمع العالمي لأهل البيت]، في قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) : « يوشك أن أدعى فأجيب »: إنما نعى إليهم نفسه الزكية تنبيهاً إلى أنَّ الوقت قد استوجب تبليغ عهده، واقتضى الأذان بتعيين الخليفة من بعده، وأنه لا يسعه تأخير ذلك، مخافة أن يُدعى فيجيب قبل إحكام هذه المهمة التي لا بدَّ من إحكامها. ولا غنى لأُمَّته عن إتمامها.

وقال في قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) : « وإني مسؤولٌ » : لما كان عهده إلى أخيه ثقيلاً على أهل التنافس والحسد والشحناء و النفاق، أراد(صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن ينادي بذلك أن يتقدَّم في الاعتذار إليهم، تأليفاً لقلوبهم وإشفاقاً من معرَّة أقوالهم وأفعالهم، فقال : « وإني مسؤولٌ » ليعلموا أنَّه مأمورٌ بذلك ومسؤولٌ عنه، فلا سبيل له إلى تركه.

وقال في قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) : « وإنكم مسؤولون »: لعلَّه أشار بقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ما أخرجه الديلمي وغيره ، كما في الصواعق وغيرها، عن أبي سعيد أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (وقفَّوهم إنَّهم مسؤولون)⁽⁸⁾ عن ولاية علي.

وقال الإمام الواحدي : إنهم مسؤولون عن ولاية علي وأهل البيت. فيكون الغرض من قوله(صلى الله عليه وآله وسلم): « وإنكم مسؤولون » تهديد أهل الخلاف لوليِّه ووصيِّه يعني - علياً - .

32 - الحاكم النيسابوري:

قد أخرج في مناقب عليٍّ من المستدرک [3 : 109] عن زيد بن أرقم من طريقين صحَّهما علي شرط الشيخين، قال : لما رجع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقمن، فقال : كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. ثم قال : إن الله عزَّوجلَّ مولاي. وأنا مولى كلِّ مؤمن، ثم أخذ بيد علي(رضي الله عنه) فقال : من كنت مولاه فهذا وليُّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وذكر الحديث بطوله. وذكره أيضاً في [3 : 33] عن زيد بن أرقم.

33 - الإمام أحمد بن حنبل:

(7) بعد مراجعة المصدرين المذكورين وجدنا اختلافاً يسيراً بينهما ، فراجع.

(8) الصافات : 24 .

أخرج في المسند [4 : 372] عن زيد بن أرقم قال : نزلنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بواد يقال له وادي خمّ، فأمر بالصلاة، فصلاها بهجير، قال : فخطبنا، وظلل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال : « أستم تعلمون، أو أستم تشهدون أنني أولى بكلّ مؤمن من نفسه ؟ » قالوا : بلى، قال : « فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه ». وأخرج أيضاً في مسنده [4 : 281] عن البراء بن عازب من طريقين، قال : كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت شجرتين، فصلّى الظهر وأخذ بيد علي (رضي الله عنه)، فقال : « أستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : بلى، قال : « أستم تعلمون أنني أولى بكلّ مؤمن من نفسه ؟ » قالوا : بلى، قال : فأخذ بيد علي، فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه », قال : فلقية عمر بعد ذلك، فقال له : هنيئاً يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيّت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

34 - النسائي:

أخرج النسائي في الخصائص العلوية [ص 21] : عن زيد بن أرقم قال : لما رجع النبي من حجة الوداع ونزل غدير خمّ، أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال : « كأني دعيت فأجبت، وإني تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيها، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض », ثمّ قال : « إنّ الله مولاي، وأنا ولي كلّ مؤمن », ثمّ إنه أخذ بيد علي، فقال : « من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ».

قال أبو الطفيل : قلت: سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ فقال : وإنه ما كان في الدوحات أحدٌ إلا رآه بعينه، وسمعه بأذنيه.

وهذا الحديث أخرجه مسلم في باب فضائل علي [2 : 325] من صحيحه، ولكنه اختصره وبتره، وكذلك يفعلون. كذا قال الموسوي.

وأخرج أيضاً عن عائشة بنت سعد [ص 47] من الخصائص العلوية باب منزلة علي (عليه السلام) من الله عز وجلّ، قالت : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الجحفة، فأخذ بيد علي فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال : أيها الناس إني وليكم، قالوا : صدقت يا رسول الله، ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها، فقال : « هذا وليي، ويؤدّي عني ديني، وأنا موالي من والاه، ومعادي من عاداه ».

35 - شرف الدين الموسوي:

قال في كتابه النفيس المراجعات [المراجعة : 56 ص 184] : إن حديث الغدير كان محل العناية من الله عز وجلّ؛ إذ أوحاه تبارك وتعالى إلى نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنزل فيه قرآناً يرثله المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، ويتلونه في خلواتهم وجلواتهم، وفي أورداهم وصلواتهم وعلى أعواد منابرهم، وعوالي

منائرهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فلما بلغ الرسالة يومئذ بنصّه على عليّ بالإمامة، وعهد إليه بالخلافة، أنزل الله عزّ وجلّ عليه : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) بخّ بخّ ذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء، إنّ من نظر إلى هذه الآيات، بخع لهذه العناية.

وإذا كانت العناية من الله عزّ وجلّ على هذا الشكل، فلا غرو أن يكون من عناية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان، فإنه لما دنا أجله، ونعيت إليه نفسه. أجمع - بأمر الله تعالى - على أن ينادي بولاية علي في الحجّ الأكبر على رؤوس الأشهاد، ولم يكتف بنصّ الدار يوم الإنذار بمكّة، ولا بغيره من النصوص المتواليّة، فأذن في الناس قبل الموسم أنه حاجّ في هذا العام حجّة الوداع، فوافاه الناس من كل فجّ عميق. وخرج من المدينة بنحو مئة ألف أو يزيدون.

فلما كان يوم الموقف بعرفات نادى في الناس : « عليّ مني، وأنا من علي، ولا يؤدّي عنّي إلا أنا أو علي ». ولما قفل بمن معه من تلك الألوف وبلغوا وادي خم، وهبط عليه الروح الأمين بآية التبليغ عن رب العالمين، حطّ (صلى الله عليه وآله وسلم) هناك رحله، حتى لحقه من تأخّر عنه من الناس، ورجع إليه من تقدّمه منهم، فلما اجتمعوا صلّى بهم الفريضة، ثم خطبهم عن الله عزّ وجلّ فصدع بالنصّ في ولاية علي، وقد سمعت شذرةً من شذوره، وما لم تسمعه أصح وأصرح. على أنّ فيما سمعته كفاية، وقد حمّله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل من كان معه يومئذ من تلك الجماهير، وكانت تربو على مئة ألف نسمة من بلاد شتى، فسنة الله عزّ وجلّ التي لا تبدّل لها في خلقه تقتضي تواتره، مهما كانت هناك موانع تمنع عن نقله .

وقال في [ص 194 من المراجعة : 58] ردّاً على من صرف معنى المولى في الحديث المذكور الى معنى بعيد عن المراد الذي في مضمون هذه القضية الهائلة في ذلك المشهد العظيم، وإليك لفظه :
فلو سألكم فلاسفة الأغيار عما كان منه يوم غدیر خمّ. فقال: لماذا منع تلك الألوف المؤتفة يومئذ عن المسير ؟ وعلى م حبسهم في تلك الرمضاء بهجير ؟ وفيما اهتم بإرجاع من تقدّم منهم وإلحاق من تأخّر ؟ ولم أنزلهم جميعاً في ذلك العراء على غير كلاء ولا ماء ؟ ثمّ خطبهم عن الله عزّ وجلّ في ذلك المكان الذي منه يتفرّقون، ليبّغ الشاهد منهم الغائب، وما المقتضي لنعي نفسه إليهم في مستهلّ خطابه ؟ إذ قال : يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأحبيب، وإني مسؤولٌ وإنكم مسؤولون، وأيّ أمر يسأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تبليغه، وتسأل الأمة عن طاعتها فيه ؟ ولماذا سألهم فقال : أستمّ تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنّ جنّته حق وأنّ ناره حق، وأنّ الموت حق، وأنّ البعث حق بعد الموت، وأنّ الساعة آتیة لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك.

ولماذا أخذ حينئذ على سبيل الفور بيد علي فرفعها إليه حتى بان بياض إبطيه ؟ فقال : « يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين ». ولماذا فسرّ كلمته « وأنا مولى المؤمنين » بقوله : « وأنا أولى بهم من أنفسهم » ؟ ولماذا قال بعد هذا التفسير : « فمن كنت مولاه فهذا مولاه » أو من كنت وليّه

فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله؟ ولماذا قرن العترة بالكتاب، وجعلها قدوة لأولي الألباب إلى يوم الحساب؟ وفيه هذه الاهتمام العظيم من هذا النبي الحكيم؟ وما المهمة التي احتاجت إلى هذه المقدمات كلها؟ وما الغاية التي توخّاها في هذا الموقف المشهود؟ وما الشيء الذي أمره الله تعالى بتبليغه إذ قال عزّ من قائل: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)؟ وأي مهمة استوجبت من الله هذا التأكيد، واقتضت الحضّ على تبليغها بما يشبه التهديد؟ وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه، ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه؟

أكنتم تجيبونه بأن الله عزّوجلّ ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) إنما أرادا بيان نصرة علي للمسلمين وصداقته لهم ليس إلا؟ ما أراكم ترضون هذا الجواب، ولا أتوهم أنكم ترون مضمونه جائزاً على ربّ الأرباب، ولا على سيد الحكماء وخاتم الرسل والأنبياء، وأنتم أجّل من أن تجوّزوا عليه أن يصرف هممه كلها وعزائمه بأسرها إلى تبين شيء بيّن لا يحتاج إلى بيان، وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان، ولا شك أنكم تنزّهون أفعاله وأقواله عن أن تزدري بها العقلاء، أو ينتقدها الفلاسفة والحكماء.

وقال في التعليقات من الكتاب [ص 185 المراجعة: 56]: ومما يشهد له - أي في أنّ المراد بالتبليغ في مضمون آية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) هو أن ينصّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على علي بالإمامة ويعهد إليه بالخلافة لا غير - أنّ الصلاة كانت قبل نزولها قائمة، والزكاة مفروضة والصوم كان مشروعاً، والبيت محجوجاً، والحلال بيّناً، والحرام بيّناً، والزكاة مفروضة، والشريعة متّسقة، وأحكامها مستتبّة، فأيّ شيء غير ولاية العهد يستوجب من الله هذا التأكيد ويقتضي الحض على بلاغه بما يشبه الوعيد؟ وأي أمر غير الخلافة يخشى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الفتنة بتبليغه، ويحتاج إلى العصمة من أذى الناس بأدائه؟

وقال في [ص 196 المراجعة: 58]: ولو أراد مجرد بيان فضله، والردّ على المتحاملين عليه، لقال(صلى الله عليه وآله وسلم): هذا ابن عمي، وصهري، وأبو ولدي وسيد أهل بيتي، فلا تؤذوني فيه، أو نحو ذلك من الأقوال الدالة على مجرد الفضل وجلالة القدر، على أنّ لفظ الحديث لا يتبادر إلى الأذهان منه إلا ما قلناه، فليكن سببه مهما كان، فإن الألفاظ إنما تحمل على ما تبادر إلى الأفهام منها، ولا يلتفت إلى أسبابها كما لا يخفى.

وأما ذكر أهل بيته في حديث الغدير، فإنّه من مؤيّدات المعنى الذي قلناه، حيث قرّنه بمحكم الكتاب، وجعلهم قدوة لأولي الألباب، فقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وإنما فعل ذلك لتعلم الأمّة أن لا مرجع بعد نبيها إلا إليهما، ولا معول لها من بعده إلا عليهما. وحسبك في وجوب اتباع الأمّة من العترة الطاهرة، اقترانهم بكتاب الله عزّوجلّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكما لا يجوز الرجوع إلى كتاب يخالف في حكمه كتاب الله سبحانه وتعالى، لا يجوز الرجوع إلى إمام يخالف في حكمه أمّة العترة.

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إِنَّهُمَا لَنْ يَنْقُضِيَا» أو «لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» دليلٌ على أَنَّ الْأَرْضَ لَنْ تَخْلُو بَعْدَهُ مِنْ إِمَامٍ مِنْهُمْ، هُوَ عَدْلُ الْكِتَابِ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ الْحَدِيثَ وَجَدَهُ يَرْمِي إِلَى حَصْرِ الْخِلَافَةِ فِي أُمَّةِ الْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ [5 : 182، الْحَدِيثُ : 21068] عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ، كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

وَهَذَا نَصٌّ فِي خِلَافَةِ أُمَّةِ الْعَتْرَةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّصَّ عَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِ الْعَتْرَةِ نَصٌّ عَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِ عَلِيٍّ، إِذْ هُوَ سَيِّدُ الْعَتْرَةِ لَا يَدْفَعُ، وَإِمَامُهَا لَا يَنْزِعُ، فَحَدِيثُ الْغَدِيرِ وَأَمْثَالُهُ يَشْتَمِلُ عَلَى النَّصِّ عَلَى عَلِيٍّ، تَارَةً مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ إِمَامُ الْعَتْرَةِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَنْزِلَةُ الْكِتَابِ، وَأُخْرَى مِنْ حَيْثُ شَخْصُهُ الْعَظِيمُ، وَإِنَّهُ وَلِيُّ كُلِّ مَنْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ وَلِيِّهِ. وَالسَّلَامُ.

وَقَالَ فِي كِتَابٍ آخَرَ لَهُ أَيْضًا الْمُسَمَّى بِـ «النَّصِّ وَالْاجْتِهَادِ» مَا مَضُمُونَهُ : عَلَى أَنَّ حَيَاةَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بَعْدَ النَّبُوءَةِ كَانَتْ مَلِيئَةً مَفْعَمَةً بِتِلْكَ النُّصُوصِ، مِنْذُ يَوْمِ الْإِنْذَارِ فِي دَارِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ، حَتَّى سَجَّى (صلى الله عليه وآله وسلم) عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ وَالْحَجَرَةِ غَاصَّةً بِأَصْحَابِهِ، فَقَالَ : «أَيُّهَا النَّاسُ يَوْشَكُ أَنْ أَقْبِضَ قَبْضًا سَرِيعًا فَيَنْطَلِقَ بِي، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الْقَوْلَ مَعْذَرَةً إِلَيْكُمْ أَلَا إِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَرَفَعَهَا. فَقَالَ : هَذَا عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

وَلَكِنْ لَمْ يَكِدْ أَنْ يَغْمُضَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) عَيْنَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ، إِلَّا وَقَدْ قَضَوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ، بِدُونِ أَنْ يُؤْذِنُوا بِهِ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَأَوْلِيَائِهِمْ وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوءَةِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمَخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ، حَتَّى كَانَتْهُمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لَمْ يَكُونُوا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَأَعْدَالُ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَمَانُ الْأُمَّةِ.

كَمَا قَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الْاِخْتِلَافِ، فَإِذَا خَالَفَتْهَا قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ اِخْتَلَفُوا، فَصَارُوا حِزْبَ إِبْلِيسَ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ [3 : 149] وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ.

وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا سَفِينَةَ نَجَاةِ الْأُمَّةِ، كَمَا قَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أَلَا إِنَّ مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ» وَفِي رِوَايَةٍ : «وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ»، وَفِي رِوَايَةٍ : «وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَجَّ فِي النَّارِ». أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ [3 : 151] بِالْإِسْنَادِ إِلَى أَبِي ذَرِّ الْغَفَارِيِّ.

وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَابَ حُطَّةِ الْأُمَّةِ كَمَا قَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِيمَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ : «إِنَّمَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَإِنَّمَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلُ بَابِ حُطَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ».

وكأنهم لم يكونوا من الأمة بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العينين من الرأس، كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما نقله الإمام الصَّبَّان في كتابه «إسعاف الراغبين» والشيخ يوسف النبهاني في كتابه «الشرف المؤبد» وغير واحد من الثقات بالإسناد إلى أبي ذر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إجعلوا أهل بيتي منكم محلّ الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين».

أجل قضي الأمر في السقيفة، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقى بين عترته الطاهرة وأوليائهم ثلاثة أيام وهم حوله، يتقطعون حشرات، ويتصدّون من الزقّرات، قد أخذهم من الحزن ما تنفطر به المرائر، ومن الهمّ والغمّ ما يذيب لفائف القلوب، وأولئك في معزل عن المسجّى، ثلاثاً - بأبي وأمي - يرهفون لسلطانهم عزائمهم، ويشحذون لملكه آراءهم، لم يهتموا في شيء من أمره. حتى قضوا أمرهم مستأثرين به.

وما إن فاءوا إلى موارثه حتى فاجأوا أوليائه وأحبّاءه يأخذ البيعة منهم، كما قال شاعر الثيل حافظ إبراهيم، [ممتدحاً لهذا الفعل الشنيع، والعمل الفظيع، ما يسودّ به وجه التاريخ الإسلامي]⁽⁹⁾ :
وقولة لعلي قالها عمر *** أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقت دارك لا أبقي عليك بها *** إن لم تباع و بنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص بقائلها *** أمام فارس عدنان وحامياها

فلو فرض أن لا نص بالخلافة على أحد من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفرض كونهم مع هذا غير مبرّزين في حسب أو نسب أو أخلاق، أو جهاد، أو علم، أو عمل أو إيمان أو إخلاص، ولم يكن لهم السبق في مضامير كلّ فضل، بل كانوا كسائر الصحابة. فهل كان من مانع شرعيّ أو عقليّ أو عرفيّ يمنع من تأجيل عقد البيعة إلى فراغهم من تجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ ولو بأن يوكل حفظ الأمن إلى القيادة العسكريّة مؤقتاً حتى يستتب أمر الخلافة ؟ أليس هذا المقدار من التريث كان أرفق بأولئك المفجوعين وهم وديعة النبي لديهم، وبقيته فيهم؟

وكان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على علم من تصميم القوم على صرف الأمر عنه، وأنّه لو نازعهم فيه لنازعوه. ولو قاتلهم عليه لقاتلوه، وإنّ ذلك يوجب التحرير في الدين والخطر بالأمة، فاختر الكفّ احتياطاً على الإسلام، وإيثاراً للصالح العام⁽¹⁰⁾، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت، غير أنّ من انطبعت في نفسه اللين والرقّة، ليتأسّى ويتأسّف من سماع تلك الحادثة، ويستدر منه العجب العجائب، إذ كان فيهم الصحابيّ الكبير مثل عمر بن الخطّاب.

وكان ما كان منه ما لا يتصور صدوره من أجهل مسلم وأغلظهم قلباً، تجاه أهل بيت كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يكرمهم إكراماً، ويحبهم أشدّ حبّ إلى غاية أن يقول فيهم : اللهم إني أحبهم

(9) ما بين القوسين من قول المؤلف لا من قول الإمام شرف الدين (قدس سره).

(10) إلى هنا انتهى كلام السيد شرف الدين (قدس سره) راجع النص والاجتهاد ص 22 - 30 ط. أسوة.

فأحبّهم وأحب من أحبّهم، وابغض من أبغضهم⁽¹¹⁾. وقال في كريمته الزهراء (عليها السلام) : « رضيائي في رضاها وسخطي في سخطها »⁽¹²⁾.

على أنه ليس في الكتاب آية، ولا في الحديث رواية، تدلّ على وجوب بيعة أبي بكر حتى شدّد بها الكافة عليها تشديداً كاد أن يقضي إحراقه أكرم بيت في الإسلام بعد بيت الله ورسوله.

فلعلّ ذلك من أدمغ الحجاج التي يتوقّف بها بعضهم في القطع بصحة خلافة أبي بكر، لأنّ مدار الصحة في نظرهم موقوفة على إجماع الأمة عليها، فتقوم الحجة قويّة على مبناها الرصين. واتفقت مع قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تجتمع أمتي على ضلال. وفي رواية: على خطأ. ومع ما كان من ذلك فإنّ مما يؤيّد مبدأ المتوقّفين في صحة خلافة أبي بكر أن جماعة من محقّقي علماء السنة قد منعوا صحة صدور الحديث المذكور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أخبرنا بذلك الأمير محمّد الكاظمي القزويني في كتابه (نقض الصواعق) [ص 94 الطبعة الثانية] وإليك لفظه :

إن أقوى ما تمسك به أهل السنة لإثبات خلافة أبي بكر هو دعواهم إجماع الأمة على اختياره ورضاهم به، وعزّزوا ذلك بما نقلوه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : « لا تجتمع أمتي على ضلال. أو قال على خطأ » وقد أجمعوا عليه، فوجب أن يكون إجماعهم عليه صواباً. هذا تقرير كلام أهل السنة، ونحن إذا أثبتنا لك عدم صحة هذه الدعوى تمكّناً من إيقافك على القطع بعدم استحقاقه للخلافة.

أولاً : إن الحديث لم يصح صدوره عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حال، وقد منع صحته جماعة من محقّقي أهل السنة، منهم : النووي الشارح لصحيح مسلم، كما يأتي، وأنكره شيخ الاعتزال إبراهيم بن سيار النظام، على ما حكاه عنه عضد الملة في شرحه لمختصر ابن الحاجب [1 : 125] مع أنه من أحاد الخبر الذي لا يقتضي علماً ولا عملاً على ما صرّح به الأمدي في كتاب الاحكام [1 : 315] والعضدي في شرح المختصر [1 : 127] .

ثانياً : لو فرضنا صحته فإنّه يفيد أن جميع الأمة لا تجتمع على ضلال، كما يقتضي الجمع المنكر المضاف في قوله: «أمتي» وعليه إن أرادوا من الاجتماع المدعى على إجماع جميع أمة الإسلام على اختيار أبي بكر والرضا والقبول بخلافته، فذلك لم يقع ولم يحصل من جميع أهل المدينة، فضلاً عن بقية الأمصار الإسلامية الذين لهم حق الاختيار.

وإن أرادوا به اجتماع بعض الأمة وهم أهل السقيفة على اختيار أبي بكر والرضا به، فذلك قطعاً لا يكون إجماعاً من جميع الأمة على الرضا به، لكي يصح الاستدلال له بالحديث. ولم يكن المجمعون عليه في السقيفة منتخبين من بقية الأمة، لكي يمثلوهم في انتخابه شأن الانتخابات الحرّة لدى الأمم الراقية في العصور الأولى وما بعدها إلى يومنا هذا.

ولا ريب أن إجماع بعض الأمة لا حجة فيه لجواز الخطأ عليهم فيما اجتمعوا عليه، ولا دليل على حجّيته مطلقاً، كما أنه لا ينعقد بالواحد والاثنين من أهل الحلّ والعقد؛ إذ لو كانت الخلافة الشرعيّة تنعقد

(11) راجع المعجم الكبير 3: 49 ط. دار الاحياء - بيروت.

(12) راجع : الحاكم، المستدرک على الصحيحين 3: 154 والإمامة والسياسة ص 20.

بواحد أو اثنين من الرعيّة لجاز أن ينعقد في كلّ زمان و مكان ألف خليفة وزيادة، بأن اتفق جماعة على واحد، وجماعة أخرى على آخر وهلمّ جرّاً، وفي ذلك فساد الدنيا وخرابها.

وإن أرادوا به اتفاق أهل الحلّ والعقد، فغير صحيح لوجهين :

الأول : أن أهل الحلّ والعقد هم بعض الأمة، ولا دليل على حجّية إجماعهم.

الثاني : أنه لم يحصل اتفاق أهل الحلّ والعقد عليه، لخروج جماعة كثيرة منهم عن معقد ذلك الإجماع المزعوم، كعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وسائر بني هاشم، وأسامة بن زيد، والزبير بن العوام، وسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمّار، وحذيفة، وخزيمة بن ثابت، وأبي بريدة الأسلمي، والبراء بن عازب، وأبيّ بن كعب، وسهل بن حنيف، وأبي الهيثم بن التيهان، وسعد بن عباد وابنه قيس، وعثمان بن حنيف، وفروة بن عمرو، وورقة الأنصاري، وأبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبي سفيان بن حرب، وخالد بن كثير، وكثير غيرهم من وجوه المهاجرين والأنصار.

ولم يكن المبايعون لأبي بكر يومئذ سوى خمسة نفر، أولهم عمر بن الخطاب والسابق إليها، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، وبشر بن سعيد، وأسيد بن الحصين. فلا إجماع حينئذ عليه.

وأن أرادوا الإجماع التدريجي على معنى وقوعه في أوقات متعدّدة، فهو غير صحيح لأمر :

الأول : أن مثل هذا الإجماع على فرض وجوده في إجماعهم، فهو مخالف لما هو المعتبر في حقيقة الإجماع المصرّح به في كلمات علماء الأصول بين أهل السنّة.

فهذا البيضاوي في منهاجه، والعضدي في شرحه على المختصر، وصاحب المأمول في علم الاصول محمّد صدّيق حسن [ص 33] وغيرهم من علماء الأصول كلّهم يقولون : إنّه يعتبر في الإجماع الشرعي اتفاق أهله على أمر أو أمور في وقت واحد. إذ لو لم يكن كذلك احتمل رجوع المتقدّم قبل دخول المتأخّر. وطرو هذا الاحتمال موجباً لفساد الإجماع وبطلان الاحتجاج به.

الثاني : أن مثل هذا الإجماع لم يقع في إجماعهم، فإن سعداً لم يبايع أحداً حتّى قتل بحوران، وهكذا تخلف علي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بيعتهم سنّة أشهر.

الثالث : لو سلّمنا جدلاً، صحّة مثل هذا الإجماع، وسلّمنا كذلك حصوله فيه، ولكن اعتباره منوطاً بدخول الباقيين طوعاً، لا مع العلم باستظهار الأكثر وخوف الأقلّ، ودخوله فيما دخل فيه الأكثر كرهاً، كما وقع ذلك في إجماعهم.

فهذا المؤرّخ الكبير ابن عبدالبرّ يقول في استيعابه عند ذكره للبيعة : إن سعداً لم يبايع أحداً من أبي بكر وعمر، ولم يقدروا إلزامه كما ألزموا غيره، لكثرة أقوامه من الخزرج، فخافوا فتنّتهم، وتخلف عن البيعة بنو هاشم، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب وجماعة كثيرة من قريش. وهكذا حكاه محمد حسنين هيكل في كتاب أبي بكر [ص 65 و 74]، فمثله لا يصلح أن يكون حجة شرعية يجب اتّباعها.

وقد أتى الإمام شرف الدين الموسوي في المراجعة الثمانين من مراجعته [ص 245] بالبراهين الكافية والحجج القطعية، من البيانات العقلية والأدلة المنطقية في شرح قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) « لا تجتمع أمّتي على الخطأ » ما لفظه :

إنّ المراد من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تجتمع أمّتي على الخطأ، ولا تجتمع على الضلال، إنما هو نفي الخطأ والضلال عن الأمر الذي اشتورت فيه الأمة فقرّرت باختيارها، واتفاق آرائها، وهذا هو المتبادر من السنن لا غير، أمّا الأمر الذي يراه نفرٌ من الأمة فينهضون به، ثمّ يتسوّى لهم إكراه أهل الحلّ والعقد عليه، فلا دليل على صوابه، وبيعة السقيفة لم تكن عن مشورة، وإنّما قام بها الخليفة الثاني، وأبو عبيدة، ونفرٌ معهم، ثمّ فاجأوا بها أهل الحلّ والعقد، وساعدتهم تلك الظروف على ما أرادوا.

وأبو بكر يصرّح بأنّ بيعته لم تكن عن مشورة ولا عن رويّة، وذلك حيث خطب الناس في أوائل خلافته معتذراً إليهم، فقال : «إنّ بيعتي كانت فلتة، وقى الله شرها، وخشيت الفتنة، وعمر يشهد بذلك على رؤوس الأشهاد في خطبة خطبها على المنبر النبويّ يوم الجمعة في أواخر خلافته، وقد طارت كلّ مطير. وأخرجها البخاري في صحيحه⁽¹³⁾.

وإليك محلّ الشاهد منها بعين لفظه، قال : ثمّ إنه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول : والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترّن امرؤٌ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقى شرها - إلى أن قال - : من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرّة أن يقتل⁽¹⁴⁾.

ومن المعلوم بحكم الضرورة من أخبارهم أن أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة لم يحضر البيعة أحدٌ منهم قط، وقد تخلّفوا عنها في بيت عليّ، ومعهم سلمان وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وخزيمة بن ثابت، وأبيّ بن كعب، وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري، والبراء بن عازب، وخالد بن سعيد بن العاص الأمويّ، وغير واحد من أمثالهم. فكيف يتمّ الإجماع مع تخلّف هؤلاء كلّهم؟ وفيهم آل محمد كافة وهم من الأمة بمنزلة الرأس من الجسد، والعينين من الوجه، ثقل رسول الله وعييته، وأعدال كتاب الله وسفرتة، وسفن نجاة الأمة وباب حطّتها، وأمانها من الضلال في الدّين وأعلام هدايتها، كما أثبتناه فيما أسلفناه⁽¹⁵⁾، على أن شأنهم غني عن البرهان، بعد أن كان شاهده الوجدان.

وقد أثبت البخاري ومسلم في صحيحيهما: [صحيح البخاري 3 : 39، وصحيح مسلم 2 : 72] وغير واحد من اثبات السنن والأخبار، تخلّف علي عن البيعة، وأنه لم يصلح حتى لحقت سيّدة النّساء بأبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك بعد البيعة بستة أشهر، حيث اضطرّته المصلحة الإسلامية العامة في تلك الظروف الحرجة إلى الصلح والمصالمة، والحديث في هذا مسندٌ إلى عائشة، وقد صرّحت فيه : أن الزهراء هجرت أبابكر، فلم تكلمه بعد رسول الله، حتى ماتت، وأنّ عليّاً لمّا صالحهم، نسب إليهم الاستبداد بنصيبه من

(13) صحيح البخاري 4 : 119، باب رجم الحبلى من كتاب الحدود والمحاريب . وتاريخ الطبري، أحداث سنة 11 هـ .

(14) صحيح البخاري 8 : 26، كتاب المحاريب باب رجم الحبلى ط. دار الفكر - بيروت.

(15) المراجعات ، المراجعة 6 - 12 .

الخلافة، وليس في ذلك الحديث تصريحٌ بمبايعته إياهم حين الصلح، وما أبلغ حجته إذ قال مخاطباً لأبي بكر:

فإن كنت بالقربى حجبت خصيمهم *** فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم *** فكيف بهذا والمشiron غيب

واحتجّ العباس بن عبد المطلب بمثل هذا على أبي بكر، إذ قال له في كلام دار بينهما : فإن كنت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طلبت، فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن منهم متقدمون فيهم. وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين⁽¹⁶⁾.

فإن الإجماع بعد هذا التصريح من عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصنوابيه، ومن ابن عمه [ووليّه] وأخيه، ومن سائر أهل بيته وذويه ؟

36 - السيّد محمد بن محمد الموسوي الحائري البحراني:

قال في كتابه «خلفاء الرسول» [ص 123]: إن نزول هذه الآية الكريمة - يعني آية التبليغ - في يوم الغدير عند منصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع سنة (10) هجرية مما أجمع عليه أئمة أهل البيت وشيعتهم، وتسالم عليه معظم فطاحل علماء أهل السنة في كتبهم المعتمدة، نقلاً عن كثير من الصحابة، كزيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، والبراء بن عازب، وأبي هريرة، وغيرهم. وذكر فيه رواية الغدير نقلاً عن كتاب «الولاية» للطبري. وذكر أيضاً في التعليقات من الكتاب [ص 125] أنه قال ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» [ص 18]: اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع، في الثامن عشر من ذي الحجة، جمع الصحابة وكانوا مئة وعشرين ألفاً، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من كنت مولاه فعلي مولاه. الحديث. نص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة.

وقال السيّد المؤلّف في الكتاب المذكور في التعليقات [ص 127]: ومما يضحك التكلّي هو ما قاله النبهاني في كتابه الخلافة [ص 102] من أن عليّاً (رضي الله عنه) لم يكن يوم الغدير مع النبي، فإنّه كان باليمن، إلى آخر ما حاكه من نسيج الخيال.

فإن كلامه هذا لا يخلو من جهل شائن، أو كذب مفترى، لأنك - مع صرف النظر عن هذا الجمع الغفير الذين رووا حديث الغدير من الحفاظ وأئمة الحديث، الذين يكفي أن يكون قولٌ منهم حجراً يلجم به النبهاني - لا تجد أحداً من الأولين والآخرين مهما بلغت قيمته العلمية يقول ولو على وجه الحكاية ما يدعم قول هذا الكذاب، بل اتفق كلهم أجمعون أكتعون أبصعون، على أن عليّاً (عليه السلام) لحق بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجته تلك، وحجّ معه حجة الوداع.

إلى أن قال : وإني وإن كنت أزمعت في المقدمة على أن لا أسود شيئاً من صحائف هذا الكتاب بذكر الخزيات التي سود بها النبھاني جبهة كتابه، وسود بها صحيفة تأريخه، لكني آثرت ذكر البعض، ليكون لدى القارئ نموذجاً من الأكاذيب التي اختلقها مخيلة هذا المصلح و أوهامه [يعني النبھاني].

37 - السيد أمير محمد الكاظمي القزويني:

قال في كتابه «نقض الصواعق» [ص 135 الطبعة الثانية] : قد يخطر على وهم الكثير ممن لم يقفوا على الحقيقة ولم يدرسوها دراسة صحيحة على ضوء التاريخ الصحيح وصحيح الحديث، فيقول : لماذا يا ترى لم يخاصم علي(عليه السلام) أبا بكر ؟ ولماذا لم يحتج عليه وعلى من بايعه يوم السقيفة بنصوص الخلافة ؟ إن كان ثمة نصوص تدلّ عليها. ولماذا لم يذكرها لهم وهو أعرف بمفادها من غيره ؟ وكل أولئك أدلة على أنه كان راض بتقديمهم عليه وأنه لا نص بالخلافة من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عليه. والجواب عن هذا :

أولاً : إن عدم نقل احتجاجه(عليه السلام) عليهم لا يكون دليلاً على عدم احتجاجه عليهم، لا سيما إذا علمنا أن الدواعي متوفرة على ترك نقله، لمنافاته لما قامت عليه السقيفة، كما لا يكون ذلك علماً بعدمه، فكيف ينفي ذلك مع وجوده؟

ثانياً : إن الذي تستريح إليه في إزاحة هذا الوهم هو : أنا نعلم وكل الناس يعلمون، أن علياً(عليه السلام) وسائر بني هاشم وجماعة من قريش لم يحضروا البيعة، ولم يدخلوا السقيفة، وكانوا منصرفين بكلمهم إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بين أيديهم جنازة. وما أن فرغوا من تجهيزه ومواراته في ضريحه الطاهر، حتى أكمل القوم أمرهم، فأبرموا البيعة وأجمعوا على منع كل قول أو فعل يوهن تلك البيعة، أو يחדش في عقدها أو يدخل الاضطراب عليها.

فأين كان علي(عليه السلام) عما أبرموه وأحكموه في السقيفة ؟ وأين هو حينئذ عن بيعة أبي بكر(رضي الله عنه) ومصافقيه حتى يحتج عليهم ويلزمهم بنصوص الخلافة؟ ومن أين يتسنى له أن يحتج عليهم بعد انعقادها ؟ وقد سلك أولو الأمر والنهي سبيل القوة والإرهاب مع المعارضين، ومطاردة الممتنعين عن بيعته بالشدة والغلظة.

واستظفروا عليهم بالحول والطول، وبنوا ذلك ونشروه في أقصى البلاد وأدناها، بل لا يؤمن على نفسه من القتل غيلة كما قتلوا سعداً كذلك، وادّعوا أن الجنّ قتلوه. برّبك قل لي أيها الحر المثقف، هل يتسنى لأحد في عصرنا الحاضر أن ينازع الحكومة القائمة ويقابلها بما يزيل سلطانها ويزيح دولتها؟ وهل يتركونه وشأنه لو حاول شيئاً من ذلك ولا يمسونه بسوء ؟ هيهات ذلك، فإن الأحوال يشبه بعضها بعضاً، ولا تزال الليلة أخت البارحة.

ثالثاً : إن الاحتجاج عليهم بنصوص خلافته إنما يحسن مع العلم بغفلة القوم عنها، وإنهم سيثوبون إلى رشدهم، ويدفعون إليه ما ابتزّوه منه، ويعدلون إليه إن هو احتجّ بها عليهم، أمّا إذا علم أنهم سمعوا

ووعوها، ولكنهم مصرّون على أخذ حقه وقادمون على دفعه وهضمه، وباذلون في سبيلها كل نفيس وغال، فلا يؤثر الاحتجاج عليهم سوى إثارة الفتنة وتفريق المسلمين وتمزيق كلمة الدّين، ونكوص العرب على أعقابهم، فكان - روعي فداه - يؤثر ضياع حقه على بقاء الدّين في ذلك الظرف العصيب، إذ كان لا يؤمن فيها على بيضة الإسلام من التلاشي والتبدّد، ولأجل هذا و نحوه من الفتن الطاغية التي لولا سكوته(عليه السلام) عن مطالبتهم حقه لدكت صروح الدّين، واستأصلت شأفة المسلمين، رأى من الواجب أن يضحّي بحقه في سبيل حياة الإسلام. وردّ عادية المنافقين الذين كانوا ينتهزون الفرصة حيناً بعد حين للوثوب عليه والقضاء على روحه.

أجل لقد أراد (عليه السلام) أن يحتفظ بحقه وأراد الاحتجاج عليهم، ولكن بالشكل الذي لا يتفكك به شمل الأمة، ولا تقع بينهم فتنة يتخذها العدو ذريعة لمحق الإسلام وسحق الدّين، فلازم بيته حتى أخرجوه قهراً وكرهاً من غير قتال، ولو أنه أسرع إليهم لم يكمل له حجة، ولم ينبثق لها نور، ولم يسطع لشيئته أي برهان، فكان ما فعله(عليه السلام) من حسن الصّنيع، جامعاً بين الاحتفاظ بحقه من الخلافة، والاحتياط على كلمة الدّين، إذ لم يجد له معيناً من الأمة يومئذ ولا مساعداً من القوم حتى ييبح بحجّته، ويدلي عليهم بنصوص خلافته، فرأى أنّ حفظ حوزة الإسلام ودفع عادية أعدائها موقوفان في تلك الظروف على المواجهة والمسالمة، دون المجادلة وإظهار العداء وسلّ السيف، إذ به ذهب الدين بأصوله وفروعه⁽¹⁷⁾.

ثمّ إنّنا إذا أمعنا النظر حول هذه القضية المؤسفة، وما جرى بين أمير المؤمنين علي(عليه السلام) وبين الجماعة وقتئذ رأينا أحوالاً غريبة، وأشياء عجيبة، لم تكن لها مظاهر بين الناس من قبل، مع أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان كثيراً ما يلفظ - كما رواه الإمام أحمد في مسنده [1 : 109] - بقوله : « وان تؤمّروا عليّاً - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهديّاً يأخذ بكم الطريق المستقيم ».

وروى الخطيب البغدادي في تأريخه [1 : 47]⁽¹⁸⁾ : « وان وليتموها - يعني الخلافة - عليّاً وجدتموه هادياً مهديّاً يسلك بكم على الطريق المستقيم »، وفي رواية أبي داود : « ان تستخلفوه ولن تفعلوا ذلك، يسلك بكم الطريق المستقيم وتجدوه هادياً مهديّاً ».

وفي حديث أبي نعيم في الحلية [1 : 64] عن حذيفة، قال : قالوا يا رسول الله: ألا تستخلف عليّاً؟ قال : « ان تولوا عليّاً تجدوه هادياً مهديّاً يسلك بكم الطريق المستقيم ». وفي لفظ آخر : « وان تستخلفوا عليّاً - وما أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهديّاً يحملكم على المحجة البيضاء ».

وفي كنز العمال [11 : 630 ، ح 33073] : إن تستخلفوا عليّاً - وما أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهديّاً يحملكم على المحجة البيضاء ».

وفي المستدرک [3 : 142] : « إن وليتموها عليّاً فهاد مهدي يقيمكم على طريق مستقيم ».

(17) إلى هنا انتهى كلام السيد القزويني(رحمه الله).

(18) راجع: تأريخ بغداد 3 : 302 ط. دار الكتب العلمية - بيروت ، فإن لفظ الحديث يختلف وإليك لفظه: وإن وليتموها عليّاً فهاد مهدي يقيمكم على صراط مستقيم، ثم نقل حديث ابن أبي السري: فهاد مهدي يقيمكم على طريق مستقيم.

وروى الخوارزمي في المناقب [ص 114 ط. مؤسسة النشر الاسلامي] مسنداً عن عبدالله بن مسعود، قال : كنت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أصرحتنفس الصعداء فقلت: يا رسول الله مالك تنفس؟ فقال: يا بن مسعود، نعت إلي نفسي، فقلت: استخلف يا رسول الله. قال: من؟ قلت: أبا بكر، فسكت ثم تنفس، فقلت : مالي أراك تنفس يا رسول الله؟ قال: نعت إلي نفسي، فقلت: استخلف يا رسول الله قال: من؟ قلت : عمر بن الخطاب ، فسكت ثم تنفس، فقلت : مالي أراك تنفس يا رسول الله ؟ قال: نعت إلي نفسي، قلت: يا رسول الله استخلف قال: من؟ قلت: علي بن أبي طالب، قال: أوّه ولن تفعلوا إذاً أبداً، والله لئن فعلتموه ليدخلنكم الجنة.

فهذه الأحاديث وكثير من أمثالها تعطينا علماً وخبراً بعظيم اهتمام النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بأمر الخلافة والولاية من بعده، حرصاً على سلامة أمته عن العدول عن الطريق المستقيم، ولكن القوم بعده كانوا كما قد علمنا، ولعل كل ما حدث عقيب وفاته(صلى الله عليه وآله وسلم)كان مصداق قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أخرجه الحاكم في المستدرک [3 : 140] بإسناده عن ابن عباس(رضي الله عنه)قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله)لعلي : أما إنك ستلقى بعدي جهداً، قال علي : في سلامة من ديني ؟ قال : في سلامة من دينك. قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المضمون.

ثم إن القوم رأوا أن كل ما صدر من تلك الأفاعيل كانت اجتهداً منهم واحتياطاً على الدين، فبليت شعري، كأن لم يكن في الناس بحاثة متقنون في الحساب، ورجال متبصرون متحققون من أولي الأبواب، ما ينكشف بإشاراتهم عما في وراء الحجاب.

وأين كان يا ترى إشفاقهم وحرصهم على هذا الدين في الأيام الخالية ؟ لا سيما في الساعات التي زاغت فيها الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. ولذلك قال أمير المؤمنين علي(عليه السلام) في خطبة له حين سمحت له الظروف، وتمكن له أن يبدي مما كان يلقيه منهم فيكظمه صبراً منذ أن ارتحل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الملاء الأعلى.

وإليك لفظه نقلاً عن مناقب آل أبي طالب [2 : 46 ط. النجف و 2 : 201 ط ايران] قال : خطب أمير المؤمنين(عليه السلام) فقال : « ما لنا ولقریش؟ وما تنکر منا قریش؟ غیر أنا من أهل بیت شید الله بنیانهم ببنياننا، وأعلى الله فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله عليهم فنقموا عليه أن اختارنا عليهم، وسخطوا ما رضي الله و أحبوا ما كره الله، فلما اختارنا عليهم شركناهم في حريمنا، وعرفناهم الكتاب والسنة، وعلمناهم الفرائض والسنن، وحفظناهم الصدق واللين. وديناهم الدين والاسلام، فوثبوا علينا وجحدوا فضلنا ومنعوننا حقنا، والتونا أسباب أعمالنا وأعلامنا.

اللهم فائي أستعديك على قریش، فخذ لي بحقي منها، ولا تدع مظلمتي لها، وطالبهم يا رب بحقي فانك الحكم العدل، فان قریشاً صغرت قدري، واستحلت المحارم مني، واستخفت بعرضي وعشيرتي، وقهرتني على ميراثي من ابن عمي، وأغروا بي أعدائي، ووتروا بيني وبين العرب والعجم، وسلبوني ما

مهّدت لنفسي من لدن صباي بجهدي و كدّي، ومنعوني ما خلفه أخي وحميمي وشقيقي، وقالوا إنك لحريصٌ مثّهم، بنا اهتدوا من متاه الكفر ومن عمى الضلالة وغي الظلماء.

أليس أنقذتهم من الفتنة الظلماء، والمحنة العمياء؟ ويلهم ألم أخلصهم من نيران الطغاة، وكره العتاة، وسيوف البغاة، ووطأة الاسد، ومقارعة الصماء، ومجادلة القماقمة. الذين كانوا عجم العرب، وغنم الحرب، وقطب الاقدام، وجبال القتال، وسهام الخطوب، وسل السيوف ؟

أليس بي تسّموا الشرف، ونالوا الحق والنصف؟ ألسنت آية نبوة محمد، ودليل رسالته، وعلامة رضاه وسخطه؟ الذي كان يقطع الدرع الدّلاص، ويصطلم الرّجال الحراص، وبي كان يبيري جماجم البهم وهام الابطال، الى أن فزعت تيم الى الفرار وعديّ الى الانتكاص. أما وائي لو أسلمت قريشاً للمنايا والحتوف وتركتها لحصدتها سيوف الغواة، ووطأتها الأعاجم وكرّات الأعادي، وحملات الأعالي، وطحنتهم سنابك الصافنات، وحوافر الصاهلات، في مواقف الأزل والهزل، في طلاب الاعثة، وبريق الاسّة، ما بقوا لهضمي، ولا عاشوا لظلمي، ولما قالوا انك لحريصٌ مثّهم .».

ثمّ قال بعد كلام : « انما أنطق لكم العجماء ذات البيان، وأفصح الخرساء ذات البرهان، لأني فتحت الإسلام، ونصرت الدّين، وعزّرت الرسول، وبنيت أعلامه، وأعلّيت مناره، وأعلنت أسرارها، وأظهرت أثره وحاله، وصفيت الدولة، ووطأت الماشي والراكب، ثمّ قدّتها صافية على أيّ بها مستأثر .».

ثمّ قال بعد كلام : « سبقني اليها التيمي والعدوي، كسباق الفرس احتيالا واغتيالاً وخدعة وغيلة .».

ثمّ قال بعد كلام : « يا معشر المهاجرين والأنصار، أين كانت سبقة تيم وعدي الى سقيفة بني ساعدة خوف الفتنة ؟. ألا كانت يوم الأبواء ، إذ تكاثفت الصفوف، وتكاثرت الحتوف، وتفاعرت السيوف ؟ أم هلا خشيا فتنة الإسلام يوم ابن عبدودّ وقد نفخ بسيفه، وشمخ بأنفه، وطمح بطرفه؟ ولم لم يشفقا على الدّين وأهله يوم بواط ؟ إذ اسودّلون الأفق. وأعوجّ عظم العنق، وأنحلّ سيف الغرق ! ولم لم يشفقا يوم رضوى ؟ إذ السّهام تطير، والمنايا تسير، والأسد تزأر ! وهلا بادرا يوم العشيرة ؟ إذ الأسنان تصتك، والأذان تستك، والدروع تهتك ! وهلا كانت مبادرتهما يوم بدر ؟ إذ الأرواح في الصعداء ترتقي، والجياد في الصناديد ترتدي، والارض من دماء الابطال ترتوي ! ولم لم يشفقا على الدّين يوم بدر الثانية ؟ والدّعاس ترعب، والأوداج تشخب، والصدور تخضب ! وهلا بادرا يوم ذات الليوث ؟ وقد أمح الثّولب، واصطلم الشوقب، وأدلهمّ الكوكب ! ولم لا كانت شفقتهم على الإسلام يوم كدر؟ والعيون تدمع، والمنية تلمع، والصفائح تنزع ! .».

ثمّ عد وقائع النبي، وقرعهما بأنهما في هذه المواقف كلّها كانا مع النظارة.

ثم قال : « ما هذه الدهماء التي وردت علينا من قريش؟ أنا صاحب هذه المشاهد، وأبو هذه المواقف، وأين هذه الافعال الحميدة ؟ » إلى آخر الخطبة....

قال الناشي :

فلم لم يثوروا ببدر وقد *** تبلت من القوم إذ بارزوكا

ولم عردوا إذ شجيت العدى *** بمهراس أحد ولم نازلوكا
ولم أجمحوا يوم سلع وقد *** ثبتّ لعمر و لم أسلموكا
ولم يوم خبير لم يثبتوا *** صحابة أحمد واستركبوكا
فلاقيت مرحب والعنكبوت *** واسدّ يحامون إذ وجهوكا
فكدكت حصنهم قاهراً *** وطوحت بالباب إذ حاجزوكا
ولم يحضروا بحنين وقد *** صككت بنفسك جيشاً صكوكا
فأنت المقدم في كلّ ذاك *** فله درك لم أخروكا

ثمّ ذكر الشيخ المؤلف في نفس المصدر [2 : 48 ط . النجف و 2 : 204 ط . ايران] نقلاً عن نهج البلاغة [الخطبة 172 مع اختلاف يسير] : « اللهم إني استعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، وكنت أولى به من غيري، ثم قالوا : ألا إن في الحقّ أن تأخذه وفي الحقّ أن تتركه⁽¹⁹⁾، فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافدٌ ولا ذابٌ ولا مساعدٌ إلا أهل بيتي. فضننت بهم على المنية، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقى على الشجى، وصبرت على الأذى، وطبت نفسي على كظم الغيظ، وما هو أمرٌ من العلقم، وآلم من حرّ الشتار ». ثمّ ذكر فيه خطبته (عليه السلام) المشهورة المسمّاة بالشقشقية وقد ذكرناها في مجلدنا الثاني من المقتطفات .

وأما ما ذكره الإمام الفقيه ابن قتيبة، المولود سنة (213) والمتوفى سنة (276) في كتابه «الإمامة والسياسة» [1 : 18] ممّا قاله الإمام عليّ لما أتى به إلى أبي بكر ليدخل فيما دخل فيه الناس طوعاً أو كرهاً، فقال (عليه السلام) :

أنا عبد الله وأخو رسوله، فقيل له: بايع أبا بكر، فقال : أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي. أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تأخذونه ممّا أهل البيت غصباً ؟ أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّداً منكم؟ فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيّاً وميتاً فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال له عمر : إنك لست متروكاً حتى تبائع، فقال له علي : إحلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً، ثمّ قال : والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه. فقال له أبو بكر : فإن لم تبائع فلا أكرهك.

فقال أبو عبيدة بن الجراح لعليّ كرم الله وجهه : يابن عمّ إنك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، وأشدّ احتمالاً

(19) الى هنا انتهى الكلام في نهج البلاغة راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 9: 305 ط. دار الاحياء - بيروت. وصحبي الصالح الخطبة 172 ط. قم.

واضطلاًعاً به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر، فإنك إن تعش ويطل بك بقاءً، فأنت لهذا الأمر خليف وبه حقيق، في فضلك ودينك، وعلمك وفهمك، وسابقتك ونسبك وصهرك.

فقال علي كرم الله وجهه : « الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته، إلى دوركم وقور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحق الناس به، لأننا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية. والله إله لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بعداً ».

فقال بشير بن سعد الأنصاري : لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان.

قال : وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيته لم أدفنه، وأخرج أنزع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم.

38 - التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي:

روى شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين الحموي بإسناده في فرائد السمطين [1 : 312] في الفصل الأول في الباب الثامن والخمسين عن التابعي سليم بن قيس الهلالي، قال : رأيت علياً في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في خلافة عثمان وجماعة يتحدثون ويتذكرون العلم والفقه، فذكروا قريشاً في فضلها وسوابقها وهجرتها، وما قال فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الفضل مثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الأئمة من قريش ». وقوله : « الناس تبع لقريش، وقريش أئمة العرب ».

الى أن قال - بعد ذكر مفاخرة كل حي برجال قومه - : وفي الحلقة أكثر من مئتي رجل فيهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، والمقداد، وأبو ذر، وهاشم بن عتبة، وابن عمر، والحسن، والحسين، وابن عباس، ومحمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر. [وكان في الحلقة من الأنصار أبي بن كعب، وزيد ابن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، ومحمد بن سلمة، وقيس بن سعد ابن عباد، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وعبدالله بن أبي أوفى، وأبو ليلى، ومعه ابنه عبدالرحمن قاعدٌ بجنبه غلامٌ صبيح الوجه أمرد، فجاء

أبو الحسن البصري ومعه ابنه الحسن البصري غلامٌ أمرد صبيح الوجه معتدل القامة، قال [سليم]: فجعلت أنظر إليه وإلى عبدالرحمن بن أبي ليلى، فلا أدري أيهما أجمل! غير أن الحسن أعظمهما، وأطولهما. فأكثر القوم، وذلك من بكرة إلى حين الزوال، وعثمان في داره، لا يعلم بشيء مما هم فيه، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ساكتٌ لا ينطق، ولا أحدٌ من أهل بيته، فأقبل القوم إليه فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنعك أن تتكلم؟

فقال: ما من الحيين إلا وقد ذكر فضلاً وقال حقاً، فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار، بمن أعطاكم الله هذا الفضل؟ بأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟ قالوا: بل أعطانا الله ومن علينا بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرننا ولا بأهل بيوتاتنا.

قال (عليه السلام): «صدقتم يا معشر قريش والأنصار، أستم تعلمون أن الذي نلت من خير الدنيا والآخرة منا أهل البيت خاصة دون غيرهم؟ وأن ابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اني وأهل بيتي كنا نوراً يسعى بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله تعالى آدم (عليه السلام) بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم حملة في السفينة في صلب نوح (عليه السلام) ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم (عليه السلام) ثم لم يزل الله تعالى ينقلنا في الأصلاب الكريمة، إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة من الآباء والأمهات، لم يلق واحد منهم على سفاح قط»، فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل أحد: نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم قال علي (عليه السلام): «أنشدكم الله، أتعلمون أن [الله] عز وجل فضل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، وأني لم يسبقني إلى الله عز وجل وإلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحدٌ من هذه الأمة» قالوا: اللهم نعم.

قال: «فأنشدكم الله، أتعلمون حيث نزلت: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)؟ [الواقعة: 10] سئل عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أنزلها الله تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله، وعلي بن أبي طالب وصيي أفضل الأوصياء» قالوا: اللهم نعم.

قال: «فأنشدكم الله، أتعلمون حيث نزلت: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء: 59] وحيث نزلت: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [المائدة: 55] وحيث نزلت: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً)؟ [التوبة: 16] قال الناس: يا رسول الله، أخاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم؟ فأمر الله عز وجل نبيه أن يعلمهم ولادة أمرهم، وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجهم، فنصبني للناس بغدير خم».

ثمّ خطب وقال : « أيها الناس، إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري، وظننت أن الناس مكذبني. فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني»، ثمّ أمر(صلى الله عليه وآله وسلم) فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب فقال : « أيها الناس، أتعلمون أن الله عزّوجلّ مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم «؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : « قم يا علي»، فقامت، فقال : « من كنت مولاه فعلي هذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقام سلمان فقال : يا رسول الله ولأء كماذا ؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « ولأء كولايتي من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه»، فأنزل الله تعالى ذكره : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) الآية.. فكبر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)وقال : « الله أكبر تمام نبوتّي، وتمام دين الله ولاية علي بعدي».

فقام أبو بكر وعمر، فقالا : يا رسول الله هؤلاء الآيات خاصّة في علي ؟ قال : « بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة»، قالوا : يا رسول الله بيّتهم لنا، قال : « علي أخي ووزير، ووارثي ووصيّي وخليفتي في أمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي، ثمّ ابني الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض».

فقالوا كلهم : اللهم نعم قد سمعنا ذلك، وشهدنا كما قلت سواء. وقال بعضهم : قد حفظنا كلّ ما قلت ولم نحفظه كله، وهؤلاء الذين حفظوا أختيارنا وأفاضلنا، فقال علي : « صدقتم، ليس كلّ الناس يستوون في الحفظ».

قال علي(عليه السلام) : « أنشد الله عزّوجلّ من حفظ ذلك من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لما قام فأخبر به»، فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وسلمان، وأبو ذرّ، والمقداد، وعمار، فقالوا : نشهد لقد حفظنا قول النبي وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه، وهو يقول : « أيها الناس، إن الله عزّوجلّ أمرني أن أنصب لكم إمامكم، والقائم فيكم بعدي ووصيّي وخليفتي، والذي فرض الله عزّوجلّ على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرنه بطاعته وطاعتي، وأمركم بولايتي، وإنّي راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني».

« يا أيّها النّاس، إن الله أمركم في كتابه بالصلاة فقد بيّنتها لكم، والزكاة والصوم، والحجّ فبيّنتها لكم وفسّرتها، وأمركم بالولاية، وإنّي أشهدكم أنها لهذا خاصة»، ووضع يده على عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) قال : « ثمّ لابنيه بعده، ثمّ للأوصياء من بعدهم من ولدهم، لا يفارقون القرآن، ولا يفارقهم القرآن حتى يردوا عليّ حوزي . أيها الناس، قد بيّنت لكم مفز عكم بعدي، وإمامكم ووليكم ودليلكم وهاديكم. وهو أخي علي بن أبي طالب، وهو فيكم بمنزلتي فيكم، فقلّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم، فإن عنده جميع ما علّمني الله من علمه وحكمته، فسلوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلّموا همولا تتقدموهم ولا تخلفوا عنهم، فإنهم مع الحقّ والحقّ معهم، لا يزيأيلوه ولا يزيأيلهم»، ثم جلسوا. الحديث.

39 - العلامة الكبير الأميني:

قال في كتابه الغدير [1 : 9] نقلاً عن الطبقات لابن سعد [3 : 225. و 2 : 172 ط. دار الفكر - بيروت] و الامتاع للمقريزي [ص 510] وإرشاد الساري في شرح صحيح البخاري لابن حجر [6 : 429] :
أجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الخروج إلى الحجّ في سنة عشر من مهاجره، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلقٌ كثيرٌ يأتّمون به في حجته تلك التي يقال عليها حجة الوداع، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الكمال، وحجة التمام، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله.
فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة مغتسلًا متدهنًا مترجلًا متجرّدًا في ثوبين صحاريّين، إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليل أو ستّ بقين من ذي القعدة، وأخرج معه نساءه كلّهنّ في اليهودج، وسار مع أهل بيته وعامة المهاجرين والأنصار، ومن شاء من قبائل العرب وأفناء الناس.
وعند خروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) أصاب الناس بالمدينة جدري - بضمّ الجيم وفتح الدال - أو حصبةً منعت كثيرًا من الناس من الحجّ معه (صلى الله عليه وآله وسلم) ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد يقال : خرج معه تسعون ألف، ويقال : مئة ألف وأربعة عشر ألفًا، وقيل : مئة ألف وعشرون ألفًا. وقيل : مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا. ويقال أكثر من ذلك، وهذه عدّة من خرج معه، وأمّا الذين حجّوا معه فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع علي أمير المؤمنين وأبي موسى.

أصبح (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الأحد بيلملم، ثمّ راح فتعشّى بشرف السيّالة، وصلى هناك المغرب والعشاء، ثمّ صلى الصبح بعرق الطيبة، ثمّ نزل الروحاء، ثمّ سار من الروحاء فصلى العصر بالمنصرف، وصلى المغرب والعشاء بالمتعشّى وتعشّى به، وصلى الصبح بالإثابة، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج واحتجم بلحي جمل - وهو عقبة الجحفة - ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلى هناك، ثمّ راح من الأبواء، ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد و سبت فيه، وكان يوم الأحد بعسفان، ثمّ سار فلمّا كان بالغميم اعترض المشاة فصقّوا صفوفًا، فشكوا إليه المشي، فقال : استعينوا بالنسلان (مشي سريع دون العدو) ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الإثنين بمرّ الظهران، فلم يبرح حتى أمسى وغربت له الشمس بسرف، فلم يصلّ المغرب حتّى دخل مكة، ولمّا انتهى إلى الثنيتين بات بينهما، فدخل مكة نهار الثلاثاء.

فلما قضى مناسكه وانصرف راجعًا إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات، ووصل إلى غدير خمّ من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيّين والمصريّين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: (يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الآية، وأمره أن يقيم عليًا علمًا للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كلّ أحد.

وكان أوائل القوم قريبًا من الجحفة فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحدٌ، حتّى إذا أخذ القوم منازلهم فقمّ ما تحتهنّ، حتّى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن

فصلّى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الرّمضاء، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشّمس، فلمّا انصرف (صلى الله عليه وآله وسلم) من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أكتاف الإبل وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال :

« الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضلّ، ولا مضلّ لمن هدى. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً عبده ورسوله. أما بعد : أيّها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤولٌ وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال : « ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور ؟ » قالوا : بلى نشهد بذلك. قال : « اللهم اشهد ».

ثمّ قال : « أيّها الناس ألا تسمعون ؟ » قالوا : نعم، قال : « فإني فرطٌ على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وأن عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداحٌ عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين » فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال : « الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّوجلّ وطرف بأيديكم فتمسّكوا به ولا تضلّوا والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ».

ثمّ أخذ بيد علي فرفعها حتى روي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون فقال : « أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : « إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاة فعلي مولاة»، يقولها ثلاث مرّات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة : أربع مرّات، ثمّ قال : « اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه. وانصر من نصره. واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب ».

ثمّ لم يفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) الآية. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الله أكبر على إكمال الدّين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، والولاية لعلي من بعدي »، ثمّ طفق القوم يهتّئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه. وممّن هنّاه في مقدّم الصحابة : الشيخان أبو بكر و عمر كلّ يقول : بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيّت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عبّاس : وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان : إئذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهنّ، فقال : قل على بركة الله، فقام حسان فقال : يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية، ثمّ قال :

يناديهم يوم الغدير نبيّهم *** بخم فاسمع بالرسول مناديا

هذا مجمل القول في واقعة الغدير، وسيوافيك تفصيل ألفاظها، وقد أصفقت الأمة على هذا، وليست في العالم كله وعلى مستوى البسيط واقعة إسلامية غديرية غيره، ولو أطلق يومه فلا ينصرف إلا إليه. وإن قيل محله فهو هذا المحل المعروف على أمم من الجحفة، ولم يعرف أحد من البحاث والمنقبين سواه، نعم : شدّ عنهم - الدكتور ملحم إبراهيم الأسود - في تعليقه على ديوان أبي تمام ، فإثبه قال : هي واقعة حرب معروفة، ولنا حول ذلك بحث ضاف تجده في ترجمة أبي تمام من الجزء الثاني إن شاء الله.

وقد ذكر الشيخ المؤلف في كتابه المذكور عدد طرق رواة الغدير، ما فاق بها الأئمة البحاث من متقدميه، وقد كان الإمام ابن حنبل فيما ذكره الشيخ من تعليقه [ص 14] قد روى حديث الغدير من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً، والجزري المقري من ثمانين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مئة وخمسة وعشرين طريقاً، وكان هو رضوان الله عليه قد ذكر رواة حديث الغدير من الصحابة مئة وعشرة صحابياً، ومن التابعين أربعة وثمانين تابعياً، وفي طبقات الرواة من أئمة الحديث وحفاظه والأساتذة المبرزين في هذا الفن ثلاثمائة وستون نسمة، ولذلك أشار بعضهم إلى كتابه القيم «الغدير» ممتدحاً بقوله⁽²⁰⁾ :

سألوني عن الغدير أناس *** أين كان الغدير قبل الأميني
قلت كان الغدير في سجن غي *** صدّته قيود إفك ومين
وغدا في السجون من يوم خم *** يوم قال الإله أكلمت ديني
قد أتاه الأمين لما دعاه *** مستعيناً فياله من معين
فجزاه الإله خير جزاء *** أوضح الحق في كتاب مبين
وإذا بالغدير بين يدينا *** فيه تبيان كل شيء دفين
فيه ما تشتهي النفوس وفيه *** ما تلذّ العيون رأي العيون
فرحة الصادقين فيه وفيه *** ترحة الكاذبين حقّ اليقين
يا كتاب الغدير أبهجت منّا *** مذتلوناك كلّ قلب حزين
سوف يبقى بعزة الدهر نوراً *** خالداً في الوجود طول السنين
وسلام على المؤلف سفر *** فاق فضلاً رجال كلّ القرون

* * *

المبحث الثاني

في قوله عزّوجل : (وَقفُوهمْ إنَّهمْ مَسْئُولون) [الصافات : آية 24].

قال الأعلام من أهل التفسير، وحفظة السنن : كثرت الأقاويل، واختلف أهل التأويل، في المعنى المراد به المسؤول عنه في هذه الآية الشريفة، ومن جملة المعاني التي ذكروها في تفاسيرهم وتآليفهم، بأن المسؤول عنه غداً هو : ولاية أمير المؤمنين علي(عليه السلام) . وإليك من ذكر ذلك :

1 - الإمام الواحدي:

قال في كتابه أسباب النزول بعد ذكر حديث الغدير : هذه الولاية التي أثبتها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي مسؤول عنها يوم القيامة، روي في قوله تعالى : (وَقفُوهمْ إنَّهمْ مَسْئُولون) أي عن ولاية علي(رضي الله عنه) وأهل البيت. والمعنى: أنهم يسألون هل والوهم حقّ الموالاتة كما أوصاهم النبي(صلى الله عليه وآله) أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون عليهم المطالبة والتبعة.

وذكره أيضاً ابن حجر في الصّواعق [ص 89] والزّرندي في نظم الدرر [ص 109] والسيد الحبيب أبو بكر بن شهاب الدين العلوي الحضرمي في كتابه رشفة الصادي [ص 24].

2 - الحمّوني:

أخرج في فرائد السمطين [1 : 81] من طريق الحاكم مسنداً عن عبد الله بن مسعود، قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : « أتاني ملكٌ فقال : يا محمد! واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا ؟ قال : قلت: على ما بعثوا؟ قال : على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب صلى الله عليهما.

وقال : روي عن علي(عليه السلام) أنّه قال : « جعلت الموالاتة أصلاً من أصول الدين ». وأخرج في [1 : 97] من طريق الحاكم مسنداً عن سفيان بن إبراهيم الحرّوني عن أبيه عن أبي صادق، قال : قال علي(عليه السلام) : « أصول الإسلام ثلاثة، لا تنفع واحدة منهنّ دون صاحبها : الصلاة والزكاة والموالاتة ».

3 - الألوسي صاحب التفسير:

قال في تفسيره روح المعاني [23 : 80 ط. دار الاحياء - بيروت] في قوله تعالى : (وقفّوهم إنّهم مَسْئُولُونَ) بعد ما أتى بأقوال فيها : وأولى هذه الأقوال أن السؤال عن العقائد والأعمال، ورأس ذلك : لا إله إلا الله، ومن أجله ولاية علي كرم الله وجهه.

ومن طريق البيهقي عن الحاكم النيسابوري بإسناده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط على جسر جهنم لم يجزها أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي كرم الله وجهه.

وأخرجه محب الدين الطبري في الرياض النضرة [2 : 172].

4 - ابن حجر :

قال في كتابه الصّواعق [ص 89] : أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « وقفوهم إنّهم مسؤولون عن ولاية علي »، وكان هذا هو مراد الواحدي بقوله : روي في قوله تعالى : (وقفّوهم إنّهم مسؤولون) أي : عن ولاية علي وأهل البيت؛ لأنّ الله أمر نبيّه أن يعرف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرّسالة أجراً إلا المودة في القربى. والمعنى : إنّهم يسألون، هل والوهم حقّ المولاة كما أوصاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون عليهم المطالبة والتبعة. ولعل هذه التفسير المبيّنة للمعنى المراد بالآية الشريفة إذا قورنت بحديث البراءة والجواز على الصّراط لاستنبات حقيقة الأمر جليّة لا غبار فيها لمن كان له قلبٌ منصفٌ وبصيرةٌ منيرة، بل وازداد يقيناً على يقين بأن ليس معنى من المعاني التي فسّر بها بعض المفسّرين من الأمور المسؤولة عنها بأكثر ملائمة من معنى الولاية لإمير المؤمنين (عليه السلام).

كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أخرجه الحافظ ابن السمان في الموافقة عن قيس بن حازم، قال : التقى أبو بكر الصديق وعليّ بن أبي طالب، فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ، فقال له: مالك تبسّمت ؟ قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : لا يجوز أحدٌ الصراط إلا من كتب له عليّ الجواز.

وقد ذكره المحبّ الطبري في الرّياض النضرة [2 : 177 و 244] وابن حجر في الصّواعق [ص 75] والصّبّان في إسعاف الراغبين [ص 176] بهامش نور الأبصار.

وكقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أخرجه الحافظ الخوارزمي في المناقب [ص 320 ط. قم] بإسناده عن مجاهد، عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إذا كان يوم القيامة أقام الله عزّوجلّ جبرئيل و محمدّاً على الصّراط، فلا يجوزه أحدٌ إلا من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

وروى ابن المغازلي في المناقب [ص 119 ط. طهران] : عليّ يوم القيامة على الحوض، لا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز من عليّ بن أبي طالب. وذكره القرشي في شمس الأخبار [ص 36].

وكقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أخرجه الحاكم كما رواه الطبري في الرياض النضرة [2 : 172]
[عن عليّ قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب
الصراط على جسر جهنّم، لم يجز بها أحدٌ إلا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب.

وذكره الحموي في فرائد السمطين في الباب الرابع والخمسين [1 : 289].

كما أخرجه الخوارزمي في المناقب [ص 71] عن الحسن البصري، عن عبد الله، قال : قال رسول
الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس، وهو جبل قد علا
على الجنة، وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تتفجّر أنهار الجنة وتتفرّق في الجنان، وهو جالسٌ
على كرسيّ من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحدُ الصّراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل
بيته، يشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار.

ورواه الحموي في كتابه فرائد السمطين في الباب الرابع والخمسين [1 : 292].

وكذلك فيما أخرجه القاضي عياض في الشفاء [ص 41 ط. الثمانية سنة 1312 و 2 : 47 ط. دار الفكر - بيروت
[عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : معرفة آل محمّد براءة من النار، وحبّ آل محمّد جوازٌ على
الصّراط، والولاية لآل محمّد آمانٌ من العذاب.

ورواه ابن حجر في الصّواعق [ص 139] والشّبراوي في الإتحاف [ص 15] والحبیب أبو بكر بن
شهاب الدّین في رشفة الصّادي [ص 459].

ومعرفتهم كما قال بعض العلماء فيما ذكره القاضي عياض في الكتاب المذكور هي : معرفة مكانهم
من النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقّهم وحرمتهم بسببه(صلى الله عليه وآله وسلم).
ثمّ ذكر بعده آية التّطهير وحديث : « من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه »،
وغير ذلك ممّا له علاقة بأهل البيت النّبوي من الفضائل ما جاءت بها السنن الثابتة عن مصدر الرّسالة
صلوات الله عليه وآله.

وكقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أخرجه الخطيب البغدادي في تأريخه [3 : 161 ط. دار الكتب
العلمية - بيروت] عن ابن عبّاس قال : قلت للنّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : يا رسول الله للنّار جوازٌ؟ قال : نعم،
قلت: وما هو؟ قال : حبّ علي بن أبي طالب.

5 - ابن شهر آشوب:

أورد في كتابه مناقب آل أبي طالب [2 : 152 ط. دار الأضواء] نقلاً عن كتاب ما نزل من القرآن في
علي(عليه السلام) للشّيرازي، وأبو معاوية الضّرير، عن الأعمش، عن مسلم التّظير، عن سعيد بن جبیر،
عن ابن عبّاس، قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله مالکاً أن يسعّر النيران السبع، وأمر رضوان أن
يزخرف الجنان الثمانية، ويقول: يا ميكائيل مدّ الصراط على متن جهنم، ويقول: يا جبرئيل إنصب

الميزان تحت العرش، ونادى يا محمد قرب أمّتك للحساب، ويأمر الله تعالى أن يعقد على الصراط سبع قناطر، طول كل قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ، وعلى كل قنطرة سبعون ألف ملك قياماً.

فيسألون هذه الأمة نساؤهم ورجالهم على القنطرة الأولى: عن ولاية علي بن أبي طالب وحب آل محمد (عليهم السلام)، فمن أتى به جاز القنطرة الأولى كالبرق الخاطف، ومن لم يحب أهل بيت نبيّه سقط على أم رأسه في قعر جهنّم، ولو كان له من أعمال البرّ عمل سبعين صديقاً.

وعلى القنطرة الثانية: يسألون عن الصلّة، وعلى الثالثة: يسألون عن الزكاة، وعلى القنطرة الرابعة: عن الصّيّام. وعلى الخامسة: عن الحجّ، وعلى السادسة: عن العدل. فمن أتى بشي من ذلك جاز كالبرق الخاطف، ومن لم يأت عذب. وذلك قوله: (وقفّوهم إنهم مسؤولون) يعني: معاشر الملائكة، وقفّوهم. يعني: العباد على القنطرة الأولى عن ولاية علي وحب أهل البيت.

وسئل الباقر (عليه السلام) عن هذه الآية، فقال: «يقفون فيسألون ما لكم لا تناصرون في الآخرة كما تعاونتم في الدنيا على علي (عليه السلام)؟» قال: يقول الله: (بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) إلى قوله: (مُجْرِمِينَ).

قال ابن شهر آشوب: قال محمد بن إسحاق. والشعبي، والأعمش، وسعيد بن جببر، وابن عباس، وأبو نعيم الأصفهاني، والحاكم الحسكاني، والنطنزي، وجماعة أهل البيت (عليهم السلام) في قوله تعالى: (وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) يعني: عن ولاية علي بن أبي طالب وحب أهل البيت (عليهم السلام).

وعن الرضا (عليه السلام): أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قرأ: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَهُ مَسْئُولًا) [الاسراء: 36]، فسئل عن ذلك، فأشار إلى الثلاثة، فقال: هم السمع والبصر والفؤاد. وسيسألون عن وصيّ هذا، وأشار إلى علي بن أبي طالب، ثم قال: وعزّة ربّي إنّ جميع أمّتي لموقوفون يوم القيامة، ومسؤولون عن ولايته، وذلك قول الله تعالى: (وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ).

وفي تفسير وكيع بن سفيان، عن السدي في قوله تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) [الحجر: 92] عن ولاية أمير المؤمنين، ثم قال: (عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الحجر: 93] عن أعمالهم في الدنيا.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: (ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) [التكاثر: 8] يعني: الأمن، والصحة، وولاية علي بن أبي طالب.

وروى الثعلبي في تفسيره عن مجاهد عن ابن عباس، وأبو القاسم القشيري في تفسيره عن الحاكم الحافظ عن أبي برزة، وابن بطّة في الإبانة بإسناده عن أبي سعيد الخدري، كلّهم، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت.

وفي أربعين المكي وولاية الطبري: فقيل له: فما آية محبتكم من بعدكم؟ فوضع يده على رأس عليّ وهو على جانبه، فقال: «إِنَّ حَبِّي مِنْ بَعْدِي حَبٌّ هَذَا».

وفي منقبة المطهّرين عن أبي نعيم : فقال عمر : ما آية حبّكم يا رسول الله ؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « حب هذا ». ووضع يده على كتف عليّ وقال : « من أحبّه فقد أحبّنا، ومن أبغضه فقد أبغضنا ».

وقال ابن عبّاس : قال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) : « والذي بعثني بالحقّ، لا يقبل الله من عبده حسنة حتّى يسأله عن حبّ علي بن أبي طالب(عليه السلام) ».

6 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [4 : 568 ط، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت] في قوله تعالى : (إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) : روى أنس بن مالك مرفوعاً، إنهم مسؤولون عمّا دعوا إليه من البدع، وقيل : عن أعمالهم وخطاياهم، وقيل عن قول لا إله إلا الله، وقيل : عن ولاية علي(عليه السلام).

وفي ذلك قال الحميري :

أشهد بالله وآلئه *** والمرء عمّا قاله يسأل

أنّ عليّ بن أبي طالب *** خليفة الله الذي يعدل

وأنه قد كان من أحمد *** كمثل هارون ولا مرسل

لكن وصيّاً خازناً عنده *** علم من الله به يعمل

وقال صاحب بن عباد :

عليّ أمير المؤمنين خليفة *** شهدت له بالجنّة المتعالیه

وإني لأرجو من مليكي كرامة *** بحبّ عليّ يوم أعطى كتابيه

راجع : المناقب لابن شهر آشوب [2 : 262 و 3 : 64 ط. دار الاضواء - بيروت].

* * *

المبحث الثالث

في قوله عزّ وجلّ : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [المائدة : 55].

دلّت الروايات المتواترة في كتب التفسير والحديث والفقه والكلام لفظاً ومعنى، على أنّ نزول الآية
الكريمة في حقّ الإمام علي(عليه السلام)، ونصّ على صحّة تلك المرويات الأعظم من الجمهور، من أهل
التفسير وقادة السنن الشريفة، فمنهم :

1 - الواحدي :

وقد روى هذا المفسّر الكبير في تفسيره أسباب النزول [ص 148 ط . مصر سنة 1315] أنّ عبد الله بن
سلام أقبل ومعه نفرٌ من قومه وشكوا بُعد المنزل عن المسجد، وقالوا : إنّ قومنا لما رأوا أسلمنا رفضونا
ولا يكلمونا ولا يجالسونا ولا يناكحونا، فنزلت هذه الآية، فخرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المسجد
فرأى سائلاً فقال : «هل أعطاك أحدٌ شيئاً ؟ قال : نعم خاتم فضّة». وفي رواية : قال(صلى الله عليه وآله وسلم)
: « من أعطاكه ؟ قال : أعطانيه هذا الراكع ».

2 - الثعلبي :

فقد أخرج في تفسيره السائر الدائر « الكشف والبيان » بإسناده عن أبي ذرّ الغفاري، قال : أما إني
صلّيت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائلاً في المسجد فلم يعطه أحدٌ شيئاً،
فرفع السائل يديه إلى السماء وقال : اللهم اشهد أنّي سألت في مسجد نبيّك محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) فلم
يعطني أحدٌ شيئاً، وكان علي(رضي الله عنه) في الصلّة راکعاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وفيه خاتمٌ، فأقبل
السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في المسجد، فرفع رسول
الله طرفه إلى السماء وقال : اللهم إن أخي موسى سألك فقال : (ربّ اشرح لي صدري * ويسّر لي أمري
* واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هَارُونَ أَخِي * أشدّد به أزري
* وأشركه في أمري). فأنزلت عليه قرآناً : (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكَمَا سُلْطَانًا) اللهم إني نبيّك
وصفيّك، اللهم اشرح لي صدري ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشدّده ظهري.

قال أبو ذرّ (رضي الله عنه): فما استتمّ دعاءه حتّى نزل جبرئيل (عليه السلام) من عند الله عزّ وجلّ وقال : يا محمد اقرأ : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ). راجع : إحقاق الحق [3 : 504] عنه.

وروى فيه أيضاً عن أبي جعفر (عليه السلام): أنّ رهطاً من اليهود أسلموا، منهم: عبد الله بن سلام، وأسيد، وبنيامين، وسلام، وابن سوريا، فقالوا : يا رسول الله أنّ موسى أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيّك يا رسول الله؟ ومن وليت بعدك؟ فنزلت هذه الآية، ثمّ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قوموا، فقاموا فأتوا المسجد، فإذا السائل خارج، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يا سائل ما أعطاك أحدٌ شيئاً ؟ » قال : نعم هذا الخاتم، قال : « من أعطاكه ؟ » قال : أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي. قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ، « على أي حال أعطاك ؟ » قال : راعكاً، فكبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكبر أهل المسجد، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « علي بن أبي طالب وليكم بعدي » فقالوا : رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبعلي وليّاً، فأنزل الله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة : 56].

3 - الشيرازي:

فقد روى في كتابه «ما نزل من القرآن في علي» نقلاً عن ابن شهر آشوب في مناقبه [3: 4 ط. دار الأضواء]: أنّه لما سأل السائل وضعها على ظهره، إشارة إليه أن ينزعها، فمدّ السائل يده ونزع الخاتم من يده ودعا له، فباهى الله تعالى ملائكته بأمر المؤمنين، وقال : ملائكتي أما ترون عبدي؟ جسده في عبادتي، وقلبه معلقٌ عندي، وهو يتصدّق بماله طلباً لرضائي. أشهدكم أنّي رضيت عنه وعن خلفه، يعني ذريّته. ونزل جبرئيل بالآية.

قال ابن شهر آشوب: وفي المصباح : تصدّق به يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة. وفي رواية أبي ذر : كان (عليه السلام) في صلاة الظهر. وروي أنّه كان (عليه السلام) في نافلة الظهر.

4 - ابن شهر آشوب:

وهو الحافظ الشهير محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني المتوفى سنة (588 هـ)، قال في كتابه مناقب آل أبي طالب [3 : 4 ط. دار الأضواء] نقلاً عن أمالي ابن بابويه أنّه قال عمر بن الخطاب : لقد تصدّقت بأربعين خاتماً وأنا راعٍ لينزل فيّ ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل.

وذكر في كتابه المذكور نقلاً عن الواحدي في أسباب النزول قوله تعالى : (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يعني : يحبّ الله ورسوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا) يعني : عليّاً (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ) يعني : شيعة الله ورسوله وولّيه (هُمُ الْغَالِبُونَ) يعني : هم الغالبون على جميع العباد. فبدأ عزّ وجلّ في هذه الآية بنفسه، ثمّ بنبّيه، ثمّ بولّيه، وكذلك في قوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) الآية.

وروى فيه نقلاً عن كتاب الكافي للكليني [1 : 427 ح 77] عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه (عليهم السلام) قال : لمّا نزلت : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) اجتمع نفرٌ من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسجد المدينة، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية ؟ قال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرهما، وإن آمنا فإن هذه ذلّ حين يسلط علينا علي بن أبي طالب، فقالوا : قد علمنا أنّ محمداً صادقٌ فيما يقول، ولكنّا ننزله ولا نطيع عليّاً فيما أمرنا، فنزل : (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) يعني : ولاية محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) (وأكثرهم الكافرون) بولاية علي (عليه السلام).

وذكر فيه أيضاً [3: 5 - 6] ما ورد عن علي بن جعفر عن أبي الحسن (عليه السلام) في قوله تعالى : (وَادْعُ قُلُوبَنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى) أوحى الله إليه: يا محمّد إنّي أمرت فلم أطع فلا تجزع إذا أمرت فلم تُطع في وصيّك.

فقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) أثبت الولاية لمن جعله ولياً لنا على وجه بالتخصيص⁽¹⁾، ونفى معناها عن غيره، ويعني بوليكم القائم بأمركم ومن يلزمكم طاعته، وإذا ثبت ذلك ثبتت إمامته، لأن لا أحد يجب له التصرف في الأمة وفرض الطاعة له بعد النبي إلا من كان إماماً لهم، وثبتت أيضاً عصمته، لأنّه سبحانه وتعالى إذا أوجب له فرض الطاعة مثل ما أوجبه لنفسه ولنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) اقتضى ذلك طاعته في كلّ شيء، وهذا برهان عصمته، لأنّه لو لم يكن كذلك لجاز منه الأمر بالقبيح، فيقبح طاعته، وإذا قبحت كان تعالى قد أوجب فعل القبيح، وفي علمنا أنّ ذلك لا يجوز عليه سبحانه وتعالى وذلك دليلٌ على وجوب العصمة.

قال خزيمة بن ثابت (رضي الله عنه) :

فديت عليّاً إمام الورى *** سراج البريّة مأوى التقى
وصيّ الرسول وزوج البتول *** إمام البريّة شمس الضحى
تصدّق خاتمه راعكاً *** فأحسن بفعل إمام الورى
فضّلته الله ربّ العباد *** وأنزل في شأنه هل أتى

5 - ابن كثير:

فقد ذكر تلك الإثارة في تفسيره⁽²⁾ بعد ما فر وكرّ، وأثبت فيها أقوالاً وأنكر. وإليك قوله : فقد توهم بعض الناس أنّ هذه الجملة في موضع الحال من قوله : (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) أي : في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوحٌ، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممّن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى أنّ بعضهم ذكر في هذا أثراً عن علي بن أبي طالب وأنّ هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنّه مرّ به سائلٌ في حال ركوعه فأعطاه خاتمه، وهو راعكٌ، فنزلت الآية : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ).

(1) هكذا في الأصل، والصواب أنها على وجه التخصيص .

(2) تفسير القرآن العظيم : 2 / 73 ط. دار المعرفة - بيروت .

وقال ابن جرير : حدّثني الحارث، حدّثنا عبد العزيز، حدّثنا غالب بن عبد الله، سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى : (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**) : نزلت في علي بن أبي طالب، تصدّق وهو راکعٌ.

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا الربيع بن سليمان المرادي، حدّثنا أيوب بن سويد، عن عتبة بن أبي حكيم في قوله تعالى : (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**) قال : هم المؤمنون وعلي بن أبي طالب.

وحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ أَبُو نَعِيمٍ الْأَحُولُ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ قَيْسٍ الْحَضْرَمِيُّ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهِيلٍ قَالَ : تصدّق عليّ بخاتمه وهو راکع فنزلت : (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**) الآية.

وقال عبد الرزّاق: حدّثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عبّاس في قوله تعالى : (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**) الآية نزلت في علي بن أبي طالب.

وروى ابن مروديه من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحّاك عن ابن عبّاس، قال : كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي فمرّ سائلٌ وهو راکعٌ، فأعطاه خاتمه، فنزلت (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**) الآية، قال: الضحّاك لم يلق ابن عبّاس.

وروى ابن مردويه أيضاً عن محمّد بن السائب الكلبي، قال : وهو متروك، عن أبي صالح عن ابن عبّاس، قال : خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المسجد و الناس يصلّون بين راکع وساجد وقائم وقاعد، وإذا مسكينٌ يسأل، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : «أعطاك أحدٌ شيئاً؟» قال : نعم، قال : «من؟» قال : ذلك الرّجل القائم، قال : «على أي حال أعطاكه؟» قال : وهو راکعٌ، قال : وذلك علي بن أبي طالب، قال : فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ذلك وهو يقول : (**وَمَنْ يَنْوَلِّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**).

قال ابن كثير : وهذا إسنادٌ لا يقدر به.

ثمّ ذكر ما رواه ابن مروديه من حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) نفسه، وعمار بن ياسر، وأبي رافع، وقال : وليس يصحّ منها شيء بالكلية، لضعف أسانيدھا و جهالة رجالھا.

ثمّ روى بإسناده عن ميمون بن مهران، عن ابن عبّاس في قوله : (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**) الآية، أنها نزلت في المؤمنين، وعليّ بن أبي طالب أولهم.

ثمّ أورد ما قاله ابن جرير : حدّثنا هناد، حدّثنا عبدة عن عبد الملك، عن أبي جعفر، قال : سألته عن هذه الآية: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**) قلنا : من الذين آمنوا ؟ قال : الذين آمنوا، قلنا : بلغنا أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب. قال : علي من الذين آمنوا.

وقال أسباط عن السّدي : نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرّ به سائلٌ وهو راکعٌ في المسجد فأعطاه خاتمه.

ثمّ قال في الأخير : وقد تقدّم في الأحاديث التي أوردناها أنّ هذه الآيات كلّها نزلت في عبادة بن الصّامت حين تبرّأ من حلف اليهود. إلى آخر كلامه.

أقول : ما أحسب النَّابه البصير فيما اعترض به ابن كثير، ومن قوله باختصاص الآية بعبادة بن الصَّامت أو ببعض المؤمنين. إلا استنكره من وجوه، وذلك كما قاله ابن شهر آشوب في مناقبه [3: 5 ط. دار الأضواء]:

- 1 - واختصاص الآية ببعض المؤمنين حيث وصفهم بإيتاء الزكاة يوجب خروج من لم يؤتها.
 - 2 - ومن حيث خصَّ إيتاؤهم بحال الركوع، ولم يحصل ذلك لجميع المؤمنين.
 - 3 - ومن حيث نفي الولاية عن غير المذكورين في الآية بإدخال لفظة «إنما» وإيتاء الزكاة في حال الركوع لم يدع لأحد غير عليّ.
- ولا مندوحة لابن كثير في صرف معنى الآية إلى غير علي(عليه السلام) إلا باستفظاعه عمل المتصدّق في حال الركوع حتّى رمى من قال: إنّ جملة الآية في موضع الحال بالوهم. كما مرّت عبارته. والله أعلم.

6 - الزمخشري:

وهو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المولود سنة (467) والمتوفّى سنة (538) قال في تفسيره الكشاف [1 : 648 - 649 ط. قم] في قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ): ومعنى (إنما) : وجوب اختصاصهم بالموالاة (والذين يُقِيمُونَ) محله على البذل من الذين آمنوا، أو على (هُمُ الَّذِينَ يُقِيمُونَ) وقال في (وَهُمْ رَاكِعُونَ) : الواو فيه للحال، أي : يعملون ذلك في حال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلّوا وإذا زكّوا.

وقيل : هو حال من يؤتون الزكاة، بمعنى : يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وإنها نزلت في علي كرّم الله وجهه، حين سأله سائلٌ وهو راکعٌ في صلاته، فطرح له خاتمه كأثمه كان مرجأ في خنصره، فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته.

فإن قلت : كيف صحَّ أن يكون لعلّي(رضي الله عنه) واللفظ لفظ جماعة ؟ قلت : جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل ثوابه، ولينبّه على أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقد الفقراء، حتّى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخّروه إلى الفراغ منها.

7 - الشوكاني:

وهو الشيخ الكبير محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني، المتوفّى بصنعاء سنة (1250 هـ) صاحب التفسير المسمّى بـ «فتح القدير» وقد ذكر هذه الإثارة عن الخطيب في المتفق والمفترق عن ابن عبّاس،

قال : تصدّق عليّ وهو راعع، فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) للسائل : « من أعطاك هذا الخاتم ؟ » قال : ذلك الرّاعع، فأنزل الله فيه : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) الآية.

قال: وأخرج عبد الرزّاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عبّاس، قال : نزلت في علي بن أبي طالب.

قال : وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر عن علي بن أبي طالب نحوه.

قال : وأخرج الطبراني بسند فيه مجاهيل عنه نحوه⁽³⁾.

8 - الشّبلنجي:

وهو الشّيوخ مؤمن بن حسن مؤمن الشّبلنجي من علماء القرن الثالث عشر، وقد ذكر هذه الإثارة في كتابه (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار) [ص 86 ط. دار الفكر].

قال : وقد ورد في فضله آياتٌ وأحاديث جمّة، نقل الواحد في كتابه المسمّى بـ «أسباب النزول»، عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائلٌ في المسجد فلم يعطه أحدٌ شيئاً فرفع السائل يديه الى السماء وقال : اللهم إني سألت في مسجد نبيّك محمد(صلى الله عليه وآله) فلم يعطني أحدٌ شيئاً وكان علي(رضي الله عنه) في الصّلاة راععاً. فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيها خاتمٌ، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في المسجد، فرفع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) طرفه الى السماء وقال : « اللهم إن أخي موسى سألك فقال : (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيسِّرْ لِي أَمْرِي * واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي). فأنزلت عليه قرآناً : (سنشدّ عضدك بأخيك وتجعل لك سلطاناً فلا يصلون إليك).

اللهم وإني محمّدٌ نبيّك وصفيّك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسّر لي أُمري، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشدد به ظهري. قال أبو ذر(رحمه الله) : فما استتمّ دعاءه حتّى نزل جبرئيل(عليه السلام) من عند الله عزّوجلّ وقال : يا محمّد اقرأ : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزّكاةَ وهم راععون).

9 - النّيسابوري:

وهو العلامة نظام الدّين الحسن بن محمّد بن حسين القمي صاحب التفسير المسمّى بـ «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» المطبوع في هامش تفسير الطّبري عند قوله : القول الثاني : يعني : من معنى (وهم راععون) إن المراد شخصٌ معيّنٌ، وجيء على لفظ الجمع ليرغب النّاس في مثل فعله، ثمّ إنّ ذلك الشخص الذي روي عن عكرمة هو : أبو بكر.

وروى عطاء عن ابن عباس عن علي(عليه السلام) أنَّ عبدالله بن سلام قال : لما نزلت هذه الآية، قلت : يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدّق بخاتمه على محتاج وهو راکعٌ فنحن نتولاه.
وروى عن أبي ذرٍّ أنّه قال : صليت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً صلاة الظهر، إلى آخر الحديث الذي ذكرناه فيما رواه الثعلبي والشبلنجي.

10 - الطبري:

ذكر الإثارة في تفسيره الكبير الشهير المسمّى بـ «جامع البيان» [4 : 628 ط. دار الكتب العلمية] عند تفسير قوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) : قال : إنّ أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال بعضهم : عني به علي بن أبي طالب، وقال بعضهم: عني به جميع المؤمنين.

ثمّ أخرج حديثاً بإسناده عن السّديّ قال : ثمّ أخبرهم بمن يتولاه، فقال : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) هؤلاء جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرّ به سائلٌ وهو راکعٌ في المسجد فأعطاه خاتمه.

وأخرج أيضاً بإسناده عن عبدة عن عبد الملك عن أبي جعفر، قال : سألته عن هذه الآية : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) قلت : من الذين آمنوا ؟ قال: الذين آمنوا، قلت : بلغنا أنّها نزلت في علي بن أبي طالب ؟ قال : عليّ من الذين آمنوا.
وأخرج أيضاً بإسناده عن غالب بن عبيد الله، قال : سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) الآية، قال : نزلت في علي بن أبي طالب تصدّق وهو راکع.

11 - الإمام شرف الدّين الموسوي:

قال في التعليقات من كتابه المراجعات [ص 41] في المراجعة الثانية عشرة التي جرت بينه وبين شيخ الأزهر يومئذ وهو الشيخ سليم البشري : أجمع المفسّرون - كما اعترف القوشجي وهو من أئمّة الأشاعرة في مبحث الإمامة من كتابه (شرح التجريد) - على أنّ هذه الآية نزلت في عليّ حين تصدّق راکعاً في الصّلاة. وأخرج النسائي في صحيحه عن عبد الله بن سلام أنّ نزولها في عليّ، وأخرج نزولها فيه أيضاً صاحب الجمع بين صحاح السنّة في تفسير سورة المائدة. وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير نزولها في أمير المؤمنين.

وقال في [ص 156 من المراجعة - 40 -] من نفس المصدر : وحسبك ممّا جاء نصّاً في هذا من غيرهم - يعني غير العترة الطاهرة - فذكر طرق الحديث إلى أن قال : وإن شئت فراجع في كنز العمال [6 : 405] على أنّ نزولها في عليّ ممّا أجمع عليه المفسّرون، وقد نقل إجماعهم هذا غير واحد من أعلام أهل السنّة.

وقال أخيراً : ومع ذلك فإننا لا ندع مراجعتنا خالية مما جاء فيها من حديث الجمهور، مقتصرين على ما في تفسير الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، فنقول : أخرج عند بلوغه هذه الآية في تفسيره الكبير بالإسناد إلى أبي ذر الغفاري، قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهاتين وإلا صمّتا، ورأيت بهاتين وإلا عميتا، يقول : عليّ قائد البررة، قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما إنّي صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً من الأيام، فساق الحديث الذي مرّ عن الثعلبي.

وذكرها جمعٌ من أعلام الأمة غيرهم، كالآلوسي في تفسيره روح المعاني [6 : 167 ط. دار الاحياء - بيروت] أوردها بإسناد متصل.

والأردبيلي الشهير بابن حيّان وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف الجبائي الغرناطي الأندلسي النحوي المتوفى سنة (754) ذكرها في تفسيره البحر المحيط [3 : 513 وفي ط. الحلبي 2 : 53 وفي ط. دار الفكر 4 : 300].

وذكرها الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (911) في كتاب لباب النقول، الطبعة الثانية بمطبعة مصطفى الحلبي، وفي تفسيره الدر المنثور [2 : 293].

والمحدث الكبير محب الدين الطبري المتوفى سنة (693) في كتاب ذخائر العقبي [ص 88 ط. مكتبة القدسي بالقاهرة] وفي كتابه الرياض النضرة [2 : 227].

والعلامة المحدث الشهير بالكنجي الشافعي المتوفى سنة (658) ذكر الإثارة في كتابه كفاية الطالب في الباب الحادي والستين [ص 106 ط. النجف وص : 229 ط. قم].

والخطيب البغدادي المتوفى سنة (463) كما ذكر في تفسير الخازن [1 : 475 ط. مصر]. والرازي الحنفي وهو الشيخ أبو بكر أحمد بن علي المتوفى سنة (370) في تفسيره [2 : 543 ط. القاهرة بالمطبعة البهية].

والقرطبي وهو العلامة الشيخ محمد بن أحمد الأنصاري ذكرها في كتابه الجامع لأحكام القرآن [6 : 221 ط. مصر].

والبيضاوي صاحب التفسير الدائر، ذكرها فيه [1 : 345 ، أو 2 : 156].

والإمام ابن حجر ذكرها في كتابه الصواعق [ص 24].

والطبرسي رواها في تفسيره مجمع البيان في سبب النزول، ثم فسرها وبيّنها بياناً شافياً وافياً.

12 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [2 : 211 ط. ايران و 264 ط. مؤسسة التأريخ العربي بيروت] : وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة عليّ بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا فصل، والوجه فيه أنّه إذا ثبت أنّ لفظة «وليكّم» تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم، وثبت أنّ المراد بالذين آمنوا : عليّ،

ثبت النص عليه بالإمامة ووضح، والذي يدلّ على الأوّل هو الرجوع إلى اللغة، فمن تأملها علم أنّ القوم نصّوا على ذلك، وقد ذكرنا قول أهل اللغة فيه قبل، فلا وجه لإعادته.

ثم الذي يدلّ على أنّها في الآية تفيد ذلك دون غيره أنّ لفظة «إنما» على ما تقدّم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمّن عدا المذكور، كما يقولون: إنّما الفصاحة للجاهليّة، يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم. وإذا تقرّر هذا لم يجز حمل لفظة الوليّ على الموالاة في الدين والمحبة، لأنّه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر، والمؤمنون كلّهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) وإذا لم يجز حمله على ذلك، لم يبق إلا الوجه الآخر وهو التحقق بالأمر وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور؛ لأنّه لا محتمل للفظه إلا الوجهان، فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر.

والذي يدلّ على أنّ المعنيّ بـ «الذين آمنوا» هو عليّ، الرواية الواردة من طريق العامة والخاصّة بنزول الآية فيه لمّا تصدّق بخاتمه في حال الركوع. وقد تقدّم ذكرها. وأيضاً فإنّ كلّ من قال إنّ المراد بلفظة «وليّ» ما يرجع إلى فرض الطاعة والإمامة، ذهب إلى أنّه هو المقصود بالآية والمتفرّد بمعناها، ولا أحد من الأمّة يذهب إلى أن هذه اللفظة تقتضي ما ذكرناه ويذهب إلى أنّ المعنيّ بها سواه.

وليس لأحد أن يقول إنّ لفظ «الذين آمنوا»، لفظ جمع، فلا يجوز أن يتوجّه إليه على الانفراد، وذلك أنّ أهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التّخمين والتّعظيم، وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه، وليس لهم أن يقولوا: إنّ المراد بقوله: (وَهُمْ رَاكِعُونَ) إن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالاً لإيتاء الزكاة، وذلك لأن قوله: (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) قد دخل فيه الركوع، فلو لم يحمل قوله: (وَهُمْ رَاكِعُونَ) على أنّه حال من يؤتون الزكاة، وحملناه على من صفتهم الركوع كان ذلك كال تكرار غير المفيد، والتأويل المفيد أولى من البعيد الذي لا يفيد.

ووجه آخر في الدلالة على أن الولاية في الآية مختصة، أنه سبحانه قال: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ) فخطب جميع المؤمنين، ودخل في الخطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره، ثمّ قال: (وَرَسُولُهُ) فأخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته، ثمّ قال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا) فوجب أن يكون الذي خطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية، وإلا أدّى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه، وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين وليّ نفسه، وذلك محال.

واستيفاء الكلام في هذه الباب يطول به الكتاب، فمن أراد فليطلبه من مظانّه.

قال الواحدي: واستدلّ أهل العلم بهذه الآية على أنّ العمل القليل لا يقطع الصلّة، وأن دفع الزكاة إلى السائل في الصلّة جائز مع نيّة الزكاة (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ بِالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ) (وَرَسُولُهُ) باتّباع أمره (وَالَّذِينَ آمَنُوا) بالموالاة والتّصرة (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ) أي جند الله، عن الحسن. وقيل أنصار الله (هم الغالبون) الظّاهرون على أعدائهم الظّافرون بهم.

وإلى ذلك أشار العبد العبد بقوله من قصيدته الكبيرة:

وقال لأحمد بلغ قريشاً *** أكن لك عاصماً ان تستكينا
فإن لم تبلغ الأنباء عني *** فما أنت المبلغ والأمين
فأنزل بالحجيج «غدير خم» *** وجاء به ونادى المسلمينا
فأبرز كفه للناس حتى *** تبينها جميع الحاضرين
فأكرم بالذي رفعت يده *** وأكرم بالذي رفع اليمين
فقال لهم وكلّ القوم مصغ *** لمنطقه وكلّ يسمعون
ألا هذا أخي ووصي حق *** وموفي العهد والقاضي الديونا
ألا من كنت مولاه فهذا *** له مولى فكونوا شاهدين
تولى الله من والى علياً *** وعادى مبغضيه الشائنين
ومن قصيدة له :

يوم «الغدير» لأشرف الأيام *** وأجلها قدراً على الإسلام
يوم أقام الله فيه إمامنا *** أعني الوصي إمام كلّ إمام
قال (4) النبي بدوح خم رافعاً *** كفّ الوصي يقول للأقوام
من كنت مولاه فذا مولى له *** بالوحي من ذي العزة العلام
هذا وزيري في الحياة عليكم *** فإذا قضيت فذا يقوم مقامي
يا ربّ وال من أقرّ له الولا *** وانزل بمن عاداه سوء حمام
فتهافت أيدي الرّجال لبيعة *** فيها كمال الدّين والإنعام
ومن قصيدة له :

تروم فساد دليل النصوص *** ونصراً لإجماع ما قد جمع
ألم تستمع قوله صادقاً *** غداة «الغدير» بماذا صدع
ألا إنّ هذا وليّ لكم *** أطيعوا فويل لمن لم يطع
وقال له أنت مئي أخي *** كهارون من صنوه فاقتنع
وقال له أنت بابّ إلى *** مدينة علمي لمن ينتجع
وقال لكم هو أقضاكم *** وكلّ لمن قد مضى متبع
ويوم براءة نصّ الإله *** جلّ عليه فلا تختدع
وسمّاه في الذكر نفس الرسول *** يوم التباهل لمّا خشع
إلى آخر الأبيات (5).

* * *

(4) هكذا في المصدر ، والظاهر أنها قام .

(5) الغدير 4 : 148 - 149 .

المبحث الرابع

في قوله تعالى : (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) [المعارج : آية 1 - 2].

روى جمعٌ من المفسرين في تفاسيرهم والمحدثين في تأليفهم مجمعين على نزول هذه الآية فيمن جدد ولاية أمير المؤمنين علي بعد أن نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولياً للأمة بعده، في يوم غدیر خم، بقوله : « من كنت مولاة فعلي مولاة »، كما بسطنا القول في ما مرّ من هذا الكتاب. غير أنهم اختلفوا في اسم الجاحد، فمنهم من قال: إنه جابر بن التضر بن الحارث بن كعدة العبدي، وهذا ممّا لا يستبعد في صحته، لأن النضر قد قتله أمير المؤمنين صبراً يوم بدر الكبرى بأمر من النبي، كما ذكره الأميني في التعليقات من غديره [1 : 241] نقلاً عن سيرة ابن هشام، وتاريخي اليعقوبي والطبري. ولعلّ إنكاره ذلك من الحقد بسبب تلك القضية التي جرت على أبيه. ومنهم من قال: إنّ الجاحد هو الحارث بن النعمان الفهري، ومنهم من روى باسم التضر بن الحارث، وتلك التّصوص في ذلك عن الرواة الثقات. منهم :

1 - الهروي:

وهو الحافظ قاسم بن سلام أبو عبيد الهروي، المتوفى سنة (223) بمكة المكرمة، قال ابن خلكان في تأريخه [4 : 60 برقم 534 ط. دار الثقافة - بيروت] : كان ربّانياً متفتّناً في أصناف علوم الإسلام، حسن الرواية، صحيح النقل، لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه. روى في تفسيره غريب القرآن بقوله : لمّا بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غدير خمّ وبلغ ما بلغ وشاع ذلك في البلاد، أتى جابر بن التضر بن الحارث بن كعدة العبدي، فقال : أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وبالصلاة، والصّوم، والحجّ، والزكاة، فقبلنا منك. ثمّ لم ترض بذلك حتّى رفعت بضبع ابن عمك ففضّلته علينا، وقلت : من كنت مولاة فعلي مولاة. فهذا الشيء منك أم من الله ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي لا إله إلا هو، إنّ هذا من الله. فولّى جابر يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمّداً حقاً، فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى : (سأل سائل بعذاب واقع) الآية.

2 - الحاكم النيسابوري:

قال في كتابه المستدرک [2 : 502] : أخبرنا محمد بن علي الشيباني بالكوفة، حدثنا أحمد بن حازم الغفاري، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان الثوري عن الأعمش، عن سعيد بن جبیر سأل سائل هو : النضر بن الحارث بن كعدة، قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

3 - النقاش:

وهو العلامة أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد النقاش المفسر الموصلي البغدادي المتوفى سنة (351). قال ابن كثير في تأريخه [11 : 276 ط. دار الاحياء - بيروت] : كان رجلاً صالحاً في نفسه عابداً ناسكاً، له تفسير شفاء الصدور، روى هذه الواقعة في تفسيره المذكور ما رواه أبو عبيد، غير أن الرجل السائل هو : الحارث بن النعمان الفهري لا جابر ابن الضر. كما يأتي في رواية الثعلبي.

4 - الثعلبي:

قال في تفسيره الكشف والبيان : إن سفيان بن عيينه سئل عن قوله عزوجل: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) فيمن نزلت ؟ فقال للسائل : سألتني عن مسألة ما سألتني أحد قبلك، حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه صلوات الله عليهم، قال : لما كان رسول الله بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ناقه له حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته فأناخها، فقال : يا محمد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلناه، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه، وأمرتنا بالحج فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقتلت : من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا منك أم من الله ؟ فقال : والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله. فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته، وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله عزوجل: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) الآية.

5 - الحاكم الحسكاني:

روى الحادثة بإسناده عن حذيفة بن اليمان في كتابه «دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاتة» قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): «من كنت مولاه فعلي مولاه». قال النعمان ابن المنذر الفهري : هذا شي قلته من عندك أو شيء أمرك به ربك ؟ قال : لا بل أمرني به ربي، فقال : اللهم أنزل

علينا حجارةً من السماء، فما بلغ راحلته «رحله» حتى جاء حجرٌ فأدماه فخرٌ ميتاً. فأنزل الله تعالى : «سأل سائلٌ بعذاب واقع».

قال الأميني في غديره [1 : 241] : إسناده هذا الحديث صحيحٌ رجاله كلهم ثقات، غير أن اسم الجاحد فيه تصحيفٌ.

وأورد فيه أيضاً حديثاً من طريق أبي عبد الله الشيرازي مسنداً عن جعفر ابن محمد الصادق عن آبائه (عليهم السلام) : لما نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً يوم غدير خم، وقال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ». طار ذلك في البلاد، فقدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) النعمان بن الحرث الفهري، فقال : أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام، فقلت : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ». فهذا شيء منك، أو أمر من عند الله ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله، فولى النعمان بن الحرث وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ).

6 - القرطبي:

وهو الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي الملقب بسابق الدين، المولود سنة (486) المتوفى سنة (567) صاحب التفسير الكبير. قال ابن الأثير في كامله [11 : 252] : كان إماماً في القراءة والنحو وغيره من العلوم، زاهداً عابداً انتفع به الناس في كثير من البلاد ولا سيما أهل الموصل، فإنه أقام بها وفيها توفي.

وقال ياقوت في معجم البلدان [4 : 324 ط. دار الإحياء - بيروت] : قرأ عليه كثير من شيوخنا، وكان أديباً فاضلاً مقرباً عارفاً بالنحو واللغة، سمع كثيراً من كتب الأدب.

وقال في كتابه معجم الأدباء [20 : 14 - 15 ، ط. دار الفكر - بيروت] : شيخ فاضل عارف بالنحو ووجوه القراءات، وكان ثقة صدوقاً ثباتاً ديناً كثير الخير.

قال في تفسيره في سورة المعارج : لما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من كنت مولاه فعليّ مولاه »، قال النضر بن الحارث لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أمرتنا بالشهادتين عن الله فقبلنا منك، وأمرتنا بالصلاة والزكاة، ثم لم ترض حتى فضلت علينا ابن عمك، أله أمرك ؟ أم من عندك ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « والذي لا إله إلا هو، إنه من عند الله »، فولى وهو يقول : إن كان هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء، فوقع عليه حجرٌ من السماء فقتله⁽⁶⁾.

7 - سبط ابن الجوزي:

(6) الجامع لأحكام القرآن، 18 : 278 ط. دار الإحياء - بيروت.

وهو الشيخ شمس الدين أبو المظفر الحنفي، المتوفى سنة (654) رواه في كتابه «تذكرة خواص الأمة» [ص 30 ط. طهران] قال : ذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قال ذلك - يعني: حديث الولاية - طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصا، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتاه على ناقه له، فأناخها على باب المسجد، ثم عقها وجاء فدخل في المسجد فجنأ بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا محمد، إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك، وإنك أمرتنا أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة، ونصوم رمضان، ونحج البيت فقبلنا منك ذلك، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته على الناس وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أو من الله ؟ فقال رسول الله وقد احمرت عيناه : « والله الذي لا إله إلا هو، إنه من الله وليس مني » - قالها ثلاثاً - فقام الحرث وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأرسل من السماء علينا حجارة أو ائتنا بعذاب أليم، قال: فو الله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته، فخرج من دبره ومات، وأنزل الله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) الآيات.

8 - الحموي:

روى في كتابه فرائد السمطين في الباب الخامس عشر [1 : 82 - 83 ط. المحمودي - بيروت] : أخبرني الشيخ عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بمدينة نابلس، فيما أجاز لي أن أرويه عن القاضي جمال الدين أبي القاسم بن عبد الصمد الأنصاري، إجازة عن عبد الجبار بن محمد الحواري البيهقي، إجازة عن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (رحمه الله)، قال : قرأت على شيخنا الأستاذ أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره أن سفيان بن عيينة سئل عن قوله الله عز وجل : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) فيمن نزلت ؟ فقال للسائل: سألتني عن مسألة ... الحديث إلى آخر لفظ الثعلبي.

9 - أبو السعود العمادي:

وهو كما ترجمه الأميني في التعليقات من غديره [1 : 243] نقلاً عن شذرات الذهب [8 : 398] : المولى محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي، ولد سنة (898) بقرية قريبة من قسطنطينية، وأخذ العلم وقد القضاء والفتيا، وتوفي بقسطنطينية مفتياً سنة (982).

قال في تفسيره [9 : 29 ط. دار الاحياء] : قيل: هو - أي: سائل العذاب - الحرث بن النعمان الفهري، وذلك لما بلغه قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في علي (رضي الله عنه): « من كنت مولاه فعلي مولاه »، قال : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه، فخرج من أسفله فهلك من ساعته.

10 - الشربيني:

وهو الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي، المتوفى سنة (977) صاحب تفسير «السراج المنير» وكتاب «الإقناع في ألفاظ أبي شجاع».

قال في تفسيره السراج المنير [4 : 364] : اختلف في هذا الداعي، فقال ابن عباس : هو النضر بن الحرث، وقيل : هو الحرث بن النعمان، وذلك أنه : لما بلغه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « من كنت مولاه فعلي مولاه »، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته الأبطح، ثم قال : يا محمد ، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلنا منك، وأن نصلي خمسا ونزكي أموالنا فقبلنا منك، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلنا منك، وأن نحج فقبلنا منك، ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا، أفهذا شيء منك أم من الله تعالى ؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « والذي لا إله إلا هو، ما هو إلا من الله »، فولى الحرث وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر عينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله، فنزلت : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) الآيات.

11 - الحفني:

وهو العلامة الشيخ محمد بن سالم بن أحمد المصري الشافعي، المولود سنة (1101) والمتوفى سنة (1181) صاحب «شرح الجامع الصغير» للسيوطي.

قال في الكتاب المذكور [2 : 387] عند شرح قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من كنت مولاه فعلي مولاه » : لما سمع ذلك بعض الصحابة قال : أما يكفي رسول الله أن تأتي بالشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة «الخ» حتى يرفع علينا ابن أبي طالب ؟ فهل هذا من عندك أم من عند الله ؟ فهو دليل على فضل علي (عليه السلام) . وقد روى ذلك غير هؤلاء كثير مثل : شهاب أحمد دولت آبادي المتوفى سنة (849) في كتابه «هداية السعداء» والسّمهودي الشافعي في كتابه «جواهر العقدين».

والسيد جمال الدين الشيرازي في «الأربعين في مناقب أمير المؤمنين» في الحديث الثاني عشر. وسيدنا الحبيب شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن عبدالله العيدروس في كتابه «العقد النبوي والسرّ المصطفوي».

والشيخ أحمد باكنير الشافعي في «وسيلة المأل في عد مناقب الآل».

والصفوري في «نزهة المجالس» [2 : 242].

والزرقاني المالكي في «شرح المواهب اللدنية» [2 : 13].

والزمخشري في تفسيره «الكشاف» [4 : 156].

والنيسابوري في تفسيره «غرائب القرآن» [29 : 40 بهامش الطبري].

والشوكاني في تفسيره «فتح القدير» [5 : 288].

ولكن البعض منهم اقتصروا على ذكر نزولها في الفهري الجاحد فحسب، دون الرواية في سبب النزول.

12 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [5 : 446 ط. مؤسسة التأريخ العربي - بيروت]: حدّثنا أبو القاسم الحسكاني، قال: حدّثنا أبو عبدالله الشّيرازي، قال: حدّثنا أبو بكر الجرجاني، حدّثنا أبو أحمد البصري، قال: حدّثنا محمّد بن سهل، قال: حدّثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصار، قال: حدّثنا محمّد بن أيوب الواسطي، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر ابن محمّد الصّادق، عن آبائه(عليهم السلام)، قال : « لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) عَلِيًّا(عليه السلام) يوم غدِير خم، وقال : من كنت مولاة فعليّ مولاة، طار ذلك في البلاد، فقدم على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) النعمان ابن الحرث الفهري، فقال : أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحجّ والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثمّ لم ترض حتى نصبت هذا الغلام، فقلت : من كنت مولاة فعليّ مولاة، فهذا شيء منك أو أمرٌ من عند الله ؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله، فولى النعمان بن الحرث وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء، فرماه الله بحجر من السماء على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)».

13 - الشّبلنجي:

قال في كتابه نور الأبصار [ص 87] : نقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله في تفسيره: أن سفيان بن عيينة رحمه الله سئل عن قوله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) فيمن نزلت ؟ فقال للسائل : لقد سألتني عن مسألة لم يسألني أحدٌ قبلك، حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد عن آبائه رضي الله عنهم : أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لما كان بغدير خم نادى النّاس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي(رضي الله عنه)، وقال : من كنت مولاة فعليّ مولاة، فشاع ذلك وطار في البلاد، وبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على ناقة له، فأناخ راحلته ونزل عنها، وقال : يا محمّد أمرتنا عن الله عزّوجلّ أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا ثمّ لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمّك تفضّلنا علينا، فقلت : من كنت مولاة فعليّ مولاة، فهذا شيء منك أو من الله عزّوجلّ ؟ فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): والذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله عزّوجلّ، فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو انتننا بعذاب أليم، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزّوجلّ بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله، فأنزل الله عزّوجلّ : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ).

14 - شرف الدين الموسوي:

قال في مراجعاته [ص 42 المراجعة 12 ط. المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)] : ألم تر كيف فعل ربك يومئذ بمن جحد ولايتهم علانية، وصادر بها رسول الله جهرةً، فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فرماه الله بحجر من سجّيل، كما فعل من قبل بأصحاب الفيل، وأنزل في تلك الحال : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) وسيسأل الناس عن ولايتهم يوم يبعثون، كما جاء في تفسير قوله تعالى : (وَفَقَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ). وقد مرّ في البحث الثاني من هذا الكتاب.

15 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [5 : 288 - 291 ط. عالم الكتب - بيروت] : وهذا السائل هو النضر بن الحارث، حين قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، وهو ممّن قتل يوم بدر صبراً، وقيل: أبو جهل، وقيل: هو الحارث بن النعمان الفهري والأول أولى. وقد أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه. وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : (سَأَلَ سَائِلٌ) قال : هو النضر بن الحرث، قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء.

16 - النيسابوري:

قال في تفسيره غرايب القرآن [29 : 40 بهامش جامع البيان للطبري] : التفسير في من قرأ (سَأَلَ) بالهمزة ففيه وجهان. الأول : عن ابن عباس أن النضر بن الحرث قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً فأنزل الله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ) أي: دعا داع، ولهذا عدّي بالباء، يقال : دعاه بكذا إذا استدعاه وطلبه.

وقال ابن الأنباري : الباء للتأكيد، والتقدير : سأل سائلاً عذاباً لا دافع له البتة : إمّا في الآخرة، وإمّا في الدنيا، كيوم بدر.

والى ذلك أشار العوني بقوله :

يقول رسول الله هذا لأمتي *** هو اليوم مولى ربّ ما قلت فاسمع
فقال جحودٌ ذو شقاق منافقٌ *** ينادي رسول الله من قلب موجه
أعن ربنا هذا أم أنت اختر عته *** فقال معاذ الله لست بمبدع
فقال عدو الله للهم⁽⁷⁾ إن يكن *** كما قال حقاً بي عذاباً فأوقع
فعوجل من أفق السماء بكفره *** بجندلة فانكبّ ثاو بمصرع
راجع الغدير [1 : 247].

(7) هكذا في الأصل ، والصحيح أنها لأهم .

* * *

المبحث الخامس

في قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة : آية 3].

هذه الآية من الآيات النازلة في أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وكان نزولها في يوم الغدير بعد نزول آية التبليغ باتفاق بعض المفسرين والمؤرخين وحفظه السنن والآثار، ما عدا البخاري ومسلم ومن نحا نحوهما، فإنهم قالوا بأنها نزلت في يوم عرفة، وهذا القول لا يتفق، باعتبار أن ما بقي من عمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بناءً على القول بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي في الثاني عشر من ربيع الأول كما هو المشهور بين الأمم⁽⁸⁾ بعد نزول هذه الآية واحدًا أو اثنان وثمانون يوماً، كما نص على ذلك جمع من أعلام الأمة في كتبهم، فلهذا كان القول الأول في سوق الاعتبار أقرب إلى الحقيقة من القول الثاني، لكون وقوع يوم الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة. والله أعلم.

ومن الفريق الأول القائلين بنزولها يوم الغدير، هم :

1 - الطبري:

أبو جعفر بن جرير صاحب التفسير المشهور المتوفى سنة (310) روى في كتابه «الولاية» بإسناده عن زيد بن أرقم في نزول الآية الكريمة يوم غدير خم، كما مرّ في المبحث الأول من هذا الكتاب في رواية خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك اليوم المشهود، منها : «معاشر الناس، هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربّي». وفي رواية: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، والعن من أنكره، وأغضب على من جدد حقه، اللهم إنك أنزلت عند تبیین ذلك في عليّ: (اليوم أكملت لكم دينكم) بإمامته. فمن لم يأت به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة فأولئك حببوا أعمالهم وفي النار هم خالدون، إن إبليس أخرج آدم (عليه السلام) من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم، وتزل أقدامكم، في عليّ نزلت سورة (والعصر * إن الإنسان لفي خسر)».

2 - ابن مردويه:

(8) راجع: الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي، ص: 783 ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

روى من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، كما ذكره ابن كثير في تفسيره [2 :
14] بعد إirاده عدّة روايات، أنها نزلت يوم غدیر خمّ حين قال (صلی الله علیه وآله وسلم) لعليّ : من كنت مولاه
فعليّ مولاه، ثمّ ذكر أيضاً ما روي عن أبي هريرة، وقال : وفيه أنّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة،
يعني مرجعه (صلی الله علیه وآله) من حجة الوداع، ثمّ قال : لا يصحّ هذا ولا هذا «الخ» وكان ممّن يرى أنّ
الصحيح نزولها في يوم عرفة.

وقال السيوطي في كتابه الدر المنثور [2 : 259 ط. المرعشي نجفي - قم] : أخرج ابن مردويه وابن
عساكر بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري، قال : لمّا نصب رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) عليّاً يوم
غدیر خمّ، ونادى له بالولاية، فهبط جبرئيل (عليه السلام) بهذه الآية : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ).
وأخرج ابن مردويه والخطيب، وابن عساكر بسند ضعيف عن أبي هريرة قال : لمّا كان غدیر خمّ
وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، قال النبي (صلی الله علیه وآله وسلم) : من كنت مولاه فعليّ مولاه، فأنزل
الله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) الآية. وروى عنه أيضاً في كتابه الإتيان [1 : 31 ط. سنة 1260] بطريقه.
قال الأميني في التعليقات من غديره [1 : 231] : إن تضعيفه تحكّم، والحديث واضح، ورجال إسناده
كلهم ثقات.

3 - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني:

روى في كتابه «ما نزل من القرآن في علي» بإسناده من طريق محمّد بن أحمد بن علي بن مخلد،
المتوفى سنة (375) عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) : أنّ النبي (صلی الله علیه وآله وسلم) دعا الناس إلى
عليّ في غدیر خمّ، أمر بما تحت الشجرة من الشوك فقمّ، وذلك يوم الخميس، فدعا عليّاً فأخذ بضبعيه
فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه
الآية : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) الآية، فقال رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) : « الله أكبر على إكمال
الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرّب برسالتي، وبالولاية لعليّ (عليه السلام) من بعدي »، ثمّ قال : « من كنت
مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله »، فقال
حسنّ : إذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبيتاً تسمعهن، فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) : « قل على
بركة الله ».

فقام حسنّ فقال :

يناديهم يوم الغدير نبيّهم *** بخمّ فأسمع بالرسول مناديا
يقول فمن مولاكم ووليّكم *** فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا *** ولم تر ممّا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني *** رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّهُ *** فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللهم وال وليه *** وكن للذي عادى علياً معادياً⁽⁹⁾

4 - الخطيب البغدادي:

روى في تأريخه [8 : 290 ط. دار الكتب العلمية - بيروت] عن عبد الله بن علي بن محمد ابن بشران، عن الحافظ الدار قطني، عن حبشون الخلال، عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة، عن ابن شاذب، عن مطر الوراق، عن ابن حوشب، عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وأخرج فيه أيضاً عن أحمد بن عبد الله النيري، عن علي بن سعيد، عن ضمرة عن ابن شاذب، عن مطر، عن ابن حوشب، عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً»، وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي بن أبي طالب، فقال : ألسنت ولي المؤمنين ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب : يخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) الآية.

أقول : هذا هو الحديث الذي اعتمد عليه الأميني وقال بوضوحه وثقة رواته وردّ على السيوطي لما قال بضعف سنده، كما مرّ قريباً في هذا الكتاب.

5 - السجستاني:

المتوفى (477) روى ذلك في كتاب «الولاية» بإسناده بطريق أبي نعيم، عن أبي سعيد الخدري.

6 - ابن المغازلي:

المتوفى (483) روى ذلك في مناقبه [ص 19] بإسناده بطريق الخطيب البغدادي عن أبي هريرة.

7 - الحاكم الحسكاني:

المتوفى (490) روى ذلك في كتابه شواهد التنزيل [1 : 157 ط. الأعلمي - بيروت] بإسناده عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما نزلت هذه الآية: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) قال : «اللهم أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي»، وقال : «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

8 - ابن عساكر الشافعي:

(9) راجع : الغدير 1 : 232 ط. طهران.

المتوفى (571) روى ذلك الحديث المذكور بطريق ابن مردويه عن أبي سعيد وأبي هريرة، كما في الدر المنثور [2 : 259].

9 - الخوارزمي:

المتوفى سنة (568) روى ذلك في مناقبه [ص 80] عن الديلمي بإسناده إلى أبي سعيد الخدري بطريق أبي نعيم السالف ذكره، وروى أيضاً عن المناقب [ص 94] بالإسناد عن الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، وعن الحاكم أبي عبدالله النيسابوري بطريق الخطيب البغدادي سنداً وممتناً.

10 - النطنزي:

روى في كتابه «الخصائص العلوية» عن أبي سعيد الخدري بلفظ ما مرّ، وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري وجابر الأنصاري أنهما قالاً : لما نزلت : (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) الآية. قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، وولاية عليّ بن أبي طالب من بعدي ».

وروى في الخصائص أيضاً بإسناده عن الإمامين الباقر و الصادق (عليهما السلام) قالاً : « نزلت هذه الآية - يعني آية التبليغ - يوم الغدير، وفيه نزلت : (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) »، قال : قال الصادق (عليه السلام) : أي : (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) بإقامة حافظه (وأتممت عليكم نعمتي) أي: بولايتنا، (ورضيت لكم الإسلام ديناً) أي : تسليم النفس لأمرنا ».

وروى فيه أيضاً بإسناده عن أبي هريرة حديث صوم الغدير بطريق الخطيب لفظاً وممتناً، وفيه نزول الآية في عليّ يوم الغدير.

11 - أبو حامد سعد الدين الصالحاني:

قال شهاب الدين أحمد في «توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل» : وبالإسناد المذكور عن مجاهد (رضي الله عنه) قال : نزلت هذه الآية : (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) بغدير خمّ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الله برسالتي، والولاية لعليّ». رواه الصالحاني، الغدير [1 : 235].

12 - سبط ابن الجوزي الحنفي:

المتوفى (654) روى ذلك في كتابه تذكرة خواصّ الأئمة [ص 18] ما أخرجه الخطيب البغدادي من طريق الدارقطني.

13 - الحموي الحنفي:

المتوفى سنة (722) روى ذلك في كتابه فرائد السمطين [1: 74 الباب - 12] ما أورده الخوارزمي سنداً وممتناً. وروى أيضاً من طريق الديلمي بإسناده إلى أبي سعيد الخدري بلفظ أبي نعيم، ثم قال : هذا حديث الغدير له طرق كثيرة إلى أبي سعيد سعد بن مالك الخدري الأنصاري.

14 - السيوطي:

المتوفى (911) روى ذلك في الدر المنثور [1: 236] من طريق ابن مردويه والخطيب وابن عساكر في رواية ابن مردويه فيما مرّ.

وقال في كتابه الإتقان [1: 75 ط. بيدار - قم] في عدّ الآيات السفرية، منها : (الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع، وله طرق كثيرة. لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدیر خم. وأخرج مثله حديث أبي هريرة، وفيه : أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة مرجعه من حجة الوداع. وكلاهما لا يصحّ.

أقول : لقد استغرب بعضهم كالأميني المجاهد الحجة من قول السيوطي بعدم الصحة في الحديثين المذكورين وحيث لم يكن يبين وجه العلة فيهما أو من أي ناحية كانت، حتى قال الأميني في قوله: «وكلاهما لا يصح» لم يكن إلا تقليداً لقول ابن كثير المذكور في تفسيره [1: 236] حيث قال في الحديثين : لا يصلح لا هذا ولا هذا.

واليك ما قاله الأميني ردّاً على قوليهما ومن لفّ لفهما :

إن كان مراده من عدم الصحة غمزة في الإسناد، ففيه أن رواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عند أساتذة الفنّ، منصوص على رجالها بالتوثيق، وحديث أبي سعيد له طرق كثيرة كما في فرائد السمطين للحموي، على أن الرواية لم تختص بأبي سعيد وأبي هريرة، فقد عرفت أنها رواها جابر بن عبد الله والمفسر التابعي مجاهد المكي، والإمامان الباقر والصادق (عليهما السلام) وأسند إليهم العلماء مخبئين إليها.

كما أنها لم تختص روايتها من العلماء وحفاظ الحديث بابن مردويه، وقد سمعت عن السيوطي نفسه في الدر المنثور رواية الخطيب وابن عساكر، وعرفت أن هناك جمعاً آخرين أخرجوها بأسانيدهم، وفيها مثل الحاكم النيسابوري، والحافظ البيهقي، والحافظ ابن أبي شيبة، والحافظ الدار قطني، والحافظ الديلمي، والحافظ الحداد الحسكاني وغيرهم. كلّ ذلك من دون غمز فيها عن أي منهم.

وإن كان يريد عدم الصحة من ناحية معارضتها لما روي من نزول الآية يوم عرفة، فهو مجازف في الحكم الباتّ بالبطان على أحد الجانبين. وهب أنّه ترجّح في نظره الجانب الآخر، لكنه لا يستدعي الحكم القطعيّ ببطان هذا الجانب، كما هو الشأن عند تعارض الحديثين، لا سيما مع إمكان الجمع بنزول

الآية مرتين، كما احتمله سبط ابن الجوزي في تذكرته [ص 18] كغير واحدة من الآيات الكريمة النازلة غير مرة واحدة، ومنها البسمة النازلة في مكة مرة وفي المدينة أخرى⁽¹⁰⁾.

15 - الإمام الطبرسي:

روى الحديث في تفسيره مجمع البيان [2 : 200 ط . مؤسسة التاريخ العربي - بيروت] عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) : قالوا : « إنه إنما أنزل بعد أن نصب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) علماً للأنام يوم غدیر خمّ، منصرفه عن حجة الوداع، قالوا: وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ثم لم ينزل بعدها فريضة ». انتهى.

ثم روى أيضاً من طريق السيد العالم أبي الحمد مهدي بن نزار الحسيني مسنداً عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزلت هذه الآية قال : « الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة. ورضا الرب برسالتني وولاية علي بن أبي طالب من بعدي ».

16 - ابن شهر آشوب:

روى ابن شهر آشوب في مناقبه [3 : 23 ط . دار الأضواء] عن أبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، قالوا : لما نزلت: (اليوم أكملت لكم دينكم) قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتني، وولاية علي ابن أبي طالب (عليه السلام) بعدي » رواه النطنزي في الخصائص.

وروى العياشي عن الصادق (عليه السلام): (اليوم أكملت لكم دينكم) بإقامة حافظه (وأتممت عليكم نعمتي) بولايتنا (ورَضِيتُ لكم الإسلام ديناً) أي تسليم النفس لأمرنا.

وقال الباقر و الصادق (عليهما السلام) : « نزلت هذه الآية يوم الغدير ». وقال يهودي لعمر : لو كان هذا اليوم فينا لا اتخذناه عيداً، فقال ابن عباس : وأي يوم أكمل من هذا العيد؟

وقال ابن عباس : إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي بعد هذه الآية باحدى⁽¹¹⁾ وثمانين يوماً. قال السدي : لم ينزل الله بعد هذه الآية حلالاً ولا حراماً، وحج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذي الحجة ومحرم وقبض.

وروى أنه لما نزل: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) أمره الله تعالى أن ينادي بولاية علي، فضاق النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك ذرعاً لمعرفته بفساد قلوبهم، فأنزل: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) ثم أنزل: (اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) ثم أنزل: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وفي هذه الآية خمس بشارات : إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرحمن، وإهانة الشيطان، ويأس الجاحدين.

(10) الغدير 1: 236 ط. دار الكتب الإسلامية - طهران.

(11) هكذا في الأصل ، والصحيح بواحد .

قوله تعالى: (الْيَوْمَ يَنسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) وعيد المؤمنين في الخبر الغدير عيد الله الأكبر.
وعن ابن عباس: اجتمعت في ذلك اليوم خمسة أعياد: الجمعة، والغدير، وعيد اليهود، والنصارى،
والمجوس. ولم يجتمع هذا فيما سمع قبله، وفي رواية الخدري: أنه كان يوم الخميس.
وقال العودي :

أما قال إن اليوم أكملت دينكم *** وأتممت بالنعماء مني عليكم
وقال أيضاً :

وقال أطيعوا الله ثمّ رسوله *** تفوزوا ولا تعصوا أولي الأمر منكم

* * *

المبحث السادس

في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ
الْبَرِيَّةِ) [البينة : 7].

إن مما ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم والحفاظ في مصنفاتهم بأن هذه الآية الشريفة نزلت في
أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) وأنه هو المراد به ومواليه في قوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) . وإليك
جمع من أولئك الذين ذكروا ذلك في كتبهم وزبرهم، منهم :

1 - الطبري:

قال في تفسيره «جامع البيان» [12 : 657] : وقد حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا علس بن فرقد، عن
أبي الجارود عن محمد بن علي: (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنت يا عليّ
وشيعتك ».

2 - الطبرسي:

قال العلامة في القرن السادس، المفسر الكبير الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في
تفسيره مجمع البيان [5 : 669 ط . مؤسسة التاريخ العربي بيروت] : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ بالإسناد، المرفوع
إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ (عليه السلام) قال : سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول : قبض رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا مسنده إلى صدري فقال : يا عليّ ألم تسمع قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) ؟ هم أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا اجتمعت
الأمم للحساب تدعون غراً محجلين.

وذكره الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل [2: 356].

وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: (هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال :
نزلت في عليّ (عليه السلام) وأهل بيته.

3 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [5 : 477] : أخرج ابن مردويه عن عائشة، قالت : قلت : يا رسول الله من أكرم الخلق على الله ؟ قال : يا عائشة أما تقرئين : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) ؟

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال : كنّا عند النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل عليّ، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) : « والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ». ونزلت : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) فكان أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أقبل علىّ قالوا : قد جاء خير البرية.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : علىّ خير البرية. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس، قال : لما نزلت هذه الآية : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ : « هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ».

4 - الخوارزمي:

أخرج في مناقبه [ص 111 تحت رقم 120 ط . جامعة المدرسين - قم] عن جابر قال : كنّا عند النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل عليّ بن أبي طالب، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال : والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة »، ثم قال : « إنه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله تعالى، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية » قال : نزلت فيه : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ).

5 - ابن الصبّاغ المالكي:

قال ابن الصبّاغ في الفصول المهمة [ص 117 ط . دار الأضواء - بيروت] عن ابن عباس، قال : لما نزلت هذه الآية، قال النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ : « أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين ».

6 - ابن حجر الهيتمي:

قال في كتابه الصواعق المحرقة [ص 96 ط . الميمنية - مصر . و ص 246 ط . دار الكتب العلمية - بيروت] في الآية الحادية عشرة، وذلك قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) : أخرج الحافظ جمال الدّين الزّرندي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن هذه الآية لما نزلت قال (صلى الله

عليه وآله وسلم) لعليّ : « هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين ». قال : ومن عدوي ؟ قال : « من تبرأ منك ولعنك ». ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ومن قال : رحم الله علياً رحمه الله »⁽¹²⁾.

7 - جلال الدين السيوطي:

قال في كتابه الدر المنثور [6 : 379] أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال : كنا عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل عليّ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ». ونزلت : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ) فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أقبل على قالوا : جاء خير البرية. وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ : « أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ». وأخرج ابن مردويه عن عليّ، وذكر حديث يزيد بن شراحيل الذي ذكره الطبرسي كما مرّ لفظه.

8 - الشبلنجي:

قال في كتابه «نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار» [ص 87] : وقد ورد في فضله [يعني علياً] آياتٌ وأحاديث جمّة، فروى منها حديثاً من بين الأحاديث، ما ورد عن ابن عباس، قال : لما نزلت : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ) قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ : « أنت وشيعتك، تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين ».

9 - الصبّان:

قال في كتابه إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار [ص 172 - 173] : وأخرج الطبراني بسند ضعيف، إنّ عليّاً قال : إنّ خليلي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : يا عليّ إنّك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين، وتقدم أعداؤك غضاباً مقمحين، ثمّ جمع عليّ يده إلى عنقه يريهم الإقماح. ثمّ أرفد الشيخ المؤلف الحديث بعبارة العجيبة، وكلماته الغريبة، مفسّراً في معنى الشّيعَة بقوله : « وشيعته هم : أهل السّنة، لأنهم الذين أحبّوه كما أمر الله ورسوله، لا الروافض » فكان الروافض بالنظر إلى هذه العبارة إنّما رفضوا من رفضوا ليس إلا لبغضهم في عليّ، ثمّ قال : وأعداؤه الخوارج ونحوهم من أهل الشام لا معاوية ونحوه من الصحابة، لأنهم متأولون، وغاية الأمر أنهم أخطأوا في اجتهداهم فلم أجروا.

(12) ما بين القوسين غير موجود في الطبعة الميمنية والبيروتية فراجع.

لعلّ هذا القول مقبولٌ عند بسطاء الأمة وجهّالها، الذين يزعمون من هذا الإفتاء أن معاوية ممن وازروا الإمام وناصروه ومن أهل المدينة، لا ممن خرجوا عليه وحاربوه من أهل الشام.
ثمّ اعتذر له الشيخ وأضرابه، بقوله : « لأنهم متأولون. وغاية الأمر أنهم أخطأوا في اجتهداهم فلم أجز » فيا للعجب من هذا الإفتاء ويا ليت شعري، كيف ظنك بمن يقطع ويفتي فيمن يخرج على إمام الحقّ بكلّ حول وطول أنهم كانوا متأولين ومجتهدين؟ ومن يخرج عن طاعة السلف الثلاثة المتقدّمين عليه إنهم كانوا من المعاندين المرتدّين. أنا لا أدري ويا ليت الناس يدرون.

10 - ابن شهر آشوب:

قال في كتابه مناقب آل أبي طالب [3 : 67 ط. دار الأضواء] أخرج ابن مجاهد في التاريخ، والطبري في الولاية، والديلمي في الفردوس، وأحمد بن حنبل في الفضائل، والأعمش عن أبي وائل، وعن عطية عن عائشة، وقيس عن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، قالوا : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « على خير البشر فمن أبى فقد كفر، ومن رضي فقد شكر ».

وعن أبي الزبير وعطية العوفي وجواب قال كل واحد منهم : رأيت جابراً يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم، وهو يروي هذا الخبر، ثمّ يقول : معاشر الأنصار أدّبوا أولادكم على حبّ عليّ، فمن أبى فلينظر في شأن أمّه.

وروى الداري بإسناده عن الأصبغ بن نباته، عن جميع التيمي، كليهما عن عائشة، أنها لما روت هذا الخبر قيل لها : فلم حاربتيه ؟ قالت : ما حاربتيه من ذات نفسي، إلا حملني طلحة والزبير. وفي رواية : أمرّ قدر وقضاء غلب.

وروى أبو وائل، ووکیع، وأبو معاوية، والأعمش، وشريك، ويوسف القطان بأسانيدهم : أنه سئل جابر وحذيفة عن عليّ (عليه السلام) فقالا : علىّ خير البشر، لا يشكّ فيه إلا كافر. وروى عطاء عن عائشة مثله. ورواه سالم بن أبي الجعد عن جابر بأحد عشر طريقاً.

قال أبو الطفيل الكناني :

أشهد بالله وآلئه *** وآل يس وآل الزمر

أن علي بن أبي طالب *** بعد رسول الله خير البشر

لو يسمعوا قول نبيّ الهدى *** من حاد عن حبّ عليّ كفر

وروى أبو بكر الهذلي عن الشعبي : أن رجلاً أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله علّمني شيئاً ينفعني الله به، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « عليك بالمعروف فإنه ينفعك في عاجل دنياك وآخرتك، إذ أقبل عليّ، فقال : يا رسول الله فاطمة تدعوك، قال : نعم، فقال الرجل : من هذا يا رسول الله ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : هذا من الذين قال الله فيهم : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ).

روى ابن عباس، وأبو برزة، وابن شراحيل، والباقر (عليه السلام): قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ مبتدئاً: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) أنت وشيعتك، وميعادكم وميعادكم الحوض، إذا حشر الناس جئت أنت وشيعتك غراً محجّلين».

وروى أبو نعيم في كتابه «ما نزل من القرآن في علي» بالإسناد عن شريك بن عبدالله، عن أبي إسحاق عن الحرث، قال: قال علي (عليه السلام): نحن أهل بيت لا نقاس بالناس. فقام رجل فأتى ابن عباس فأخبره بذلك، فقال - ابن عباس - : صدق عليّ، أو ليس النبي لا يقاس بالناس؟ وقد نزل في عليّ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ).

وروى الأعمش عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، وروى الخطيب عن جابر بن عبدالله: أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «عليّ خير البرية»، وفي رواية جابر: كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أقبل عليّ، قالوا: جاء خير البرية.

قال البيهقي:

ألا اقرأ لم يكن وتأمّلناها *** تجد فيها خسار الناصبيّة

أمير المؤمنين لنا إمام *** له العلياء والرتب السنية

فلم أنكرتم لو قلت يوماً *** بأن المرتضى خير البرية

ستذكر بغضه وقلاه يوماً *** أذاك ردى وحمّ لك المنية

وروى الخطيب في تأريخه عن الأعمش عن عدي عن زرّ عن عبيد الله عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من لم يقل عليّ خير البشر فقد كفر»⁽¹³⁾.

وروى أيضاً في التأريخ بالإسناد عن علقمة عن عبدالله، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «خير رجالكم عليّ بن أبي طالب، وخير شبابكم الحسن والحسين، وخير نسائكم فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)»⁽¹⁴⁾.

(13) تأريخ بغداد 3: 192 ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

(14) المصدر نفسه 4: 391 - 392.

المبحث السابع

في قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) [السجدة : 18].

قال المفسّرون في تفاسيرهم وحملة السنن في كتبهم: أنّ نزول هذه الآية الكريمة في أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) حينما وقع النزاع بينه وبين الوليد بن عقبة، فأظهر الله مصداق قول عليّ (عليه السلام) بها. وممّن ذكر ذلك:

1 - الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [10 : 245] قال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة ابن الفضل، قال: حدّثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت - أي الآية - بالمدينة في عليّ بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان بين الوليد وبين عليّ كلامٌ. فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأردّ منك للكتيبة، فقال علي: «أسكت يا فاسق»، فأنزل الله فيهما: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ - إلى قوله - به تكذبون).

2 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [4 : 255]: أخرج الأصبهاني في كتاب الأغاني والواحي، وابن عدي. وابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر من طرق، عن ابن عباس، قال: قال الوليد بن عقبة لعليّ بن أبي طالب: أنا أحدّ منك سناناً، وأنشط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: أسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) يعني بالمؤمن عليّاً، وبالفاقد الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

3 - النيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن [21 : 72] بهامش تفسير الطبري: يروى أنه شجر بين عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلاماً، فقال له الوليد: أسكت فإنك صبي. فقال له علي: «أسكت فإنك فاسق»، فأنزل الله تعالى فيهما خاصة، وفي أمثالهما من الفريقين عامّة.

4 - ابن كثير:

قال في تفسيره [3 : 470 ط. دار المعرفة - بيروت] : وقد ذكر عطاء بن يسار، والسدي وغيرهما أنها - أي الآية - نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط. وهذا فيه تصحيف لا يخفى.

5 - الموسوي:

قال في التعليقات من مراجعته [ص 47 المراجعة - 12] : نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين والوليد بن عقبة بن أبي معيط بلا نزاع، وهذا هو الذي أخرجه المحدثون، وصرح به المفسرون. أخرج الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في معنى الآية في كتابه «أسباب النزول» بالإسناد إلى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، قال : قال الوليد بن عقبة ابن أبي معيط لعلي : أنا أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي : « أسكت فإنما أنت فاسق »، فنزل : (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) قال : يعني بالمؤمنين علياً، وبالفاقد الوليد بن عقبة.

6 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [4 : 429 ط. مؤسسة التاريخ العربي - بيروت]. قال ابن أبي ليلى : نزل قوله : (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) الآية، في علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورجل من قريش. وقال غيره : نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) والوليد بن عقبة، والمؤمن علي، والفاقد الوليد. وذلك أنه قال لعلي : أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، فقال علي (عليه السلام) : « ليس كما تقول يا فاسق ». قال قتادة : لا والله ما استوا، لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة.

7 - ابن المنير:

وهو الإمام العلامة ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي، قال في كتابه الانتصاف المطبوع مع تفسير الكشاف [3 : 514 الهامش رقم 3 ط. قم] في الشق الأسفل من تفسير الزمخشري : قوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا لَهُمْ النَّارُ) قال : سبب نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة يوم بدر كلاماً، فقال له الوليد : أسكت فإنك صبي، أنا أشب منك شباباً. وأجلد جلدأ. وأذرب لساناً. وأحد منك سناناً، وأشجع جناناً، وأملأ حشواً في الكتيبة، فقال له علي : « أسكت فإنك فاسق ».

8 - الأصفهاني:

قال في كتابه الأغاني [4 : 185] على ما نقله الأميني في غديره [2 : 46] : كان بين عليّ والوليد تنازع وكلام في شيء، فقال الوليد لعليّ : أسكت فإنك صبي وأنا شيخ. والله إني أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتبية، فقال علي : « أسكت فإنك فاسق »، فأنزل الله هذه الآية.

وكذا في تفسير الخازن [3 : 470] وفي أسباب النزول للواحيدي [ص 263] وفي الرياض النضرة للمحبّ الطبري [2 : 206] وفي مناقب الخوارزمي [ص 188] وفي كفاية الطالب للكنجي [ص 55] وفي المستدرك [3 : 130].

قال بعض بني عامر :

عليّ الذي في الفخر طال ثناؤه *** فلا تكثرُوا الدعوى عليه فتفجروا
ببدر خرجتم للبراز فردّكم *** شيوخ قريش حسرةً وتأخّروا
فلما أتاهاهم حمزة وعبيدة *** وجاء عليّ بالمهّد يخطر
فقالوا نعم أكفاء صدق فأقبلوا *** إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال عليّ جولة هاشميّة *** فدمّرهم لما عتوا وتكبروا⁽¹⁵⁾

* * *

(15) ابن شهر آشوب ، المناقب 3: 119 ط. دار الأضواء - بيروت.

المبحثُ الثَّامن

في قوله عزَّوجلَّ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) [مريم : 96].

قال الأعلام من المفسرين والمحدثين في مصنفاتهم وتآليفهم: أنَّ هذه الآية الشريفة نزلت في أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام).
وممن قال بذلك :

1 - النيسابوري:

ذكر في تفسيره غرائب القرآن المطبوع بهامش جامع البيان للطبري [16 : 74] حديثاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعليٍّ : « قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودةً»،
فأنزل الله هذه الآية يعني : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا).

2 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [3 : 354] : أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت في عليٍّ بن أبي طالب: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة في قلوب المؤمنين.

وأخرج ابن مردويه والديلمي عن البراء قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليٍّ : « قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي عندك وداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودةً»، فأنزل الله الآية في عليٍّ.

وأخرج الحكيم الترمذي وابن مردويه عن علي قال : «سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قوله: (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) ما هو؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : المحبة الصادقة في صدور المؤمنين».

3 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [3 : 687 ط . مؤسسة التأريخ العربي بيروت] قيل فيه أقوال أحدها : أنها خاصة في علي بن أبي طالب (عليه السلام) فما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لعلي (عليه السلام) عن ابن عباس.

وفي تفسير أبي حمزة الثمالي، حدّثني أبو جعفر الباقر (عليه السلام) قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) : قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً فقالهما علي (عليه السلام) » فنزلت هذه الآية. وروي نحوه عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

4 - الزمخشري:

قال في تفسيره الكشاف [3 : 47 ط. قم] : روي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (رضي الله عنه) : « يا علي، قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودةً »، فأنزل الله هذه الآية.

5 - ابن شهر آشوب:

قال في كتابه مناقب آل أبي طالب [3 : 93 ط. دار الاضواء - بيروت] : أخرج أبو روق عن الضحّاك، وشعبة عن الحكم عن عكرمة، والأعمش عن سعيد بن جببر، والعزيزي السجستاني في غريب القرآن عن أبي عمرو، كلهم عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدّاً) فقال : أنزل في عليّ، لأنه ما من مسلم إلا ولعليّ في قلبه محبة.

وأخرج أبو نعيم الاصفهاني، وأبو الفضل الشيباني، وابن بطة العكبري، بالإسناد عن محمد بن الحنفية وعن الباقر (عليه السلام) في خبر، قالوا : لا يلقى مؤمناً إلا وفي قلبه ودّ لعليّ بن أبي طالب ولأهل بيته (عليهم السلام).

وعن زيد بن علي : أن عليّاً أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال له رجلٌ : إني أحبّك في الله تعالى ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لعلك يا عليّ اصطنعت إليه معروفاً ؟ » قال : « لا والله ما اصطنعت له معروفاً »، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالموّدة ». فنزلت هذه الآية.

وروى الثعلبي، وزيد بن علي، والأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين، وأبو حمزة الثمالي عن الباقر (عليه السلام)، وعبد الكريم الخراز، وحمزة الزيات عن البراء بن عازب كلهم عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعليّ : « قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً »، فقالهما عليّ وأمن رسول الله، فنزلت هذه الآية.

6 - الأميني:

وهو الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي مؤلف أنفس كتاب وأجمعها لمهمات دينية واجتماعية في عصرنا الحاضر المسمّى بـ «الغدير» وهو كتابٌ دينيٌّ، علمي، فني، تاريخي، أدبي، أخلاقي. وقد قال تغمّده الله برحمته في الكتاب المذكور [2 : 55] عند شرحه

شعر حسّان بن ثابت في أمير المؤمنين (عليه السلام): أخرج أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده عن البراء بن عازب، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلّي : «اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» فأنزل الله هذه الآية.

ثمّ قال : ورواه أبو المظفر سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص [ص 17] وقال : وروى عن ابن عباس : إن هذا الود جعله الله لعلّي في قلوب المؤمنين.

وروى الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد [9 : 125] عن ابن عباس: نزلت في عليّ بن أبي طالب: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**) قال : محبة في قلوب المؤمنين.

وأخرج الخوارزمي في مناقبه [ص 188] حديث ابن عباس وبعده بالإسناد عن عليّ (عليه السلام) أنه قال : لقيني رجلاً فقال : يا أبا الحسن، والله إني أحبّك في الله، فرجعت إلى رسول الله فأخبرته بقول الرجل، فقال : «لعلّك يا عليّ اصطنعت إليه معروفاً»، قال : فقلت : والله ما اصطنعت إليه معروفاً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودّة »، فنزل قوله : (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**).

7 - الصبّان:

قال في كتابه «إسعاف الرّاغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطّاهرين» [ص 118] المطبوع بهامش نور الابصار : أخرج السلفي عن محمّد بن الحنفية في قوله عز وجل : (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**) أنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا يبقى مؤمنٌ إلّا وفي قلبه ودّ لعلّي وأهل بيته ».

المبحث التاسع

في قوله تعالى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [الرَّعْدُ : 7].

ذكر المفسّرون في تفاسيرهم: أنّ المراد بالهادي في هذه الآية الكريمة من قوله عزوجلّ: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) هو أمير المؤمنين علي(عليه السلام) واستدلّوا في ذلك بحديث أورده عن ابن عباس وغيره. غير أنّ البعض منهم بنوا في استدلالهم بالحديث بلفظ مبني للمجهول، كقوله : «وقيل، أو روي» على أنّ الحديث روي من طريق واضح مسنداً، ولعلّ النابه الفطن يسعه أن يبلغ بنور فطنته إلى ما في وراء ذلك البناء.

وممّن ذكر ذلك في مصنفاتهم :

1 - الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [7 : 343 - 344] بعد أن ذكر أقوالاً : وقال آخرون : هو علي بن أبي طالب(رضي الله عنه). حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدّثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، حدّثنا معاذ بن مسلم، بيّاع الهروي⁽¹⁾، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جببر، عن ابن عباس قال : لمّا نزلت : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)وضع(صلى الله عليه وآله وسلم) يده على صدره، فقال : «أنا المنذر، (ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ). وأوماً بيده إلى منكب عليّ فقال : أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي».

2 - النيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن المطبوع بهامش جامع البيان [13 : 68] : وقيل: المنذر النبيّ، والهادي هو عليّ. وروى عن ابن عباس أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وضع يده على صدره، فقال : « أنا المنذر، وأوماً إلى منكب عليّ، فقال : وأنت الهادي، يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي ».

3 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» عند قوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ): فيه أقوال. ثم ذكر الأقوال إلى القول الرابع، فقال فيه : إن المراد بالهادي كلّ داع إلى الحقّ، وفي رواية أخرى : عن ابن عباس قال : لمّا نزلت الآية قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): « أنا المنذر وعليّ الهادي من بعدي، يا عليّ بك يهتدي المهتدون».

(1) ذكره السيد الخوئي في معجمه [18: 188 ط. ايران] تحت اسم معاذ بن مسلم الهراء (معاذ بيّاع الاكسية).

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل [1 : 301 - 302] بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن حكم بن جبير، عن أبي بردة الأسلمي، قال : دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالطهور وعنده علي بن أبي طالب، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي بعد ما تطهر فألزمها ب صدره، ثم قال : (إنما انت منذر) ثم ردها إلى صدر علي، ثم قال : (ولكل قوم هاد) ثم قال : « إنك منارة الأنام، وغاية الهدى، وأمير القرى، وأشهد على ذلك إنك كذلك »⁽²⁾.

4 - ابن كثير:

قال في تفسيره [2 : 520 ط. دار المعرفة] بعد أن أورد عدة أقوال في معنى الآية : وقال أبو جعفر بن جرير: حدّثني أحمد بن يحيى الصوفي، حدّثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، حدّثنا معاذ بن مسلم بباع الهروي عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : لما نزلت: (إنما أنت منذرٌ ولكل قوم هاد) وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده على صدره، وقال : « أنا المنذر، ولكل قوم هاد »، وأوماً بيده إلى منكب عليّ فقال : « وأنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي ».

قال ابن كثير : هذا الحديث فيه نكارة شديدة.

أقول : ليس من الغريب طعن ابن كثير في مثل هذا الحديث عند البصير الناقد، العارف بشخصيته وتعصبه على بعض الأحاديث، على أننا لم نجد أية غمضة من المحدثين في الحديث المذكور إلا منه. ثم قال : قال ابن أبي حاتم: حدّثنا علي بن الحسين، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا المطلب بن زياد عن السدي، عن عبد خير، عن علي، (ولكل قوم هاد): رجلٌ من بني هاشم، قال الجنيد : هو علي بن أبي طالب.

5 - الحاكم النيسابوري:

قال في كتابه المستدرک [3 : 129 - 130 ط. دار الكتب - لبنان]: أخبرنا أبو عمرو عثمان ابن أحمد بن السمّاك، حدّثنا عبد الرحمن بن محمّد بن منصور الحارثي، حدّثنا حسين ابن حسن الأشقر، حدّثنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن علي، (إنما أنت منذرٌ ولكل قوم هاد) قال علي : « رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المنذر، وأنا الهادي » حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

تتمة :

(2) راجع: الطبرسي، مجمع البيان 5 - 6 : 278 تجد بعض الاختلاف اليسير في نقل الرواية عن الحسكاني، وسوف تمرّ عليك بعد صفحات عن الحاكم الحسكاني، فلاحظ.

قال الذهبي في تلخيصه: بل كذب قبح الله واضعه.

ولعلّ العلة في ذلك لمكان الحسين بن حسن الأشقر، فإنه شيعي، فإن صحّ بأن العلة في ذلك منه، فلا أحسب أن الأمر يبلغ إلى حد ما قاله⁽³⁾، لأن ابن حيان قد ذكره في الثقات، كما ذكره الحبيب علوي بن طاهر الحداد في كتابه القول الفصل [2 : 484 ط. جاوا] وقال الإمام أحمد : لم يكن عندي ممّن كذب، وقد سئل عنه ابن معين : هل هو صدوق ؟ قال : نعم، كتبت عنه. والله أعلم.

6 - الثعلبي:

قال كما في تعليقات الموسوي من مراجعته [ص 40 من المراجعة - 12 -] : قال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده على صدره وقال : «أنا المنذر، وعليّ الهادي، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون».

وعن محمد بن مسلم، قال : سألت أبا عبد الله «جعفر الصادق (عليه السلام)» عن هذه الآية، فقال : «كل إمام هاد في زمانه»، وقال الإمام أبو جعفر الباقر في تفسيرها : المنذر رسول الله، والهادي عليّ، ثم قال : والله ما زالت فينا إلى الساعة.

7 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [3 : 70 ط. عالم الكتب - بيروت] بعد ما أتى بأقوال : أخرج ابن جرير، وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة والديلمي، وابن عساكر، وابن النجار عن ابن عباس، قال : لما نزلت : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده على صدره، فقال : «أنا المنذر» وأوماً بيده إلى منكب عليّ، فقال : «أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي، قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فذكر نحوه.

وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس مرفوعاً نحوه أيضاً.

وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، وابن عساكر عن علي بن أبي طالب في الآية نحوه أيضاً.

8 - ابن شهر آشوب:

قال في مناقبه [3 : 83 ط. دار الأضواء] : صنف أحمد بن محمد بن سعيد كتاباً في قوله تعالى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : نزلت في أمير المؤمنين (عليه السلام).

(3) تعليل المؤلف في غير محله وذلك لأن الذهبي قد وثقه فراجع المصدر المذكور المطبوع بهامش المستدرك.

وقال ابن عباس والضحاك، والزجاج : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) رسول الله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) علي أمير المؤمنين.

وعن عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر (عليه السلام): «قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنا المنذر وعلي الهادي».

وعن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: «أنا المنذر، وأنت الهادي لكل قوم». وروى الحافظ أبو نعيم [1: 64] بثلاثة طرق عن حذيفة بن اليمان، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن تستخلفوا علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً، يحملكم على المحبة البيضاء».

وعنه أيضاً في كتابه «ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين (عليه السلام)» بالإسناد عن عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جببر، عن ابن عباس. وعن شيرويه في الفردوس، عن ابن عباس، واللفظ لأبي نعيم، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - لما نزلت هذه الآية، ووضع رسول الله يده على صدره - : «أنا المنذر»، وأوماً بيده إلى منكب علي بن أبي طالب، فقال : «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

9 - الحاكم الحسكاني:

قال في كتابه شواهد التنزيل [1: 301 - 302 ط. بيروت] : قال أبو فروة السلمي: دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالطهور وعنده علي بن أبي طالب، فأخذ رسول الله بيد علي - بعدما تطهر - فألزمها ب صدره، ثم قال: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) ثم ردها الى صدر علي، ثم قال: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) ثم قال: إنك منارة الأنام وغاية الهدى وأمير القراء [كذا]، أشهد على ذلك أنك كذلك.

10 - الشبلي:

قال في كتابه نور الأبصار [ص: 87] بعد ذكر عدة آيات نازلة في أمير المؤمنين علي (عليه السلام): عن ابن عباس (رضي الله عنه)، قال : لما نزل قوله تعالى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أنا المنذر، وعلي الهادي، بك يا علي يهتدي المهتدون».

المبحثُ العاشر

في قوله عزّوجلّ : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) [هود : 17].

للعلماء في معنى قوله : (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) أقوال مختلفة، منهم من يقول بأن الشّاهد : لسانه(صلى الله عليه وآله وسلم). ومنهم من يقول : هو القرآن. ومنهم من يقول : الشّاهد هو الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)بنفسه، ومنهم من يقول : هو جبرئيل، وقال آخرون : هو علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وإليك من قال بذلك:

1 - الطّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [7 : 17] : حدّثني محمّد بن عمارة الأسدي، حدّثنا رزيق بن مرزوق، قال حدّثنا صباح الفراء، عن جابر، عن عبد الله بن نجّي، قال : قال عليّ(رضي الله عنه) : « ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان »، فقال له رجلٌ : فأنت أيّ شيء نزل فيك ؟ فقال عليّ : « أما تقرأ الآية التي في هود : (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) ».

2 - النّيسابوري:

قال في تفسيره المطبوع بهامش جامع البيان [12 : 15] : وقيل : أفمن كان: محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، والبيّنة : القرآن. ويتلوه شاهدٌ : يقرأه شاهدٌ، هو : جبرئيل. نزل بأمر الله وقرأ القرآن على محمّد(صلى الله عليه وآله). أو شاهدٌ من محمّد(صلى الله عليه وآله) هو : لسانه. أو شاهدٌ هو : بعض محمّد(صلى الله عليه وآله). يعني : علي بن أبي طالب(رضي الله عنه).

3 - ابن كثير:

وقد ذكر هو ذلك أيضاً كغيره من المفسّرين في تفسيره [2 : 456] غير أنه كما قد علمت من قبل، وإليك لفظه : قيل: هو عليّ وهو ضعيف لا يثبت له قائل. والأوّل والثاني هو الحق.

4 - الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [2 : 489] : أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة، عن علي بن أبي طالب، قال : « ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن »، فقال له رجل : ما نزل فيك ؟ قال : « أما تقرأ سورة هود : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) ؟ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على بيينة من ربّه، وأنا شاهدٌ منه ».

وأخرج ابن عساكر وابن مردويه من وجه آخر عنه، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) أنا ويتلوه شاهد منه عليّ.

5 - ابن شهر آشوب :

قال في مناقبه [3 : 85 ط . دار الأضواء] : أخرج الطبري بإسناده عن جابر بن عبد الله، عن علي (عليه السلام)، وروى الأصبغ، وزين العابدين، والباقر، والصادق، والرضا (عليهم السلام)، أنه قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) . أنا .

وروى الحافظ أبو نعيم بثلاثة طرق، عن عباد بن عبد الله الأسدي في خبر، قال : سمعت علياً يقول : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على بيينة من ربّه، وأنا الشاهد . ذكره النطنزي في « الخصائص العلوية » .

وعن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) ، قال : هو رسول الله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : عليّ بن أبي طالب، كان والله لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وفي كتاب « فصيح الخطيب » أنه سأله ابن الكواء، فقال : وما أنزل فيك ؟ قال (عليه السلام) : قوله : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) . وقد روى زاذان نحواً من ذلك .

وعن الثعلبي عن الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) الشاهد : عليّ .

وقد رواه القاضي أبو عمر، وعثمان بن أحمد، وأبو نصر القشيري في كتابيهما، والفلكي المفسر، عن مجاهد، وعن عبد الله بن شداد .

وفي تفسير الثعلبي عن حبيب بن يسار، عن زاذان، وعن جابر بن عبد الله كليهما عن علي (عليه السلام) قال : « في قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) فرسول الله على بيينة من ربه ويتلوه، وأنا شاهدٌ منه » .

وفي الحساب : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) وزنه : رسول الله سيد الأنبياء أحمد الأمين . جملة حروف كل واحد منهما سبعمائة وستة عشر . وتام الآية (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) وزنه : علي بن أبي طالب شاهدٌ برّ زكيّ وفيّ، وعدد حروف كلّ واحد منهما : ثلاثمائة واثنان وستون .

قال ابن حمّاد :

ذا على التّبيان يتلوه منه *** شاهدٌ ناب عنه كل مناب

ذا نذيرٌ وذاك هاد فهل *** يجحد ذا غير جاهل مرتاب

6 - الأميني:

أورد في غديره [1 : 207] احتجاج قيس بن سعد على معاوية بن أبي سفيان بحديث الغدير بما يعرب عما نحن بصددده. قال :

قدم معاوية بن أبي سفيان حاجاً إلى المدينة في أيام خلافته سنة بعدما توفي الإمام الحسن السبط (عليه السلام) فاستقبله أهل المدينة، فجرى بينه وبين قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي الصحابي الكبير حديثٌ. وفيه بعد قول قيس : ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حق مع عليٍّ وولده من بعده. ما نصّه :

فغضب معاوية وقال : يابن سعد؟ ممّن أخذت هذا ؟ وعمّن رويته ؟ وعمّن سمعته ؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته ؟ فقال قيسٌ : سمعته وأخذته ممن هو خيرٌ من أبي و أعظم حقاً من أبي. قال : من ؟ قال : عليّ بن أبي طالب. عالم هذه الأمة وصديقها الذي أنزل الله فيه: (قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) [الرعد : 43] فلم يدع آية نزلت في علي (عليه السلام) إلا ذكرها. قال معاوية : فإن صديقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والذي عنده علمُ الكتاب عبدالله بن سلام.

قال قيسٌ : أحق هذه الأسماء وأولى بها الذي أنزل الله فيه: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) والذي نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بغدير خمّ، فقال : « من كنت مولاه أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه »، وفي غزوة تبوك : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي »⁽⁴⁾.

* * *

(4) أورد الأميني النص المطوّل في غديره 2: 106 - 108 فراجع.

المبحث الحادي عشر

في قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [طه: 82].

اختلفت أقوال أهل التأويل في معنى قوله تعالى: (ثُمَّ اهْتَدَى) وأوردوا فيه أحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطرق شتى، وأخرج بعضهم من بينها ما ورد عن أبي جعفر الباقر (عليهما السلام) وممن ذكر ذلك:

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [4: 35 ط. مؤسسة التاريخ العربي - بيروت]: وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): (ثُمَّ اهْتَدَى) إلى ولايتنا أهل البيت (عليهم السلام). فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام، ثم مات ولم يجئ بولايتنا إلا أكبه الله في النار على وجهه». ورواه الحاكم الحسكاني بإسناده⁽⁵⁾، وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق.

2 - الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [8: 442 ط. دار الكتب العلمية - بيروت] بعد ما ذكر أقوالاً: وقال آخرون بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاکر، قال: سمعت ثابت البناني يقول في قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) قال: إلى ولاية أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

3 - ابن حجر الهيتمي:

قال في الفصل الأول في الباب الحادي عشر من كتابه الصواعق⁽⁶⁾: الآية الثامنة: قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) إلى أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم). وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أيضاً.

وروى فيه أحاديث في نجاة من اهتدى إلى ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، وأشار بما نقله عن الباقر (عليه السلام) وذلك: أنه قال الباقر (عليه السلام) للحارث بن يحيى: يا حارث، ألا ترى كيف اشترط الله

(5) راجع: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل 1: 275 - 376.

(6) راجع: ابن حجر، الصواعق المحرقة ص: 91 ط. الميمنية.

ولم ينفع انساناً التوبة، ولا الإيمان، ولا العمل الصالح، حتى يهتدي إلى ولايتنا؟ ثم روى فيه حديثاً عن الباقر (عليه السلام) مسنداً عن جدّه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنّه قال : « واللّه لو تاب رجلٌ وآمن وعمل صالحاً ولم يهتد إلى ولايتنا ومعرفة حقّنا ما أغنى ذلك عنه شيئاً »⁽⁷⁾.

وأخرج نحوه أبو نعيم الحافظ عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه عن علي (عليه السلام). وأخرج الحاكم على ما في تعليقات الموسوي من مراجعته [ص: 41 من المراجعة - 12] عن الباقر والصّادق (عليهما السلام) وثابت البناني، وأنس بن مالك.

* * *

(7) هذا تعليق السيد شرف الدين في مراجعته على ما ذكره ابن حجر في صواعقه. راجع: المراجعات؛ المراجعة 12، ص 41 ط. المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام).

المبحث الثاني عشر

في قوله تعالى: (فاسألوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 43 والأنبياء: 7].

إن من بين الأقوال التي ذكرها المفسرون في تفاسيرهم في معنى (أهل الذكر) هم : أهل البيت، وكما أن معنى الذكر في قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) هو القرآن، فقد استنبط بعضهم منها في معنى الذكر الذي في هذه الآية ، فأهل الذكر إذن عنده هم أهل القرآن. وليس من المتبادر إلى العقل في معنى أهل القرآن سوى عدله اللذين لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهل هؤلاء إلا أهل بيت النبوة، بشاهد حديث الثقلين؟ والله أعلم. وممن ذكر ذلك في تفاسيرهم :

1 - الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [7 : 587] - بعد أن ذكر أقوالاً - : وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام): (فاسألوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال : نحن أهل الذكر. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد في قوله : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) قال: الذكر القرآن وقرأ: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقرأ : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ).

2 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [3 : 468 ط . مؤسسة التأريخ العربي - بيروت]: فيه أقوال، ثم ذكره في القول الثالث. وإليك لفظه : وثالثها : أن المراد بهم : أهل القرآن، لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد. ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال : نحن أهل الذكر، وقد سمى الله رسوله ذكراً في قوله: (ذكراً رسولاً) [الطلاق: 10] على أحد الوجهين.

3 - الثعلبي:

قال في تفسيره الكشف والبيان على ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقبه [3 : 98 ط. دار الأضواء] : قال علي في قوله تعالى : (فاسألوا أَهْلَ الذِّكْرِ) : نحن أهل الذكر. وأورد ما أخرجه أبو العباس الفلكي في

الإبانة: أنه قال علي : ألا إن الذكر رسول الله ونحن أهله، ونحن الراسخون في العلم، ونحن منار الهدى، وأعلام التقى، ولنا ضربت الأمثال.

4 - الشيرازي:

كما ذكره نور الله الحسيني في كتابه إحقاق الحق وإزهاق الباطل [9 : 125] قال في كتابه المستخرج من التفسير الاثني عشر كما في كفاية الخصام [ص 338 ط. طهران] في قوله تعالى: (فاسألوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ): أي : فاسألوا أهل البيت، والله ما سمّي المؤمن مومنًا إلا بسبب حبّ علي بن أبي طالب.

5 - ابن كثير:

لا يخلو تفسير ابن كثير من هذا القول مهما قال فيه ما قال كعادته. قال في تفسيره منكرًا : وكذا روي عن مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر : أهل الكتاب. وقاله مجاهد والأعمش. وقول عبد الرحمن بن زيد، الذكر : القرآن، واستشهد بقوله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) صحيح لكن ليس هو المراد ههنا، إلى ان قال: وكذا قول أبي جعفر الباقر(عليه السلام) : « نحن أهل الذِّكر »، ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر صحيح، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة، وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء، إذا كانوا على السنة المستقيمة، كعلي وابن عباس وابني عليّ الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية، وعلي بن الحسين زين العابدين، وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر، وهو محمد بن علي بن الحسين، وجعفر وابنه، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممّن هو متمسك بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم، إلى أن قال أخيراً: والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت بأن الرسل الماضين قبل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا بشرًا كما هو بشر⁽⁸⁾.

6 - شرف الدين الموسوي:

قال في تعليقاته من كتابه المراجعات [ص 40 من المراجعة - 12 -] : أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير عن جابر، قال : لما نزلت هذه الآية قال عليّ : نحن أهل الذكر، وهذا هو المأثور عن سائر أئمة الهدى، وقد أخرج العلامة البحراني في الباب الخامس والثلاثين نيفاً وعشرين حديثاً صحيحاً في هذا المضمون⁽⁹⁾.

* * *

(8) راجع ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 2: 591 - 592.

(9) راجع: البحراني ، غاية المرام ص: 241 من الباب المذكور اعلاه.

المبحث الثالث عشر

في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة : 119].

كثرت الأقوال في تفسير (كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) منهم من قال: إن معناه : كونوا مع أبي بكر وعمر وأصحابهما، وهو قول سعيد بن جبیر، ومنهم من قال: إن معناه : كونوا مع الثلاثة المخلفين، وهو قول نافع، ومنهم من قال: إن معناه : كونوا مع علي بن أبي طالب، وهو قول ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وإليك من ذكر ذلك في كتبهم :

1 - الشَّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [2: 414] - بعد ما ذكر القولين - : وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس، قال: مع علي بن أبي طالب، يعني في قوله عزَّوجلَّ: (وكونوا مع الصادقين).

2 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [3: 104 ط . مؤسسة التأريخ العربي - بيروت]: وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه، وهو قوله تعالى: (رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) [الاحزاب : 23] منهم من قضى نحبه يعني : حمزة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب، ومنهم من ينتظر يعني : علي بن أبي طالب.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال : كونوا مع الصادقين مع علي وأصحابه. وروى جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم ذكر أقوالاً غير ذلك.

3 - ابن شهر آشوب:

أورد في كتابه مناقب آل أبي طالب [3 : 92 ط . دار الأضواء] : ما أخرجه الكلبي وأبو صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) أي كونوا مع علي بن أبي طالب (عليه السلام). ثم قال : وذكره الثعلبي في تفسيره عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، وعن الكلبي

عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكره إبراهيم الثقفي عن ابن عباس، والسدي، وجعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام).

وعن تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان: حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله)، أمر الله الصحابة أن يخافوا الله، ثم قال: (وكونوا مع الصادقين) يعني مع محمد وأهل بيته.

قال أبو الورد: عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (من المؤمنين رجال صدقوا)، قال: علي حمزة وجعفر (فمنهم من قضى نحبه) قال: عهده، وهو: حمزة وجعفر يعني الطيار (ومنهم من ينتظر)، قال: علي بن أبي طالب.

وقال المتكلمون: ومن الدلالة على إمامة علي (عليه السلام) قوله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فوجدنا علياً بهذه الصفة، لقوله تعالى: (والصّابرين في البأساء والضراء وحين البأس) يعني: الحرب (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فوقع الإجماع بأن علياً أولى بالإمامة من غيره؛ لأنه لم يفر من زحف قط، كما فرّ غيره في غير مواضع.

4 - شرف الدين الموسوي:

قال في التعليقات من مراجعته [ص 39 من المراجعة - 12 -]: على قوله تعالى: (وكونوا مع الصادقين) الصادقون هنا: رسول الله والأئمة من عترته الطاهرة بحكم صاحبنا المتواترة، وهو الذي أخرجه الحافظ أبو نعيم، وموفق بن أحمد، ونقله ابن حجر في تفسير الآية الخامسة من الباب الحادي عشر من صواعقه [ص 90] عن الإمام زين العابدين (عليه السلام).

وذلك كما ذكره في مراجعته السادسة [ص 23] وإليك لفظه: وكان الإمام أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين، وسيّد الساجدين (عليه السلام)، إذا تلا قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) يدعو الله عز وجل دعاءً طويلاً، ويشتمل على طلب اللّٰه بدرجة الصادقين والدرجات العلية، ويتضمّن وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقة لأئمة الدين والشجرة النبوية.

ثم يقول: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن، فتأولوا بأرائهم، واتهموا مآثور الخبر فينا.

إلى أن قال: فإلى من يفرع خلف هذه الأمة؟ وقد درست أعلام هذه الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة وتأويل الحكم؟ إلا أعدال الكتاب وأبناء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، الذين احتجّ الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجّة، هل تعرفونهم أو

تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، وبرأهم من الآفات، وافترض مودتهم في الكتاب⁽¹⁰⁾.

5 - الأميني:

قال في غديره [2 : 305] عند شرحه شعر العبد في قوله :

الصادقون الناطقون *** السابقون إلى الرغائب

قال : (الصادقون) : إشارة إلى ما روي في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ) من طريق الحافظ أبي نعيم، وابن مردويه، وابن عساكر، وآخرين كثيرين، عن جابر و ابن عباس، أي : كونوا مع علي بن أبي طالب (عليه السلام). ورواه الكنجي في الكفاية [ص 111] والحافظ السيوطي في الدر المنثور [3 : 290].

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته [ص 10] : قال علماء السير [يعني في قوله تعالى:

(كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)]⁽¹¹⁾ معناه : كونوا مع علي وأهل بيته (عليهم السلام)، قال ابن عباس : عليّ سيد الصادقين.

* * *

(10) ما نقله السيد شرف الدين في مراجعته فيه اختلاف يسير ببعض الألفاظ عما هو في الصواعق المحرقة.

(11) ما بين القوسين من كلام المؤلف وليس من كلام صاحب الغدير.

المبحث الرابع عشر

في قوله عزّوجلّ: (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أولئك المقربُونَ) [الواقعة: 10 - 11].

تضاربت أقوال أهل التأويل في تفسير قوله: (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) ومن الذين يراود بهم. ومن بين تلك الأقوال المختلفة، قول من قالوا بأن المراد بهم ثلاثة نفر منهم أبو الأظهار عليّ (عليه السلام)، وكان أفضلهم، واستدلوا فيما قالوه بما ورد عن المشرّع الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). وإليك من قال بذلك في تفاسيرهم ومسانيدهم، فمنهم :

1 - الشَّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [5 : 151] : أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس (رضي الله عنه) في قوله: (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) قال : يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وأخرج ابن مردويه أيضاً في الآية قال (رضي الله عنه) : نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب النجّار الذي [ذكر] في يس. وعلي بن أبي طالب، وكلّ رجل منهم سابق أمته، وعليّ أفضلهم سبقاً.

2 - الطبرسي:

أخرج في تفسيره مجمع البيان [5 : 273 ط . مؤسسة التأريخ العربي - بيروت] : حديث أبي جعفر بعد أن أورد عدّة أقوال وذلك قوله : (السابقون) أربعة: ابن آدم المقتول، وسابق في أمّة موسى (عليه السلام) وهو مؤمن آل فرعون. وسابق في أمّة عيسى (عليه السلام) وهو حبیب النجّار، والسابق في أمّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليّ بن أبي طالب.

3 - ابن كثير:

قال في تفسيره [4 : 304] - بعد أن أتى بأقوال - : قال ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس (رضي الله عنه): (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) قال : يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعليّ بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبدالله بن إسماعيل المدائني البزار، عن سفيان ابن الضحاك المدائني، عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجیح به.

4 - شرف الدين الموسوي:

قال في التعليقات من مراجعته [ص 45 من المراجعة - 12] : أخرج الديلمي كما في الحديث التاسع والعشرين من الفصل الثاني من الباب التاسع من الصواعق لابن حجر عن عائشة، والطبراني، وابن مردويه، عن ابن عباس أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : السبق ثلاثة : فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب. وأخرجه الموفق بن أحمد، والفقيه ابن المغازلي بالإسناد إلى ابن عباس.

5 - الأميني:

قال في كتابه الغدير [2 : 306] عند شرحه شعر العبد في قوله :
الصادقون الناطقون *** السابقون إلى الرغائب
قال : قوله: «السابقون إلى الرغائب» إشارة إلى قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)، وأنها نزلت في علي (عليه السلام)، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس : أنها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار الذي ذكر في يس، وعلي ابن أبي طالب، وكل رجل منهم سابق أمته، وعلي أفضلهم.
وفي لفظ ابن أبي حاتم : يوشع بن نون بدل حزقيل. وأخرج الديلمي عن عائشة، والطبراني، وابن الضحاك، والثعلبي، وابن مردويه، وابن المغازلي عن ابن عباس، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : سبق - وفي لفظ السابق - ثلاثة : السابق إلى موسى يوشع بن نون، وصاحب ياسين إلى عيسى، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب. وزاد الثعالبي⁽¹²⁾ في لفظه : فهم الصديقون، وعلي أفضلهم. ورواه محب الدين الطبري في رياضته [1 : 157]. والهيتمي في مجمع الزوائد [9 : 102].

6 - الكنجي الشافعي:

وهو الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، المتوفى سنة (658) صاحب «كفاية الطالب» قال الأميني في الغدير [1 : 120] : والكتاب يعرب عن تقدّم مؤلفه في الحديث وعن علمه الجم، وفضله الكثار، وكثرة اعتنائه بشأن الحديث وفنونه، ينقل عنه ابن الصبّاغ المالكي في فصوله المهمة معبراً عن المؤلف بالإمام الحافظ.
أورد في كتابه المذكور كفاية الطالب [ص 46] كما في الغدير [2 : 306] بلفظ : سباق الأمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين : علي بن أبي طالب، وصاحب ياسين، ومؤمن آل فرعون، فهم الصديقون حبيب

(12) هكذا في الاصل، والظاهر أنه الثعلبي.

النجار مؤمن آل ياسين، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم، ثم قال : هذا سندٌ اعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به.

ورواه باللفظ الأول الحافظ السيوطي في الدرّ المنثور [6 : 154] وابن حجر في الصواعق [ص 74] وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص [ص 11].

* * *

المبحث الخامس عشر

في قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) [الحج : 19].

إنّ مما ذكر أهل التأويل والمفسّرون بأن الآية نزلت في علي وعمّه حمزة وابن عمّه عبيدة يوم بدر، حين بارزوا الثلاثة من زعماء المشركين وصناديدهم، وهم : عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبه، وولده الوليد، فهؤلاء المعنّيون في قوله : (الَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ) الآية، وممن ذكر ذلك :

1 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [3 : 443] : وقيل المراد بالخصمين هم الذين برزوا يوم بدر، فمن المؤمنين : حمزة وعلي وعبيدة. ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وقد كان أبوذر (رضي الله عنه) يقسم أن هذه الآية نزلت في هؤلاء المتبارزين. كما ثبت عنه في الصحيح. وقال بمثل هذا جماعة من الصّحابة، وهم أعرف من غيرهم في أسباب النزول، وقد ثبت في الصحيح أيضاً عن عليّ أنّه قال : فينا نزلت هذه الآية. وقال أخيراً : ثمّ فصلّ سبحانه ما أجمله في قوله : (يفصل بينهم) [الحج : 17]، فقال : (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ).

2 - الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [9 : 123] : حدّثني يعقوب، قال : حدّثنا هشيم، قال : أخبرنا أبو هاشم عن أبي مجلن، عن قيس بن سعد بن عبادة، قال : سمعت أبا ذرّ يقسم قسمًا أن هذه الآية : (هَذَانِ خَصْمَانِ

اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) نزلت في الذين بارزوا يوم بدر : حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة.

قال : وقال عليّ (عليه السلام) : « إني لأول - أو من أول - من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى ».

وقال : حدّثنا علي بن سهل، قال : حدّثنا مؤمل ، قال : حدّثنا سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلن، عن قيس بن عباد، قال : سمعت أبا ذر يقسم بالله قسماً لنزلت هذه الآية في ستة من قريش : حمزة بن عبدالمطلب، وعليّ بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث (رضي الله عنه)، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة (هَذَانِ خَصْمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) إلى آخر الآية. (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إلى آخر الآية.

وقال : حدّثنا ابن بشار، قال : حدّثنا عبد الرحمن، قال : حدّثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن أبي مجلن، عن قيس بن عباد، قال : سمعت أبا ذر يقسم. ثم ذكر نحوه.

وقال : حدّثنا ابن بشار، قال : حدّثنا محمد بن محبوب، قال : حدّثنا سفيان عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف، قال : نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر (هَذَانِ خَصْمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ).
قال : حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال : نزلت هؤلاء الآيات : (هَذَانِ خَصْمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) في الذين تبارزوا يوم بدر : حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث، وعتبة ابن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة إلى قوله : (وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ).

3 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [4 : 105] - في سبب النزول - : قيل: نزلت الآية (هَذَانِ خَصْمَانِ اِخْتَصَمُوا) في ستة نفر من المؤمنين والكفار، تبارزوا يوم بدر، وهم : حمزة بن عبدالمطلب قتل عتبة بن ربيعة، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) قتل الوليد بن عتبة، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب قتل شيبة بن ربيعة.

عن أبي ذرّ الغفاري وعطاء : وكان أبو ذرّ يقسم بالله تعالى أنها نزلت فيهم. ورواه البخاري في الصحيح⁽¹³⁾.

4 - ابن شهر آشوب:

(13) راجع: صحيح البخاري 5: 7 ط. دار الفكر - بيروت، كتاب المغازي من الباب 8.

قال في مناقبه [3 : 118 ط . دار الأضواء]: عن الصحيحين أنه نزل قوله تعالى: (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا) في ستة نفر من المؤمنين والكفار، تبارزوا يوم بدر، وهم: حمزة، وعبيدة، وعليّ، والوليد، وعتبة، وشيبة.

وقال البخاري : وكان أبو ذرّ يقسم بالله أنها نزلت فيهم. وبه قال عطاء، وابن خثيم، وقيس بن عباد، وسفيان الثوري، والأعمش، وسعيد بن جبيرة، وابن عباس.

ثم قال : قال ابن عباس : (فالذين كفروا) يعني : عتبة وشيبة والوليد (قطعت لهم ثياباً من نار) الآيات. وأنزل في أمير المؤمنين (عليه السلام) وحمزة وعبيدة : (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ - إلى قوله - صراط الحميد).

وفي أسباب النزول : روى قيس بن سعد بن عباد عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزينا يوم بدر، إلى قوله تعالى: (عَذَابُ الْحَرِيقِ).

قال ابن شهر آشوب وصاحب الأغاني ومحمد بن إسحاق : كان صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). ولما التقى الجمعان تقدّم عتبة وشيبة والوليد، وقالوا : يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قریش. فتناولت الأنصار لمبارزتهم، فدفعهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر عليّاً وحمزة وعبيدة بالمبارزة، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقّت هامته. وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطّنها فسقطا جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيف حتّى انتلما، وحمل عليّ على الوليد فضربه على حبل عاتقه. وخرج السيف من ابطنه.

وفي ابانة الفلكي : أنّ الوليد كان إذا رفع ذراعه ستر وجهه من عظمها وغلظها، ثمّ اعتنق حمزة وشيبة. فقال المسلمون : يا عليّ أما ترى هذا الكلب يهرّ عمك؟ فحمل عليّ عليه. ثم قال : يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره. فضربه عليّ فطرح نصفه، ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه.

وفي مجمع البيان للطبرسي: أنه (عليه السلام) قتل سبعة وعشرين مبارزاً. وفي الإرشاد: أنه قتل خمسة وثلاثين، وقال زيد بن وهب : قال أمير المؤمنين : وقتلنا من المشركين سبعين وأسرنا سبعين. وفي رواية محمد بن إسحاق : أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعليّ (عليه السلام).

وفي الفائق للزمخشري: قال سعد بن أبي وقاص : رأيت عليّاً يحمم فرسه وهو يقول :

بازل عامين حديث سنّي *** سنحنح الليل كأني جنّي

لمثل هذا ولدتني أمّي

قال في مراجعته [ص 47 من المراجعة - 12 -] من تعليقاته : وقال الله تعالى فيهم [يعني في أهل بيت النبوة] : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ).

أخرج البخاري في تفسير سورة الحجّ من صحيحه [3 : 6 - 7 ط. دار الفكر - بيروت] بالإسناد إلى عليّ قال : أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال البخاري : قال قيس : وفيهم نزلت : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ). قال : هم الذين تبارزوا يوم بدر : حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

وأخرج في الصفحة المذكورة عن أبي ذر أنه كان يقسم فيها أن هذه الآية : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) نزلت في عليّ وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر.

* * *

المبحث السادس عشر

في قوله تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) [التوبة : 19].

هذه الآية من الآيات النازلة في أمير المؤمنين، الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كما نصّ على ذلك جمع من المفسّرين في تفاسيرهم، وأساطين المحدثين في زبرهم وتآليفهم، وممن قال بذلك:

1 - الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [6 : 337] : حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال أخبرت عن أبي صخر، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبه من بني عبدالدار، وعبّاس بن عبدالمطلب، وعليّ بن أبي طالب، فقال طلحة : أنا صاحب البيت معي مفتاحه، لو أشاء بتّ فيه. وقال عباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها، لو أشاء بتّ في المسجد. وقال عليّ : ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الآية.

وقال : حدّثني محمد بن الحسين، قال: حدّثني أحمد بن الفضل، قال: حدّثنا أسباط، عن السّديّ : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) قال : افتخر عليّ والعباس وشيبه بن عثمان. فقال العباس : أنا أفضلكم، أنا أسقي حجاج بيت الله. وقال شيبه : أنا أعمار مسجد الله، وقال عليّ : أنا هاجرت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأجاهد معه في سبيل الله، فأنزل الله: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - إِلَى - نَعِيمٍ مُّقِيمٍ).

2 - الطبرسي:

قال في سبب النزول من تفسيره مجمع البيان [3 : 22] : قيل إنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، والعباس بن عبدالمطلب، وطلحة بن شيبه، وذلك أنّهم افتخروا، فقال طلحة : أنا صاحب البيت وببيدي مفتاحه، ولو أشاء بتّ فيه، وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها. وقال عليّ : « ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد ».

وعن الحسن والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي : وقيل إن علياً (عليه السلام) قال للعباس : يا عم ألا تهاجر؟ وألا تلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال : أأست في أفضل من الهجرة ؟ أمر المسجد الحرام، وأسقي حاج بيت الله فنزلت: (أجعلتم سقاية الحاج) الآية.

3 - ابن كثير:

قال في تفسيره [2 : 355] : قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة، عن إسماعيل، عن الشعبي، قال : نزلت في عليّ والعباس رضي الله عنهما بما تكلفا في ذلك.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي صخر، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبه من بني عبد الدار، وعباس بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة : أنا صاحب البيت معي مفتاحه، ولو أشاء بتّ فيه. وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتّ في المسجد، فقال عليّ (رضي الله عنه) : ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستّة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله عزّ وجلّ: (أجعلتم سقاية الحاج) الآية.

4 - الحاكم الحسكاني:

عن أبي بريدة⁽¹⁴⁾ عن أبيه قال: بينما شيبه والعباس يتفاخران إذ مرّ بهما علي بن أبي طالب فقال: فيماذا تفاخران؟ فقال العباس: يا عليّ لقد أوتينا من الفضل ما لم يؤت أحد. فقال: وما أوتيت يا عباس؟ قال: أوتيت سقاية الحاج. فقال: ما تقول أنت يا شيبه؟ قال: قد أعطيت عمارة المسجد الحرام فقال لهما عليّ: استحييت لكما يا شيخان فقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا [ه] . فقالا: وما أوتيت يا عليّ؟ قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله [فقام] العباس مغضباً [يجرّ ذيله] حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له النبي: ما وراءك يا عباس؟ فقال: [أما ترى الى ما] استقبلني به هذا؟ قال: ومن ذاك؟ فقال: علي بن أبي طالب. فقال: ادعوا لي عليّاً فدعي فقال له: يا عليّ ما الذي حملك على ما استقبلت به عمّك؟ فقال: يا رسول الله صدمته بالحق أن غلظت له أنفاً فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض إذ نزل جبرئيل فقال: يا محمد إن ربك يقرأك السلام ويقول: أتل عليهم هذه الآية: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله)، فقال العباس: إنّنا رضيّا ثلاث مرات.

لفت نظر

إنّ الحديث الذي أخرجه الإمام الطبري تحت هذه الآية، ونقله عنه المفسّرون وغيرهم من رجال التصانيف لمّا يعارض حديث أسبقّيته (عليه السلام) إلى الإسلام والصلاة، كما أخرجه المؤرّخون من أهل

(14) كذا في النسخة، وقال في تفسير الآية الكريمة من مجمع البيان: وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن ابن بريدة عن أبيه قال: بينما شيبه والعباس يتفاخران .. وهو الظاهر، ورواه عن المجمع في البرهان : 2 / 110، والباب 63 من كتاب غاية المرام ص 363.

الأخبار والسير وحفاظ السنن في تراجمهم و مسانيدهم وتواريخهم، كحديث عفيف الكندي، وحديث صلاته قبل الناس بخمس سنين. وفي رواية بتسع سنين. وفي أخرى وهي في أغلب الروايات بسبع سنين. على أن حديث الطبري السالف ذكره قريباً، أنه(عليه السلام) صلى قبل الناس بسنة أشهر، وهذا خلاف ما ذكره أولئك الأعلام، وما سجلوه في زبرهم وتآليفهم، كمسند الإمام أحمد، ومستدرک الحاكم النيسابوري، وإصابة ابن حجر العسقلاني، واستيعاب ابن عبد البر حافظ المغرب، وخصائص النسائي، ورياض المحب الطبري، وكامل ابن الأثير، وسيرة الحلبي، ومواهب القسطلاني، وشرح ابن أبي الحديد، وتأريخ ابن كثير، وغيرهم من أعيان الحفاظ الأعظم، وقادة السنن الشريفة الأكارم، وكما هو مسجل في مقتطفاتنا من المجلد الأول نقلاً عنهم. والله أعلم بالصواب.

5 - شرف الدين الموسوي:

قال في التعليقات من المراجعة 12 من كتابه المراجعات [ص 48 ط. المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)]: نزلت هذه الآية في عليّ وعمّه العباس وطلحة بن شبيبة، وذلك أنهم افتخروا، فقال طلحة : أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه، وإليّ ثيابه. وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها. وقال عليّ : « ما أدري ما تقولان، لقد صليت سنة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد »، فأُنزل الله تعالى هذه الآية. هذا ما نقله الإمام الواحدي في معنى الآية من كتاب أسباب النزول، عن كلّ من الحسن البصري والشعبي والقرظي، ونقل عن ابن سيرين، ومرة الهمداني: أن عليّاً قال للعبّاس : ألا تهاجر؟ ألا تلحق بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ فقال : أأست في أفضل من الهجرة ؟ أأست أسقي حاج بيت الله ؟ وأعمر المسجد الحرام ؟ فنزلت الآية .

6 - الأمين:

قال في غديره [2 : 53 - 54]: أخرج الطبري في تفسيره [10 : 59] بإسناده عن أنس أنه قال : قعد العبّاس وشبيبة بن عثمان صاحب البيت يفتخران، فقال له العبّاس : أنا أشرف منك، أنا عمّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيّ أبيه، وساقى الحجيج، فقال شبيبة : أنا أشرف منك، أنا أمين الله على بيته وخازنه، أفلا انتمتك كما انتمنني، فهما على ذلك يتشاجران حتّى أشرف عليهما عليّ، فقال له العبّاس : إن شبيبة فاخرنني فزعم أنه أشرف مني، فقال : فما قلت له يا عمّاه ؟ قال : قلت: أنا عمّ رسول الله ووصيّ أبيه وساقى الحجيج، أنا أشرف منك، فقال(عليه السلام) لشبيبة : ما قلت أنت يا شبيبة ؟ قال : قلت : أنا أشرف منك، أنا أمين الله على بيته وخازنه، أفلا انتمتك كما انتمنني، قال : فقال لهما(عليه السلام): « إجعلاني معكما فخراً ». قالوا : نعم. قال : فأنا أشرف منكما، أنا أول من آمن بالوعد من ذكور هذه الأمة وهاجر وجاهد، فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبر كلّ واحد منهم بمفخره، فما أجابهم النبي بشيء

فانصرفوا عنه، فنزل جبرئيل (عليه السلام) بالوحي بعد أيام فيهم، فأرسل النبي إليهم ثلاثتهم حتى أتوه، فقرأ عليهم: (أَجَعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)⁽¹⁵⁾.

وحديث هذه المفارقة ونزول الآية فيها أخرجه كثير من الحفاظ والعلماء مجملًا ومفصلاً منهم: الواحدي في أسباب النزول [ص 182] نقلاً عن الحسن والشعبي والقرظي. والقرطبي في تفسيره [8 : 91] عن السدي، والرّازي في تفسيره [4 : 422] والخازن في تفسيره [2 : 221] قال : وقال الشعبي ومحمد بن كعب القرظي : نزلت في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبدالمطلب، وطلحة بن أبي شيبه إلى آخر الحديث.

ومنهم : أبو البركات النّسفي في تفسيره [2 : 221] والحمّوني في الفرائد في الباب الواحد والأربعين بإسناده عن أنس. وابن الصّبّاغ المالكي في الفصول المهمّة [ص 123] من طريق الواحدي عن الحسن والشعبي والقرظي وجمال الدين محمد بن يوسف. والزرّندي في نظم درر السّمطين، والكنجي الشّافعي في الكفاية [ص 113] من طريق ابن جرير، وابن عساكر عن أنس بلفظه المذكور. وابن كثير الشامي في تفسيره [2 : 341] عن الحافظ عبد الرزّاق بإسناده عن الشعبي، والسيوطي في الدّر المنثور [3 : 218] من طريق ابن مردويه عن ابن عبّاس.

7 - الصّفوري :

روى في كتابه نزّهة المجالس [2 : 242، وفي طبعة أخرى 209] نقلاً عن كتاب شوارد الملح وموارد المنح : أنّ العباس وحمة رضي الله عنهما تفاخرا، فقال حمزة : أنا خير منك لأني على عمارة الكعبة، وقال العباس : أنا خير منك لأني على سقاية الحاجّ، فقالا : نخرج إلى الأبطح ونتحاكم إلى أوّل رجل نلقاه. فوجدا عليّاً (رضي الله عنه)، فتحاكما على يديه، فقال عليّ : « أنا خير منكما، لأنني سبقتكما إلى الإسلام »، فأخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك، فضاق صدره لافتخاره على عمّيه، فأنزل الله تصديقاً لكلام عليّ وبياناً لفضله، « أَجَعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ الْآيَةَ. راجع الغدير [2 : 55].

* * *

(15) الرواية المذكورة في كتاب الغدير لم تكن بعينها كما في تفسير الطبري، ولعلّ المؤلف اعتمد على نسخة أخرى، راجع: تفسير الطبري 6: 337 - 335.

المبحث السابع عشر

في قوله عزّوجل: (سلامٌ على آل ياسين) [الصّافات : 130].

تعدّدت الأقوال في تفسير معنى (آل ياسين) في التفسير، فمنهم من يقول المعنيّ به، هو إلياس النبي، وهي في لغة بني أسد. ولكن القائل بهذا لم يبيّن ما وجه الحكمة في التحوّل إلى لغة بني أسد في هذه الآية دون غيرها، على أن القرآن نزل على لسان قريش، ومنهم من يقول : هو جمع إلياس ويراد بذلك أصحابه، إلى غير ذلك من الأقوال. ومن خلال تلك الأقوال المختلفة قول من قال : المراد بآل ياسين هم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإليك ممّن ذكر ذلك في تفسيرهم :

1 - الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [10 : 524] بعد أن ذكر مختلف الأقوال والقراءات : وقرأ ذلك عامّة قراء المدينة : سلامٌ على آل ياسين، بقطع آل من ياسين، فكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: سلامٌ على آل محمد.

2 - النيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن المطبوع بهامش الطبري [23 : 72] بعد ما فسّر معنى الآيات التي قبلها : وباقي القصّة ظاهرٌ إلا قول (آل ياسين)، وذكر أقوالاً ثلاثة، أحدها : آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

3 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [4 : 589] في قوله تعالى: (سلامٌ على آل ياسين) : قال ابن عبّاس : آل ياسين آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وياسين من أسمائه، ثمّ قال : ومن قرأ: إلياسين أراد إلياس ومن تبعه. لعلّ من قال بذلك لهم قاعدةٌ خاصّة لجمع علم أعجمي بالياء والنون في محلّ الخفض كجمع مذكّر سالم .

ثم قال : وقيل يس اسم سورة، فكأنه قال : سلامٌ على من آمن بكتاب الله تعالى والقرآن الذي هو : يس.

4 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [4 : 409]: قرأ نافع، وابن عامر، والأعرج وشيبة. (على آل ياسين)، بإضافة آل بمعنى آل ياسين، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين، إلا الحسن، فإنه قرأ «إلياسين» بإدخال آلة التعريف على ياسين، قيل المراد على هذه القراءات كلها: إلياس، وعليه وقع التسليم، ولكنه اسم أعجمي، والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغييرهم لها. قال ابن جني: العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً؛ فياسين، وإلياس، وإلياسين شيء واحد. وقال الكلبي: المراد بآل ياسين آل محمد(صلى الله عليه وآله).

ولعلَّ البعض من الناس من يقدِّس الله عن أن يتتابع بما تتلاعب به العرب في أقوالهم حتى ينزل قوله العظيم المقدَّس به تعالى عن ذلك علواً كبيراً. ثم قال أخيراً من تفسير هذه الآية : قال الكلبي : المراد بآل ياسين آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

5 - ابن كثير:

قال في تفسيره [4 : 20 - 22] في تفسير معنى هذه الآية: سلام على إلياسين كما يقال إسماعيل إسماعين، وهي لغة بني أسد. ويا ليت القائل بهذا القول على فرض صحته يبيِّن بما في وراء هذا التناقل من الحكمة، حتى نقلت الآية من لغة قريش الى لغة بني أسد، إلى أن قال في الأخير من تفسير هذه الآية : وآخرون أي يقرأون قوله تعالى: (سلامٌ على آل ياسين) يعني : آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

6 - الموسوي:

قال في التعليقات من كتابه المراجعات [ص 49 من المراجعة - 12 -]: هذه الآية الثالثة من الآيات التي أوردها ابن حجر في كتابه الصّواعق في الباب «11» من الفصل الأوّل، الآية الثالثة [ص: 88 - 89] ونقل عنه جماعة من المفسرين عن ابن عباس القول : بأنّ المراد بها، السّلام على آل محمد(صلى الله عليه وآله). قال ابن حجر : وكذا قال الكلبي، إلى أن قال : وذكر الفخر الرازي - أي في تفسيره - : أن أهل بيته يساوونه في خمسة أشياء : في السّلام، قال : السّلام عليك أيّها النبيّ، وقال : (سلامٌ على آل ياسين). وفي الصّلاة عليه وعليهم في التّشهد. وفي الطهارة، قال الله تعالى : (طه) أي : يا طاهر، وقال : (ويظهركم

تَطْهِيراً). وفي تحريم الصدقة. وفي المحبة، قال تعالى : (فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) وقال : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى). انتهى.

وقد اتفقت جماعة من أعلام القوم على ذكر هذا المعنى عند تفسيرهم هذه الآية الكريمة. كما ذكرهم العلامة نور الله الحسيني في كتابه إحقاق الحق وإزهاق الباطل [9 : 127] منهم :

1 - ابن المغازلي، وهو العلامة الفقيه المحدث الحافظ أبو بكر بن أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المتوفى سنة (483) في كتابه «المناقب» على ما في مناقب الشيخ عبد الله الشافعي.

2 - الزرندي، وهو العلامة جمال الدين محمد بن يوسف، المتوفى سنة (750) في كتابه «نظم درر السمطين» [ص 94 مطبعة القضاء].

3 - المحلي، وهو العلامة حميد بن أحمد المحلي في كتابه «الحدائق الوردية».

4 - النويري، وهو العلامة أحمد بن عبد الوهاب في كتابه «نهاية الأدب».

5 - السيد محمد صدق حسن خان، وهو ملك «بهوبال» في كتابه «فتح البيان» [8 : 78 ط. بولاق

بمصر].

6 - الحافظ ابن مردويه على ما في «مفتاح النجا» [ص 16].

7 - الرازي في تفسيره [26 : 162 ط. مصر].

8 - القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» [15 : 119 ط. القاهرة].

9 - أبو حيان في تفسيره «البحر المحيط» [7 : 373 ط. السعادة بمصر].

10 - ابن كثير في تفسيره [4 : 20 ط. مصر].

11 - السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [5 : 286 ط. مصر].

12 - الألوسي في تفسيره «روح المعاني» [23 : 129].

13 - الكشفي في كتابه «المناقب المرتضوية» [ص 25 ط. بمبي].

14 - العسقلاني في كتابه «لسان الميزان» [6 : 125 ط. حيدر آباد].

15 - الهيثمي في كتابه «مجمع الزوائد» [6 : 174 ط. القدسي بالقاهرة].

16 - القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص 7 ط. اسلامبول].

17 - الحبيب أبو بكر بن شهاب الدين في كتابه «رشفة الصادي» [ص 24 ط. مصر].

المبحث الثامن عشر

في قوله تعالى : (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) [التحریم : 4].

ذكر في كتب التفسير من بين أقوال المتأولين والمفسرين، بأن المراد بصالح المؤمنين في هذه الآية الشريفة هو أميرهم ويعسوبهم، أعني الإمام علياً (عليه السلام)، كما دلّت على ذلك أكثر الأخبار والآثار. وأمّا سبب نزولها فأصحّ الروايات ما أثبتته أهل التأويل والتفسير على أنها أنزلت مع ثلاث آيات قبلها، من أوّل سورة التحريم في أمّي المؤمنين وهما : حفصة وعائشة، كما نأتي بالروايات في ذلك فيما يلي قريباً بعد ذكر ما نحن بصددّه. وذلك فيمن يراود به من قوله: (صالح المؤمنين). وممن ذكره من المفسرين في تفاسيرهم وتآليفهم:

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [5 : 401 ط . مؤسسة التأريخ العربي بيروت]: ووردت الرواية من طرق الخاصّ والعام أنّ المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو قول مجاهد، وفي كتاب «شواهد التنزيل»⁽¹⁶⁾ بالإسناد عن سدير الصيرفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لقد عرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) أصحابه مرتين. أمّا مرّة فحيث قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه. وأمّا الثانية فحيث نزلت هذه الآية: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) الآية، أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي (عليه السلام) فقال : « أيها النّاس، هذا صالح المؤمنين »، وقالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها : سمعت أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب ».

سبب النزول :

وأما سبب نزول هذه الآية والتي قبلها من الآيات الثلاثة وهنّ : (يا أيّها النبيّ لم تُحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفورٌ رحيم * قد فرّض الله لكم تحلّة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير)، فقد قال الطبرسي كما في المصدر

(16) راجع: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل 2: 254 - 263.

نفسه [ص 398]: اختلفت أقوال المفسرين في سبب نزول الآيات، فقيل : إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا صلى الغداة يدخل على أزواجه امرأة امرأة، وكان قد أهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل، فكانت إذا دخل عليها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حبسته وسقته منها، وإن عائشة أنكرت احتباسه عندها، فقالت لجويرية حبشية عندها : إذا دخل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع، فأخبرتها الخبر وشأن العسل، فغارت عائشة وأرسلت إلى صواحبها وأخبرتهن وقالت : إذا دخل عليكن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقلن : إنا نجد منك ريح المغافير. [وهو صمغ العرفط كريح الرائحة].

وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يكره ويشقّ عليه أن يوجد منه ريحٌ غير طيبة لأنه يأتيه الملك. قال : فدخل رسول الله على سودة، قالت : فما أردت أن أقول ذلك لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم إني فرقت من عائشة فقلت : يا رسول الله، ما هذا الريح التي أجدها منك ؟ أكلت المغافير ؟ فقال : « لا، ولكن حفصة سقتني عسلاً »، ثم دخل على أزواجه امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك. فدخل على عائشة فأخذت بأنفها، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت: أجد ريح المغافير، أكلتها يا رسول الله ؟ قال : « لا، بل سقتني حفصة عسلاً »، فقالت : جرت إذن نحلها العرفط، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « واللّه لا أطعمه أبداً »، فحرّمه على نفسه.

وقيل : إنّ التي كانت تسقي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) العسل ام سلمة، عن عطاء بن أبي مسلم، وقيل : بل كانت زينب بنت جحش. قالت عائشة : إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً. فتواطأت أنا وحفصة، أتينا دخل عليها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فلتقل : إني أجد منك ريح المغافير، أكلت المغافير ؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود إليه ». فنزلت الآيات.

وقيل: إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قسم الأيام بين نسائه، فلما كان يوم حفصة قالت : يا رسول الله إن لي إلى أبي حاجة فأذن لي أزوره، فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جاريته مارية القبطية، وكان قد أهداها له المقوقس فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فأنت حفصة فوجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب، وخرج رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ووجهه يقطر عرقاً، فقالت حفصة : إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما ما رأيت لي حرمة وحققاً، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « أليس هي جاريتي ؟ قد أحلّ الله ذلك لي، اسكتي فهو حرامٌ عليّ ألتمس ذلك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأة منهن، وهو عندك أمانة ».

فلما خرج رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة، فقالت : ألا أبشرك ؟ إن رسول الله قد حرّم عليه أمته مارية، وقد أراحنا الله منها، وأخبرت عائشة بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواجه، فنزلت : (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) فطلق

حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً، وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير. عن قتادة والشعبي ومسروق.

وقيل: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خلا في يوم لعائشة مع جاريته أم إبراهيم مارية القبطية، فوفقت حفصة على ذلك، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تعلمي عائشة ذلك، وحرّم مارية على نفسه، فأعلمت حفصة عائشة الخبر، واستكتمتها إياه، فأطلع الله نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك، وهو قوله تعالى: (وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) يعني: حفصة.

2 - الشُّوكَانِي:

قال في تفسيره «فتح القدير» [5 : 252 - 253] في قوله: (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) : وأخرج ابن أبي حاتم، قال السيوطي بسند ضعيف، عن عليّ مرفوعاً، قال : هو عليّ بن أبي طالب، وأخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب ».

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس في قوله: (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال هو : علي بن أبي طالب.

ثم ذكر الشُّوكَانِي في [ص 252] السبب في نزول الآيات من الروايات المختلفة ما سجّلها المفسّرون في تفاسيرهم «إلى أن قال»: وأما ما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن ابن عباس سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره أنهما عائشة وحفصة. ثم ذكر مختلفات الأقوال في الموضوع فقال أخيراً : ويؤيد هذا ما قدّمنا عن ابن عباس أنه قال لعمر: من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله؟ فأخبره بأنهما عائشة وحفصة، وبين له أن السبب قصّة مارية. هذا ما تيسّر من تلخيص سبب نزول الآية، ودفع الاختلاف في شأنه، فاشدد عليه يدك لتتجو به من الخطب والخط الذي وقع للمفسّرين.

ثم قال : وأخرج ابن عدي، وأبو نعيم في الصحابة والعشاري في «فضائل الصديق» وابن مردويه وابن عساكر من طرق، عن عليّ وابن عباس. قال : والله إن إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب، وذلك : (وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لحفصة : « أبوك وأبو عائشة واليا الناس بعدي، فإياك أن تخبري أحداً بهذا ».

قلت : وهذا ليس فيه أنه سبب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ).

3 - ابن كثير:

قال في تفسيره [4 : 389] بعد ما ذكر قول سعيد بن جببر، وعكرمة، ومقاتل، وابن حيّان، والضحاك وغيرهم : (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) أبو بكر وعمر، ثم قال : وزاد الحسن البصري وعثمان. قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : عليّ ابن أبي طالب، وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا علي بن الحسين، حدّثنا محمد بن أبي عمر، حدّثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين ، قال: أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى عليّ قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى: (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : « هو عليّ بن أبي طالب ». وأمّا سبب النزول فقد ذكر الروايات اللاتي أسلفنا ذكرهن فيما مرّ قريباً.

ثمّ قال : وممّا يدل على أنّ عائشة وحفصة هما المتظاهرتان، الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدّثنا عبدالرزاق، حدّثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس، قال : لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللتين قال الله تعالى: (إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) حتّى حجّ عمر وحجبت معه، فلمّا كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة، فتنبرز ثمّ أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتين من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللتان قال الله تعالى : (إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)؟ فقال عمر : وا عجباً لك يا ابن عباس قال الزهري : كره والله ما سأله عنه، ولم يكتمه عنه قال : هي عائشة وحفصة⁽¹⁷⁾.

وأورد في [ص 389] ما أخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن جببر عن ابن عباس قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتّى خرج حاجاً فخرجت معه، فلمّا رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له، قال : فوقفت له حتّى فرغ، ثمّ سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ «هذا لفظ البخاري»⁽¹⁸⁾ وفي لفظ مسلم : من المرأتين اللتان قال الله تعالى: (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ)؟ قال : عائشة وحفصة⁽¹⁹⁾.

4 - القاسمي:

قال الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» [16 : 5862 ط. دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى الحلبي] في تأويل قوله تعالى : (وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ) يعني : محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (إلى بعض أزواجه) هي حفصة، في قول الرواة : ابن عباس، وقتادة، وزيد ابن أسلم، وابنه عبدالرحمن، والشعبي، والضحاك، كما نقله ابن جرير، «حديثاً» وهو تحريم فتاته في قولهم، قال ابن جرير : أو ما حرّم (صلى الله عليه وآله وسلم) على نفسه ممّا كان الله جلّ ثناؤه قد أحله له، وقوله : لا تذكرني ذلك لأحد، (فلمّا نبأت به) أي

(17) مسند الإمام أحمد [1 : 33].

(18) صحيح البخاري، [6 : 69]، باب تبتغي مرضاة أزواجه.

(19) راجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم [4 : 414 - 415].

أخبرت بالسّرّ صاحبته، أي عائشة. (وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) أي أطلعه على حديثها به، (عَرَفَ بَعْضُهُ) أي عرفها بعض ما أفشته معاتباً (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) أي : بعض الحديث تكرماً (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مِنْ أَنْبَاءِكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أي الذي لا تخفى عليه خافية.

ثم قال القاسمي : وحكى الزّمخشري عن سفيان قال : ما زال التغافل من فعل الكرام. ثم أشار تعالى إلى غضبه لنبيّه صلوات الله عليه، ممّا أتت به من إفشاء السّرّ إلى صاحبته، ومن مظاهرتهم على ما يقلق راحته، وأن ذلك ذنبٌ تجب التوبة منه، «أي على عائشة وحفصة» بقوله سبحانه وتعالى: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) إلى آخر الآية [التحريم : 4]⁽²⁰⁾.

5 - ابن شهر آشوب:

قال في مناقبه [3 : 75 - 77] عن تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان التّسوي، والكلبي، ومجاهد، وأبي صالح، والمغربي، عن ابن عباس : إنّه رأّت حفصة النبيّ في حجرة عائشة مع مارية القبطيّة، قال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « أتكتمين على حديثي ؟ » قالت : نعم، قال : « فإنها عليّ حرامٌ »، ليطيب قلبها، فأخبرت عائشة وبشّرتها من تحريم مارية، فكلمت عائشة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك، فنزل: (وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) إلى قوله تعالى : (هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال ابن عباس : والله عليّ، والله حسبه والملائكة بعد ذلك ظهير.

وأخرج البخاري وأبو يعلى الموصلي قال ابن عباس : سألت عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين، قال : حفصة وعائشة.

وعن السّري عن أبي مالك عن ابن عباس وأبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر(عليه السلام) والثعلبي بالإسناد عن موسى بن جعفر(عليهما السلام) وعن أسماء بنت عميس عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قال : وصالح المؤمنين: علي بن أبي طالب. رواه أبو نعيم الأصفهاني بالإسناد عن أسماء بنت عميس، وابن عباس عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إن عليّاً باب الهدى بعدي، والدّاعي إلى ربّي، وهو صالح المؤمنين، ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً ».

وقال أمير المؤمنين على المنبر : أنا أخو المصطفى خير البشر، من هاشم سنامه الأكبر، ونبأ عظيمٌ جرى به القدر، وصالح المؤمنين مضت به الآيات والسور.

قال ابن شهر آشوب، وإذا ثبت أنّه صالح المؤمنين، فينبغي كونه أصلح من جميعهم بدلالة العرف والاستعمال، كقولهم: فلانٌ عالم قومه، وشجاع قبيلته.

قال الناشي :

إذ أسرّ النبيّ فيه حديثاً *** عند بعض الأزواج ممّن يليه

نَبَأَتْهَا بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ *** عَلَيْهِ وَجَاءَ مِنْ قَبْلُ فِيهِ
يَسْأَلُ الْمُصْطَفَى فَيَعْرِفُ بَعْضًا *** بَعْدَ إِبْطَانِ بَعْضِهِ يَسْتَحْيِهِ
وَعَدَا يَعْتَبِ اللَّتَيْنِ بِقَصْدٍ *** أَبْدِيَا سِرَّهُ إِلَى حَاسِدِيهِ
فَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَا إِلَى اللَّهِ *** فَقَدْ صَاغَ قَلْبُ مَنْ يَتَّقِيهِ
أَوْ تَحْيَا تَظَاهِرًا فَهُوَ مَوْلَاهُ *** وَجَبْرِيلُ نَاصِرٌ فِي ذَوِيهِ
ثُمَّ خَيْرُ الْوَرَى أَخُوهُ عَلِيٌّ *** نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَاصِرِيهِ

6 - الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ:

قال في كتابه المستدرک [2 : 493]: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَطَّةِ الْأَصْبَهَانِيِّ، حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَكَرِيَّا الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكِيرٍ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، حَدَّثَنَا
ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كَانَتْ لَهُ أُمَةٌ يَطْأُهَا، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ
وَحَفْصَةُ حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى نَفْسِهِ حَرَامًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ
تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ)، «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

* * *

المبحث التاسع عشر

في قوله تعالى : (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) [الشورى : 23].

إنّ ممّا ذكره الأعلام من المفسّرين والمحدّثين في تفاسيرهم ومصنّفاتهم أنّ معنى الحسنة في هذه الآية الشريفة هي : المودة لآل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وممّن ذكر ذلك في كتبهم :

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [5 : 39 ط . مؤسسة التأريخ العربي - بيروت]: وذكر أبو حمزة الثمالي عن السّديّ قال : إنّ اقتراف الحسنة المودة لآل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم). وصحّ عن الحسن بن عليّ (عليهما السلام) أنّه خطب الناس فقال في خطبته : « أنا من أهل البيت الذي افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، فقال : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً)، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت ».

2 - الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [4 : 534 ط . الحلبي وأولاده] بعد أن يفسّر لفظ (يقترف) والمعنى : من يكتسب حسنة نزد هذه الحسنة حسناً بمضاعفة ثوابها. قال مقاتل : المعنى من يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها حسناً، مضاعفها بالواحدة عشراً فصاعداً، وقيل: المراد بهذه الحسنة هي : المودة في القربى، والحمل على العموم أولى، ويدخل تحته المودة في القربى دخولاً أوّلياً.

3 - الزّمخشري:

قال في تفسيره الكشّاف [4 : 221] : (ومن يقترف حسنة) عن السّدي أنّها المودة في آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزلت في أبي بكر الصّديق ومودّته فيهم. والظاهر : العموم في أيّ حسنة كانت إلا أنّها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى: دلّ ذلك على أنّها تناولت المودة تناولاً أوّلياً، كأن سائر الحسنات لها توابع.

4 - العلامة نور الله الحسيني:

قد ذكر في كتابه المسمّى إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل [9 : 130] من ذكر هذا المعنى من رجال
التصانيف والمفسّرين، منهم :

- 1 - السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [4 : 7 ط . مصر].
- 2 - المحلي في كتابه «الحدائق الوردية».
- 3 - الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان».
- 4 - ابن المغازلي الشافعي في «المناقب» وهو أبو الحسن علي بن محمّد الجلابي المتوفى سنة
(483).

- 5 - الزرندي الحنفي في كتابه «نظم درر السّمطين» [ص 86 مطبعة القضاء].
- 6 - العلامة الشيخ عبد الله بن طلحة الشافعي في «المناقب».
- 7 - الشيخ العلامة كمال الدين حسن بن معين الدين اليزدي المبيدي في كتابه «شرح ديوان أمير
المؤمنين».
- 8 - ابن الصّبّاغ المالكي وهو العلامة المحدث الشيخ علي بن محمّد المكي في «الفصول المهمة»
[ص 11 ط . النجف].
- 9 - البدخشي وهو العلامة ميرزا محمّد بن معتمد خان في «مفتاح النجا في مناقب آل العبا».
- 10 - الألوسي في تفسيره «روح المعاني» [25 : 31 ط . مصر].
- 11 - العلامة الشيخ سليمان بن الشيخ إبراهيم الحسيني البلخي القندوزي الحنفي في ينابيع المودة
[ص 118 ط . اسلامبول].

5 - الحبيب العلامة علوي بن طاهر الحدّاد :

قال في كتابه القول الفصل [1 : 486 ط . جاوا] قال السّمهودي : وقد يستشهد له بما أخرجه الثعلبي
في تفسيره من طريق السّدّي عن أبي مالك عن ابن عبّاس (رضي الله عنه) قال : (ومن يقترف حسنة نزد له
فيها حسناً)، قال : هي المودة لآل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم).

6 - النّبّهاني :

قال في كتابه «الشرف المؤبّد لآل محمّد» [ص 174 طبعة 2 مطبعة الحلبي وأولاده بمصر] : أخرج ابن أبي
حاتم عن ابن عبّاس (رضي الله عنه) في قوله تعالى : (ومن يقترف حسنة) قال : المودة لآل محمّد، وعنه عن
النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : « أحبّوا الله لما يغذوكم به، وأحبّوني بحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي
بحبّي ».

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) : حبّ آل محمّد يوماً خيراً من عبادة سنة. وعن أبي هريرة عن
النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « خيركم خيركم لأهلي من بعدي ».

وأخرج ابن النجّار في تأريخه عن الحسن بن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لكلّ شيء أساس، وأساس الإسلام حبّ أصحاب رسول الله وحبّ أهل بيته ». وأخرج الطبراني عن ابن عباس (رضي الله عنه) : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله فيم أنفقه ومن أين اكتسبه وعن حبنا أهل البيت »، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع.

وقد ذكرها بهذا المعنى ابن شهاب الدّين في كتابه رشفة الصّادي [ص 23 ط. القاهرة].

7 - ابن شهر آشوب:

قال في مناقبه [3 : 197 ط . دار الاضواء - بيروت] عن الثعلبي، والسّدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قوله تعالى : (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) قال : المودّة لآل محمّد (عليهم السلام). وعن الحسن بن علي (عليهما السلام) قال : «الحسنة حبّ أهل البيت».

وروى أبو تراب في «الحدائق» والخوارزمي في «الأربعين» بإسنادهما عن أنس والديلمي في «الفردوس» عن معاذ وجماعة عن ابن عمر قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « حبّ عليّ بن أبي طالب حسنة لا تضرّ معه سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة ».

قال الشّاعر :

وقد أتت الرواية في حديث *** صحيح عن ثقات محدّثينا

بأنّ محبة الهادي عليّ *** أجل تجارة للتّاجرينا

وليس تضرّ سيئة بخلق *** يكون بها من المتخلّقينا

وروى ابن مردويه بالإسناد عن زيد بن عليّ عن أبيه عن جدّه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « يا عليّ لو أنّ عبداً عبد الله مثل ما دام نوحٌ في قومه، وكان له مثل جبل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه، ثمّ قتل بين الصّفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالك يا عليّ، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها ».

وفي تأريخ النّسائي و شرف المصطفى واللفظ له، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لو أنّ عبداً عبّد الله بين الركن والمقام ألف عام، ثمّ ألف عام ولم يكن يحبّنا أهل البيت لأكبّه الله على منخره في النّار ».

وعن حذيفة بن اليمان عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خبر: إن الله فرض على الخلق خمسة فأخذوا أربعة وتركوا واحداً، فسئل عن ذلك. قال : الصّلاة، والصّوم، والزّكاة، والحج. وقالوا : فما الواحد الذي تركوا ؟ قال : ولاية علي بن أبي طالب : قالوا : هي واجبة من الله ؟ قال : نعم.

وفي «فردوس الأخبار» للدّيلمي قال أبو صالح : لَمَّا حضرت عبد الله بن عباس الوفاة قال : اللهمّ
إنّي أتقرب إليك بولاية علي بن أبي طالب.

وفي الإبانة لابن بطّة : روى أبو صالح عن أبي هريرة قال : رأيت معاذاً يديم النظر إلى وجه
عليّ، فقلت له : إنّك تديم النّظر إليه كأنّك لم تره، فقال : سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :
النظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب عبادة، وهو أكثر في الروايات.

وفي رواية عمّار ومعاذ وعائشة عن النّبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) : « النّظر إلى عليّ بن أبي طالب
عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمانٌ إلّا بولايته، والبراءة من أعدائه».

وفي «الفردوس» للدّيلمي قالت عائشة : قال النّبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) : « ذكر علي عبادة ». وفي
«شرف النّبيّ» للخركوشي : أنّه كان الثّاس يصلّون وأبوذرّ ينظر إلى أمير المؤمنين(عليه
السلام) فقل له في ذلك، فقال : سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « النّظر إلى علي بن أبي
طالب عبادة، والنّظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر في المصحف عبادة، والنظر إلى الكعبة
عبادة ».

* * *

المبحث العشرون

في قوله تعالى : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) [الاسراء : 26].

ذكر المفسّرون في تفاسيرهم ما ورد من الخبر والأثر المعربة عن معناها المراد به عند تفسيرهم هذه الآية الشريفة، من بعد ذكرهم معناها اللغوي باستنباطهم المحض. وممّن ذكر ذلك :

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [3 : 531 ط . مؤسسة التأريخ العربي - بيروت] (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) معناه : وأعط القربات حقوقهم التي أوجبها الله لهم في أموالكم، عن ابن عباس والحسن. وقيل : إن المراد قرابة الرسول، عن السّدي.

وقال: إنّ عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال لرجل من أهل الشّام حين بعث به (عليه السلام) عبيد الله ابن زياد إلى يزيد بن معاوية : «أقرأت القرآن ؟ » قال : نعم، قال (عليه السلام) : «أما قرأت : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) » قال : وإنّكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه ؟ قال : « نعم ». انتهى.

قال الطبرسي : وهو الذي رواه أصحابنا عن الصّادقين (عليهما السلام).

وأخبرنا السيّد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءة، قال: حدّثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني، قال: حدّثنا الحاكم الواحد أبو محمّد، قال: حدّثنا عبد الله ابن عمر بن أحمد بن عثمان ببغداد شفاهاً، قال أخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد الأحمسي، قال: حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا أبو معمر سعيد بن خثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر، عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال : لمّا نزل قوله تعالى: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) أعطى رسول الله فاطمة فدكاً. وقال عبد الرحمن بن صالح : كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصّة فدك، فكتب عبد الله بهذا الحديث. رواه فضيل عن عطية. فردّ المأمون فدكاً إلى ولد فاطمة (عليها السلام).

2 - ابن كثير:

قال في تفسيره [3 : 36] وقال الحافظ أبو بكر البزار، حدّثنا عبّاد بن يعقوب، حدّثنا أبو يحيى التيمي، حدّثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال : لمّا نزلت : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فأعطاه فدكاً، ثمّ قال : لا نعلم حدّث به عن فضيل بن

مرزوق إلا أبو يحيى التيمي وحמיד بن حمّاد بن الخوّار. وهذا الحديث مشكّل لو صحّ إسناده؛ لأن الآية مكيّة، وفدك إنّما فتحت مع خبير سنة سبع من الهجرة، فكيف يلتئم هذا مع هذا؟ فهو إذاً حديث منكر، والأشبه أنّه من وضع الرافضة. والله أعلم⁽²¹⁾.

أقول : ألا ترى هذا الرّجل كيف قال ما قال؟ كأنّه غفل أو تغافل عمّا هناك من رجال كانوا يقولون بأنّ السورة مكيّة إلا خمس آيات، ومنهم من قال : إلا ثمان آيات، كالحسن وقتادة والمعدّل عن ابن عبّاس. كما ذكره الإمام الطبرسي في «مجمع البيان» وهنّ : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ) الآية. (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنا) الآية. (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) الآية، (أقم الصّلاة) ومنها التي نحن بصددّها، وهي (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى) فهذه الخمس آيات، ومع قوله تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ - إلى قوله - وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ) [الاسراء : 80] تكون ثمان آيات.

وأما قوله : لا نعلم حدّث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمي، وحמיד بن حمّاد. فكما قد علمنا قريباً أنّه قد روى عن فضيل بن مرزوق : أبو معمر سعيد بن خثيم، وعلي بن القاسم الكندي، ويحيى بن يعلى، وعلي بن مسهر كما في رواية الطبرسي، بخلاف ما لو أنّ الرّجل كان ممّن صمّم بزعمه أنّ الآية كلّها مكيّة، كما قال ذلك بعضهم.

ولو لم يكن الأمر كذلك، فلا اعتبار إذن بقوله : وهذا الحديث مشكّل أو منكر أو أشبه أنّه من وضع الرافضة.

3 - الشّوكاني:

قال في تفسيره «فتح القدير» [3 : 224] : أخرج ابن جرير عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنّه قال لرجل من أهل الشّام : أقرأت القرآن؟ قال : نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى)؟ قال : وإنّكم للقرابة التي أمر الله أن يؤتى حقهم؟ قال : نعم. ثمّ قال : وأخرج البزار، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال : لمّا نزلت هذه الآية: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فأعطاهما فديكاً.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس، قال : لمّا نزلت: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) أقطع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فديكاً.

4 - الزّمخشري:

قال في تفسيره الكشاف [2 : 661] بعد ما فسر الآية بما ارتأى له : وقيل : أراد بذى القربى أقرباء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

5 - الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [8 : 67] : بعد ما أورد أقوال أهل التأويل المختلفة في تفاسيرهم، قوله تعالى : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) وقال آخرون : بل عنى به قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر من قال ذلك : حدثني محمد بن عمار الأسدي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان قال: حدثنا الصباح بن يحيى المزني، عن السدي عن أبي الديلم، قال : قال علي بن الحسين (عليهما السلام) لرجل من أهل الشام : « أقرأت القرآن ؟ » قال : نعم، قال : «أفما قرأت في بني إسرائيل (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) ؟ قال: وإنيكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه ؟ قال : نعم.

* * *

المبحث الحادي والعشرون

في قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) [الإنسان : 1].

ذكر بعض أهل التأويل في تفاسيرهم والحفاظ في مسانيدهم بأن هذه السورة قد نزلت في أهل بيت الوحي، وهم : أبو العترة الطاهرة الإمام عليّ، والسيدة الزهراء أم الأَطهار، والحسنان الشهيدان سيّدا شباب أهل الجنة (عليهم السلام) .

وقال بعض: لا السورة كاملة ولكن جزء منها، ومنهم من قال غير ذلك، وممن ذكر نزول السورة فيهم ومن قال ببعضها :

1 - النيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن [29 : 112] المطبوع بهامش «جامع البيان» : ذكر الواحدي في «البيضا» والزّمخشري في «الكشاف» وكذا الإماميّة أطبقوا على أنّ السّورة نزلت في أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا سيّما في هذه الآية. يعني (يوفون بالنذر) وما يليها من الآيات.

ويروى عن ابن عباس أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) مرضا، فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ناس معه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضّة جارية لهما إن أبرأهما الله أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفا وما معهما شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة منها صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوا أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائلٌ فقال : السّلام عليكم يا أهل محمّد، مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فأنثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً. فلما أمسوا ووضعوا الطّعام بين أيديهم وقف عليهم يتيمٌ فأنثروه، ووقف عليهم الثالثة أسيرٌ، ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ عليّ بيد الحسن والحسين إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام وانطلق معهم. فرأى فاطمة في محرابها قد لصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل وقال : خذها يا محمّد، هنّاك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة.

2 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [5 : 516 ط . مؤسسة التاريخ العربي - بيروت] في سبب النزول : قد روى الخاص والعام أنّ الآيات من هذه السورة وهي قوله : (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ) إلى قوله : (وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً) نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) . وجارية تسمى فضة، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح.

والقصة طويلة، وجملتها أنهم قالوا : مرض الحسن والحسين (عليهما السلام) فعادهما جدّهما (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى آخر القصة المذكورة.

وفي رواية عطاء عن ابن عباس أنّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) أجر نفسه ليستقي نخلًا بشيء من شعير ليلة حتى أصبح، فلما أصبح وقبض الشعير، طحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له «الحريرة» فلما تمّ إنضاجه أتى مسكينٌ فأخرجوا إليه الطعام، ثمّ عمل الثلث الثاني، فلما تمّ إنضاجه أتى يتيمٌ فسأل فأطعموه. ثمّ عمل الثلث الثالث، فلما تمّ إنضاجه أتى أسيرٌ من المشركين فسأل فأطعموه، وطوا يومهم ذلك. ذكره الواحدي في تفسيره.

وذكر علي بن ابراهيم أنّ أباه حدّثه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : كان عند فاطمة شعيرٌ فجعلوه عصيدة، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكينٌ فقال المسكين: رحمكم الله، فقام علي (عليه السلام) فأعطاه ثلثها، فلم يلبث أن جاء يتيمٌ فقال اليتيم: رحمكم الله، فقام علي فأعطاه الثلث، ثمّ جاء أسير فقال الأسير: رحمكم الله، فأعطاه علي (عليه السلام) الثلث الباقي وما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم.

ثم ذكر الشيخ المؤلف ترتيب نزول سور القرآن ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما سأله علي (عليه السلام) إلى أن قال أخيراً :

أقول : قد اتسع نطاق الكلام في هذا الباب حتّى كاد يخرج عن أسلوب الكتاب، وربما نسبنا به إلى الإطناب، ولكن الغرض فيه أنّ بعض أهل العصبية قد طعن في هذه القصة، بأنّ قال: هذه السورة مكية، فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة. وقد استدللّ بذلك على أنّها مخترعة جرأة على الله سبحانه، وعداوة لأهل بيت رسوله، فأحببت إيضاح الحقّ في ذلك وإيراد البرهان في معناه، وكشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه ، على أنه كما ترى يحتوي على السرّ المخزون، والدّرّ المكنون من هذا العلم الذي يستضاء بنوره، ويتلأأ بزهوره، وهو معرفة ترتيب السور في التنزيل، وحصر عددها في الجملة والتفصيل. اللهم أمددنا بتأييدك، وأيدنا بتوفيقك، فأنت الرّجاء والأمل، وعلى فضلك المعولّ والمتكل.

3 - الزمخشري:

قال في تفسيره الكشاف [4 : 670 ط . قم منشورات البلاغة] عن ابن عباس (رضي الله عنه) : أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ناس معه. إلى آخر القصة التي رواها النيسابوري في تفسيره.

4 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [5 : 348 - 349] عند تفسيره (**ويطعمون الطعام على حبه**) : وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

5 - ابن شهر آشوب:

قال في كتابه مناقب آل أبي طالب [3 : 103 ط . دار الأضواء - بيروت و 2 : 298 مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف] : جاء في تفسير أهل البيت (عليهم السلام) أن قوله: (**هل أتى على الإنسان حين من الدهر**)، يعني به علياً، وتقدير الكلام : ما أتى على الإنسان زمان من الدهر إلا وكان فيه (عليه السلام) شيئاً مذكوراً، وكيف لم يكن مذكوراً، وأن اسمه مكتوبٌ على ساق العرش وعلى باب الجنة، والدليل على هذا القول قوله : (**إنّا خلقنا الإنسان من نطفة**)، ومعلوم أن آدم لم يخلق من النطفة.

وأورد في [ص 104] قول أبي فراس:

اقرأوا عن القرآن ما في فضله *** وتأملوه واعرفوا فحواه
لو لم ينزل فيه إلا هل أتى *** من دون كل منزل لكفاه
من كان أول من حوى القرآن من *** نطق النبي ولفظه وحكاه
من بات فوق فراشه متنكراً *** لما أظّل فراشه أعداه
من ذا أراد إلها بمقاله *** الصادقون والقانتون سواه
من خصّه جبريل من ربّ العلى *** بتحيّة من جنة وحباه
أنسيتم يوم الكساء وأنه *** ممّن حواه مع النبيّ كساه
إذ قال جبريل بهم متشرّفاً *** أنا منكم قال النبيّ كذاه

6 - الموسوي:

قال في التعليقات من مراجعته الثانية عشرة [ص 38 ط. المجمع العالمي لأهل البيت «ع»]:

هل أتى هل أتى بمدح سواهم *** لا ومولى بذكرهم جلاها

ثمّ علّق بقوله : - هذه - إشارة إلى نزول سورة الدهر فيهم وفي أعدائهم، ومن أراد الوقوف على جليلة الأمر في كلّ آية من آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة في القربى وسورة الدهر فعليه «بكلمتنا الغراء» فإنّها الشفاء من كلّ داء، وبها ردّ جماع الأعداء، وزجر غراب الجهلاء والحمد لله ربّ العالمين.

7 - ابن عبد ربّه المالكي:

ذكر في كتابه العقد الفريد حديث احتجاج المأمون العباسي على أربعين فقيهاً وفيه، قال : يا إسحاق هل تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم. وقال المأمون : إقرأ عليّ: (هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)، فقرأت منها حتى بلغت : (يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً)، إلى قوله : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً)، قال المأمون : على رسلك، فيمن أنزلت هذه الآيات ؟ قلت: في عليّ. قال : فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير، قال : إنّما نطعمكم لوجه الله ؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً ؟ قلت : لا. قال : صدقت لأنّ الله جلّ ثناؤه عرف سيرته، يا إسحاق، ألسنت تشهد أن العشرة في الجنة ؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين، قال : أرايت لو أنّ رجلاً قال : والله ما أدري هذا الحديث صحيحٌ أم لا؟ ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافراً ؟ قلت : أعوذ بالله، قال : أرايت لو أنّه قال : ما أدري هذه السّورة من كتاب الله أم لا، كان كافراً ؟ قلت : نعم، قال : يا إسحاق أرى بينهما فرقاً⁽²²⁾.

8 - سبط ابن الجوزي:

قد روى قصة سبب نزول هل أتى في كتابه تذكرة خواص الأئمة [ص 316 ط. طهران] من طريق البغوي والثعلبي. ثم قال بعد تنزيه سنده رداً على جدّه ابن الجوزي في إخراجه في الموضوعات : والعجب من قول جدّي وإنكاره، وقد قال في كتابه «المنتخب» : يا علماء الشرع، أعلمتم لم أثرا «علي وفاطمة» وتركوا الطفلين «الحسين» عليهما أثر الجوع ؟ أتراهما خفي عنهما سر: «ابدأ بمن تعول»؟ ما ذاك إلا لأنهما علما قوة صبر الطفلين وأنها غصنان من شجرة أظلّ عند ربّي، وبعض من جملة : «فاطمة بضعة منّي». وفرخ البطّ سابح.

9 - الحافظ أبو عبد الله الكنجي الشافعي:

قال في كتابه كفاية الطالب [ص 348 ط. طهران] بعد ذكر الحديث في سبب نزول السّورة الكريمة : هكذا رواه الحافظ أبو عبد الله الحميدي في «فوائده» ورواه ابن جرير الطبري أطول من هذا في سبب نزول هل أتى. وقد سمعت الحافظ العلامة أبا عمرو عثمان ابن عبد الرحمن المعروف بابن الصّلاح في درس التفسير في سورة هل أتى وذكر الحديث وقال فيه : إنّ السّؤال كانوا ملائكة من عند رب العالمين، وكان ذلك امتحاناً من الله عزّ وجلّ لأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وسمعت بمكة حرسها الله تعالى من شيخ الحرم بشير التبريزي في درس التفسير : أنّ السّائل الأوّل كان جبرئيل، والثاني ميكائيل، والثالث كان إسرافيل (عليهم السلام) .

10 - الخازن:

(22) راجع: العقد الفريد 5 : 321 ط. دار الفكر.

وهو علاء الدين علي بن محمد الخازن البغدادي، المتوفى سنة (741) قال في تفسيره [4 : 358] :
بأن نزولها في علي (عليه السلام) ثم قال : وقيل : إن الآية عامة في كل من أطعم.

11 - أبو جعفر الاسكافي:

قال في رسالته التي ردّ بها على الجاحظ : لسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على جحد الأمور المعلومة، ولكننا ننكر تفضيل أحد من الصحابة على علي بن أبي طالب، ولسنا ننكر غير ذلك «إلى أن قال» : وأما إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره، وهو الذي أطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن.

12 - الأميني:

قال في كتابه الغدير [3 : 106] ردّاً على ابن حزم في افتراءاته على الشيعة الإمامية في قوله: «ولسنا من كذبهم - الرافضة - في تأويلهم : ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأن المراد بذلك علي (رضي الله عنه)، بل هذا لا يصحّ، بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك»⁽²³⁾ وإليك لفظه :

إنّ الواقف على هذه الأضحوكة يعرف موقع الرجل من التدجيل لحسابه أنّ في مجرد عزو هذا التأويل إلى الرافضة فحسب، وقذفهم بالكذب، واتباع ذلك بعدم الصّحة خطأ في كرامة الحديث الوارد في الآية الشريفة، وهو يعلم أنّ أمة كبيرة من أئمة التفسير والحديث يروون ذلك ويثبتونه مسنداً في مدوّنتهم، وإن كان لا يدري فتلك مصيبة.

وهذا الحافظ أبو محمد العاصمي أفرد في ذلك كتاباً في مجلدين أسماه «زين الفتى في تفسير سورة هل أتى» وهو كتابٌ ضخّم فخم ممتع ينم عن فضل مؤلفه وسعة إحاطته بالحديث، وتعالى مقدّره في الكلام والتنقيب، مع أنّ في غضونه سقطات تلائم مذهبه وخطة قومه، ثم يذكر في كتابه المذكور جمعاً من رواة الحديث في هذا المقام بلغ عددهم إلى أربعة وثلاثين راوياً، ومنهم أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي القائل :

هم العروة الوثقى لمعتصم بها *** مناقبهم جاءت بوحى وإنزال
مناقب في الشورى وسورة هل أتى *** وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
وهم أهل بيت المصطفى فودادهم *** على الناس مفروضٌ بحكم وإسجال

* * *

المبحث الثاني والعشرون

في قوله تعالى : (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) [الأعراف: 46].

إنَّ لأهل التَّأْوِيلِ والمفسِّرين في تفاسيرهم عن «أصحاب الأعراف» أقوالاً مختلفة المعاني، لتباين نظرهم وآرائهم في المراد بالرجال من هذه الآية الشريفة، ولعلَّ أقربها إلى مدارك الفهم من بين تلك الأقوال المتضاربة، قول من قال: إنَّ المراد بالرجال هم : حمزة، والعبَّاس، وعلي، وجعفر الطَّيَّار. والله أعلم. فممنَّ ذكر ذلك في تفاسيرهم ومدوّناتهم :

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [4: 423 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت] : وقيل: إنَّ الأعراف موضعُ عال على الصَّراط، عليه حمزة، والعبَّاس، وعليّ، وجعفر، يعرفون محبَّيهم ببياض الوجوه، ومبغضِيهم بسواد الوجوه. عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس، ورواه الثعلبي بالإسناد في تفسيره. ثمَّ أورد أقوالاً غير ذلك، إلى أن قال فيه : وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) : هم آل محمَّد (عليهم السلام)، لا يدخل الجنَّة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النَّار إلا من أنكرهم وأنكروه. وقال أبو عبدالله جعفر بن محمَّد (عليهما السلام) : الأعراف كثنان بين الجنَّة والنَّار، فيقف عليها كل نبيٍّ وخليفة نبيٍّ، مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سيق المحسنون إلى الجنَّة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه : انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سيقوا إلى الجنَّة، فيسلَّم المذنبون عليهم، وذلك قوله : (ونادوا أصحاب الجنَّة أن سلاماً عليكم).

ثمَّ أخبر سبحانه أنَّهم (لم يدخلوها وهم يطمعون)، يعني: هؤلاء المذنبين، لم يدخلوا الجنَّة وهم يطمعون أن يدخلهم الله إياها بشفاعته النَّبيِّ والإمام، وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار فيقولون : (ربَّنَا لا تجعلنا مع القوم الظالمين). ثمَّ ينادي أصحاب الأعراف، وهم الأنبياء والخلفاء أهل النار مقرعين لهم: (ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * هؤلاء الذين أقسمتم⁽¹⁾ يعني: هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيّلون بدنياكم عليهم؟) ثمَّ يقولون: «أي الأنبياء والخلفاء» هؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك: (ادخلو الجنَّة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون).

ويؤيده ما رواه عمر بن شيبه وغيره : أنَّ عليّاً (عليه السلام) قسيم النار والجنة. ورواه أيضاً بإسناده عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «يا عليّ كأتى بك يوم القيامة وببئك عصا عوسج، تسوق قوماً إلى الجنة. وآخرين إلى النار».

وروى أبو القاسم الحسكاني بإسناده، رفعه إلى الأصبع بن نباتة قال : كنت جالساً عند عليّ (عليه السلام) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية، فقال (عليه السلام) : ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن ينصرنا عرفناه بسيماء فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماء فأدخلناه النار. وقوله: (يعرفون كلاً بسيماهم) يعني: هؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف، يعرفون جميع الخلق بسيماهم، يعرفون أهل الجنة بسيماء المطيعين، وأهل النار بسيماء العصاة.

2 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [2 : 208 ط . الحلبي وأولاده بمصر] بعد أن ذكر أقوالاً ، وقيل: هم: العباس، وحمزة، وعليّ، وجعفر الطيّار، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضهم بسوادها، حكى ذلك عن ابن عباس.

ثم ذكر أقوالاً غير ذلك. إلى أن قال في تفسيره: وجملة (يعرفون كلاً بسيماهم) صفة لرجال. والسيما : العلامة، أي يعرفون كلاً من أهل الجنة والنار بعلاماتهم، كبياض الوجوه وسوادها، أو مواضع الوضوء من المؤمنين، أو علامة يجعلها الله لكلّ فرق في ذلك الموقف، يعرف رجال الأعراف بها السعداء من الأشقياء.

3 - شرف الدين الموسوي:

قال في المراجعة الثانية عشرة من مراجعته [ص 93 ط. بيروت] : وهم رجال الأعراف الذين قال : (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم).

أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره عن ابن عباس قال : الأعراف موضع عال من الصراط، عليه العباس وحمزة وعليّ وجعفر ذوالجناحين، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضهم بسواد الوجوه. انتهى.

وأخرج الحاكم بسنده إلى عليّ قال : نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماء فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماء.

وعن سلمان الفارسي: سمعت رسول الله يقول : «يا عليّ إئتك والأوصياء من ولدك على الأعراف». «الحديث»

ويؤيده حديث أخرجه الدارقطني كما في أواخر الفصل الثاني من الباب التاسع من الصّواعق [ص 195 : ط . دار الكتب - بيروت] : أنَّ عليّاً قال للسّنة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً ومن

جملته : أنشدكم بالله، هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله : «يا عليّ أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري» ؟ قالوا : اللهم لا. قال ابن حجر معناه : ما رواه عنتره عن علي الرضا أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال له : «يا عليّ أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار : هذا لي وهذا لك». قال ابن حجر : وروى ابن السّمّاك أنّ أبا بكر قال لعليّ(رضي الله عنه) : سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : «لا يجوز أحدُ الصّراط إلا من كتب له عليّ الجواز».

4 - ابن شهر آشوب:

روى في كتابه مناقب آل أبي طالب [3 : 233 ط. دار الأضواء]: عن الأصبغ بن نباتة وزيد بن عليّ أنّه سئل أمير المؤمنين(عليه السلام) عن قوله : (وعلى الأعراف رجالٌ) وسئل الصادق(عليه السلام)واللفظ له، فقال : نحن أولئك الرّجال على الصراط ما بين الجنة والنار، فمن عرفنا وعرفناه دخل الجنة، ومن لم يعرفنا ولم نعرفه ادخل النار.

إبانة العكبري وكشف الثعلبي وتفسير الفلكي، بالاسناد عن أبي اسحاق عاصم ابن سليمان المفسّر، عن جوير بن سعيد، عن الضحّاك عن ابن عباس قال: الأعراف موضع عال من الصراط عليه: العبّاس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه.

ورويانا عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال لعليّ(عليه السلام) : «أنت يا علي والأوصياء من ولدك أعراف الله بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه».

وسأل سفيان بن مصعب الصادق(عليه السلام) عنها، فقال (عليه السلام) : «هم الأوصياء من آل محمّد الإثنا عشر، لا يعرف الله إلا من عرفهم»، قال : فما الأعراف ؟ جعلت فداك. قال(عليه السلام) : «كتائب من مسك عليها رسول الله والأوصياء، يعرفون كلّاً بسيماهم». فأنشأ سفيان يقول :

وأنتم ولادة الحشر والنشر والجزا *** وأنتم ليوم المفزع الهول مفزع
وأنتم على الأعراف وهي كتائب *** من المسك ريّاها بكم يتضوّع
ثمانية بالعرش إذ يحملونه *** ومن بعدهم في الأرض هادون أربع

وأما قول العامّة : إنّ أصحاب الأعراف من لا يستحق الجنة ولا النار محال، وما جعل الله في الآخرة غير منزلتين، أمّا للثواب وإمّا للعقاب، فكيف يكون أصحاب الأعراف بهذه الحالة؟ وقد أخبر الله أنّهم يعرفون النّاس يومئذ بسيماهم، وأنّهم يوقفون أهل النار على ذنوبهم ويقولون : (مَا أَعْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ) الآية. وينادون أهل الجنة(أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) الآية.

قال ابن حمّاد :

وإنك صادق الأعراف تدعو *** رجالاً فائزين وهالكينا
فتقسم منهم قسمين بعضاً *** شمالاً ثم بعضهم يمينا

5 - الأميني:

روى في غديره [2 : 325]: ما أخرجه الحاكم الحسكاني بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال : كنت جالساً عند عليٍّ فأتاه ابن الكوّ فسأله عن قوله تعالى : (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ) الآية. فقال (عليه السلام) : « ويحك يا ابن الكوّ، نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار ».

وأخرج أبو إسحاق الثعلبي في «الكشف والبيان» في الآية الشريفة عن ابن عباس أنه قال : الأعراف موضع عال من الصراط، عليه العباس وحزمة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه.

ورواه ابن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل» [ص 17] وابن حجر في «الصواعق» [ص 101] والشوكاني في «فتح القدير» [2 : 198].
وإلى ذلك أوما العبدى بشعره :

لأنتم على الأعراف أعرف عارف *** بسيما الذي يهواكم والذي يشنا
أئمتنا أنتم سندعى بكم غداً *** إذا ما إلى ربّ العباد معاً قمنا
بجدكم خير الورى وأبيكم *** هدينا إلى سبل النّجاة وأنقذنا
ولولاكم لم يخلق الله خلقه *** ولا لقب الدنيا الغرور ولا كُنا
ومن أجلكم أنشا الإله لخلقه *** سماءً وأرضاً وابتلى الإنس والجنّا
تجلّون عن شبه من الناس كلّهم *** فشأنكم أعلى وقدركم أسنا
إذا مسّنا ضرّ دعونا إلها *** بموضعكم منه فيكشفه عنّا
وإن دهمتنا غمّة أو ملمة *** جلّعنكم منها ومن غيرنا⁽²⁾ حصنا
وإن ضامنا دهرٌ فعذنا بعزكم *** فيبعد عنّا الضّيم لمّا بكم عذنا
وإن عارضتنا خفيّة من ذنوبنا *** براه لنا عنها شفاعتكم أمنا

* * *

(2) هكذا في الغدير، والصحيح أنها غيرها.

المبحث الثالث والعشرون

في قوله تعالى : (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [التوبة : 1].

إنّ من أظهر ما خصّ الله سبحانه وتعالى أبا الحسنين من الفضل دون غيره من الأُمّة، أخذه هذه السّورة الشّريفة من يد أبي بكر، بعد ما سار بها ليؤدّن في النّاس من أهل مكة، فلحقه علي بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جبرئيل عن الله عزّوجلّ، كما روى ذلك جمعٌ كثيرون من أعلام الأُمّة، منهم :

1 - الزّمخشري :

قال في تفسيره الكشّاف [2 : 243 ط . منشورات البلاغة - قم] : وكان نزولها سنة تسع من الهجرة، وفتح مكة سنة ثمان، وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد. فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر على الموسم سنة تسع. ثمّ أتبعه عليّاً (رضي الله عنه) راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم، فقبل له (صلى الله عليه وآله وسلم) : لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا يؤدّي عني إلا رجلٌ مني »، فلمّا دنا عليّ، سمع أبو بكر الرّغاء فوقف وقال : « هذا رغاء ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) »، فلمّا لحقه قال : أمير أو مأمور ؟ قال : « مأمور ».

وروي أنّ أبا بكر لمّا كان ببعض الطريق هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال : « يا محمّد، لا يبلّغن رسالتك إلا رجل منك ». فأرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) عليّاً، فرجع أبو بكر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله أشيء نزل من السّماء ؟ قال : نعم، فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي. فلمّا كان قبل التّروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم. وقام علي (رضي الله عنه) يوم النّحر عند جمرة العقبة فقال : « يا أيّها النّاس إني رسول رسول الله إليكم »، فقالوا : بماذا ؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية. وعن مجاهد ثلاث عشرة آية ثمّ قال : « أمرت بأربع : أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلا نفسٌ مؤمنة، وأن يتمّ إلى كلّ ذي عهد عهده ». فقالوا عند ذلك : يا عليّ أبلغ ابن عمّك إنّنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا، وأن ليس بيننا وبينه عهدٌ إلا طعنٌ بالرماح وضربٌ بالسيف.

2 - الطبري :

قال في تفسيره جامع البيان [6 : 306 - 307 ط. دار الكتب العلمية - بيروت] : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ يَثِيعَ، قَالَ : نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَلِيًّا فَأَخَذَهَا مِنْهُ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ : هَلْ نَزَلَ فِي شَيْءٍ ؟ قَالَ : (صلى الله عليه وآله وسلم) « لا، وَلَكِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أُبْلَغَهَا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي. ».

وقال : حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ حَنِيفٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَقَدْ كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ لِيُقِيمَ الْحَجَّ لِلنَّاسِ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ بَعَثْتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ؟ فَقَالَ : « لا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»، ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) فَقَالَ : «أُخْرِجْ بِهِذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةٍ، وَأَدِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بَمَنْى، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحْجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطْفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ فَهُوَ إِلَى مَدَّتِهِ»، فَخَرَجَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) عَلَى نَاقَةٍ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) الْعَضْبَاءَ، حَتَّى أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ بِالطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ قَالَ : أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ ؟ قَالَ (عليه السلام) : « مَأْمُورٌ ». الخ.

وقال : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ، قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمَفْضَلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ إِلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ آيَةً، بَعَثَ بِهِنَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَأَمَرَهُ عَلَى الْحَجِّ، فَلَمَّا سَارَ فَبَلَغَ الشَّجْرَةَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ أَتْبَعَهُ بَعْلِيٌّ فَأَخَذَهَا مِنْهُ. فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَأْبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَنْزَلَ فِي شَأْنِي شَيْءٌ ؟ قَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا، وَلَكِنْ لَا يَبْلُغُ عَنِّي غَيْرِي أَوْ رَجُلٌ مَنِّي ». الخ.

3 - النَّيْسَابُورِيُّ :

قال في تفسيره غرائب القرآن [10 : 36] المطبوع بهامش «جامع البيان»: ونزلت هذه السورة سنة تسع، وكان قد أمر فيها أبو بكر على الموسم، فلما نزلت السورة أتبعه عليًّا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم. فقيل له : لو بعثت بها إلى أبي بكر ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مَنِّي », فَلَمَّا دَنَا عَلِيٌّ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ الرَّغَاءَ، فَوَقَّفَ وَقَالَ : هَذَا رَغَاءُ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فَلَمَّا لَحِقَهُ قَالَ : أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ ؟ قَالَ (عليه السلام) : « مَأْمُورٌ ».

وروي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ هَبَطَ جَبْرِئِيلُ (عليه السلام) وَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ لَا يَبْلُغُنَّ رِسَالَتَكَ إِلَّا رَجُلٌ مِنْكَ », فَأَرْسَلَ عَلِيًّا فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشَيْءٌ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ، فَسَرَّ أَنْتَ عَلَى الْمَوْسِمِ وَعَلِيٌّ يَنَادِي بِالْآيِ », فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ التَّروِيَةِ، خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَحَدَّثَهُمْ عَنْ مَنَاسِكِهِمْ، وَقَامَ عَلِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ » الخ.

4 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [2 : 333] : وقد اختلف العلماء في تعيين هذا اليوم المذكور في الآية، فذهب جمعٌ منهم : عليّ بن ابي طالب، وابن مسعود، وابن أبي أوفى، والمغيرة بن شعبة، ومجاهد، أنّه يوم النحر. ورجّحه ابن جرير. وذهب آخرون منهم : عمر، وابن عبّاس، وطاووس أنّه يوم عرفة، والأوّل أرجح، لأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر من بعثه لإبلاغ هذا إلى المشركين أن يبلغهم يوم النحر. ثم قال في [ص 334] : وأخرج عبدالله بن أحمد بن حنبل في «زوائد المسند» وأبو الشيخ، وابن مردويه عن علي قال : لما نزلت عشر آيات من براءة عن⁽³⁾ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا أبا بكر ليقرأها على أهل مكة، ثمّ دعاني فقال لي : أدرك أبا بكر، فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه فاقرأه على أهل مكة، فلحقته فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر وقال : يا رسول الله، نزل فيّ شيء؟ قال : لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك. وأخرج : ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي وحسنه، وأبو الشيخ، وابن مردويه من حديث أنس نحوه.

5 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [5 : 3 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت] : أجمع المفسّرون ونقله الأخبار أنّه لما نزلت براءة دفعها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أبي بكر. ثم أخذها منه ودفعها إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) واختلفوا في تفصيل ذلك، فقيل : إنّ بعثه وأمره أن يقرأ عشر آيات من أوّل هذه السّورة، وأن ينبذ إلى كلّ ذي عهده، ثمّ بعث عليّاً خلفه ليأخذها ويقرأها على الناس، فخرج على ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العضباء حتّى أدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذها منه، وقيل : أنّ أبا بكر رجع فقال : هل نزل فيّ شيء؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «لا، إلاّ خيراً، ولكن لا يؤدّي عني إلاّ أنا أو رجلٌ مني». وقيل : إنّ قرأ عليّ براءة على الناس، وكان أبو بكر أميراً على الموسم، عن الحسن وقتادة وقيل : إنّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذها من أبي بكر قبل الخروج ودفعها إلى عليّ (عليه السلام) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «لا يبلغ عني إلاّ أنا أو رجلٌ مني». ثمّ قال : وروى أصحابنا أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ولّاه أيضاً الموسم، وأنّه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر.

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن سمّاك بن حرب عن أنس بن مالك: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل مكة، فلمّا بلغ ذا الحليفة بعث إليه فردّه، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «لا يذهب بهذا إلاّ رجل من أهل بيتي»، فبعث عليّاً (عليه السلام).

(3) هكذا في الأصل، والظاهر انها «على».

6 - شرف الدين الموسوي :

قال في التعليقات من مراجعته : [ص 167 ط . المجمع العالمي لأهل البيت (ع)] في هامش الكتاب على حديث : «عليّ منّي وأنا من عليّ، لا يؤدّي عنيّ إلا أنا أو عليّ» أخرجه ابن ماجّة في «فضائل الصّحابة» [ص 92] من الجزء الأوّل من سننه، والترمذي، والنسائي في صحيحيهما، وهو الحديث 2531 في [ص 153] من الجزء السّادس من الكنز، وقد أخرجه الإمام أحمد في [ص 164] من الجزء الرّابع من مسنده من حديث حبشي بن جنادة بطرق متعدّدة كلّها صحيحة، وحسبك أنّه رواه عن يحيى بن آدم عن إسرائيل بن يونس، عن جدّه أبي إسحاق السّبيعي عن حبشي، وكل هؤلاء حججٌ عند الشّيوخ، وقد احتجّا بهم في الصّحّاحين، ومن راجع هذا الحديث في مسند أحمد، علم أنّ صدره إنّما كان في حجة الوداع التي لم يلبث النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدها في هذه الدّار الفانيّة إلا قليلاً، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ذلك أرسل أبا بكر في عشر آيات من سورة براءة، ليقرأها على أهل مكّة، ثمّ دعا عليّاً فيما أخرجه الإمام أحمد في [1 : 151] من مسنده، فقال له : «أدرك أبا بكر، فحيثما لقينته فخذ الكتاب منه، فاذهب أنت به إلى أهل مكّة فاقرأ عليهم». فلحقه في الجحفة فأخذ الكتاب منه. قال : ورجع أبو بكر إلى النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله نزل فيّ شيءٌ ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال : «لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجلاً منك». اهـ.

وفي حديث آخر أخرجه أحمد في [1 : 150] من المسند عن عليّ: أنّ النّبيّ حين بعثه ببراءة قال (صلى الله عليه وآله) له : «لا بدّ أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت»، قال عليّ : فإن كان ولا بدّ فسأذهب أنا، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «فانطلق فإنّ الله يثبّت لسانك ويهدي قلبك».

* * *

المبحث الرابع والعشرون

في قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

القُرْبَى) [الشورى : 23]

اختلفت الأقوال وتضاربت الآراء في تأويل معنى القربى من هذه الآية الكريمة، ولا غرو أنّهم لا يزالون مختلفين ماداموا يزعمون بأنّ الاختلاف رحمة لا نقمة، ومن أعجب ما بلغ بهم الاختلاف فيه إنكار بعضهم كما ذكر الغدير [1 : 171] على من رأى بأنّ المعنيّ بالقربى هم آل بيت رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) أهل الكساء المطهرون: علي وفاطمة والحسنان. على أنّ جمعاً كثيرين من أعلام الأمة قد ذكروا ذلك من بين مشتبهات الأقوال المختلفة في تأليفهم وتفسيرهم ومصنفاتهم منهم :

1 - الزمخشري:

قال في تفسيره الكشاف [4 : 219 - 220 ط . منشورات البلاغة قم] بعد بسط القول في معنى القربى : وروي أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): « علي وفاطمة وابناهما »، ويدلّ عليه ما روي عن عليّ(رضي الله عنه): شكوت إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حسد الناس لي فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيمننا وشمائلنا، وذريتنا خلف أزواجنا »، وعن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : « حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعاً إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا اجازيه عليها غداً، إذا لقيني يوم القيامة ».

وروي أنّ الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا، كأنّهم افتخروا، فقال عبّاس أو ابن عبّاس(رضي الله عنه): لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فأتاهم في مجالسهم فقال : «يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أدلة فأعزّكم الله بي» ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : «ألم تكونوا ضلّالاً فهداكم الله بي» ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : «أفلا تجيبونني» ؟ قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : «ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فأويناك ؟ أو لم يكذبوك فصدّقناك ؟ أو لم يخذلوك فنصرناك» ؟ قال : فما زال يقول حتّى جثوا على الرّكب. وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، فنزلت الآية.

وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : « من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشرّه ملك الموت بالجنة ثمّ منكرٌ ونكيرٌ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حبّ محمد وآل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه آيسٌ من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنة ».

2 - الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [4 : 534] : ثمّ لما ذكر سبحانه ما أخبر به نبيّه(صلى الله عليه وآله وسلم)من هذه الأحكام الشريفة التي اشتمل عليها كتابه، أمره بأن يخبرهم بأنّه لا يطلب منهم هذا التبليغ ثواباً

منهم، فقال : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) أي قل يا محمد : لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلاً ولا نفعاً، (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى). هذا الاستثناء يجوز أن يكون متصلاً : أي إلا أن تودوني لقرابتي بينكم، أو تودوا أهل قرابتي.

ثم أورد حديثاً في سبب النزول ما أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طريق مقسم عن ابن عباس، قال : قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، وكأنهم فخرُوا. إلى آخر الحديث السالف ذكره⁽⁴⁾.

3 - الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [9 : 28 ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت] في القول الثالث : إن معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم (عليهما السلام). عن علي بن الحسين (عليه السلام) وسعيد بن جبيرة، وعمرو بن شعيب وجماعة، وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله (عليهما السلام).

وأخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال : أخبرنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال : حدّثني القاضي أبو بكر الحميري قال : أخبرنا أبو العباس الضبعي قال : أخبرنا الحسن بن علي بن زياد السري قال : أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال : حدّثنا حسين الأشتر قال : أخبرنا قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : لما نزلت : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) الآية قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « علي وفاطمة وولدهما ».

وأخبرنا السيد أبو الحمد قال : أخبرنا الحاكم أبو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب «شواهد التنزيل لقواعد التفضيل» مرفوعاً إلى أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها⁽⁵⁾، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاع عنها هوى، ولو أن عبداً عبداً بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام، حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبتنا كبّه الله على منخريه في النار، - ثم تلا - : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ».

وروى زاذان عن علي (عليه السلام) قال : فينا في آل حم آية، لا يحفظ مودّتنا إلا كلّ مؤمن. ثم قرأ هذه الآية. وإلى هذا أشار الكميّ في قوله :
وجدنا لكم في آل حم آية *** تأولها منّا تقي ومعرّب

وذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره: حدّثني عثمان بن عمير، عن سعيد بن جبيرة عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قدم المدينة واستحكم الإسلام، قالت الأنصار فيما بينها : نأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنقول له : إن تعروك أمورٌ فهذه أموالنا تحكّم فيها غير حرج ولا محذور عليك. فأتوه في ذلك، فنزلت : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فقرأها عليهم،

(4) فتح القدير 4: 536.

(5) هكذا في الأصل، ولعلّ الصواب : وعلي لقاحها، وفاطمة فرعها .

وقال : تودّون قرابتي من بعدي، فخرجوا من عنده مسلمين لقوله : فقال المنافقون: إن هذا لشيء افتراه في مجلسه، أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده، فنزلت : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) [الشورى : 24] فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم. فأنزل الله : (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) [الشورى : 25].

4 - ابن كثير:

قال في تفسيره [4 : 121] : وقول ثالثٌ وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبيرة ما معناه : أنّه قال معنى ذلك : أن تودّوني في قرابتي، أي تحسنوا إليهم وتبرّوهم. وقال السّدي عن أبي الدّيلم قال : لما جيء بعلي بن الحسين (رضي الله عنه) أسيراً، فأقيم على درج دمشق، قام رجلٌ من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسين (رضي الله عنه) : « أقرأت القرآن ؟ » قال : نعم. قال : « أقرأت ال حم ؟ » قال : قرأت القرآن ولم أقرأ ال حم. قال : « ما قرأت : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ؟ » قال : وإنكم لأنتم هم ؟ قال : « نعم ». وقال أبو اسحاق السّبيعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فقال : قربى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثمّ أورد الحديث الذي جرى بين الأنصار وابن عبّاس أو العبّاس ما أسلفنا ذكره، ثمّ قال : وذكر نزولها في المدينة، فيه نظر لأن السّورة مكّيّة وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة، والله أعلم. وسيأتي الكلام بالتفصيل على قوله بأنّ الآية مكّيّة. ثمّ قال كما في [ص 113] : ولانكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنّهم من ذريّة طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيّما إذا كانوا متّبعين للسّنة النبويّة الصحيحة الواضحة الجليّة، كما كان عليه سلفهم، كالعبّاس وبنيه، وعليّ وأهل بيته وذريّته رضي الله عنهم أجمعين. وقد ثبت في الصّحيح أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في خطبته بغدير خمّ: « إنّني تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ».

ثمّ أورد ما أخرجه الإمام أحمد مسنداً عن العبّاس بن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله: إنّ قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، قال : فغضب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غضباً شديداً وقال : « والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب الرّجل الإيمان حتّى يحبكم لله ولرسوله » ثمّ قال أحمد: حدّثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد المطلب بن ربيعة قال : دخل العبّاس (رضي الله عنه) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : إنّنا لنخرج فنرى قريشاً تحدّث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودرّ عرقٌ بين عينيه ثمّ قال : « والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمانٌ حتّى يحبكم لله ولقرابتي ».

ثمّ أورد فيه أيضاً حديثاً عن أحمد بن حنبل مسنداً إلى يزيد بن حبان، قال : انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم (رضي الله عنه) فلما جلسنا إليه، قال حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله (رضي الله عنه) وسمعت حديثه، وغزوت معه وصليت معه، لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال زيد : يابن أخي قد كبر سنّي وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما حدثتكم فاقبلوه، وما لا فلا تكلفوني، ثمّ قال : قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثمّ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أما بعد، أيّها النّاس إنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب، وإنّي تاركٌ فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به». فحثّ على كتاب الله ورغب فيه، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «وأهل بيتي أدرككم الله في أهل بيتي، أدرككم الله في أهل بيتي»، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : إنّ نساءه لسن من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده. قال : ومن هم ؟ قال : هم آل عليّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس رضي الله عنهم، قال : أكل هؤلاء حرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم. وهكذا رواه مسلم والنسائي من طريق يزيد بن حبان.

5 - الحبيب علوي بن طاهر الحداد:

قال في كتابه «القول الفصل» [1 : 474 ط. جاو] ردّاً على من قال إنّ هذه الآية منسوخة، وإنّما نزلت بمكة «الخ» : وهذا قولٌ غير مرضيٍّ، لأن مودة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكفّ الأذى عنه ومودة أقرابه ومودة التّقرّب الى الله بالطاعة والعمل الصّالح من فرائض الدّين، وهذه أقاويل السّلف في معنى الآية، ولا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء، وقوله: (إلا المودة في القربى) ليس باستثناء متّصل بالأوّل، حتّى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرّسالة، بل هو منقطعٌ. ومعناه : ولكيّ أدرككم المودة في القربى، وأدرككم قرابتي منكم، كما روينا في حديث زيد بن أرقم: «أدرككم الله في أهل بيتي». ثمّ قال : قال السّمهودي، وذكر الثعلبي نحوه وزاد: «وكفى قبحاً بقول من زعم أنّ التّقرّب إلى الله بطاعته ومودة نبيّه وأهل بيته عليه وعليهم السّلام منسوخ».

ثمّ قال : قد أخرج السيوطي في الاتقان خبرين ذكر فيهما ترتيب نزول سور القرآن، وفيهما ذكر تأخّر نزول سورة الشورى التي فيها: (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) عن سورة ص والفرقان اللتين فيهما الآيتان التّاسختان بزعمهم : وهما : (قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً). والثانية : (قل ما أسألكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلفين).

ثمّ أورد في [ص 480] حديث ما جرى بين العباس أو ابنه وبين الأنصار كما أسلفنا ذكره. وذكر في [ص 482] ما أخرجه الطبراني في «الأوسط» و «الكبير» والبرزّار بنحوه وقال : وبعض طرقها حسناً. عن أبي الطفيل قال : خطبنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) فحمد الله وأثنى عليه، إلى أن

قال : «من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)» ثم تلا هذه الآية: (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)، ثم أخذ في كتاب الله ثم قال : «أنا ابن البشير النذير، أنا ابن النبي، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودّتهم وولايّتهم، فقال فيما أنزل على محمد(صلى الله عليه وآله وسلم): (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

ورواه الحافظ جمال الدين الزرندي عن أبي الطفيل، وجعفر بن حبان، فذكره بنحوه. إلا أنه قال : وأنا من أهل البيت الذي كان جبرئيل ينزل فينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، وأنزل الله فيهم : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَعْتَرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا).

6 - الطبري :

قال في تفسيره جامع البيان [11 : 144 ط. دار الكتب العلمية - بيروت] بعد أن ذكر أقوالاً : وقال آخرون: بل معنى ذلك : قل لمن تبعك من المؤمنين: لا أسألكم على ما جئتمكم به أجراً إلا أن تودّوا قرابتي. ثم أخرج بإسناده رواية زين العابدين، كما ذكرها بنحو ما رواه ابن كثير، ورواية ما جرى بين العباس أو ابنه وبين الأنصار، كما تقدّم في رواية الزمخشري. ثم قال: حدّثني يعقوب، قال حدثنا: مروان عن يحيى بن كثير، عن أبي العالية، عن سعيد بن جبير في قوله: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : هي قربي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال: حدّثني محمد بن عمارة الأسدي ومحمد بن خلف، قالا : حدّثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال : سألت عمرو بن شعيب عن قول الله عزّوجل: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : قربي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

7 - النيسابوري :

قال في تفسيره المطبوع بهامش جامع البيان [24 : 35] : القول الرابع : عن سعيد بن جبير لما نزلت هذه الآية، قالوا : يا رسول الله، من هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم لقرابتك ؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «عليّ وفاطمة وابناهما». ولا ريب أنّ هذا فخرٌ عظيم، وشرفٌ تام. ويؤيّد ما روي أنّ عليّاً(رضي الله عنه) شكّا إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حسد النّاس فيه، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «أما ترضى أن تكون رابع أربعة ؟ أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيّماننا وشمائلنا، وذريّاتنا خلف أزواجنا». وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم) : « حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في

عترتي، ومن اصطنع صنيعه إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يُجازِه عليها، فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة». وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها ». وثبت بالتَّحْقِيق المتواتر أنه كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا كان ذلك وجب علينا محبتهم لقوله (فَاتَّبِعُوهُ)⁽⁶⁾، وكفى شرفاً لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم في كل صلاة، قال بعض المذكرين: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق ».

8 - الأُمِينِي:

قال في غديره [2 : 306] عند شرحه شعر العبد من قوله :

فولا هم فرضٌ من الرّح *** مان في القرآن واجب

أشار به الى قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) توجد في الكتب والمعاجم أحاديث وكلمات ضافية حول الآية الشريفة، لا يسعنا بسط المقال فيها، غير أننا نقتصر بجملة منها :

1 - أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والواحدي، والثعلبي، وأبو نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : « علي وفاطمة وابناهما ».

ورواه محبّ الدّين الطُّبري في الذخائر [ص 25] والزّمخشري في «الكشاف» [2 : 329]، والحمّوي في «الفراید» والنيسابوري في تفسيره [1 : 165] هامش تفسير الرازي وابن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل» [ص 8] وصحّحه، والرازي في تفسيره، وأبو السعود في تفسيره، هامش تفسير الرازي [7 : 665] وأبو حيّان في تفسيره [7 : 516]، والنسفي في تفسيره هامش تفسير الخازن [4 : 99] والحافظ الهيثمي في «المجمع» [9 : 168] وابن الصّباغ المالكي في «الفصول المهمّة» [ص 12] والحافظ الكنجي في «الكفاية» [ص 31] والقسطلاني في «المواهب» وقال : ألزم الله مودّة قريبه كافة بريّته، وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريّته، فقال تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

ورواه الزّرقاني في «شرح المواهب» [7 : 3 و 21] وابن حجر في «الصّواعق» [ص 101 و 135] والسيوطي في «إحياء الميت» هامش الاتحاف [ص 239]، والشّبلنجي في «نور الأبصار» [ص 112] والصّبّان في «الإسعاف» هامش نور الأبصار [ص 105].

2 - أخرج الحافظ أبو عبد الله الملا في سيرته : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي، وإنّي سأنلكم غداً عنهم»، ورواه محبّ الدين الطبري في «الذخائر» [ص 25] وابن حجر في «الصواعق» [ص 102 و 136] والسّمهودي في «جواهر العقدين».

عن جابر بن عبد الله : جاء أعرابي إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : يا محمّد اعرض عليّ الإسلام، فقال (صلى الله عليه وآله) : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله، قال : تسألني عليه أجراً ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : « لا إلا المودة في القربى »، قال : قرابتك أو قرابتك ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : « قرابتي»، قال : هات أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحبّ قرابتك لعنة الله، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) : « آمين ». أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية [ص 31] من طريق الحافظ أبي نعيم عن محمد بن أحمد بن مخلد عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.

وقال في [ص 310] : وقال المناوي : قال الحافظ الزّرندي : لم يكن أحد من العلماء المجتهدين والأئمّة المتهتدين إلا وله في ولاية أهل البيت الحظ الوافر، والفخر الزّاهر، كما أمر الله بقوله : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى).

وقال الفخر الرازي في تفسيره [7 : 390] : وأنا أقول : آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل. ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلول بالنقل المتواتر، وجب أن يكونوا هم الآل.

وقال ابن حجر في «الصّواعق» [ص 89] : أخرج الدّيلمي عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (وقفوهم إنهم مسؤولون) عن ولاية عليّ ، وكأنّ هذا هو مراد الواحدي بقوله : روي في قوله تعالى : (وقفوهم إنهم مسؤولون) عن ولاية عليّ وأهل البيت، لأن الله أمر نبيه أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم عن تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى، والمعنى أنّهم يسألون : هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أضاعوها وأهملوها، فتكون عليهم المطالبة والتّبعة ؟

وذكر في الصّواعق [ص 101] للشّيخ شمس الدّين بن العربي قوله :

رأيت ولائي آل طه فريضة *** على رغم أهل البعد يورثني القربا

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى *** بتبليغه إلا المودة في القربى

وذكر ابن الصّبّاغ المالكي في فصوله [ص 13] لقائل :

هم العروة الوثقى لمعتصم بها *** مناقبهم جاءت بوحى وإنزال

مناقب في شورى وسورة هل أتى *** وفي سورة الأحزاب يعرفها التّالي

وهم آل بيت المصطفى فودادهم *** على النّاس معروض بحكم وإسجال

وذكر لآخر :

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصاً *** تمسّك في أخراه بالسّبب الأقوى

هم القوم فاقوا العالمين مناقباً *** محاسنهم تجلى وآثارهم تروى
موالاتهم فرضٌ وحبهم هدى *** وطاعتهم ودّ وودّهم تقوى
وذكر الشّبلنجي في نور الأبصار [ص 13] لأبي الحسن بن جبیر :
أحب النبيّ المصطفى وابن عمّه *** عليّاً وسبطيه وفاطمة الزّهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم *** وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهرا
موالاتهم فرضٌ على كل مسلم *** وحبهم أسنى الدّخائر للأخرى
وما أنا للصّحب الكرام بمبغض *** فإني أرى البغضاء في حقهم كفرا

9 - النّبّهاني:

قال في كتابه «الشّرف المؤبّد لآل محمّد» [ص 146 الطبعة الثانية بمطبعة الحلبي وأولاده] في المقصد الثالث : قال الله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) : القربى : مصدرٌ بمعنى القرابة، وهو على تقدير مضاف، أي ذوي القربى، يعني الأقرباء، وعبرَ بفي ولم يعبرَ باللام، لأن الظرفيّة أبلغ وأكد للمودّة.

نقل الإمام السيوطي في «الدرّ المنثور» وكثيرٌ من المفسّرين عند تفسير هذه الآية عن ابن عبّاس (رضي الله عنه) قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال : « علي وفاطمة وولدهما ».

وفيه عن ابن عبّاس قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا، وكأنّهم فخرُوا، فقال العبّاس : لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتاهم في مجالسهم فقال : « يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أدلة فأعزّكم الله بي ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله، قال : « أفلا تجيبوني ؟ » قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : « ألا تقولون ألم يخرجك قومك فأويناك ؟ أو لم يكدّبوك فصدّقناك ؟ أو لم يخذلوك فنصرناك ؟ » فما زال يقول حتى جثوا على الرّكب. وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله. فنزلت : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى). وعن طاووس قال : سئل عنها ابن عبّاس فقال : هي قربي آل محمّد.

وقال المقرئزي : قال جماعة من المفسّرين في تفسير الآية : قل لمن اتّبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جنّتكم به أجراً إلا أن تودّوا قرابتي.

وعن أبي العالية عن سعيد بن جبیر (إِنْ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : هي قربي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعن أبي إسحاق قال : سألت عمرو بن شعيب عن قول الله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : قربي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأورد في [ص 150] من نفس المصدر عن السدي عن أبي الديلم قال : لمّا جيء بعليّ بن الحسين أسيراً وأقيم على درج دمشق، قام رجلٌ من أهلها فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة. فقال له علي : « أقرأت القرآن ؟ » قال : نعم، قال : « قرأت ال حم ؟ » قال : قرأت ولم أقرأ ال حم. قال : « ما قرأت : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ؟ »، قال : فإنكم لإياهم ؟ قال : « نعم ».

قلت : ما أحسب أنّ هذا الرجل كان مؤمناً، بلى كان مؤمناً بالحب والبطاوت. فإنّ هذا الهذيان لا يصدر عن لسان مؤمن بالله ورسوله، وكيف يستقرّ الإيمان في قلب رجل يحمي الله على قتل آل المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) واستئصالهم. وما أظنّ أنّ أبا جهل كان لله ولرسوله أعدى من هذا الملحد. ولعلنا لا نعدم في زماننا هذا من هو على شاكلته في الضلال بكراهية أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة.

فقد رأينا من إذا سمع بذكر مزية امتازوا بها، أو منقبة أسندت إليهم، ووصفوا بها من الله أو رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو السلف الصالح، أو علماء الأمة وأوليائها، يقطب وجهه ويتغيّر خلقه، ويودّ بلسان حاله أنّ تلك المزية لم تكن لهم.

وقد يتكلف الأقاويل الواهية، والأخبار الموضوعة، والآثار المصنوعة ليطفئ بها نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وقال في [ص 181] : قال المناوي : قال الحافظ الزرندي : لم يكن أحدٌ من العلماء المجتهدين والائمة المهتدين، إلا وله في ولاية أهل البيت الحظ الوافر، والفخر الزاهر، كما أمر الله بقوله : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

قلت : وإلّا قيّد الحافظ بالعلماء المجتهدين، والائمة المهتدين، لأنهم قدوة الأمة. فإذا كانت هذه صفتهم فلا ينبغي لمؤمن أن يتخلف عنهم. فإنّ وصف الإيمان كان لوجوب محبة أهل البيت رضي الله عنهم وبقدر زيادته تكون زيادتها، ومن هنا كان للعلماء المجتهدين، والائمة المهتدين في موالاتهم الحظ الوافر، والفخر الزاهر.

ثمّ أورد في [ص 257] عبارة القطب العارف الشّعрани، وذلك : أخذ علينا اليهود أنّ لا نسب الروافض الذين يقدّمون علياً في المحبة على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. لا الذين يسبّونهما، لا سيّما إن كانوا أشرفاً من أولاد فاطمة رضي الله عنها، أو من أهل القرآن.

فإياك يا أخي من قولك: فلانٌ رافضي كلب، فإنّ ذلك لا ينبغي، والذي نعتقه أنّ المغالاة في محبة عليّ والحسن والحسين وذريتهما مطلوبٌ بنصّ القرآن في قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) والودّ : ثبات المحبة ودوامها، فنسكت عن سبّ من قدّم جدّه في المحبة على غيره ما لم يعارض النصوص، وذلك لأنّ تعصّب الانسان لأجداده الذين حصل له بهم الشرف أمرٌ واقعٌ في كثير

من العلماء، فضلاً عن آحاد الناس من الشرفاء. ولذلك قالوا : من النّوادر شريفٌ سَيِّ يُقدِّمُ أبا بكر وعمر على جدّه عليّ. وكان الإمام الشّافعي ينشد :

إن كان رفضاً حب آل محمّد *** فليشهد الثّقان أنّي رافضي

فأعذر يا أخي كلّ من قامت له شبهةٌ ما لم تهدم شيئاً من أصول الدّين الصّريحة، كإنكار صحبة أبي بكر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو براءة عائشة، واترك الروافض إلى الله يفصل بينهم يوم القيامة. وهو كلام عارف كبير منصف خبير. رضي الله عنه ونفعنا به.

وحاصل العبارة أنّ الشّريف السّنيّ الموصوف بتقديم أبي بكر وعمر على جدّه عليّ من النّوادر. وأكثرهم سنّيون لا يقولون بالتقديم، مع حبّ الشّيوخ والصّحابة جميعاً، والاعتراف بفضلهم، وهذا لا يضرّهم في دينهم شيئاً.

10 - الثّعلبي:

أخرج في تفسيره «الكشف والبيان» على ما في «إحقاق الحقّ وازهاق الباطل» [9 : 92] لنور الله الحسيني عن ابن عبّاس (رضي الله عنه) أنّه قال : لمّا نزلت : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قالوا : يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء 0000000000 الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال : « علي وفاطمة وابناهما ».

وذكر في نفس المصدر جمعاً يروون هذا الخبر لا يستهان بعدّتهم، منهم :

الحافظ الطّبراني في «المعجم الكبير» [ص 131].

وأبو نعيم في كتابه «نزول القرآن».

والخوارزمي في كتابه «مقتل الحسين» [ص 57 ط . النّجف].

ومحب الدّين الطّبري في «ذخائر العقبى» [ص 25 ط . مصر].

والتفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر الشّافعي في «شرح المقاصد» [2 : 219 ط . الاستانة].

والقسطلاني الشّافعي في «المواهب اللّدينية» [7 : 3 ط . الأزهرية بمصر].

وابن حجر العسقلاني في «الكاف الشّاف» [ص 145 ط . مصر].

والسيوطي في «إحياء الميت» [ص 110 ط . مصر]، وفي «الإكليل» [ص 190 ط . مصر].

والشّبراوي في «الاتحاف» [ص 13 و 5 ط . مصر].

والحافظ البدخشي في «مفتاح النّجا» [ص 12 مخطوط].

والرّازي في تفسيره [27 : 166 ط . مصر].

والبيضاوي في تفسيره [4 : 123 ط . مصر].

والنّسفي في تفسيره بهامش الخازن [ص 95].

وأبو حيّان في تفسيره «البحر المحيط» [7 : 516 ط . مصر].

والسيوطي في «الدر المنثور» [6 : 7 ط . مصر].

وابن حجر الهيتمي في «الصواعق المحرقة» [ص 101 ط . مصر].

وابن أبي حاتم في تفسيره على ما في «الينابيع» و «فلك النجاة». «صاحب كتاب الجرح والتعديل» المتوفى سنة (327).

والعلامة السيد أبو بكر العلوي الحضرمي الشافعي في «رشفة الصادي» [ص 22 ط . القاهرة].
وغيرهم ممن يطول بذكرهم.

«عود إلى قول ابن كثير حول الآية»

قال فيما مضى من تفسيره حول هذه الآية بأن السورة مكية. وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة. والله اعلم.

أقول : إن لقوله هذا رئة تيمية، فليس من العجب إذا كان التلميذ مقتفياً آثار شيخه ومتعصباً لخطته. فإن ابن تيمية كان يطعن طعنًا عنيفًا فيمن قال إن الآية نزلت في أهل بيت النبوة. كما أنبأنا بذلك الأميني في غديره [3 : 171] في ذكر رد ابن تيمية على العلامة الحلبي في قوله: أما قوله (يعني العلامة): وأنزل الله فيهم : (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) فهذا كذب، فإن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية بلا ريب. نزلت قبل أن يتزوج علي بفاطمة، وقبل أن يولد له الحسن والحسين. «إلى أن قال»: وقد ذكر طائفة من المصنفين من أهل السنة والجماعة والشيعة من أصحاب أحمد وغيرهم حديثًا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن هذه الآية لما نزلت قالوا : يا رسول الله من هؤلاء ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « علي وفاطمة وابناهما »، وهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث. ومما يبين ذلك أن هذه نزلت بمكة باتفاق أهل العلم، فإن سورة الشورى جميعها مكية بل جميع ال حم كلهن مكيات.

قال الأميني تغمده الله برحمته ردًا على كلماته القارصة الخشنة بقوله كما في غديره [3 : 171] : لو لم يكن في كتاب الرجل إلا ما في هذه الجمل من التدجيل والتمويه على أجر صاحب الرسالة، والقول المزور، والفرية الشائنة، والكذب الصريح، لكفى عليه عاراً وشناراً.

لم يصرح أحد بأن الآية مكية فضلاً عن الاتفاق المكذوب على أهل العلم، وإنما حسب الرجل ذلك من إطلاق قولهم : إن السورة مكية. «إلى أن قال»: ودعوى كون جميع سورة الشورى مكية تكذبها استثناءهم قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)، إلى قوله : (خَبِيرٌ بِصِير).

وهي أربع آيات. واستثناء بعضهم قوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ)، إلى قوله : (مِنْ سَبِيلٍ)، وهي عدة آيات فضلاً عن آية المودة.

ونص القرطبي في تفسيره [16 : 1] : والنيسابوري في تفسيره والخازن في تفسيره [4 : 49] :
والشوكاني في «فتح القدير» [4 : 510] وغيرهم عن ابن عباس، وقتادة على أنها مكية إلا أربع آيات أولها : (قل لا أسألكم عليه أجرًا).

وأما حديث أن الآية نزلت في عليّ وفاطمة وابناهما⁽⁷⁾، وإيجاب مودّتهم بها، فليس مختصاً بآية الله العلامة الحلي ولا بأئمة من الشيعة، بل أصفق المسلمون على ذلك، إلا شذاداً من حملة الرّوح الأمويّة، نظراء ابن تيميّة وابن كثير. ولم يقف القارئ ولن يقف على شيء من الاتفاق المكذوب على أهل المعرفة بالحديث. ليت الرّجل دلّنا على بعض من أولئك المجمعين أو على شيء من تأليفهم، أو على نور من كلماتهم.

«راجع الغدير» [3 : 172] تجد هناك أمّة كثيرين من رواة هذا الحديث.

* * *

(7) هكذا في الأصل، والصحيح وابنيهما.

المبحث الخامس والعشرون

في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نُجُورِكُمْ صَدَقَةً) [المجادلة : 12].

إنّ في ضمن هذه الآية الشريفة لأمرأ من أوامر الله عزّوجلّ كما يعرفه الثّالي، ولكن ليس لأحد من العالمين نصيبٌ بامتناله، غير أفضل السّابقين، وصالح المؤمنين، وأميرهم ويعسوبهم عليّ بن أبي طالب ذو الحظّ العظيم. ولقد تقدّر (عليه السلام) ظاهراً في ربي هذا الفضل وحيداً لا يشاركه فيه جميع المؤمنين والمسلمين، وسائر الأُمّة من الأوّلين والآخرين. كما نصّ على ذلك قادة الأُمّة وأصفقت عليه عظماء الأُمّة. منهم :

1 - الشوكاني:

قال في تفسيره المذكور [5 : 191 ط . الحلي بمصر] : وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنة. وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، والنّحاس، وابن مردويه، عن عليّ بن أبي طالب قال : لما نزلت : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نُجُورِكُمْ صَدَقَةً) قال لي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما ترى، دينار ؟ » قلت : لا يطيقونه، قال : « فنصف دينار؟ » قلت : لا يطيقونه، قال : فكم؟ قلت : شعيرة. قال : « إنك لزهيدٌ »، قال : فنزلت : (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نُجُورِكُمْ صَدَقَاتٍ) الآية. فبي خفف الله عن هذه الأُمّة. والمراد بالشّعير : وزن شعيرة من ذهب. وليس المراد واحدة من حب الشّعير.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : (إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) الآية. قال : إنّ المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتّى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه. فلمّا قال ذلك ظنّ⁽⁸⁾ كثير من النّاس وكفّوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا : (أَشْفَقْتُمْ) الآية.

وأخرج عبد الرزّاق وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه (عليه السلام) قال : ما عمل بها أحدٌ غيري حتّى نسخت.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن راهوية، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه عنه (عليه السلام) أيضاً قال : إن في كتاب الله لآية، ما عمل بها أحدٌ

(8) هكذا في الأصل، ويبدو انها «ضن» بمعنى بخل.

قبلي. ولا يعمل به أحدٌ بعدي. آية النجوى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) كان عندي دينارٌ فبعته بعشرة دراهم، فكنت كلما ناجيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قدّمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحدٌ، فنزلت: (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الآية.

2 - الزمخشري:

قال في تفسيره المذكور [4 : 493 ط . منشورات البلاغة - قم] : روي أَنَّ النَّاسَ أَكْثَرُوا فِي مَنَاجَاةِ رَسُولِ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) بما يريدون حتّى أملّوه وأبرموه. فأريد أن يكفّوا عن ذلك. فأمرُوا بأن من أراد أن يناجيه قدّم قبل مناجاته صدقة، قال علي(رضي الله عنه) : لمّا نزلت دعاني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : «ما تقول في دينار؟» قلت : لا يطيقونه. قال : « كم ؟ » قلت : حبة أو شعيرة، قال : «إنّك لزهيد». فلمّا رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفّوا. أمّا الفقير فلعسرته، وأمّا الغني فلشحه، وقيل: كان ذلك عشر ليالٍ ثم نسخ.

وعن علي(رضي الله عنه) : « إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي. كان لي دينارٌ فصرّفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم »، قال الكلبي : تصدّق به في عشر كلمات سألهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). وعن ابن عمر : كان لعلّي ثلاثٌ. لو كانت، لي واحدةٌ منها كانت أحب إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

3 - الطبرسي:

قال في تفسيره المذكور [9 : 253 ط . بيروت مؤسسة التاريخ العربي]، وأمّا قوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) فإنّها نزلت في الأغنياء. وذلك أنّهم كانوا يأتون النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فيكثرّون مناجاته، فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة، فلمّا رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته.

وقال أمير المؤمنين صلوات الرّحمن عليه : « إن في كتاب الله لآية، ما عمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) الآية، كان لي دينارٌ فبعته بعشرة دراهم، فكلّما أردت أن أناجي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قدّمت درهماً، فنسختها الآية الاخرى: (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الآية. فقال صلوات الله عليه : بي خفف الله عن هذه الأمة. ولم ينزل في أحد قبلي، ولم ينزل في أحد بعدي .

وقال ابن عمر : وكان لعلّي بن أبي طالب(عليه السلام) ثلاثٌ، لو كانت لي واحدةٌ منهنّ لكانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. وقال مجاهد وقتادة : لمّا

نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدقوا، لم يناجه إلا علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات، قدم ديناراً فتصدق به، ثم نزلت الرخصة.

4 - ابن كثير:

قال في تفسيره [4 : 349 ط. دار المعرفة - بيروت] في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) : يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين: إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أي يسارّه فيما بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة. (إلى أن قال) : وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

قال ابن أبي نجيح: عن مجاهد قال : نهوا عن مناجاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب، قدم ديناراً صدقة تصدق به، ثم ناجى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسأله عن عشر خصال. ثم نزلت الرخصة.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال علي (رضي الله عنه) : آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي. كان عندي دينارٌ فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيت رسول الله تصدقت بدرهم. فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي. ثم تلا هذه الآية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) الآية.

وروى الترمذي عن سفيان بن وكيع، عن يحيى بن آدم، عن عبيد الله الأشجعي. عن سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : لما نزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) إلى آخرها، قال لي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما ترى، دينارٌ ؟ قال (عليه السلام) : لا يطيقونه، وذكر بتمامه مثله.

وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس، قوله: (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى شقوا عليه. فأراد الله أن يخفف عن نبيّه (عليه السلام)، فلما قال ذلك جبن كبير من المسلمين، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: (أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ).

5 - الطبري:

قال في تفسيره «جامع البيان» [28 : 14] : حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ)، قال : نهوا عن مناجاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قدم ديناراً فتصدق به، ثم أنزلت الرخصة في ذلك.

حدّثنا محمد بن عبيد بن محمّد المحاربي : قال حدّثنا المطّلب بن زياد، عن ليث، عن مجاهد قال : قال علي(رضي الله عنه): إن في كتاب الله عزّ وجلّ آية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: (يا أيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديّ نجواكم صدقة) قال : فُرِضَتْ ثُمَّ نُسِخَتْ.

حدّثنا أبو كريب. قال: حدّثنا ابن أدريس، قال: سمعت ليثاً، عن مجاهد قال : قال علي(رضي الله عنه): آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا جئت إلى النبي تصدّقت بدرهم، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي (يا أيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديّ نجواكم صدقة).

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان. عن عثمان بن أبي المغيرة عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي قال : قال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : ما ترى، دينار ؟ قال : لا يطيقون، قال : نصف دينار ؟ قال : لا يطيقون، قال : ما ترى ؟ قال : شعيرة، فقال له النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنك لزهيدٌ » قال : قال علي(رضي الله عنه) : فبي خفف الله عن هذه الأمة.

6 - النّيسابوري :

قال في تفسيره «غرائب القرآن» [28 : 23] بهامش «جامع البيان» : عن ابن عباس : كان المسلمون أكثروا المسائل على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حتّى شقّوا عليه، وأراد الله أن يخفّف عن نبيّه، فلمّا نزلت آية النّجوى شخّ كثيرٌ من النّاس فكفّوا عن المسألة.

وقال مقابل بن حيّان : إنّ الأغنياء غلبوا الفقراء في مجلس النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأكثروا مناجاته، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة، فازدادت درجة الفقراء، وانحطّت رتبة الأغنياء، وتميّز محب الآخرة عن محب الدنيا، واختلفوا في مقدار التّأخّر.

فعن الكلبيّ: ما بقي ذلك التّكليف إلّا ساعة من نهار. وعن مقاتل: بقي عشرة أيّام. وعن علي(رضي الله عنه): لما نزلت الآية دعاني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ما تقول في دينار ؟ قلت : لا يطيقونه. قال : كم ؟ قلت : حبة أو شعيرة. قال(صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنك لزهيدٌ»، أي : إنك لقليل المال، فقدرت على حسب مالك. وعنه (عليه السلام) : « إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي. كان لي دينارٌ فاشتريت به عشرة دراهم، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم ». قال الكلبي : تصدّق به في عشر كلمات سألهنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

قال القاضي : هذا لا يدلّ على فضله على أكابر الصّحابة، لأنّ الوقت لعله لا يتّسع للعمل بهذا الفرض. فأجابه النّيسابوري بقوله : قلت: هذا الكلام لا يخلو عن تعصّب ما. ومن أين يلزمنا أن نثبت مفضوليّة علي(رضي الله عنه) في كلّ خصلة ؟ ولم لا يجوز أن يحصل له فضيلة لم توجد لغيره من أكابر الصّحابة ؟ فقد روي عن ابن عمر أنّه قال : كان لعليّ ثلاث، لو كانت لي واحدةٌ منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النّعم، تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الرّاية يوم خيبر، وآية النّجوى. وهل يقول منصفٌ إنّ مناجاة

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نقيصة؟ على أنه لم يرد في الآية نهى عن المناجاة، وإنما ورد تقديم الصدقة على المناجاة، فمن عمل بالآية حصل له الفضيلة من جهتين، سدّ خلّة بعض الفقهاء، ومن جهة نجوى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ففيها القرب منه. الخ.

7 - الحاكم النيسابوري:

قال في كتابه «المستدرک» [2 : 481 - 482 ط. دار المعرفة - بيروت] : أخبرني عبدالله بن محمد الصيّدلاني، حدثنا محمد بن أيوب، أنبأنا يحيى بن المغيرة السّعدي، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽⁹⁾ : « إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحدٌ، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي »، آية النّجوى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) الآية.

قال : كان عندي دينارٌ فبعته بعشرة دراهم، ف ناجيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكننت كلّما ناجيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قدّمت بين يدي نجواي درهمًا، ثم نسخت فلم يعمل بها أحدٌ. فنزلت: (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الآية : هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

* * *

(9) الظاهر، إن هذا اشتباه وقع فيه الحاكم، إذ إن هذا الحديث لعلي (عليه السلام) وليس لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث السادس والعشرون

في قوله عزّوجلّ : (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ) [الحاقة : 12].

لقد ذكر أكثر المفسرين في تفاسيرهم، بأنّ الأذن الواعية الحافظة المذكورة في هذه الآية الشريفة هي أذن علي بن أبي طالب (عليه السلام). واستدلوا في ذلك بحديث ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وممن ذكروا ذلك المعنى في تفاسيرهم وتأليفهم :

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [9 - 10 : 345 - 346 ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت] في قوله تعالى : (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ) أي وتحفظها أذن حافظة لما جاء من عند الله، وقال الفراء : لتحفظها كلّ أذن فتكون عظة لمن يأتي بعد. وروى الطبري بإسناده عن مكحول أنّه لما نزلت هذه الآية قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهم اجعلها أذن علي »، ثم قال علي : « فما سمعت شيئاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنسيته ». «

وروى بإسناده عن عكرمة عن بريدة الأسلمي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعليّ (عليه السلام) : « يا علي إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وتعي، وحقّ على الله أن تعي »، فنزل (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ).

ثم قال الطبرسي : أخبرني فيما كتب بخطه إليّ المفيد أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن عليّ الرّازي، قال: حدّثني الشيخ السّعيد أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطّوسي، والرئيس أبو الجوائز الحسن عليّ بن محمّد الكاتب، والشيخ أبو عبد الله حسن ابن أحمد بن حبيب الفارسي، قالوا: حدّثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمّد المفيد الجرجاني، قال: سمعت أبا عمرو عثمان بن خطاب المعمر المعروف بأبي الدّنيا الأشج، قال: سمعت عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) يقول : لما نزلت : (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « سألت الله عزّوجلّ أن يجعلها أذنك يا علي ».

2 - ابن كثير:

قال في تفسيره [4 : 413] بعد أن أتى بأقوال من فسّر معنى (وَاعِيَةٌ) : وقد قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبو زرعة الدمشقي، حدّثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي، حدّثنا زيد بن يحيى، حدّثنا علي بن حوشب: سمعت مكحولاً يقول : لما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « سألت ربِّي أن يجعلها أذن علي »، قال مكحول : فكان علي يقول : « ما سمعت من رسول الله شيئاً قط فنسيته ». ثم روى من طرق أخرى نحوه.

3 - الزمخشري:

قال في تفسيره «الكتّاف» [4 : 600 ط. قم منشورات البلاغة] في قوله تعالى: (أذُنٌ وَأَعِيَّة) : من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به. ولا تضيّعه بترك العمل، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته. ثم قال : وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعلي (رضي الله عنه) عند نزول هذه الآية : « سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي »، قال علي (رضي الله عنه) : « فما نسيت شيئاً بعد، وما كان لي أن أنسى ».

4 - الشوكاني:

قال في تفسيره «فتح القدير» [5 : 282] : وأخرج سعيد بن منصور، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية من طريق مكحول عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى : (وتعيها أذنٌ وأعِيَّة) قال : قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي »، فقال علي : « ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً فنسيته ». ثم ذكر ما قاله ابن كثير في الحديث كعادته ممّا لا يلتفت إليه ولا يعتبر لسكوت غيره من المفسرين والحفاظ وعدم غمزهم في الحديث المذكور كما علمنا فيما مرّ من تفاسيرهم وممّا سيلي.

5 - النيسابوري:

قال في تفسيره «غرائب القرآن» بهامش «جامع البيان» [29 : 31] بعد أن فسّر قوله تعالى: (وَتَعِيهَا أذُنٌ وَأَعِيَّة) : عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعلي (رضي الله عنه) عند نزول هذه الآية : « سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي »، قال علي (رضي الله عنه) : « فما نسيت شيئاً بعد ذلك، وما كان لي أن أنسى ».

6 - الطبري:

قال في تفسيره «جامع البيان» [12 : 123 ط. دار الكتب العلمية - بيروت] بعد أن ذكر أقوال أهل التأويل في قوله تعالى: (وتعيها أذنٌ وأعِيَّة) : حدّثنا علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب. قال سمعت مكحولاً يقول : قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (وَتَعِيهَا أذُنٌ وَأَعِيَّة)، ثم التفت إلى علي فقال : «سألت الله أن يجعلها أذنك»، قال علي (رضي الله عنه) : « فما سمعت شيئاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنسيته ».

حدّثني محمد بن خلف، قال: ثني بشر بن آدم، قال: ثنا عبدالله بن الزبير، قال: ثني عبد الله بن رستم، قال: سمعت بريدة يقول : سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)يقول لعليّ : « يا علي إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وأن تعي، وحق على الله أن تعي، قال : فنزلت (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ).

حدّثني محمد بن خلف، قال: ثنا الحسن بن حماد، قال: ثنا اسماعيل بن ابراهيم أبو يحيى التيمي، عن فضيل بن عبد الله، عن أبي داود، عن بريدة الأسلمي قال : سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعليّ : « إن الله أمرني أن أعلمك وأن أدنيك، ولا أجفوك ولا أقصيك »، ثم ذكر مثله.

7 - الأميني:

قد أورد رحمه الله في غديره [3 : 394] قصيدةً طويلةً للزّاهي، وهو أبو القاسم عليّ بن إسحاق بن خلف القطّان البغدادي الشّهير بالزّاهي نسبةً الى «زاه» (قرية من قرى نيسابور)، وما قاله معرباً عمّا نحن بصددّه:

والأذن الواعية الصّماء عن *** كلّ خنا يغلط فيه من غلط

قال الأميني : قوله : (الأذُنُ الوَاعِيَةُ) إشارة الى ما أخرجه الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» [1 : 62] عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : « يا علي إنّ الله عزّوجلّ أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي، وأنزلت هذه الآية: (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ) فأنت أذنٌ واعيةٌ لعلمي ». وأخرجه جمعٌ من الحفاظ، وقال القاضي الأيجي في «المواقف» [3 : 276] أكثر المفسّرون في قوله تعالى: (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ) أنّه علي.

المبحث السابع والعشرون

في قوله تعالى : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى : 5].

للمفسرين في تأويل معنى العطاء في هذه الآية الكريمة الذي وعده الله عزّوجلّ حبيبه المصطفى يوم القيامة فيرضى به، أقوالٌ : أحدها أنّه إنّما يرضى عليه الصّلاة والسّلام بأن لا يدخل أحدٌ من أهل بيته النّار، وفي رواية : أحدٌ من أمّته، وممّن ذكر ذلك في تفاسيرهم :

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [9 - 10 : 505 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت] : معناه وسيعطيك ربك في الآخرة من الشّفاة والحوض وسائر أنواع الكرامة فيك وفي أمّتك ما ترضى به. وروى حرث بن شريح عن محمد بن علي «ابن الحنفية» أنّه قال : يا أهل العراق تزعمون أنّ أرجى آية في كتاب الله عزّوجلّ : (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) الآية. وإنّا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) وهي والله الشّفاة، ليعطيها في أهل لا إله إلاّ الله، حتى يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ربّ رضىيت ». وعن الصّادق (عليه السلام) قال : « دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة عليها السلام وعليها كساءٌ من ثلّة الابل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله لما أبصرها، فقال : يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) ». وقال زيد بن عليّ : إنّ من رضا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدخل أهل بيته الجنة. وقال الصّادق (عليه السلام) : « رضا جدّي أن لا يبقى في النار موحّد ».

2 - الطبري:

قال في تفسيره «جامع البيان» [3 : 149] : وقد اختلف أهل العلم في الذي وعده من العطاء، فقال بعضهم: هو ما حدّثني بن موسى به سهل الرّملي قال : ثنا عمرو بن هاشم. قال سمعت الأوزاعي يحدث عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن عليّ بن عبد الله بن عبّاس عن أبيه قال : عرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هو مفتوح على أمّته من بعده كفراً كفراً فسرّ بذلك فأنزل الله : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كلّ قصر ما ينبغي من الأزواج والخدم.

وقال آخرون في ذلك ما حدّثني به عبّاد بن يعقوب، قال: ثنا الحكم بن ظهير عن السّدي عن ابن عبّاس في قوله: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) قال : من رضا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا يدخل أحدٌ من أهل بيته النّار.

3 - النّيسابوري:

قال في تفسيره «غرائب القرآن» بهامش «جامع البيان» [30 : 109] في قوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) : فلعله حين بيّن أنّ الآخرة خيرٌ له، عقبة ببيان تلك الخيريّة وهي رتبة الشّفاعَة. يروى عن عليّ (رضي الله عنه) أنّه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إِنْ لَا أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ ». وعن جعفر الصّادق (رضي الله عنه) أنّه قال : « رِضَا جَدِّي (صلى الله عليه وآله وسلم) أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ مُوَحَّدٌ ».

ثم فسّر المؤلف في اللام التي هي للتأكيد بقوله : واللام في «ولسوف» خالصة للتأكيد دون الحال. كأنه قيل : الموعد كائنٌ لا محالة وإن تأخّر زمانه بحسب المصلحة.

4 - الشّوكاني:

قال في تفسيره «فتح القدير» [5 : 459] : أخرج البيهقي في الشعب عن ابن عبّاس في قوله: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) قال : رضاه أن يدخل أمّته كلّهم الجنّة. وأخرج ابن جرير عنه أيضاً في الآية قال : من رضا محمد أن لا يدخل أحدٌ من أهل بيته النّار.

وأخرج الخطيب في التلخيص من وجه آخر عنه أيضاً في الآية. قال : لا يرضى محمدٌ وأحدٌ من أمّته في النّار، ويدلّ على هذا ما أخرجه مسلمٌ عن ابن عمرو: «أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تَلَا قَوْلَ اللَّهِ فِي إِبْرَاهِيمَ : (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) [إبراهيم : 36] وَقَوْلَ عِيسَى : (إِنْ تَعَدَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) الْآيَةَ ، فَرَفَعَ (صلى الله عليه وآله وسلم) يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي » وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ : يَا جِبْرِيلُ إِذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ : (إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَنسُوكَ). و أخرج ابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، من طريق حرب بن شريح قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام): رأيت هذه الشّفاعَة التي يتحدث بها أهل العراق أحقّ هي ؟ قال : « إي والله »، حدّثني محمد بن الحنفية بن علي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « أَشْفَعُ لِأُمَّتِي حَتَّى يَنَادِينِي رَبِّي أَرْضِيَّتْ يَا مُحَمَّدٌ ؟ فَأَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبَّ رَضِيَّتْ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : إِنَّكُمْ تَقُولُونَ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ : إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)، قُلْتُ : إِنَّا لَنَقُولُ

ذلك، قال : فكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)، وهي الشفاعة.

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنا أهل البيت اختار لنا الله الآخرة على الدنيا، وسوف يعطيك ربك فترضى. وأخرج العسكري في المواعظ، وابن مردويه، وابن الجار، عن جابر بن عبد الله قال : دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة وهي تطحن بالرحى، وعليها كساء من جلد الإبل، فلما نظر إليها قال : « يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة »، فأنزل الله : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى).

5 - ابن كثير:

قال في تفسيره [4 : 55] بعد ما ذكر أقوالاً : وقال السدي عن ابن عباس : من رضاء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم. وقال الحسن : يعني بذلك الشفاعة. وهكذا قال أبو جعفر الباقر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد ابن أبي زياد، عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وسوف يعطيك ربك فترضى.

6 - النبهاني:

قال في كتابه «الشرف المؤبد لآل محمد» [ص 44 ط. الحلبي وأولاده] : في قوله تعالى : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) : نقل القرطبي عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية أنه قال : رضا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا يدخل من أهل بيته النار. وأدلة ذلك من السنة كبيرة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار »، قال الحاكم: حديث صحيح⁽¹⁰⁾.

وعن عمران بن الحصين (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطانيها ».

وقال في [ص 79] من كتابه المذكور : وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قریش، ثم الأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم سائر العرب، ثم الأعاجم، ومن أشفع له أولاً أفضل ». أخرجه الطبراني، والدارقطني مرفوعاً. فهذه أحاديث صحيحة ونصوص صريحة، تدل على أن أهل البيت أفضل الناس حسباً ونسباً، ويتفرع على هذا أنهم لا يكافئهم في النكاح أحد من الناس، وبه صرح غير واحد من الأئمة. قال الجلال

(10) الحاكم 3 : 152 ط. دار المعرفة - بيروت .

السّيوطي في «الخصائص» : ومن خصائصه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ آله لا يكافئهم في التّكاح أحدٌ من الخلق.

* * *

المبحث الثامن والعشرون

في قوله تعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ
عَلَى الْكَاذِبِينَ) [آل عمران:61].

اتَّفَقَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَى نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي وَفْدِ نَصَارَى نَجْرَانَ، وَأَصْفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى بِهِ فِي
لَفْظَةِ «أَنفُسَنَا» هُوَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. كَمَا صَرَّحَ لَنَا بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ بِهَذَا الْمَضْمُونِ، مَا دَلَّتْ بِوَضُوحٍ
عَلَى أَنَّ نَفْسَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هِيَ نَفْسُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).
وَإِلَيْكَ عِبَارَاتُهُمُ الْمَبْنِيَّةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

1 - الشَّوْكَانِيُّ:

قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ «فَتْحُ الْقَدِيرِ» [1 : 347] : وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي
الدَّلَائِلِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَا :
أَسْلَمْنَا يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ : «كَذَبْتُمَا، إِنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُكُمَا مَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ»، قَالَا : فَهَاتِ. قَالَ (صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «حُبُّ الصَّلَيبِ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ، وَأَكْلُ لَحْمِ الْخَنَزِيرِ». قَالَ جَابِرٌ : فَدَعَاهُمَا إِلَى الْمَلَاعِنَةِ،
فَوَاعَدَاهُ عَلَى الْغَدِ. فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، ثُمَّ
أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يَجِيبَاهُ وَأَقْرَأَ لَهُ. فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَوْ فَعَلَا لَأَمْطَرَ
الْوَادِي عَلَيْهِمَا نَارًا». قَالَ جَابِرٌ، فَنَزَلَتْ (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا) الْآيَةَ. قَالَ جَابِرٌ : (أَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ) رَسُولُ
اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَعَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وَأَبْنَاءُنَا) : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، (وَنِسَاءُنَا) : فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ).
وَرَوَاهُ أَيْضاً الْحَاكِمُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ جَابِرٍ وَصَحَّحَهُ. وَفِيهِ أَتَاهُمْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :
هَلْ لَكَ أَنْ نَلَاعَنَكَ ؟

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَالبَيْهَقِيُّ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ: (قُلْ تَعَالَوْا) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ) : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي.

2 - ابن كثير:

قال في تفسيره [1 : 376] : ثم قال تعالى أمراً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) أي نحضرهم في حال المباهلة (ثم نبتهل) أي : نلتعن. (فَتَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) أي : منا ومنكم.

وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران : أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية، فأنزل الله صدر في⁽¹¹⁾ هذه السورة ردّاً عليهم. كما ذكره الإمام محمد بن إسحاق ابن يسار وغيره.

قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة⁽¹²⁾ وغيره : وقدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفد نجران ستون راکباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم، وهم : العاقب واسمه عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأويس ابن الحارث وزيد، وقيس. ويزيد وابناه ، وخويلد، وعمر، وخالد، وعبدالله، ومحسن. وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم، وهم : العاقب. وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدر عن إلا عن رأيهم، والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وصاحب مدارستهم، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل ولكته تنصر، فعظمته الروم وملوكها وشرقوه، وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمون من صلابته في دينهم. وقد كان يعرف أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة، ولكن حمله ذلك على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها.

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية. في جمال رجال بني الحرث بن كعب. قال : يقول من رأيهم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : دعوهم. فصلوا إلى المشرق، قال : فكلّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والسيد الأيهم، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون : هو الله، ويقولون : هو ولد الله، ويقولون : هو ثالث ثلاثة. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وكذلك النصرانية. فهم يحتجون في قولهم هو الله، بأنه كان يحيي الموتى. ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً. وذلك كله بأمر الله وليجعله آية للناس. ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله، ويقولون : لم يكن له أب يعلم. وقد تكلم في المهد بشيء لم يكن أحد من بني آدم قبله. ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة، بقول الله تعالى : فعلنا وأمرنا،

(11) هكذا في الأصل، والصواب أنه: صدر هذه السورة.

(12) سيرة ابن هشام 1: 574.

وخلقنا، وقضينا، فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا: فعلت وأمرت وخلقت وقضيت. ولكنه هو وعيسى ومريم. تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، وفي كل ذلك من قولهم: قد نزل القرآن.

فلما كلمة الحبران قال لهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أسلما، قالوا: قد أسلمنا، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إنكما لم تسلما فأسلما. قالوا: بلى قد أسلمنا قبلك. قال (صلى الله عليه وآله وسلم): كذبتما، يمنعكما من الاسلام ادعواكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير. قالوا: فمن أبوه يا محمد؟ «يعني عيسى» فصمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهما فلم يجبهما. فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.

ثم تكلم ابن اسحاق على تفسيرها، إلى أن قال: فلما أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه فانصرفوا عنه. ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لآعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم. فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا. ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضا. قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إئتوني العشيبة أبعث معكم القوي الأمين، قال: فكان عمر بن الخطاب يقول: ما أحببت الإمارة قط حببي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً، فلما صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الظهر سلم. ثم نظر عن يمينه وعن يساره فجعلت أطاول له ليراني، فلم يزل يلتبس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة (رضي الله عنه).

ثم ذكر ابن كثير ما رواه البخاري في هذا الموضوع. وما رواه البيهقي في «دلائل النبوة» [5: 385 ط. دار الكتب العلمية - بيروت] وقال: فإن فيه فوائد كثيرة وفيه، غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام، قال: قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل. قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن سلمة بن عبد يشوع، عن أبيه، عن جده، قال يونس، وكان نصرانياً فأسلم: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه طس سليمان: «باسم إله إبراهيم، وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فإنني أحمد إليكم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما

بعد، فإنني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد. وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد. فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام». فلما أتى الاسقف الكتاب وقرأه فطع به وذعره ذعراً شديداً. «إلى أن بعثوا وفوداً إلى المدينة» وهي رواية طويلة جداً.

ثم ذكر أيضاً رواية ابن مردويه فقال : وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن داود المكي، حدثنا بشر بن مهران، حدثنا محمد بن دينار، عن داود ابن أبي هند، عن الشعبي عن جابر قال : قدم على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) العاقب والطيب فدعاهما إلى الملاعة. فواعداه على أن يلاعناه الغداة. قال : فغدا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا وأقرأ له بالخراج، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : «والذي بعثني بالحق لو قالوا : لا، لأمطر عليهم الوادي ناراً». قال جابر : وفيهم نزلت : (ندعُ أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم)، قال جابر : أنفسنا وأنفسكم : رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب، وأبناءنا وأبنائكم : الحسن والحسين. ونساءنا : فاطمة.

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه، عن علي بن عيسى، عن أحمد بن محمد الأزهرى، عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، عن داود بن أبي هند، به بمعناه. ثم قال : صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. هكذا.

3 - الزمخشري:

قال في تفسيره «الكشاف» [1 : 268 ط . قم - البلاغة] مفسراً قوله تعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ) من النَّصَارَى (فيه) في عيسى. (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) أي من الـبَيِّنَاتِ الموجبة للعلم. (فَقُلْ تَعَالَوْا) هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما نقول : تعال نفكر في هذه المسألة. (نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) أي يدع كل مَنِي ومنكم أبنائه ونسائه ونفسه إلى المباحلة. إلى أن قال : وروي أنهم لما دعاهم إلى المباحلة، قالوا : حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب، وكان ذا رأيهم : يا عبد المسيح، ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قومٌ نبياً قط فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن قد فعلتم لتهلكن، فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم. فأتى رسول الله وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : «إذا أنا دعوت فأمنوا»، فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى إنني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. فقالوا : يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك ونثبت على ديننا. قال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « فإذا أبيتم المباحلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم »، فأبوا. قال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « فأني أناجزكم ». فقالوا : ما لنا

بحرب العرب طاقة. ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة: ألف في صفر و ألف في رجب. وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « والذي نفسي بيده، أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردهً وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً. ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ».

4 - الطبري :

قال في تفسيره [3 : 297 - 299 ط. دار الكتب العلمية - بيروت] عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) [آل عمران : 62] : إِنَّ الذي قلنا في عيسى هو الحق (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) الآية. فلما فصلَ جَلَّ ثناؤه بين نبيِّه محمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل، وأمره إن هم تولوا عمّا دعاهم إليه من الإقرار بوحدانيّة الله، وأنّه لا ولد له ولا صاحبة. وأنّ عيسى عبده ورسوله. وأبوا إلا الجدل والخصومة، أن يدعوهم الى الملائنة، ففعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلمّا فعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انخزلوا وامتنعوا من الملائنة، ودعوا إلى المصالحة. كالذي حدّثنا ابن حميد. قال: حدّثنا جرير، عن مغيرة، عن عامر قال : فأمر - يعني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - بملائنتهم - يعني بملائنة أهل نجران - بقوله: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الآية. فتواعدوا أن يلاعنوه، وواعدوه الغد. فانطلقوا إلى السيد والعاقب وكانا أعقلهم، فتابعاهم فانطلقوا إلى رجل منهم عاقل. فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ما صنعتم ؟ وندمهم وقال لهم : إن كان نبيّاً ثمّ دعا عليكم لا يغضبه الله فيكم أبداً. ولئن كان ملكاً فظهر عليكم لا يستبقيكم أبداً، قالوا: فكيف لنا وقد واعدنا ؟ فقال لهم: إذا غدوتم إليه فعرض عليكم الذي فارقتموه عليه فقولوا : نعوذ بالله، فإن دعاكم أيضاً فقولوا له : نعوذ بالله. ولعلّه أن يعفيكم من ذلك، فلما غدوا، غدا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) محتضناً حسناً أخذاً بيد الحسين، وفاطمة تمشي خلفه. فدعاهم إلى الذي فارقوه عليه بالأمس، فقالوا : نعوذ بالله، ثم دعاهم، فقالوا : نعوذ بالله مراراً. قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فإن أبيتم فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين، كما قال الله عزّ وجلّ : فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون.

قال : قالوا : ما لنا طاقة بحرب العرب، ولكن نؤدي الجزية. قال : فجعل عليهم في كلّ سنة ألفي حلة. ألفاً في رجب وألفاً في صفر، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « قد أتاني البشير بهلكة أهل نجران، حتى الطير على الشجر - أو العصافير على الشجر - لوتّموا على الملائنة ».

وقال : حدّثنا ابن حميد. قال حدّثنا عيسى بن فرقد عن أبي الجارود، عن زيد بن عليّ في قوله تعالى : (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) الآية. قال : كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

وقال حدّثنا محمد بن الحسين : قال حدّثنا أحمد بن المفضل، قال حدّثنا أسباط عن السديّ: (فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الآية. فأخذ يعني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد الحسن والحسين وفاطمة. وقال لعليّ : « اتبعنا »، فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النّصارى، وقالوا : إنّنا نخاف أن يكون هذا هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس دعوة النبي كغيرها، فتخلّفوا عنه يومئذ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لو خرجوا لاحترقوا. فصالحوه على صلح، على أن له عليهم ثمانين ألفاً. فما عجزت الدراهم ففي العروض، الحلة بأربعين. وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً، وثلاثاً وثلاثين بعيراً، وأربعة وثلاثين فرساً غازية، كلّ سنة. وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضامنٌ لها حتى تؤدّيها إليهم.

وقال : حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدّثنا ابن زيد قال : قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لو لاعت القوم، بمن كنت تأتي حين قلت : أبناؤنا وأبناؤكم ؟ قال : «حسن وحسين». وقال : حدّثني محمد بن سنان. قال: حدّثنا أبو بكر الحنفي، قال: حدّثنا المنذر بن ثعلبة، قال: حدّثنا علباء بن أحمر الشكري، قال : لما نزلت هذه الآية: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ) الآية، أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عليّ وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين، ودعا اليهود ليلاعنهم. فقال شابٌ من اليهود : ويحكم أليس عهدكم بالأمس إخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير ؟ لا تلاعنوا، فانتهوا.

5 - العلامة السيّد محمد بن محمد الموسوي الحائري البحراني:

قال في كتابه «خلفاء الرّسول» [ص 107] في قوله تعالى : (فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) وذلك لظهور الولاية المسندة إلى الله سبحانه في الولاية العامّة المطلقة، وظهور تساوي المتعاطفات في المعنى والحكم.

وجه الدّلالة : اتفق المسلمون أجمعون على أنّ هذه الآية الكريمة نزلت في وفد نصارى نجران. وأجمعوا أيضاً على أنّ المراد من لفظة (أَنْفُسَنَا) غير الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه حقيقة، كما لا يكلف نفسه حقيقة، فلا بد من تعدّد الدّاعي والمدعو وعدم اتحادهما. وتسالما أيضاً على أنّ ذلك الغير هو : علي بن أبي طالب ليس غير، فتكون الآية دالة بوضوح على أن نفس عليّ هي نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يجوز على هذا التقرير أن تكون نفس عليّ عين نفس الرّسول لبداهة بطلانه. بل المراد نفس عليّ مثل نفس الرّسول ونظيره، وما لهذا المعنى من ألفاظ، وذلك

يقتضي تساويهما في جميع الصفات على وجه العموم ليصح التماثل. نترك الأخذ بهذا العموم في وصف النبوة، لأن محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان نبيًا، وعلي ليس بنبيٍّ على الإجماع والضرورة من الدين، وكذلك نترك الأخذ به في حقّ الفضل، لقيام الضرورة على أنّ النبيّ أفضل من عليٍّ. فيبقى الباقي تحت العموم، فهما مثلان في ما عدا هذين الأمرين بلا امتراء. فمن ذلك ما ثبت بإجماع المسلمين أنّ النبيّ محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين بلا استثناء، فيجب أن يكون نفس عليٍّ (عليه السلام) مثله.

* * *

المبحث التاسع والعشرون

في قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [الاحزاب : 33].

لقد اتفق جمعٌ من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانقاد إلى قولهم أناسٌ من التابعين، والعلماء المهتدين، على أنّ هذه الآية الشريفة نزلت في الخمسة الطاهرة، والعترة المحمدية المطهرة، ما عدا عكرمة ومن لفّ لفه ونحا نحوه، فإنّه قال : بأنّها نزلت في أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة دون غيرهنّ من الناس، وطاف بذلك صائحاً في الأسواق. ولعلّ السبب الدافع إلى أن يفعل ذلك ليس بغريب لمن علم شخصيّة الرّجل بما قاله فيه أصحاب التّراجم.

ولا يخفى على الباحث الناقد بأحوال الرّجل ونفسيته إذا تحقّق بما صرّح فيه أهل الجرح والتّعديل كما سيلي ذكره فيما بعد. ولننتجه أولاً إلى الشّطر الذي نحن تجاهه، وذلك ذكر من نصّ على اختصاص الآية بأهل بيت الوحي (عليهم السلام) من المفسّرين في تفاسيرهم. والمؤلفين في تأليفهم. منهم :

1 - الطبري :

قال في تفسيره «جامع البيان»⁽¹³⁾ : اختلف أهل التّأويل في الذين عنوا بقوله : (أهل البيت) فقال بعضهم : عني به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم. وذكر من قال ذلك : حدّثني محمد بن المثنّى. قال : ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي. قال : ثنا مندل عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي عليّ (رضي الله عنه) وحسن (رضي الله عنه) وحسين (رضي الله عنه) وفاطمة رضي الله عنها (إنّما يريد الله ليذّهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

وقال : حدّثنا ابن وكيع، قال : حدّثنا محمد بن بشر. عن زكريّا، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت : قالت عائشة : خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات غداة وعليه مرطٌ مرجلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه⁽¹⁴⁾، ثم قال : (إنّما يريد الله ليذّهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

(13) جامع البيان 10 : 296 ط . دار المعرفة - بيروت .

(14) هكذا في الأصل، ولعلّ في الحديث نقصاً، هو مجيء بقية أصحاب الكساء ودخولهم مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال : حدّثنا ابن وكيع قال: حدّثنا محمد بن بكر، عن حمّاد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن أنس أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمرّ بببيت فاطمة ستّة أشهر، كلّما خرج إلى الصّلاة فيقول : الصّلاة أهل البيت. (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

وقال : حدّثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدّثنا يحيى بن إبراهيم بن سويد التّخعي، عن هلال «يعني ابن مقلّص» عن زبيد عن شهر بن حوشب. عن أم سلمة قالت : كان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عندي وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا وغطّى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً».

وقال : حدّثنا ابن وكيع. قال: حدّثنا أبو نعيم، قال: حدّثنا يونس بن أبي إسحاق قال: أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء قال : رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم). قال: رأيت النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا طلع الفجر جاء إلى باب عليّ وفاطمة فقال : الصّلاة الصّلاة، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

وقال : حدّثني عبد الأعلى بن واصل. قال: حدّثنا الفضل بن دكين. قال: حدّثنا عبد السلام بن حرب، عن كلثوم المحاربي، عن أبي عمّار قال : إنّني جالسٌ عند واثلة بن الأسقع، إذ ذكروا عليّاً (رضي الله عنه) فستموه، فلمّا قاموا قال : إجلس حتّى أخبرك عن هذا الذي شتموا : إنّني عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ جاءه عليّ وفاطمة وحسنٌ وحسينٌ، فألقى عليهم كساءً له ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً ». قلت: يا رسول الله! وأنا، قال: وأنت، فوالله إنّها لأوثق عملي عندي.

وقال : حدّثني عبد الكريم بن أبي عمير، قال: حدّثنا الوليد بن مسلم، قال: حدّثنا أبو عمرو قال: ثني شدّاد أبو عمّار، قال: سمعت واثلة بن الأسقع يحدث، قال : سألت عن عليّ بن أبي طالب في منزله، فقالت فاطمة. قد ذهب يأتي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ جاء، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخلت. فجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الفراش، وأجلس فاطمة عن يمينه، وعليّاً عن يساره وحسنًا وحسينًا بين يديه، فلفع عليهم بثوبه وقال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، اللهم هؤلاء أهلي، اللهم أهلي أحق ». قال واثلة : فقلت من ناحية البيت: وأنا يا رسول الله من أهلك؟ قال : وأنت من أهلي. قال واثلة : إنّها لمن أرجى ما أرتجي.

وقال : حدّثني أبو كريب. قال: حدّثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن أمّ سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليّاً وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فجلّل عليهم كساءً خيبريّاً فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً ». قالت أم سلمة : ألسنت منهم؟ قال : « أنت إلى خير ».

وقال : حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا مصعب بن المقدم، قال: حدّثنا سعيد بن زربي، عن محمّد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أمّ سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ببرمة لها قد صنعت فيها عسيدهً تحلّها على طبق فوضعتّه بين يديه، فقال : أين ابن عمّك وابناك ؟ فقالت : في البيت. فقال : ادعهم، فجاءت إلى علي فقالت : أجب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنت وابناك. قالت أمّ سلمة : فلما رآهم مقبلين مدّ يده إلى كساء كان على المنامة، فمدّهو بسطه وأجلسهم عليه. ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله، فضمّه فوق رؤوسهم وأوماً بيده اليمنى إلى ربّه، فقال : « هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ».

وقال : حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا عبدالله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن حكيم بن سعد قال : ذكرنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) عند أمّ سلمة قالت : فيه نزلت : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). قالت أمّ سلمة : جاء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بيتي فقال : لا تأذني لأحد، فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأمّه، وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على بساط، فجلّهم نبي الله بكساء كان عليه، ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ». فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت : فقلت: يا رسول الله وأنا؟ قالت : فوالله ما أنعم. وقال : « إنّك إلى خير ».

وقد أخرج أحاديث في هذا الموضوع بطرق شتى غير ما ذكرناها، ثم أخرج حديثاً عن عكرمة بقوله :

وقال آخرون : بل عنى بذلك أزواج الرّسول(صلى الله عليه وآله وسلم). ذكر من قال ذلك، حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الأصبغ عن علقمة قال : كان عكرمة ينادي في السّوق (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). قال : نزلت في نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة.

لقد رأينا ويرى كل قارئ كيف يخالف رأي الرّجل ما قد بيّنه بنو هذه الأمّة في تفسير هذه الآية الشّريفة وهو(صلى الله عليه وآله وسلم) في قيد الحياة ظاهراً بين ظهرائهم، لماذا ؟ وما باله لم يرض بتفسير الرّسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وبيانه ؟ وما هو الدّافع الذي اندفع به حتّى غدا غائصاً في السوق صائحاً بأنّ الآية نزلت في نساء النبي خاصّة ؟ بلى، من عرفه فقد عرفه، ومن لم يعرفه فهو مما لا يُشكّ فيه، بأنّه كما قد نصّ عليه وصرّح بسلوكه أعلام علماء الأمّة في كتبهم ومصنّفاتهم ، كالعسقلاني في مقدّمة كتابه «فتح الباري» وابن خلّكان في «الوفيات» وياقوت الحموي في «معجم الأدباء». والشّهريستاني في «الملل والنّحل». والسّيّد شرف الدّين الموسوي في «الفصول المهمّة» [ص 209 ط . التّعامي - النجف] حيث قال فيه :

هو الذي صرف آية التّطهير عن أهلها، وتنبّت في ذلك بسياق. فقال: إنّها خاصّة بنساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وبالغ فيها حتّى نادى في الأسواق، كما ذكره جماعة كثيرون منهم : الواحدي في تفسيره «أسباب التّزول»، وابن حجر في كتابه «الصّواعق». فلا عجب فإنّه أحد الموالى الدعاة إلى عداوة أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) وأحد السّعاة، الذي يسعى في تضليل النّاس. ويشهد على ذلك :

- 1 - قال يحيى بن بكير : قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب، فالخوارج الذين هم في المغرب عنه أخذوا.
- 2 - نقل القاضي العجّابي في كتاب «الموالي» : أن عكرمة دخل في رأي الحروري من الخوارج، فخرج يدعو إليهم في المغرب.
- 3 - عن أبي علي الأهوازي في كتاب «معجم ياقوت الحموي» في ترجمة عكرمة : أنّه يرى رأي الخوارج ويميل إلى الغناء. قال : وقيل إنّ كان يكذب على مولاه «يعني ابن عبّاس».
- 4 - عن خالد بن عمران : كنّا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم. فقال : وددت أن بيدي حربة فاعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً. «لبنائه على كفر من عدا الخوارج من أهل القبلة».
- 5 - عن يعقوب الحضرمي عن جدّه قال : وقف عكرمة على باب المسجد فقال : ما فيه إلا كافر. ثم قال يعقوب : وكان يرى عكرمة رأي الأباضية «وهم من غلاة الخوارج».
- 6 - عن مصعب بن الزّبير : كان عكرمة يرى رأي الخوارج.
- 7 - عن عطاء : كان عكرمة أباضيّاً.
- 8 - عن أحمد بن حنبل : أنّ عكرمة كان يرى رأي الصّفريّة. «وهم من غلاة الخوارج».
- 9 - عن أبي شعيب قال : سألت محمّد بن سيرين عن عكرمة. فقال : ما يسوءني أن يكون من أهل الجنّة، ولكنه كذاب.
- 10 - عن وهيب قال : شهدت يحيى بن سعيد الأنصاري وأيوب فذكرا عكرمة، فقال يحيى : إنّ كذاب :
- 11 - عن عبدالله بن الحارث قال : دخلت على عليّ بن عبدالله بن العبّاس، فإذا عكرمة في وثاق. فقلت : ألا تتقي الله ؟ فقال : إنّ هذا الخبيث يكذب على أبي - «راجع ميزان الاعتدال». وفي كتاب «المعجم» لياقوت الحموي، عن علي بن عبد الله بن عبّاس كذلك . ونقل أيضاً عن ياقوت في آخر ترجمته «عكرمة» من معجمه عن يزيد بن زناد قال : دخلت على علي بن عبدالله بن عباس وعكرمة مقبّد على باب الحشّ فقلت : ما لهذا كذا ؟ قال : إنّ يكذب على أبي.
- 12 - عن سعيد بن المسيب : أنّه كذاب، وعنه أيضاً أنّه قال لمولى له اسمه «برد» : لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس. وكذا كان ابن عمر قال لمولاه.

13 - عن مطرّف بن عبدالله قال : سمعت مالكا يكره أن يذكر عكرمة، ولا يرى أن يروي عنه، إلا في مسألة واحدة.

14 - عن الرياشي عن الأصمعي عن نافع المدني كما في «معجم ياقوت» : أن الناس تركوا جنازته لما مات، وأقبلوا على جنازة كثيرة غيره. «إلى غير ذلك مما يدل على أن الرجل ساقط» والله اعلم.

2 - النيسابوري :

قال في تفسيره [22 : 10] عند تفسيره معنى أهل البيت بقوله : وأهل البيت : نصب على النداء أو على المدح، وقد مرّ في آية المباهلة أنهم أهل العباء: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه أصل، وفاطمة رضي الله عنها. والحسن والحسين رضي الله عنهما بالاتفاق. والصحيح أن علياً (رضي الله عنه) منهم لمعاشرته بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وملازمته إياه.

3 - ابن كثير :

أورد في تفسيره [3 : 491] حديثاً مسنداً إلى عكرمة القائل بأن نزول قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) في حق أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنّ المعنيات بالأهل دون غيرهنّ، حتّى قال مؤكداً فيما ارتأى له : من شاء باهلهنّ إنّما نزلت في شأن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال ابن كثير : فإن كان المراد أنهن كنّ سبب النزول دون غيرهنّ فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهنّ ففي هذا نظر. فإنّه قد وردت أحاديث تدلّ على أنّ المراد أعم من ذلك. فأخرج أحاديث كثيرة. فلنقتصر على ما لم نذكره فيما مرّ.

قال في [ص 493] طريق أخرى : قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا شريح بن يونس أبو الحارث، حدّثنا محمد بن يزيد، عن العوّام يعني ابن حوشب عن ابن عمّ، قال: دخلت مع أبي على عائشة فسألته عن علي (رضي الله عنه) فقالت : تسألني عن رجل كان من أحبّ الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت تحته ابنته وأحبّ الناس إليه : لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم. فألقى عليهم ثوباً فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ». قالت : فدنوت منهم فقلت : يا رسول الله، وأنا من أهل بيتك ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « تنحّي فإنك على خير ».

قال زهيرٌ : حدَّثنا اسماعيل بن ابراهيم، حدَّثني أبو حيان، حدَّثني يزيد بن حبان⁽¹⁵⁾ قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلمة إلى زيد بن أرقم (رضي الله عنه) فلما جلسنا إليه قال له حصينٌ : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً. رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدَّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال : يابن أخي والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما حدَّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوا فيه. ثم قال : قام فينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر. ثم قال : «أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله تعالى، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه. ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي «ثلاثاً». فقال له حصينٌ : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته⁽¹⁶⁾، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل عليٍّ. وآل عقيل. وآل جعفر. وآل عباس قال : كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال : نعم.

ثم رواه عن محمد بن ريان، عن حسان بن إبراهيم، عن سعيد بن مسروق، عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم (رضي الله عنه) فذكر الحديث بنحو ما تقدّم، وفيه : فقلت له : من أهل بيته نساؤه ؟ قال : لا، وأيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر. ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها؛ أهل بيته : أهله وعصبته الذين حرّموا الصدقة بعده.

قال ابن كثير : هكذا وقع في هذه الرواية. والأولى أولى والأخذ بها أخرى. وهذه الثانية تحتل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه إنما المراد بهم آله الذين حرّموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح، جمعاً بينها وبين الرواية التي قبلها، وجمعاً أيضاً بين القرآن وبين الأحاديث المتقدمة إن صحّت. فإنّ في بعض أسانيدنا نظراً والله أعلم.

4 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [7 - 8 : 356 - 357 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت] وقد اتفقت الأمة بأجمعها على أنّ المراد بأهل البيت في الآية : أهل بيت نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم). ثمّ اختلفوا، فقال عكرمة : أراد أزواج النبيّ. لأنّ أول الآية متوجّهة إليهنّ. وقال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك، وواثلة

(15) هكذا في الأصل، والصواب «حبان».

(16) هكذا في الأصل، ويبدو أن في الرواية سقطاً هو كلمة «لسن» حتى يكون آخر الرواية منسجماً مع أولها، وتكون العبارة «نساؤه لسن من أهل بيته». وقد ذكر هذا النص في تفسيره 4: 122 ط. دار المعرفة بيروت. فراجع.

بن الاسقع، وعائشة، وام سلمة : إنّ الآية مختصة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) .

ثم قال : ذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره : حدّثني شهر بن حوشب، عن أمّ سلمة قالت : جاءت فاطمة (عليها السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تحمل حريرةً لها، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ادعي زوجك وابنيك »، فجاءت بهم فطعموا، ثم ألقى عليهم كساءً له خيريراً. فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ». الحديث.

ثم أورد الطبرسي ما رواه الثعلبي في تفسيره بالإسناد عن أمّ سلمة أيضاً، كما أسلفنا ذكره. ثم أورد ما رواه الثعلبي بإسناده عن مجمع قال : دخلت مع أمّي على عائشة، فسألته أمّي : رأيت خروجك يوم الجمل ؟ قالت [عائشة] : إنّ كان قدراً من الله، فسألته عن عليّ فقالت: تسأليني عن أحب الناس كان إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وزوج أحب الناس كان إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً (عليهم السلام) وجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بثوب عليهم، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »، قالت : فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال : « تنحّي فإنك إلى خير ».

وروى عن الثعلبي أيضاً بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة (عليهم السلام).

وقال : وأخبرنا السيّد أبو الحمد، قال: حدّثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني، قال: حدّثونا عن أبي بكر السّبيعي، قال : حدّثنا أبو عروة الحراني، قال : حدّثنا ابن مصغي، قال حدّثنا عبدالرحيم بن واقد، عن أيوب بن سيّار، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر، قالت [عائشة]: نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وليست في البيت إلا فاطمة والحسن والحسين وعلي: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهم هؤلاء أهلي ».

ثم قال : والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة والخاصة، لو قصدنا إلى إيرادها لطلال الكتاب : وفيما أوردناه كفايةً.

ثم قال : واستدلّت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة (عليهم السلام). بأن قالوا : إنّ لفظة « إنّما » محققة لما أثبت بعدها ، نافية لما لم يثبت . فإن قول القائل : إنّما لك عندي درهم، وإنّما في الدار زيد، يقتضي أنّه ليس عنده سوى الدرهم، وليس في الدار سوى زيد، وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الارادة المحضة، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، ولا يجوز الوجه الأوّل، لأنّ الله تعالى قد أراد من كلّ مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأنّ هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة، ولا مدح في الإرادة المجردة، فثبت

الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيتين بالآية من جميع القبائح، وقد علمنا أنّ من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أنّ الآية مختصة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم. ومتى قيل إنّ صدر الآية وما بعدها في الأزواج، فالقول فيه : إنّ هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنّهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم، ثم عاد سبحانه وتعالى إلى ذكر الأزواج فقال : (وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ).

5 - الشوكاني:

قال في تفسيره [4 : 280] بعد أن أورد أحاديث مضى ذكرها فيما مرّ قريباً من هذا الكتاب، وعرفنا منها سبب اختلاف أهل العلم في معنى «أهل البيت» في هذه الآية الشريفة. ومن بين من قال بأنّها مختصة بالخمس الطاهرة، وقائل بأنّها مختصة بأزواج الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . وأخرج الحكيم الترمذي، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إن الله قسم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، فذلك قوله تعالى : (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ) (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ) فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً، فذلك قوله: (وَأَصْحَابُ الْمِيمنة)، (وَأَصْحَابُ الْمَشْأمة)، (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ). فأنا من السَّابِقِينَ، وأنا خير السَّابِقِينَ، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)، وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر. ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله تعالى : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً). فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الدنوب.

ثم قال : وقد توسّط طائفة ثالثة بين الطائفتين - أي بين الذين قالوا إنّها مختصة بالخمس والقائلين إنّها مختصة بنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - فجعلت هذه الآية شاملة للزّوجات ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

أمّا الزّوجات فلكونهنّ المرادات في سياق هذه الآيات كما قدّمنا، ولكونهنّ السّاكنات في بيوته (صلى الله عليه وآله وسلم) النّازلات في منازلهم. ويعضد ذلك ما تقدّم عن ابن عباس، وغيره. وأمّا دخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين. فلكونهم قرابته وأهل بيته في النّسب، ويؤيّد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرّحة بأنّهم سبب النّزول.

فمن جعل الآية خاصّة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله، وأهمل ما لا يجوز إهماله، وقد رجّح هذا القول جماعة من المحقّقين، منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما.

وقال جماعة : هم بنو هاشم، واستدلوا بما تقدّم من حديث ابن عباس، ويقول زيد ابن أرقم: ولكن آله من حرم الصدقة بعده : آل عليّ، وآل عقيل، وآل جعفر وآل عباس، فهؤلاء ذهبوا إلى أنّ المراد بالبيت بيت النّسب.

6 - العلامة السيّد محمد علي بن محمد طاهر الموسوي الحائري البحراني:

قال في كتابه «خلفاء الرّسول» [ص 178] : من هم أهل البيت ؟

قد بان لنا وظهر ممّا تقدّم - يعني حديث الثقلين - أنّ الرّسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) قد نصب علماً على أمّته من بعده خليفتين عظيمتين باقيتين إلى الأبد، تعصمان الأمة عن الضلال ما تمسكت بهما، وعرفنا أنّ أحدهما : كتاب الله ، هو مجموع ما بين الدفتين، الذي اعترف بقرآنيته المسلمون أجمعون. بيد أنّ الأمر كله في أنّه من المقصود من أهل البيت ؟ لأنّ الناس عمداً أو خطأ اختلفوا في ذلك، فبين ذاهب إلى أنّ أهل البيت نساؤه والهاشميّون عامّة، وبين من يزعم أنّهم بنو هاشم خاصّة دون نساؤه(صلى الله عليه وآله وسلم).

وهناك من يرى أنّهم رهط خاص من بني هاشم. وهم الذين جلّهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بكسائه. وقال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) وهم : علي. وفاطمة، وبنوهما(عليهم السلام). وهذا الخلاف جار في كلّ آية أو رواية فيها ذكر أهل البيت.

فنقول : لا شك أنّ النبي الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) أراد بقوله : «إني تارك فيكم الثقلين الخ» أن ينصب عالماً قائماً لإرشاد الأمة وهدايتها، وعالماً يدلّها على تأويل الكتاب حسب نزوله. وإماماً يجمعها على الخير والهدى أو يصدّها عن الشرّ والرّدى.

وأين نساؤه وعامة الهاشميّين من هذه الملكات العلوية، والصفات القدسيّة التي لا تكون إلاّ للأنبياء والمرسلين وأوصيائهم(عليهم السلام) ؟

وها نحن نرى ونشاهد بأمّ أعيننا كثيراً من الهاشميّين محتاجين إلى التّعليم والإرشاد، فيكف يكون المحتاج إلى التّعليم والإرشاد قريباً للقرآن الذي اشتمل على تبيان كل شيء ؟ فلا بدّ أنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) أراد من أهل البيت رهطاً خاصّاً، لهم الكفاءة والقدرة على النّهوض بذلك العبء الثقيل، عبء الخلافة والزّعامة الكبرى، ولا بدّ أنّ الناس كانوا يعرفونهم في عهد الرّسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ولا بدّ أن يكون الحديث نفسه دالّاً عليهم في عهده(صلى الله عليه وآله وسلم) دلالة واضحة. ومرشداً إليهم إرشاداً بيّناً لا لبس فيه. وإلاّ لما صلح من المصلح الأكبر حجّة على الأمة تقطع عنهم العذر، بل تكون للامّة حجّة عليه(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لم يعرفهم بهم.

والحديث الشريف نفسه يدلنا، حين عبّر عن أهل البيت بالثقل وقرنهم بالكتاب، على أنّ هذا القرين والخليفة الثاني رفيع الشان، ثقل الميزان، عليم بما في القرآن، راسخ العلم، لا يعتري علمه شك ولا ارتياب. «إلى أن قال»: فأهل البيت إذن في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هم: علي وإبنه الحسن والحسين (عليهم السلام). هذا ما عرفه المسلمون الأوّلون، ونحن نعرفه اليوم من أهل البيت. لأنّ هؤلاء الثلاثة هم وحدهم يسوغ لهم من بين الهاشميين قاطبة أن يتقمّصوا بقميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويأخذوا بزمام الحكم، ويسوقوا العباد إلى الرّشاد. وهؤلاء مع فاطمة فحسب، هم الذين جلّهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً». كما رواه الثقات عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

ثم أورد أحاديث من طرق شتى. منها ما أخرجه الشيخ سليمان القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص 228 ط. اسلامبول] عن الدّولابي عن أم سلمة قالت: إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة: إنني بزوجك وإبنك، فجاءت بهم فألقى عليهم كساءً فدكيّاً، ثم وضع يده عليهم وقال: «اللهم إنّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمّد إنّك حميدٌ مجيدٌ»، قالت أم سلمة: رفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: «قفي مكانك، إنّك على خير». انتهى.

أمعن النظر في جذبه (صلى الله عليه وآله وسلم) الكساء من يد أم سلمة، وقوله: «قفي مكانك إنّك على خير». وحينما قالت مستفهمة: وأنا معهم؟ كما في رواية الترمذي، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنت على مكانك، وأنت إلى خير». تجده يُنبئ بوضوح بانحصار مصداق أهل البيت في عصر صاحب الرّسالة، بالذين جلّهم الكساء ليس غير. إذ لو كان المقصود من أهل البيت ما يعمّ نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخرج أم سلمة ولم يخاطبها بقولته تلك.

وخروج نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مصداق أهل بيته كان أمراً مسلماً لدى الصّحابة. يرشدك إلى ذلك قول الصّحابي الكبير زيد بن أرقم في جواب من سأله: من أهل بيته؟ نسأوه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرّجل العصر من الدّهر، ثم يطلقها فتراجع إلى أبيها وقومها. وأمّا بعد هؤلاء، فمن هم أهل البيت؟ لأن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر ببقائهم مع القرآن حتّى يرثيهم الحوض. والهاشميون بعد السبطين كثيرين، ولا سيّما من كان من ذريّتهما، فهل أراد (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع بني هاشم؟ أم خصوص العلويين منهم؟ أم فئة خاصّة من العلويين؟ ولا شك أنّ كثيراً من الهاشميين والعلويين محتاجون إلى الصّلاح والهداية، وفيهم من لا يتحاشى المنكر، فكيف يكونون قرناء الكتاب؟ الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الكتاب الذي يبقى معجزة مدى الدّهر، فقرين الكتاب لابدّ أن يكون على شاكلته، وعارفاً به حقّ معرفته، فعليه، لابدّ أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قصد فئة خاصّة من أهله، عندهم علم الكتاب، دون الكلّ منهم.

فإذا كان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يقصد من أهل البيت رهطاً خاصاً، فهل من الممكن أن يقصد أناساً تجهل الأمة أعيانهم ولا تهتدي إلى أشخاصهم ؟ ويا هل ترى إن الله سبحانه ورسوله يكلفان الأمة شططاً، ويحملانها على معرفة من تهتدي إليه ؟ كلا ثم كلا. فلا بد إذن أن يكون(صلى الله عليه وآله وسلم) أراد رهطاً خاصاً من قومه، معروفة أسمائهم، معلومة خصالهم وصفاتهم، لا ينكرهم الناس بعد التعريف، ولا يخفى عليهم بعد الإشارة والتوصيف.

7 - الحاكم:

قال في كتابه «المستدرک» [3 : 146 ط. دار المعرفة - بيروت] حدّثنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه، وأبو العباس محمد بن يعقوب، قالوا: حدّثنا الحسن بن مكرم البزار، حدّثنا عثمان بن عمر، حدّثنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء ابن يسار، عن أمّ سلمة قالت : في بيتي نزلت : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)، قالت : فأرسل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال : «هؤلاء أهل بيتي». هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال : حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدّثنا الربيع بن سليمان المرادي، وبحر ابن نصر الخولاني، قالوا: حدّثنا بشر بن بكر، وحدّثنا الأوزاعي، حدّثني أبو عمّار، حدّثني واثلة بن الأسقع قال : أتيت عليّاً فلم أجده، فقالت لي فاطمة : انطلق إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فدعوه. فجاء مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فدخلت معهما. فدعا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن والحسين فأقعده كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها. ثم لفّ عليهم ثوباً وقال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي، اللهم أهل بيتي أحق ».

وأخرج من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب أيضاً بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : خرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) غداً وعليه مرطٌ مرجّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معهما، ثم جاء علي فأدخله معهم، ثم قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال: كتب إليّ أبو إسماعيل محمد ابن النحوي يذكر أنّ الحسن بن عرفة حدّثهم، قال: حدّثني علي بن ثابت الجزري، ثنا بكير بن مسمار مولى عامر بن سعد. سمعت عامر بن سعد يقول : قال سعد: نزل على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الوحي فأدخل عليّاً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال : « اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي ».

وقال : حدّثني أبو الحسن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشّعрани، ثنا جدّي، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، حدّثني عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي، عن

اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال : لما نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرحمة هابطة قال : « ادعوا لي ادعوا لي »، فقالت صفية : من يا رسول الله ؟ قال : « أهل بيتي : علياً وفاطمة والحسن والحسين »، فجاء بهم فألقى عليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كساءه ثم رفع يديه، ثم قال : « اللهم هؤلاء آلِي، فصلّ على محمد وعلى آل محمد »، وأنزل الله عزّ وجلّ : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد صحّت الرواية على شرط الشيخين أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) علّمهم الصلّاة على أهل بيته كما علّمهم الصلّاة على آله.

ثمّ ساق الحديث عن عبدالله بن عيسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، أنّه سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هديّة سمعتها من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ قلت : بلى. قال : فاهدها إليّ، قال : سألتنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلنا : يا رسول الله كيف الصلّاة عليكم أهل البيت ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ». وقد روى الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري عن موسى ابن إسماعيل في الجامع الصحيح، وإنما خرّجته ليعلم المستفيد أن أهل البيت والآل جميعاً هم.

8 - سيّد العلامة علوي بن طاهر الحداد :

قال في كتابه «القول الفصل» [2 : 286 ط . جاوا] بعد أن أورد روايات في هذا المضمون بلغ عددها إلى أربع وعشرين رواية : من هم أهل البيت في الآية ؟ «يعني : آية التّطهير» ثم قال : هذا فصلٌ نقلته عن بعض محقّقي أصحابنا لاشتغاله على فوائد جليّة مع حذف قليل، وسنستدرّكه ببعض ما فاتته. قال بعد إيراده بعض روايات الحديث وتصحيح ابن تيمية له :

قلت : لهذا الحديث طرقٌ جمّة، وصحّته وثبوته ممّا لا شك فيه ولا مرية، وهو نص صريحٌ على انحصار الخصوصيّة العظمى في جميع ما جاء في أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) في هؤلاء وأبنائهم فقط، فهم فقط حاميّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاصّته ووراثته وخلفاؤه وأهل الحقّ وقرناء الكتاب. ولا يشاركهم في شيء من هذا ولا ما يقاربه أحدٌ، لا آل عبّاس ولا آل جعفر فضلاً عن غيرهم. ولا بنو عليّ من غير فاطمة. ولهذا قال البيهقي : وكأنّه جعله في حكم الأهل تشبيهاً لا تحقيقاً. انتهى.

وسيطر معنى قول البيهقي ومغزاه فيما يلي :

ونقل عن المحب الطبري أن إدخال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهؤلاء الخمسة تكرّر في بيت أم سلمة وفاطمة وغيرهما، وهو الصّواب وسيأتي الكلام فيه.

ثم نقل الحفظي عن العلامة السيّد عليّ السّمهودي قوله رحمه الله تعالى :
إعلم إنّني تأملت هذه الآية مع ما ورد من الأخبار في شأنها وما صنعه النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزولها، فظهر لي أنّها منبع فضائل أهل البيت النّبويّ لاشتغالها على أمور عظيمة لم أر من تعرّض لها.

أحدها: اعتناء الباري بهم وإشادته بعلي قدرهم حيث أنزلها في حقهم.
ثانيها: تصديرها بقوله تعالى : (إِنَّمَا) التي هي أداة حصر لإفادة أن إرادته تعالى في أمرهم مقصورة على ذلك الذي هو منبع الخيرات لا يتجاوزه إلى غيره.
ثالثها: تأكيد لتطهيرهم بالمصدر ليلعلم أنّه في أعلى مراتب التّطهير.
رابعها: تنكيره تعالى لذلك المصدر حيث قال : (تَطْهِيراً) للإشارة إلى كون تطهيره إياهم نوعاً عجبياً غريباً ليس ممّا يعهده الخلق ولا يحيطونه بدرك نهايته.

خامسها: شدّة اعتنائه(صلى الله عليه وآله وسلم) وإظهاره واهتمامه بذلك، وحرصه على ذلك مع إفادة الآية لحصوله، فهو إذن لتحصيل المزيد من ذلك، حيث تكرّر طلبه ذلك من مولاه عزّوجل، مع استعطافه بقوله : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي». أي : وقد جلعت إرادتك في أهل بيتي مقصورة على إذهاب الرّجس، فأذهب عنهم وطهرهم تطهيراً، بأن تجدد لهم من مزيد تعلّق الإرادة بذلك ما يليق بعطائك.
سادسها: دخوله(صلى الله عليه وآله وسلم) معهم في ذلك، لما ورد عن أبي سعيد الخدري(رضي الله عنه):
نزلت في خمسة «الخ» وقد تقدّم، بل جاء في رواية أمّ سلمة رضي الله عنها: نزلت هذه الآية في بيتي، (إنما يريد الله) الآية، في سبعة : جبرئيل وميكائيل، ورسول الله، وعلي وفاطمة، والحسن والحسين.
وفيه مزيد كرامتهم وإبانة تطهيرهم، وإبعادهم عن الرّجس الذي هو الإثم والشكّ فيما يجب الإيمان به ما لا يخفى موقعه عند أولي الألباب.

سابعها: دعاؤه(صلى الله عليه وآله وسلم) بما تضمّنت الآية وبأن يجعل الله صلواته ورحمته وبركاته ومغفرته ورضوانه عليهم. لأن من كانت إرادة الله في أمره مقصورة على ذهاب الرّجس عنهم والتّطهير لهم، كان حقيقاً بهذه الأمور.

ثامنها: في طلب ذلك له ولهم من تعظيم قدرهم، وإنافة منزلتهم، حيث ساوى بين نفسه وبينهم في ذلك ما لا يخفى.

تاسعها: إنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) سلك في طلب ذلك من مولاه عزّوجلّ أعظم أسلوب وأبلغه. فقدّم على الطّلب مناجاته تعالى بما تضمّنه قوله: « اللهم قد جعلت صلواتك ورحمتك مغفرتك ورضوانك على إبراهيم » فأتى بهذه الجملة الخبريّة المقرونة «بقد» التّحقيقية. المفيد لتحقيق ذلك من مولاه. ثمّ أتبعه بالمناجاة بقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهم إنهم منّي وأنا منهم » وذلك من قبيل الإخبار، ثمّ فرّع على الجملة الطّليبيّة حيث قال : « فاجعل صلواتك » لسرّ لطيف ظهر لي بوجهين:

الأول : تمام المناسبة في الأبوة الإبراهيمية التي أعطيها (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها تقتضي استجابة هذا الدعاء، وأن يعطى ما طلبه لنفسه ولأهل بيته كما أعطي أبوه إبراهيم.

الثاني: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من جملة آل إبراهيم، قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) : محمدٌ من آل إبراهيم، وآله قد أعطوا تلك الأنوار، فقد ثبت إعطاء الأنوار له فيما مضى وآله منه وهو منهم. فتوصل لاستيجاب إنعامه بذكر أنعامه.

عاشرها: أن دعاءه (صلى الله عليه وآله وسلم) مقبولٌ سيّما في أمر الصلاة عليه. فقد دعا مولاه أن يختصّه وآله بالصلاة عليه وعليهم، فتكون الصلاة عليه وعليهم من ربّه عزّ وجلّ كذلك.

حادي عشرها: أن جمعهم معه (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا التطهير الكامل وما نشأ عنه وعنهم مقتضٍ لإلحاقهم بنفسه الشريفة. كما يشير إليه بقوله : « اللهم إنهم مني وأنا منهم » وقوله : « أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم » وقوله : « ألا من أذى قرابتي فقد أذاني، ومن أذاني فقد أذى الله » فأقامهم في ذلك مقام نفسه. وكذا في المحبة، في قوله : « والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبدٌ حتى يحبّني، ولا يحبّني حتى يحبّ ذوي » وقوله : « إني تارك فيكم الثقلين » وكذا ألحقوا به في قصة المباهلة المشار إليها بقوله تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) الآية. فغدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي وعلي خلفها. والأمر الداعي إلى المباهلة إظهار الكاذب في تلك الخصومة، وهو أمرٌ مختصٌ به (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن يكاذبه. فألحق تعالى أهل الكساء به، ولأنه أكد في الدلالة على ثقته واستيقان صدقه. حيث اجترأ على تعريض أعزّته وأفلاذ أكبادهم وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه. وعلى ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك استئصال إن تمت المباهلة. وخصّ الأبناء والنساء لأنهم أعزّ الأهل، وقدمهم في الذكر لنبوّه على إنافة قدرهم، وإيداناً لأنهم مقدّمون على النفس مفدّون بها. قال الزمخشري : ولا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء.

ثاني عشرها: إن قصر الإرادة الإلهية في أمرهم على إذهاب الرّجس والتطهير، يشير إلى ما سيأتي من تحریمهم في الآخرة على النار. فمن قارف منهم شيئاً من الأوزار يرجى أن يتداركه بالتطهير، بإلهام الإنابات، وأسباب المثوبات، وأنواع المصائب المؤلّمات، ونحو ذلك من المكدرات، وعدم إنالهم ما لغيرهم من الحظوظ الدنيويّات، وكذا بما يقع من الشفاعات النبويّات.

ثالث عشرها: حثهم بذلك على كمال البعد عن دنس الدنوب والمخالفات، وتمام الحرص على امتثال المأمورات، بدلالة ما سبق من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند تذكيرهم بالصّلوات: «الصلاة يرحمكم الله، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً)».

رابع عشرها: إِنَّ قَوْلَهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) : «فَجْعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)» دَالٌّ عَلَى أَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا خَيْرَ الْخَلْقِ، وَقَدْ أُعْطِيَ إِبْرَاهِيمُ أَنْبِيَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ. بَلْ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَإِكْرَامِ نَبِيِّنَا (صلى الله عليه وآله وسلم) بِكَوْنِهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ اقْتَضَى انْتِفَاءَ ذَلِكَ، فَعَوَّضَ مِنْ ذَلِكَ كَمَالَ طَهَارَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ. فَنَالَ مِنْهُمْ دَرَجَةَ الْوَرَاثَةِ وَالْوَلَايَةِ خَلْقٌ لَا يُحْصَى عَدْدُهُمْ. وَلِلَّهِ دِرَاقَةُ الْقَائِلِ :

لِلَّهِ مَمَّنْ قَدْ بَرَا صَفْوَةً *** وَصَفْوَةَ الْخَلْقِ بَنُو هَاشِمٍ
وَصَفْوَةَ الصَّفْوَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ *** مُحَمَّدٌ النَّوْرُ أَبُو الْقَاسِمِ
وَبَيْتُهُ أَكْرَمُ بَيْتٍ سَمَا *** كَمِ عَامِلٍ فِيهِمْ وَكَمِ عَالِمِ
وَنَاطِقٍ فِي حِكْمَةِ اسْتَدَتْ *** عَنْ نَائِثٍ مِنْهُمْ وَعَنْ نَاطِمِ

خامس عشرها: إِنَّ الْآيَةَ أَفَادَتْ أَنَّ طَهَارَتَهُمْ وَمَسَاوَاتِهِمْ نَشَأَ مِنْ ذَلِكَ إِلْحَاقُهُمْ بِهِ فِي الْمَنْعِ مِنَ الصَّدَقَةِ، الَّتِي هِيَ أَوْسَاخُ أَمْوَالِ النَّاسِ. وَعَوَّضُوا عَنْ ذَلِكَ خَمْسٌ مِنَ الْفِيءِ وَالْغَنِيمَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم) : «(إِنْ فِي خَمْسِ الْخَمْسِ مَا يَكْفِيكُمْ)». «انْتَهَى كَلَامُ السَّمْعُودِيِّ»
ثُمَّ قَالَ فِي [ص 290] مِنْ كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ :

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ حَسَادِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَعِدَاتِهِمْ أَنَّ الْآيَةَ مَخْصُوصَةٌ بِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ لَوُقُوعِهَا فِي سِيَاقِ آيَاتٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِهِنَّ. وَتَكَلَّفُوا فِي تَأْوِيلِ تَذْكِيرِ الضَّمِيرِ مِنَ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَاصَّةً دُونَ مَا قَبْلُهَا وَمَا بَعْدَهَا، وَهِيَ بَضْعَةٌ عَشْرَ ضَمِيرَاتٍ، وَاحْتَجَّوْا بِمَا افْتَخَرَهُ عِكْرَمَةُ الصَّفَرِيِّ الْخَارِجِيِّ . مِمَّا رَوَاهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ، حَتَّى صَرَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَنَادِي فِي السُّوقِ بِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَيَقُولُ لَيْسَ بِالَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، وَصَنِّيعَ هَذَا الْكَذَّابِ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ شِدَّةُ بَغْضِهِ لِأَهْلِ الْكِسَاءِ. وَلَكِنْ عِنْدَ مَنْ عَقَلَ وَأَنْصَفَ، إِنَّمَا يَفِيدُ ضِدًّا مَا أَرَادَهُ، فَلَوْلَا شَهْرَةٌ كَوْنِ هَذِهِ الْآيَةِ خَاصَّةً بِأَهْلِ الْكِسَاءِ يَعْرِفُهَا حَتَّى أَهْلُ السُّوقِ، وَأَنَّ الْقَوْلَ بِذَلِكَ فَاشٍ بَيْنَ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ فَضْلًا عَنْ خَاصَّتِهِمْ، لَمَا احْتَاجَ ذَلِكَ الدَّجَالُ لِلنَّدَاءِ فِي السُّوقِ. وَمِنْ الْمَشْهُورِ تَرَدَّدَ ذَلِكَ الْخَبِيثُ إِلَى الْأُمَرَاءِ، يَسْتَطْعِمُهُمْ وَيَسْتَطْعِمُهُمْ. فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يَنَالَ مِنْهُمْ أَجْرًا وَتَشْجِيعًا عَلَى هَذَا الْإِفْتِرَاءِ، إِذِ النَّصَبُ قَدْ كَانَ فَاشِيًّا إِذْ ذَاكَ. وَالتَّاجِيرُ عَلَى ذِمِّ أَهْلِ الْبَيْتِ قَدْ اشْتَهَرُوا. «سَيَأْتِي نَزْرُ بَيَسِيرٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ».

وَقَالَ فِي [ص 292] مِنْ نَفْسِ الْمَصْدَرِ :

فَالْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِسَاءِ خَاصَّةٌ، وَهُمْ أَيْضًا أَهْلُ الْمَبَاهِلَةِ، لَمْ يَدْخُلْ فِيهِمْ أَحَدٌ آخَرَ. فَاخْتَصَّ اسْمُ النِّسَاءِ هُنَاكَ فِي قَوْلِهِ: (وَنِسَاءُنَا وَنِسَاءَكُمْ) بِفَاطِمَةَ وَحَدَهَا. دُونَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. لِأَنَّهُنَّ كُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فَمِنْ الْمُمْكِنِ الْمَعْتَادِ أَنْ يَعِدَّدَنَّ مِنْ نِسَاءِ قَوْمِهِنَّ. وَقَدْ أَخْرَجَهُنَّ الدَّلِيلُ، وَالْعَامُّ يَخْصُ بِأَقْلٍ مِنْ هَذَا. وَمَا صَحَّ مِنْ تَفْسِيرِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لِلْقُرْآنِ هُوَ الْوَاجِبُ الْإِعْتِقَادُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بِهِ الثَّقَلُ الْكَافِي، وَتَرَكْنَا كَثِيرًا مِنْهُ لِنَلَّا يَطُولُ الْكِتَابُ. فَتَفْسِيرُ مِنْ فَسَّرَ الْآيَةَ هُنَا بِغَيْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ مُرَدُّوهُ

مبتدعٌ، ويشهد لصحة ما قاله الجمهور، ويوضح فساد قول الشنّاذ ما صحّ من رده (صلى الله عليه وآله وسلم) لعائشة وأم سلمة، وعدم إدخاله لهما.

والقول بأن الآية خاصة بأهل الكساء فقط قد صحّ عن عدد من الصحابة وجماعات من محققي العلماء نصّاً شبه الإجماع.

ثم قال : قال المحدث حسن الزّمان ناقلاً عن تفسير الشّهاب السّهروردي : وقال الآخرون أي جميع الصحابة، غير ابن عباس : هذا خاص في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين. فهذا هو الأكثر والأكثر أرجح. ثم قال ما معناه : الحاصل أن لفظ أهل البيت يجيء بمعان، لكن بتصريح المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) سقط سائرهما عن هذه الآية. وكانت خاصة في حق هؤلاء الخمسة. انتهى بحروفيه.

قلت: قوله : غير ابن عباس يعني : في رواية عكرمة الصّفري الذي قيّده عليّ بن عبد الله بن عباس لكذبه على أبيه، ولصحة الرواية عن ابن عباس بما قاله الأكثر. قال بعض العلماء : قد رجع ابن عباس عن ذلك القول الشاذ، وأكبر اصحاب ابن عباس الآخذين بالتفسير عنه قتادة. كما قال العلماء حتى ابن تيمية، وقاتدة مصرحاً بما ثبت من نزول الآية في الخمسة.

وقال في [ص 308] : وأمّا ما ذكره السّمهودي وأقرّه المحقّق من أنّ الإرادة في آية التّطهير إرادة كونية، فإنّه ميدانٌ فيه للعلماء سبجٌ طويلٌ. واستيفاء ذكر القائل والمقول، ومافي المسألة من نقول، يكثر ويطول، ولا محلّ للإطالة، ولكنّا نذكر شيئاً من ذلك يحيط معه المطالع بحقيقة أقوالهم، فنقول : إنّ الأشعرية قاطبة وأتباع الأشعري، وهم معظم أهل المذاهب الأربعة، والصّوفية أجمع يثبتون لله إرادةً واحدةً كونيةً، يجب وقوع ما تعلّقت به، وعلى هذا المذهب مشى السّمهودي فيما قاله، وقد قال بمثل قوله كثيرون غيره. وللعلامة الشّيخ أحمد بن محمّد الحفطي منظومة سمّاها «رد الودعة» استوفى فيها هذا المعنى. وأجاب عما يلزمه فقال :

قد صحّ قطعاً عند أهل السنه *** بأن مولانا عظيم المنة

صفاته كذاته في القدم *** وفي الدوام وانتفاء العدم

وإن منها صفة الإراده *** وهي لتخصيص الذي أراده

وأنّه قد علّق التّطهيرا *** بها لآل المصطفى تعزيراً

فلا يجوز أبداً تحويله *** ولا انتقال ذاك أو تبديله

لأنه يستلزم الحدوثا *** للذات والصفات والنكوثا

وكل هذا مستحيل قطعاً *** نقلاً وعقلاً مفرداً وجمعاً

إذا عرفت هذه المقدّمه *** فإن كل مسلم ومسلمه

فرضٌ عليهم لازمٌ أن يشهدوا *** بما سمعت وله يعتقدوا

ولا يجوز الخلف والتبديل *** بذلك الحكم ولا التحويل
وربنا يشهد في الآزال *** بإثمه مطهرٌ للآل
مع أنهم لم يسلموا من ذنب *** فليس معصوماً سوى من نُبي
وعلمه بكلّ هذا قد سبق *** ثمّ تراه شاهداً بما اتفق
لو لم يكن سبحانه تجاوزاً *** عنهم ولم يقسم الجوائز
بتوبة قبل الممات مثمره *** تبديل كلّ سيّء أو مغفره
لم يشهدنّ لهم بما نزل *** في سورة الأحزاب في ماضي الأزل
والأخذ بالعصيان للشرّيف *** مصادمٌ شهادة اللطيف
وذاك نصّ في الذي قد أفهما *** أقوى دليل الذي قد ألهما
ونقله يريد أن يخفّفا *** يريد أن يتوب عمّن قد هفا
لكم يريد اليسر قد أطلا *** بعضهم وأكثر المقالا
وقال لا تفيد للتلازم *** بين الوقوع ومراد العالم
وآية التطهير من هذا النمط *** تفيد للحصر على قطع فقط
(فإنّما) الأوّل ثمّ الثاني *** (تأكّيده) باللام للمباني
(مؤكّد) بالمطلق المفعول *** (منكراً) في الحكم والنزول
جعله في سبب الإنزال *** لآية التطهير في السّؤال
اسم إشارة لما قد أسندا *** إليه في دعائه وما اعتدا
وعند أرباب البيان نكت *** غير الذي تسمعه قد أثبتوا
إن قلت إن الآية المعظمه *** قد أنزلت في خمسة مكرّمه
فما الدليل في دخول عترته *** تحت الكسا حكماً وتحت دعوته
فعندنا دلائل تواترت *** دلّت على القطع وقد تضافرت
منها خصوص السبب المهم *** لم يمتنع منه عموم الحكم
لم يخلقوا إذ ذاك والبطون *** في عالم الظهور قد يكون
وقال ألحقنا بهم سبحانه *** ذريّة فردّدن قرآنه
وأهل بيت المصطفى ذريّته *** حقيقة وهم بنوه عترته
مقارنين للكتاب أبداً *** إلى ورود الحوض فيما وردا
وواحدٌ من ثقلين قد ترك *** من بعده فينا تنوّر الحلك
وأمر الأمة بالتمسك *** بهم فيا لله من مستمسك
فهذه دلائل الدخول *** في آية التطهير والشّمول

وأنهم قد ألحقوا بنفسه *** وكلّ فرع لاحقٍ بغرسه

طهرهم ربهم وأذهباً *** لكلّ رجس عنهم وطيباً

فكل فرد منهم مطهر *** من ذلك اليوم إلى أن يحشروا

وصيغة الفعل لها التجديد *** على الدوام ولها الترديد

ثم أفاض في رد ما يرد على هذا القول وما يؤيده. وذكره يطول، ومجمله.

إن أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) مكلفون بالشرائع الإسلامية، مقيدون بالأمر والتهى غير مطلقين.

وما جرى منهم من الذنوب فمغفرته متحققة، لتعلق الإرادة الأزلية بإذهاب الرجس عنهم، وطهارتهم عنه

متوقعة الحصول غير مختلفة، لأن الحكم على الشخص إنما ينبني على ما يستقر عليه حاله آخر عمره،

وما يؤول إليه في صيور أمره.

فذنوبهم محو لا محالة، إما بتوبة أو محض مغفرة. وأما الردّة والشرك فهو مستحيلٌ في حقهم. فلم

يبق إلا الذنوب، وهي تنقسم إلى قسمين: صغيرة وكبيرة.

أما الصغيرة فلها أسباب كثيرة تمحوها من المكفّرات للصغائر، كالجماعات والجمعات والصلوات،

والحسنيات يذهبن السيئات. فوققهم الله لما يكفر صغائرهم.

وأما الكبيرة. فهي تحت قضاء المشيئة الإلهية، وهذا يظهر في حقّ عامّة الناس في يوم القيامة. أما

في حقّ أهل البيت فقد ظهر حكم المشيئة من اليوم. فكبائرهم مغفورة لا محالة. ومع ذلك فمن أتى منهم

حداً حدّناه، أو جاء بما يقتضي العقوبة عا قبناه. واستدلّ على ذلك بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في

عثمان (رضي الله عنه) لما جهّز جيش العسرة: «ما ضرّ عثمان ما عمل بعدها». وبقوله (صلى الله عليه وآله وسلم)

في أهل بدر: «لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وما أشبه ذلك،

قال: ولم يردّ أحدٌ مضمون هذين الحديثين وما شابههما ويؤولهما أو يقيدهما. فكذلك القول فيما دلت عليه

آية التطهير، وأما ما كان من مظالم العباد فيعوّض الله عنها أهلها. هذا مجمل كلامه.

وقال في [ص 407]: ومن المعلوم أنّ أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته الذين هم أصله

وعصبته هم غير نسائه قطعاً لا يشك فيه أحد، ونساؤه (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما لحقن بهم لمكانهنّ

منه (صلى الله عليه وآله وسلم). ولو طلّقت إحداهنّ لخرجت بذلك عن أن تعدّ من زوجاته، فضلاً عن أن تلحق

بأهل بيته. لأنها إنّما اتّصلت بهذا البيت لمكان عقد الزوجية، فإذا انحل العقد انحلّ ذلك الاتصال جملة.

والسؤال هو: عن أهل البيت من هم؟ وعن الزّوجات هل هنّ من أهل بيته؟ يجاب بنعم. مع

استدراك ما يوهمه الإطلاق من أصالتهنّ وانحصار الأهلية فيهنّ، ولذلك أورد زيد بن أرقم (رضي الله عنه)

ذلك على صيغة الاستدراك فقال: إن نساءه من أهل بيته. ولكنّ أهل بيته من حرم عليه الصدقة.

وقال في [ص 302]: إنّها لو كانت نزلت في الزّوجات الطّاهرات، لبقى الخطاب معهنّ كما في

الآيات السابقة. ولكن تذكير الضّمائر دلّ على صرف الخطاب عنهنّ، ووضع الآية أثناء الآيات

المخاطبات بهنّ يشعر بالحكمة في الأوامر التي أمرن بها. وهذا القدر كاف للمناسبة بين الآيات، وهو مسقط لقول من استدللّ على أنّها نزلت فيهنّ بورودها في سياق الآيات المذكورة.

ثمّ ذكر قول الطحاوي نقلاً عن «مشكل الآثار» بعد أن جزم بأنّ الآية نزلت في أهل البيت، ما لفظه : وحديث سعد وما ذكرناه معه من الأحاديث في الباب الأوّل معقولٌ بها من أهل الآية المتلوّة. لأنّنا قد أحطنا علماً أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لمّا دعا من دعا من أهله عند نزولها لم يبق من أهلها المرادين فيها أحدٌ سواهم. وإذا كان ذلك كذلك استحال أن يدخل معهم فيما أريد به سواهم.

وقال في [ص 298] : أنّه قد صحّ الحديث بنزول: (إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) في أهل البيت. وأنّهم هم المعنيون بها، عمّن أنزلت عليه(صلى الله عليه وآله وسلم) وقبول بيانه(صلى الله عليه وآله وسلم) وتفسيره واجبٌ لمسلم عنه، ولا قيمة لبيان مع بيانه، ولا لقول مع قوله، وكل من خالف الثابت عنه مردودٌ على قائله، مضروبٌ به وجه صاحبه.

دعوا كل قول غير قول محمّد *** فعند طلوع الشّمس ينطمس النّجم

وقال في [ص 298] : ونحمد الله على أنّ القائلين بأنّها نزلت في أهل البيت هم الجمهور. ولعلّ النزاع في ذلك من آثار سياسة الملوك، التي سعى في تنفيذها كثيرٌ من علمائهم. فإنّه لمّا اقتضت سياستهم سفك دماء أهل البيت وجد من العلماء من يضع لهم الحيل ويعتذر عنهم فيما فعلوه. أو يحسنّ فعلهم كما حسّنوا منهم تسميم الحسن السبط، وسعد بن أبي وقاص، ونحو ذلك اغتيال محمّد بن مسلمة، وساعدوهم في كتم فضائلهم، أو المنازعة فيها. وكم من الأحاديث المستفيضة بل المتواترة لم يجرؤ أحدٌ من نقاد المحدثين البريئين من نزعة النّصب، أن ينكره أو يضعّفه. وغاية ما بلغ النّصب باتّباع التّواصب منهم أن أنكروا بعض ألفاظ رواياته، لظنّهم فيها أنّها تصادم مذاهبهم، ومنهم من أعرض عن روايتها كراهية أن يتّخذها الغلاة من الشيعة مدرجة إلى الطعن في الأكابر. ولهم في كتم ما كان كذلك مذهبٌ معروفٌ، كما صرّح بذلك الحافظ ابن حجر في الفتح. ونُسب إلى أحمد بن حنبل كراهية التحديث بالأحاديث التي يفهم منها جواز الخروج على الملوك. وقد ترجم البخاري فقال : «باب من خصّ بالعلم دون قوم مخافة أن لا يفهموا. وقال علي: حدّثوا النّاس بما يعرفون، أتحبّون أن يكذب الله ورسوله؟» وأخرج في الباب حديث معاذ، فراجع. وينبغي أن يحمل ما زعمه بعضهم من سكوت أحمد بن حنبل عن حديث عمّار تقتله الفئة الباغية، على هذا المعنى لتواتر الحديث، وإخراجه له في مسنده كما أخرجه أهل الصّحاح. وقد روى الحافظ الثقة ابن أبي شيبه عن الإمام أحمد أنّه قال: هو حديثٌ صحيحٌ عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). وكذلك ما زعمه ابن تيميّة عنه في حديث «وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» فإنّه قد روي بأسانيد صحيحة، ورواه أحمد في مسنده كما رواه غيره. وينبغي لك أن تعرف أنّ بعض أصحاب أحمد ينقل عنه من أمثال هذا ما ينكره أكثر العلماء وينزّهونه عنه، فكن منهم على حذر.

وقد كان في القديم لعلماء النواصب صولة عظيمة، واستيلاء على العامة والهمج. وقد أنكروا على أحمد تربيعة بعليّ (عليه السلام) في الخلافة، وقد يتعصب بعض هؤلاء على حديث صحيح فيردّه أو يطعن فيه لأنه رأى الشيعة يستدلّون به، ولا يتفطن لوجه الجمع بين قبوله وتأويله. فإذا سمع المتعالمون والعوام ما يقوله في ذلك الحديث اتخذوه حجة، ونقلوه إلى كل قطر ومصر، وجلعوه أصلاً بينهم. فإذا سئل عنه مثل الإمام أحمد كان في مبادعتهم بغير ما عندهم إثارة فتنة صماء عمياء، فكان قصاره السكوت، أو اللياذ بالمعاريض من القول، فيفهمون منها ما مرّوا ومرّوا عليه، ويكون قد دفع بها عن نفسه، وقد كان الأمر الملجئ للإمام أحمد وأشباهه إلى ذلك عظيم. وحسبك بتألب الخاصة الذين هم علماء الملوك وأتباعهم من العامة. إلى أن قال في [ص 378]: وقد كان ملوك النواصب يضربون بالسياط، من لم يلعن علياً (عليه السلام)، ولم يبرأ منه، وكثيراً ما قتلوه، فكيف بمن تجرّأ فروى فضائله وفضائل آله. فكيف بمن روى نقائص أولئك الجبابرة وما ورد فيهم، ولو أردنا تحديد من ضرب أو جلد أو قتل أو هُدم بيته في ذلك السبيل لذكرنا ما يملأ عدّة صحائف، ومنهم أناس مشهورون، كالإمام يحيى بن أبي كثير، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم.

والقصد ممّا ذكرناه : بسط العذر لمن لم يخرج بعض الأحاديث الصّحيحة أو المتواترة الواردة في فضائل أهل البيت، أو في فضائل عليّ (عليه السلام). فإنّ الخوف كان شديداً، والاستبداد والتّغلب في عنفوانه وعظم قوّته وانتشار سطوته.

وأنا لنرى في زماننا هذا كيف يتسابق العلماء والقضاة والمفتون إلى إرضاء السلاطين، ولا يسألونهم فتوى بما يخالف الدّين ويؤيد الطّواغيت والقوانين، إلّا بادروا إليه فرادى ووحداً، وعمدوا إلى آيات الله يحرفونها، وإلى سنّة رسوله يطعنون فيها أو يردّونها. هذا على أنّهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، ولكنّهم يخافون العزل من الوظائف أو يطمعون في الحصول عليها، فيكف يلام بعد هذا من لم يخرج حديثاً صحيحاً؟ وقد كان يخاف على عهده أن تضرب عنقه، أو تستصفي أمواله، أو يصبّ عليه الماء البارد، أو تحلق لحيته ويطاف به في الأسواق، أو يسقى شربة من عسل، فعليك رحمك الله ببسط العذر لهم والاستمسك بحسن الظن.

أقول : وأمّا في عصرنا الحاضر فلعلّ البعض منهم من غرّهم عظيم الجاه، فألجأهم إلى استمالة قلوب الأتباع خوفاً من أن ينفروا منه، ومنهم من غلبهم حب العلوّ والاستعلاء فأولّ الأحاديث بالتأويلات الباردة، رغبة في المساواة بأهل بيت المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) إن لم نقل حسداً من عند أنفسهم، لما رأوا من عظيم توقير الأمة لبقايا العترة الطاهرة وبما آتاهم الله من فضله. والله أعلم.

قال في كتابه «الشرف المؤبد لآل محمد» [ص 17 ط 2 . مطبعة الحلبي وأولاده] : اختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال هم : أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم، وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته، بسبب معاشرته بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وملازمته له. انتهى.

لعل البعض من ذي مسكة من العلم يتوقف في أن يكون أولى الأقوال أن يقال بما ارتآه الشيخ (رحمه الله)، لاستحالة وجود أي قدر للأقوال في جانب قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وليس ممّا يستراب في أن كلّ منصف مستقيم في غنى عن التأويلات الباردة. ولا أن يلتبس عليهم وجه الحق من المحامل البعيدة. بعد أن صرح الرسول بالمرادين في هذه الآية تصريحاً جلياً لا غبار فيه وعين باسم الإشارة في قوله : هؤلاء أهل بيتي، وبعد أن جللهم بردائه ومنعه (صلى الله عليه وآله وسلم) زوجتيه عائشة وأم سلمة من الدخول تحتها معهم، فكيف يحتمل أن تكون الزوجات من المعدودات في معنى الأهل من هذه الآية ؟ فضلاً عن أن يكون أحدٌ غيرهنّ. كما رآه البقاعي ومن نزع إلى رأيه. وعلى أنه رحمه الله قد ذكر في كتابه المذكور خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة ما أخرجه الطبري في تفسيره دالة على أن المعنى بأهل البيت في هذه الآية الشريفة هم : النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة وحسن وحسين. ثم قال : ورأيت الإمام الجليل خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» قد صدر الكلام عند تفسير هذه الآية بثلاث روايات في أن أهل البيت فيها هم أزواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعقبها بعشرين رواية من طرق مختلفة في أن المراد منهم : النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين، منها ما أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني وابن مردويه، عن أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقال في [ص 23] من المصدر نفسه : وقال شيخ الصوفيّة، وإمام العارفين الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي (رضي الله عنه) في الباب التاسع والعشرين من «الفتوحات المكيّة» [1 : 196 ط . بيروت - دار احياء التراث العربي] : ولما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبداً محضاً قد طهره الله وأهل بيته تطهيراً، وأذهب عنهم الرجس، وهو كل ما يشينهم، فإنّ الرجس هو القدر عند الربّ، هكذا حكى الفراء. قال الله تعالى : (إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فلا يضاف إليهم إلا مطهراً ولا بدّ، فإنّ المضاف إليهم هو الذي يشبههم. فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتّقدس، فهذه شهادة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لسلمان الفارسي بالطهارة، والحفظ الإلهي والعصمة حيث قال فيه : « سلمان منّا أهل البيت » وشهد الله لهم بالتّطهير وذهاب الرجس عنهم. وإذا كان لا يضاف إليهم إلا مطهراً مقدّساً، وحصلت له العناية الربّانية الإلهية بمجرد الإضافة، فما ضنك بأهل البيت في نفوسهم ؟ فهم المطهّرون، بل هم عين الطهارة، فهذه الآية تدلّ على أنّ الله قد شرك مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)⁽¹⁷⁾.

وأي وسخ أقدر من الذنوب وأوسخ ؟ فطهر الله سبحانه نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمغفرة، ممّا هو ذنبٌ بالنسبة إلينا، ولو وقع منه (صلى الله عليه وآله وسلم) لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى.

إلى أن قال: فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلّهم رضي الله عنهم ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران. فهم المطهرون اختصاصاً من الله وعنايةً بهم لشرف محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعناية الله به. ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفوراً لهم. وأمّا في الدنيا فمن أتى منهم حدّاً أقيم عليه، كالثائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة كما عزّروا أمثاله، ولا يجوز ذمّه.

وينبغي لكلّ مسلم يؤمن بالله وما أنزله أن يصدّق الله تعالى في قوله : (لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فيعتقد في جميع ما يصدر عن أهل البيت أنّ الله تعالى قد عفا عنهم، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم وما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيرهم، وذهاب الرّجس عنهم، لا بعمل عملوه ولا بخير قدّموه، بل بسابق عناية من الله بهم. (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (18).

وإذا صحّ الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة، فإنّه لو كان سلمان على أمر يشنأه ظاهر الشرع وتلحق المذمة، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم وهم المطهرون بالنّص. انتهى كلام الشّيخ الأكبر.

ثم قال الشّيخ المؤلّف : فقد صرّح كما نرى وهو إمام الصّوفيّة، وكفى به حجة بدخول الشرفاء أولاد فاطمة كلّهم رضي الله عنهم ومواليهم كسلمان الفارسي (رضي الله عنه) إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهرون اختصاصاً من الله وعنايةً بهم لشرف محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعناية الله به. انتهى.

أمّا ما قاله الشّيخ الأكبر (رضي الله عنه) فيما يعرب عن فضل أهل البيت فممّا لا يجحده كل ذي عقل فہم وقلب صاف مستقيم. وأمّا دخول الزّوجات في معنى الأهل فقد مضى فيما مضى من بيان أهل العلم في الموضوع، وسيأتي مزيدٌ من ذلك فيما يلي.

وأمّا قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): « سلمان ممّا أهل البيت » فليس لأحد من النّاس في إنكار ما يحوي الحديث من الفضل لسلمان (رضي الله عنه) من سبيل، ولا ممّن قال به أو احتجّ في فضله من تأويل. ولكن أفليس من الممكن أن نقول : لعلّ المتبادر إلى العقل في فهم معنى ذلك الحديث النبوي كمثّل ما يفهم من قول البيهقي في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لوائلة بن الأسقع : «أنت من أهلي»؟ حيث قال فيه كما مر قريباً من هذا الكتاب : كأنّه جعل في حكم الأهل تشبيهاً لا تحقيقاً، فصار معناه متفقاً مع ما قاله جمهور

العلماء، كما قد صرّح بذلك سيّدي الحبيب علوي بن طاهر الحدّاد في «القول الفصل» [2 : 192] ما لفظه :
فتفسير من فسّر الآية هنا بغير أهل الكساء مردودٌ مبتدعٌ. ويشهد لصحة الجمهور وفساد قول الشّاذّ ما
صحّ من ردّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لعائشة وأمّ سلمة وعدم إدخاله لهما. «الخ».

وقال أيضاً في [ص 293] من كتابه المذكور مصرّحاً : ولهذا كثر ردّ المحققين على من خالف هذا
التفسير، ويشهد لما قاله الجمهور ما جاء في أحاديث الاصطفاء والاختيار، وهي كثيرة ولها طرق عديدة،
وأسانيدها صحيحة عند قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «فجعلني في خيرها بيتاً»، فذلك قوله تعالى : (إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فهذا صحيح في إرادة بيت النّسب، ومن تأمل
أسلوب الآيات، وتأنّث الضمائر فيهنّ، ثمّ صرف ذلك وتغييره وتذكيره في تلك الآية وحدها، وإيراد لفظ
«أهل البيت» منادياً لهم مخصّصاً مع تكرار الدّاء فيما سوى ذلك بلفظ (يا نساء النّبي) وعرف أنّ
الإضافة إلى البيت لما كانت خيراً من الإضافة إلى النّبي. وكيف أفرد لفظ البيت مع أنّ لأّمّهات المؤمنين
بيوتاً متعدّدة للسكنى؟ «إلى أن قال» : ومن تأمل هذا لم يبق عنده غبار ريب في أنّ القول قول الجمهور،
وغيره تضليلٌ.

وقد صحّ خبر سعد في قصة المباحلة وفيه : «اللهم هؤلاء أهل بيتي» فلذلك قال الزّمخشري في
«الكشاف» : لا دليل أقوى من هذا على فضل أهل البيت.

وهذا القول قد اختاره جمهور محدّثين لوروده عن أربعة عشر صحابياً، وهم : علي، وحسن،
وحسين، وعبدالله بن جعفر، وابن عبّاس، وعائشة، وأمّ سلمة، وابنها، وواثلة، وأنس، وسعد، وأبو
الحرّاء، ومعل، فهو من المتواتر معنى. انتهى.

على أنّ الشّيخ النّبّهاني نفسه قال : في [ص 32] : والذي يدلّ دلالة واضحة على أنّ المراد من الآية
أهل العباء مع الزّوجات، إن لم نقل وحدهم للرواية التي أخرجه عن أمّ سلمة : ابن جرير، وابن المنذر،
وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وقد تقدّمت الرواية عن «الدر المنثور» للحافظ السيوطي،
وهي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في بيتها على مقامة له عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة
ببرمة فيها خزيرة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً، فدعتهم،
فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فأخذ النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بفضلته فنشأهم إيّاه، ثمّ أخرج يده من الكساء
وألوى بها إلى السّماء ثمّ قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي» وفي رواية : «وخاصّتي فأذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً» قالها ثلاث مرّات. قالت أمّ سلمة : فأدخلت رأسي في السّتر فقلت : يا رسول
الله وأنا معكم؟ فقال : «إنّك إلى خير» مرّتين. انتهى.

وقال أيضاً في [ص 33] : فأنت ترى هذه الرواية صريحة في تخصيص الآية في أهل الكساء. ثمّ
ذكر في [ص 34] ما نقله ابن حجر في «الصّواعق» [ص 222 ط . بيروت دار الكتب العلمية] : عن الثعلبي من

أنها في بني هاشم، على أن البيت يراد به بيت النسب. فيكون العباس وبنو أعمامهم منهم. قال الخازن : وهو قول زيد بن أرقم. وذكر أيضاً أن قول أبي سعيد الخدريّ وجماعة من التابعين منهم مجاهد : إن أهل البيت هم أهل العباء خاصة.

10 - ابن حجر الهيثمي:

قال في كتابه «الصّواعق» [ص 141] في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر في الآية الأولى ما لفظه : أكثر المفسّرين على أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين، ثم ذكر الأحاديث الدّالة على نزولها في خمسة : النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعليّ، وفاطمة، والحسن والحسين. وقال : وصحّ أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل على هؤلاء كساء وقال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي - أي خاصّتي - أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». فقالت أمّ سلمة : وأنا معهم؟ قال : «إنك على خير». وفي رواية بزيادة : «أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم».

11 - السيّد أمير محمّد الكاظمي القزويني:

قال في مناقشته مع التّشاشيبي في كتابه «الاسلام الصّحيح» [ص 45] حول آية التّطهير ما ملخصه : إنّ قوله «يعني التّشاشيبي» بأنّ أهل البيت في كتاب الله تعالى هم نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) غير صحيح، لأنّه ناشئ مع عدم ممارسته للأسلوب القرآني. والآية ما عنت نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنّما في خصوص عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام)، وعليه إجماع المسلمين أجمعين. وإنّ محلّ أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) عند الله تعالى لا يتفق مع محلّ زوجاته، لعصمة أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم عصمتهم بصريح الآيات، كقوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدُّنْيَا) وَزَيْنَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ) وقوله تعالى : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) وقوله تعالى في اثنتين منهم : (إِنْ تَتُوبَا فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) ومنهنّ من خالفت أمر الله بخروجها من بيته محاربة نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أنّه تعالى قال لهنّ : (وَقرْنِ فِي بُيُوتِكُنَّ).

ثم إن إطلاق أهل البيت على الأزواج ليس على أصل وضع اللغة. وإنّما هو إطلاق مجازي لا يصار إليه إلا مع القرينة، ولا قرينة في الآية على أنّها تريد الأزواج سوى السيّاق.

ثم أتى السيّد بالأدلة المنطقية المقنعة، والبراهين العقلية السّاطعة القاطعة، ما يمتلئ بذكرها وجوه الصّفحات. إنّّه لو أراد الأزواج لكان الخطاب في الآية بما يصلح للإناث، بقوله : (عَنكُنَّ) و (يُطَهَّرُكُنَّ) لأنّ هذا هو المناسب كما في غيرها من آيات خطابهنّ، فتذكير ضمير الخطاب فيها خاصّة دون غيرها من آيات خطاب النّساء أوضح دليل على عدم إرادتهنّ. أترى أنّ في الله عيّا عن إتيانه كذلك لو أرادهنّ؟

وأما مجيء ذلك في سياق آيات خطاب النساء، فأمره لا يخفى على البلغاء العارفين بأساليب البلاغة، من أن كلام البليغ قد يدخله الاعتراض والاستطراد بإيراد جملة أجنبية بين الكلام المتناسق. كما في قوله تعالى في سورة يوسف: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) وقد استطرده قوله: (يوسف أعرض عن هذا) بين كلاميه، ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العرباء مما يضيق المقام عن تعداده، فأية التطهير من هذا القبيل جاءت معترضة بين آياتها لبيان شدة عناية الله بأهل البيت. انتهى.

ثم ساق الأحاديث الواردة في هذا الموضوع ما دلت على عدم دخل الأزواج في معنى أهل البيت من هذه الآية، ما قد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب بطرق متعددة.

وقال في [ص 52]: فكل هذه الأحاديث المرفوعة وأضعاف أمثالها تنادي بصراحة على اختصاص آية التطهير بخصوص من ذكرنا «يعني الخمسة الطاهرة» وأنه لم يدخل معهم في ذلك القول زوجة من أزواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) خصوصاً إذا لاحظنا ما تقدّم من آيات الكتاب وحصره (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم تحت الكساء، وجذبه الكساء من يد أم سلمة، ومنعها من الدخول تحتها، مع جلالة شأنها وعظيم قدرها، وهي إذ ذاك من أهل اللسان والفصاحة والبيان. فلو كانت من أهل البيت لما سألتها الدخول معهم في الكساء. وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ - أَوْ - إِلَى خَيْرٍ» لمن أوضح دليل على عدم كونها من أهل البيت في الآية.

فياهل ترى لذلك وجهاً غير ما ذكرنا من اختصاص الآية بهم (عليهم السلام)، وعدم دخول نسائه (صلى الله عليه وآله وسلم) معهم؟ فأَيُّ مؤمن عاقل يتجرأ على نبذ هذه الصّاح الثابتة بالقطع من دين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويخاصم رسول الله، ويكون حرباً لله ويتبع غير سبيل المؤمنين. ويزعم أن الله تعالى عنى بكلامه غير عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين؟ ثم إن الإرادة في الآية، لا تخلو من أن تكون تشريعية أو تكوينية، فإن كانت الأولى لم يصح حصرها في الآية بأهل البيت وقصرها عليهم، لأنها تعني إرادة اجتناب المعاصي وفعل الفرائض، وهي متعلقة بفعل المكلفين أجمعين، وغير محصورة في فئة منهم إطلاقاً. فإذا بطل هذا ثبت أن الإرادة فيها تكوينية، وهي محصورة في أهل البيت (عليهم السلام). لم يدخل معهم في ذلك داخل ولا داخله كما يقتضي الحصر.

ثم قال في [ص 58]: لا حجة في رواية نزول الآية في نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا تصلح رواية من الروايات أن تكون دليلاً لإثبات ما يدّعون، لاشتغالها على الضعاف، وصحة ما ورد في نزولها في الخمسة، بل وفيه ما هو بأقصى مراتب الصحة عند حفاظ أهل السنة. والضعيف لا يصادم الصحيح فيطرح لأجله.

ثم إن جميع ما ورد من الروايات - كما تراها - موقوفة على ابن عباس وعكرمة، وقد عرفت حال الرجل الأخير، وأنه ناصبي كذاب عند علماء أهل السنة في علم الرجال. ولا قيمة للروايات الموقوفة في قبال الأحاديث المرفوعة، خاصة مع وجود الكذابة والمتهمين في سلسلة سندها.

ثم إنه لو كانت آية التطهير تريد نساء (صلى الله عليه وآله وسلم) لكان مناقضاً لقوله تعالى : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مَّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) لأنه دليل على جواز الفاحشة عليهن، وأين هذا من التطهير من كل الذنوب، كما هو صريح الآية؟ فإن معنى الرجس بالكسر : القذر، وكل ما استقذر من العمل، والعمل المؤدي إلى العذاب والشك. وفي المنجد: الرجس : العمل القبيح، وبهذا صرح غيره من أهل اللغة.

ثم إنه إن أراد الأزواج منها ينافي قوله في سورة التحريم: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ) [آية: 5] فإنه أوضح دليل على أن الله تعالى قد أباح لنبِيِّه (صلى الله عليه وآله وسلم) طلاقهن. ولا يمكن أن يكون إلا من حيث أساء بعضهن إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) إساءة متناهية في القباحة، إذ ليس من المعقول أن يعزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على مفارقة نسائه بالطلاق، ولم يصدر منهن ما يوجب غضبه وتنفره منهن. فذلك ممّا لا يمكن ولا يتفق مع ما وصفه الله تعالى بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم : 4] .

* * *

المبحث الثلاثون

في قوله عزّوجلّ : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) [الكوثر : 1] .

اختلفت الأقاويل، وتلوّنت أفهام أهل التّأويل، في معنى الكوثر ، ومن المعنيّ بالأبتر. ولا غرو إذا كان الاختلاف جار مع كلّ آية أو رواية فيها ذكر فضل أهل البيت ودمّ أعدائهم. إذ الظروف الحالية ألجأتهم إلى ذلك كما علمنا قريباً فيما مضى من هذه السطور. وإن لم يكن من ذلك فليس إلا من علة باطنة في نفس صاحبها، ما لا يخفى على الفاطن اللبيب، والعاقل الأريب، على أنّ المعاني المشتركة في لفظة «كوثر» كالنبوة والقرآن والحوض وغيرها، لمن تكن صالحة وملائمة لجواب من رمى الرّسول الأعظم بالأبتر، ولا مطابقاً لرّدّ من قال بأنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) أبتر. فيحتمل إذن أن يكون معنى الكوثر هو الدّريّة الكثيرة الطيبة. وشاهد ذلك قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) في دعائه لحبيّته الزّهراء وكفنها الوحيد : « بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدّكما، وأخرج منكما الكثير الطيب ». قال انس : والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب. وقد ظهر لي ممّن ذهب الى هذا المعنى أو مال إليه من بين تلك المرادفات بعض المفسّرين منهم :

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [9 - 10 : 549 - 550 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت] : بعد أن ذكر أقوالاً : وقيل: هو كثرة النّسل والدّرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة(عليها السلام) حتّى لا يحصى عددهم واتصل إلى يوم القيامة مددهم.

ثم قال في تفسير معنى (شَانِيكَ هَوَ الْإِبْتَر) : معناه أنّ مبغضك هو المنقطع عن الخير، وهو العاص بن وائل. وقيل معناه: أنّه الأقلّ الأذلّ المنقطع عن كلّ خير. وقيل معناه: أنّه لا ولد له على الحقيقة. وأنّ من ينسب إليه ليس بولد له، قال مجاهد : الأبتر الذي لا عقب له. وهو جوابٌ لقول قريش: إنّ محمّداً(صلى الله عليه وآله وسلم) لا عقب له، يموت فنستريح منه ويدرس دينه. إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه، فينقطع أمره. انتهى.

ثم قال : وفي هذه السّورة دلالات على صدق نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) وصحة نبوّته: أحدها : أنّه أخبر عمّا في نفوس أعدائه وما جرى على ألسنتهم ولم يكن بلغه ذلك فكان على ما أخبر، وثانيها : أنّه قال: (أعطيناك الكوثر). فانظر كيف انتشر دينه، وعلا أمره، وكثرت ذريّته حتّى صار نسبه أكثر من كلّ نسب، ولم يكن شيءٌ من ذلك في تلك الحال. الخ.

2 - الشوكاني:

أورد في تفسيره «فتح القدير» [5 : 504 ط . عالم الكتب - بيروت] أحاديث دلت على معنى الكوثر بأنه الحوض. ثم قال في الأخير : وأخرج الطبراني وابن مروديه عن أبي أيوب قال : لما مات إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا : إن هذا الصابئ قد بتر الليلة، فأنزل الله : (إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) إلى آخر السورة.

وأخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال : كان أكبر ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القاسم، ثم زينب، ثم عبدالله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، فمات القاسم وهو أول ميت من أهله وولده بمكة، ثم مات عبدالله، فقال العاص ابن وائل السهمي : قد انقطع نسله فهو أبتر، فأنزل الله : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ).

3 - النيسابوري:

قال في تفسيره «غرائب القرآن» [3 : 175 بهامش جامع البيان] : القول الثالث: إن الكوثر أولاده، لأن هذه السورة نزلت على من زعم أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) الأبتر، والمعنى : أنه يعطيه بفاطمة نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم مملوء منهم، ولم يبق من بني أمية أحد يُعْبَأُ به، والعلماء الأكابر لا حد ولا حصر لهم. منهم الباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، والتقي، والنقي، والزكي.

وقال في [ص 180] في تفسيره معنى الأبتر : قال عامة أهل التفسير كابن عباس، ومقاتل والكلبي: إن العاص بن وائل وجمعاً من صناديد قريش يقولون أن محمداً أبتر، لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره واسترحنا منه، وكان قد مات ابنه عبدالله من خديجة، فأنزل الله تعالى هذه السورة كما مرّ. والشنء: البغض، والشانئ: المبغض، والبتر في اللغة : استئصال القطع. الأبتر: المقطوع الذنب، فاستعير للذي لا عقب له ولمن انقطع خبره وذكره.

فبين الله تعالى بهذه الصيغة المفيدة للحصر أن أولئك الكفرة هم الذين ينقطع نسلهم وذكرهم، وأن نسل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثابت باق إلى يوم القيامة، كما أخبر بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : كل حسب ونسب ينقطع ، إلا حسبي ونسبي. وإن دين الله لا يزال يعلو ويزيد، والكفر يُعْلَى ويقهر، إلى أن يبلغ الدين مشارق الأرض ومغاربها.

قال بعض أهل العلم : إن الكفار لما شتموه بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أبتر، أجاب الله عنه بغير واسطة فقال : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) وهذا سنة الأحزاب إذا سمعوا من يشتم حبيبهم تولوا بأنفسهم جوابه.

4 - الشبلنجي:

قال في كتابه «نور الأبصار» [ص 52 ط. دار الفكر] نقل الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن سنان مرفوعاً الى أنس بن مالك قال : كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فغشيته الوحي، فلما أفاق قال لي : « يا أنس أتدري ما جاءني به جبريل من صاحب العرش عز وعلا ؟ » قلت بأبي أنت وأمي ما جاءك به جبريل ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « قال لي : إن الله تبارك وتعالى يأمر أن تزوج فاطمة من عليٍّ »، فانطلق وادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعثتهم من الأنصار، قال فانطلقت فدعوتهم، فلما أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع سلطانه. المهروب إليه من عذابه، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إن الله عز وجل جعل المصاهرة نسباً لاحقاً، وأمرأً مفترضاً، وحكماً عادلاً، وخيراً جامعاً، وشج به الأرحام، وألزمها الأنام، فقال عز وجل : (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً)، وأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوجه فاطمة من عليٍّ، وأشهدكم أنني زوجت فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك، على السنة القائمة، والفريضة الواجبة، فجمع الله شملهما، وبارك لهما، وأطاب نسلهما. وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمة، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم »، قال : وكان علي (عليه السلام) غائباً في حاجة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بعثه فيها، ثم أمر لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطبق فيه تمرٌ. فوضع بين أيدينا فقال : « انتهبوا »، فبينما نحن كذلك إذ أقبل علي (عليه السلام) فتبسم إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : « يا علي إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة، وإنني قد زوجتكما على أربعمائة مثقال فضة »، فقال علي (عليه السلام) : « رضيت يا رسول الله »، ثم إن علياً خرّ ساجداً شكراً لله. فلما رفع رأسه قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما. وأخرج منكما الكثير الطيب ».

قال أنس : والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب.

5 - ابن شهر آشوب :

وفي رواية ابن مردويه كما في «مناقب ابن شهر آشوب» [3 : 351] قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي : « زوجتك ابنتي فاطمة على ما زوجك الرحمن، وقد رضيت بما رضي الله لها، فدونك أهلك، فأبئك أحق بها مني » وفي خبر : فنعلم الأخ أنت، ونعم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت. وكفاك برضا الله رضا، فخر علي ساجداً شكراً لله تعالى وهو يقول : (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) الآية، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : آمين. فلما رفع رأسه قال النبي : « بارك عليكما، وأسعد جدكما،

وجمع بينكما، وأخرج منكما الكثير الطيب». ثم أمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : بطبق بسر وأمر بنهبه، ودخل حجرة النساء وأمر بضرب الدف.

وفيه [ص 354] نقلاً عن تأريخ الخطيب البغدادي، وكتاب ابن مردويه. وابن المؤذن، وابن شيرويه الدّيلمى. بأسانيدهم عن علي بن الجعد، عن ابن بسطام، عن شعبة ابن الحجاج، وعن علوان، عن شعبة، عن ابن حمزة الضّبّعي، عن ابن عباس وجابر أنّه : لما كانت الليلة التي زفت فاطمة إلى عليّ كان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من خلفها، يسبحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر.

وفيه [ص 355] أيضاً عن كتاب مردويه [فضائل أمير المؤمنين] : أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)سأل ماءً فأخذ منه جرعة فتمضمض بها، ثم مجّها في القعب ثم صبّها على رأسها، ثم قال : « أقبلي»، فلما أقبلت نضح بين ثدييها ثم قال : « أدبري»، فلما أدبرت نضح بين كتفيها، ثم دعا لهما، بقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهم إنهما أحب خلقك إلي، فأحبّهما وبارك في ذريتهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإني أعيدهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم».

وروي أنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) قال : مرحباً ببحرين يلتقيان، ونجمين يقتربان، ثم خرج إلى الباب يقول : « طهركما وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله واستخلفه عليكما». وباتت عندها أسماء بنت عميس أسبوعاً بوصية خديجة إليها، فدعا لها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « السلام عليكم. أدخل رحمكم الله ؟» ففتحت أسماء الباب، وكانا نائمين تحت كساء فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « على حالكما : فأدخل رجله بين أرجلها، فأخبر الله عن أورداهما (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية فسأل عليّاً : « كيف وجدت أهلك؟» قال : « نعم العون على طاعة الله، وسأل فاطمة فقالت : « خير بعل»، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهم اجمع شملهما وألف بين قلوبهما، وأجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وأرزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، وأجعل في ذريتهما البركة، وأجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك»، ثم أمر بخروج أسماء وقال : «جزاك الله خيراً».

وروي أنّه كان بين تزويج أمير المؤمنين وفاطمة في السماء إلى تزويجها في الأرض أربعين يوماً، وزوّجها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من عليّ أول يوم من ذي الحجة، وروي أنّه كان يوم السادس منه، وقيل غير ذلك.

المبحث الحادي والثلاثون

في قوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن: 19 - 20].

اختلفت أقوال المفسرين، وتباينت آراء المتأولين، في تفسير معنى البحرين في هذه الآية. فمنهم من قال: بأن المراد بالبحرين هما بحر السماء وبحر الأرض، ومنهم من قال: هما بحر الروم والفرس. وقائل منهم بأنهما بحر العذب والملح، ومن بينهم من قال: بأنهما بحر النبوة والخلافة لورود الخبر في ذلك عن سلمان الفارسي وغيره رضي الله عنهم، كما ذكره بعض المفسرين والمصنفين في كتبهم منهم :

1 - الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [9 - 10 : 201 ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت] بعد أن ذكر الأقاويل، وكلمات أهل التأويل : وقد روي عن سلمان الفارسي، وسعيد بن جببر، وسفيان الثوري أن البحرين: علي وفاطمة (عليهما السلام)، بينهما برزخ : محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : الحسن والحسين (عليهما السلام)، ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلها وكثرة خيرهما. فإن البحر إنما يسمّى بحراً لسعته، وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفرس ركبه وأجراه فأحمدته : « وجدته بحراً » أي كثير المعاني الحميدة.

2 - ابن شهر آشوب:

قال في كتابه «مناقب آل أبي طالب» [3 : 318 ط . دار الأضواء - بيروت] : ذكر الخركوشي [أحمد بن عبد الملك المتوفى سنة 407] في كتابيه «اللوامع» و «شرف المصطفى» بإسناده عن سلمان. وأبو بكر الشيرازي في كتابه عن أبي صالح وأبو إسحاق الثعلبي، وعلي بن أحمد الطائي، وأبو محمد بن الحسن بن علوية القطان في تفاسيرهم عن سعيد بن جببر، وسفيان الثوري. وأبو نعيم الأصفهاني في [نزول القرآن] باب «ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين (عليه السلام)» عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس و عن أبي مالك عن ابن عباس. والقاضي النطنزي عن سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق (عليه السلام)، واللفظ له. في قوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) قال : علي وفاطمة بحران عميقان، لا يبغي أحدهما على صاحبه. وفي رواية :

بينهما برزخ : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج منهما (اللؤلؤ والمرجان) : الحسن والحسين (عليهما السلام).

[وأخرج أبو معاوية الضرير (المتوفى سنة 195)] عن الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عباس : إن فاطمة بكت للجوع والعري، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «اقنعي يا فاطمة بزواجك، فوالله إنَّه سيّد في الدنيا سيّد في الآخرة»، وأصلح بينهما، فأُنزل الله : (**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**) يقول عزّوجلّ : « أنا الله أرسلت البحرين : عليّ بن أبي طالب بحر العلم، وفاطمة بحر النبوة يلتقيان: يتصلان. أنا الله أوقعت الوصلة بينهما». ثم قال : (**بينهما برزخ**) [أي مانع، رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمنع عليّ بن أبي طالب أن يحزن لأجل الدنيا، ويمنع فاطمة أن تخاصم بعلمها لأجل الدنيا. (**فَبَأْيَ آلاءِ رَبِّكُمَا**) يا معشر الجن والأنس (**تَكْذِبَانِ**) بولاية أمير المؤمنين وحب فاطمة.

(**اللؤلؤ الحسن**) (**والمرجان الحسين**). لأن اللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار، ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما، فإن البحر سمّي بحراً لسعته، وأجرى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فرساً فقال : «وجدته بحراً».

وفي ذلك قال محمّد بن منصور السرخسي شعراً :

وأراد رب العرش أن يلقي بها *** شجر كريم العرق والأغصان

ففضى فزوّجها علياً أنه *** كان الكفيّ لها بلا نقصان

وقضى الإله بأن تولّد منها *** ولدان كالقمرين يلتقيان

سبطا محمّد الرسول وفلذتا *** كبد البتول كذاك يعتلقان

فبنى الإمامة والخلافة والهدى *** بعد الرسالة ذاك الولدان

3 - نور الله الحسيني:

قد أورد الرواية المذكورة في الجزء التاسع من كتاب «إحقاق الحق وإزهاق الباطل» [9 : 107 منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي] : وذكر فيه أيضاً جمعاً كثيرين من رجال العلم والتصانيف المعتمدة، وأرباب التأليف النفيسة الرشيدة. يروونها في مصنفاتهم ومؤلفاتهم ومنهم :

1 - الثعلبي روى عن سفيان الثوري في قوله : (**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**)،

قال : فاطمة وعليّ (**يخرج منها اللؤلؤ والمرجان**) قال : الحسن والحسين.

2 - العلامة الجليل سبط ابن الجوزي أبو المظفر يوسف الواعظ ابن عبد الله المتوفى (سنة 654 هـ)

(روى في كتابه «تذكرة خواص الأمة» [ص 54 ط . الغري].

3 - الحافظ العلامة أبو المؤيد موفق بن أحمد خوارزم الخوارزمي المتوفى (سنة 568 هـ).

4 - العلامة الشيخ عبد الله بن طلحة الشافعي. روى في مناقبه [ص 212].

- 5 - الصفوري وهو العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالسلام الشافعي البغدادي، المتوفى (سنة 884) روى في كتابه «نزهة المجالس» [2 : 229 ط . القاهرة].
- 6 - المبيذي اليزدي كمال الدين حسين بن معين الدين المتوفى (سنة 870) روى في كتابه «شرح ديوان أمير المؤمنين».
- 7 - البدخشي ميرزا محمد بن معتمد خان، روى في كتابه «مفتاح النجافي مناقب آل العبا» [ص 13].
- 8 - القندوزي وهو الشيخ سليمان بن الشيخ إبراهيم الحسيني الحنفي المتوفى (سنة 1293) بالقسطنطينية. روى في كتابه «ينابيع المودة» [ص 408 و ص 118 ط . اسلامبول].
- 9 - الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين المصري السيوطي الشافعي المتوفى (سنة 911) روى في تفسيره «الدر المنثور» [6 : 142 ط . مصر].
- 10 - العلامة الأمرتسري روى في كتابه «أرجح المطالب» [ص 70 و 309 ط . لاهور].
- 11 - الكشفي الحنفي وهو العلامة المولى صالح الحسيني المتوفى (سنة 1025) روى في كتابه «المناقب المرتضوية».
- 12 - الألوسي، وهو علامة القوم في عصره السيد شهاب محمود الرضوي، المتوفى (سنة 1270) روى في تفسيره «روح المعاني» [27 : ص 93 ط . مصر].

المبحث الثاني والثلاثون

في قوله تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتَبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة : 127 - 128].

فقد أبدى العياشي في تفسيره - في ما ذكره الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [1 : 299] في الآية 125 من سورة البقرة - ما خفي على كثير من المفسرين من جواهر معاني هذه الآية الكريمة لبعد غورها وترامي مراميها ومغزاها. فلا شك لكل ذي إنصاف في أن ذلك مما يعرب عن علو مكانته في العلم، وإتساع مراتبه في استخراج ماصناته ظاهر الآيات من جواهرها المكنونة، ما قصر عن بلوغها ونيلها كل ذي باع طويل، وفضل في العلم جزيل، فلا غرو أن ذلك غاية أمل الباحث المتحقق الأريب، ومنية المهتدي المتبصر الأديب، ونورٌ ظاهرٌ يستضيء به ذوو التحقيق، للاهتمام إلى سبل السلام وسواء الطريق، والله أعلم فهو ولي الهداية والتوفيق.

وذلك أنه لما شاءت الأقدار أن تظهر ما بطن من الحكمة المكنونة، ما تفضل بها الله المولى الكريم على هذه الأمة. سئل أبو عبدالله سليل صاحب الرسالة الخاتمة عن أمة محمد التي هي خير أمة. فأجاب (عليه السلام) بقوله : « أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هم بنو هاشم خاصة »، فقال السائل : فما الحجة في أمة محمد أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم ؟ قال : قول الله فقراً (عليه السلام) الآية المذكورة إلى آخرها ثم قال : « فلما أجاب الله دعوة إبراهيم وإسماعيل وجعل من ذريتهما أمة مسلمة، وبعث فيها رسولا منهم، يعني من تلك الأمة، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وردف [في] دعوته الأولى دعوته الأخرى فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام ليصح أمره فيهم ولا يتبعوا غيرهم »، فقال : (واجنبي وبنّي أن نعبد الأصنام * ربّ إني أضللن كثيراً من الناس فمن تبغني فأبّني مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم). ففي هذا دلالة على أنه لا يكون الأئمة والأمة المسلمة التي بعث فيها محمد إلا من ذرية إبراهيم، لقوله : (اجنبي وبنّي أن نعبد الأصنام) انتهى.

وجاء صاحب الميزان مبيناً في هذا المقام ببيان شاف وقول واف بقوله : استدلاله (عليه السلام) في غاية الظهور، فإن إبراهيم (عليه السلام) إنما سأل أمة مسلمة من ذريته خاصة، ومن المعلوم من ذيل دعوته (ربنا وابعث فيهم رسولا) الخ، أن هذه الأمة المسلمة هي أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن لا أمة محمد بمعنى الذين بعث اليهم، ولا أمة محمد بمعنى من آمن بنبوته، فإن هذه الأمة أعم من ذرية إبراهيم

وإسماعيل، بل أمة مسلمة هي من ذرية إبراهيم(عليه السلام) ثم سأل ربه أن يجنب ويبعد ذريته وبنيه من الشرك والضلال وهي العصمة.

ومن المعلوم أن ذرية إبراهيم وإسماعيل وهم «عرب مضر وقريش خاصة» فيهم ضالّ ومشرك، فمراده من بنيه في قوله تعالى : (واجنبي وبنّي أن نعبد الاصنام) أهل العصمة من ذريته خاصة، وهم النبيّ وعترته الطاهرة «أي الذين لم يسجدوا لصنم قط» فهؤلاء هم أمة محمد في دعوة إبراهيم(عليه السلام) ولعل هذه النكتة هي الموجبة للعدول عن لفظ الذرية إلى لفظ البنين.

ويؤيده قوله تعالى: (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) الآية. حيث أتى بفاء التفریع وأثبت من تبعه جزءاً من نفسه، وسكت عن غيرهم كأنه ينكرهم ولا يعرفهم. ثم أردف المؤلف:

فإن قلت : لو كان المراد بالأمة في هذه الآيات ونظائرها كقوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) [آل عمران : 11] عدة معدودة من الأمة دون الباقيين كان لازمه المجاز في الكلام من غير موجب يصحّ ذلك، ولا مجوّز لنسبة ذلك إلى كلامه تعالى، على أن كون خطابات القرآن متوجهة إلى جميع الأمة ممّن آمن بالنبيّ ضروري لا يحتاج إلى إقامة حجة.

قلت : إطلاق أمة محمد وإرادة جميع من آمن بدعوته من الاستعمالات المستحدثة بعد نزول القرآن وانتشار الدعوة الإسلامية، وإلا فالأمة بمعنى القوم، كما قال تعالى : (على أمم ممّن معك) [هود : 48] وربما أطلق على الواحد كقوله تعالى : (إنّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله)، [النحل : 120] وعلى هذا فمعناها من حيث السعة والضيق يتبع موردها الذي استعمل فيه لفظها، أو أريد فيه معناها.

فقوله تعالى : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) الآية. والمقام مقام الدعاء بالبيان الذي تقدّم، لا يراد به إلا عدة معدودة ممن آمن بالنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وكذا قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وهو في مقام الامتتان وتعظيم القدر وترفيع الشأن، لا يشمل جميع الأمة، وكيف يشمل فراغة هذه الأمة ودجاجلتها الذين لم يجدوا للدين أثراً إلا عفوه ومحوه، ولا لأوليائه عظماً إلا كسروه.

وسيجيء، تمام البيان في الآية إن شاء الله، فهو من قبيل قوله تعالى لنبي إسرائيل : (وأني فضلتكم على العالمين) [البقرة : 47] فإنّ منهم قارون ولا تشمله الآية قطعاً، كما أن قوله تعالى : (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذه القرآن مهجوراً) [الفرقان : 30] لا يعمّ جميع هذه الأمة. وفيهم أولياء القرآن، ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى.

المبحث الثالث والثلاثون

في قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) [البقرة : 143].

إن الله جعل هذه الأمة شهداء على الناس، وهذا جلائل من الكرامات والإكرام التي تكرّم بها الله عزّ وجلّ عليها، ولكن الذي يهمنّا معرفته من هذا، هل هذه الكرامة عامة بأفراد هذه الأمة بحيث يكون كل شخص منها شهيداً على الناس؟ أم مختصة ببعضها؟ فيفهم من مضمون العبارة: « بنسب وصف البعض إلى الكل، لكون البعض فيه ومنه »⁽¹⁾.

وثبت ما أقرّه العقل من بين مختلفات الآراء والنظريات في البحث عما تضمّنته هذه الآية الكريمة في هذا المقام الهامّ، وما تكّنه هذه العبارة من المراد التامّ. ما شرحه صاحب تفسير «الميزان» [1 : 324] : ومن ذلك قوله (عليه السلام) فالمراد بكون الأمة شهيدة، أن الشهادة فيهم. كما أنّ المراد بكون بني إسرائيل فضّلوا على العالمين أن هذه الفضيلة فيهم، من غير أن يتّصف كل واحد منهم، بل نسب وصف البعض إلى الكل لكون البعض فيه ومنه، فكون الأمة شهيدة هو أنّ فيهم من يشهد على الناس ويشهد الرسول عليهم.

وأورد السيد الطباطبائي أيضاً في بحثه الروائي من تفسيره هذه الآية من طريق أهل السنّة والجماعة في شهادة الأمة على الناس وشهادة النبيّ عليهم: أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبيّنة على أنهم قد بلغوا «هو أعلم» فيؤتى بأمة محدّد فيشهدون، فنقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: عرفنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيّه الصّادق. فيؤتى بمحمّد ويسأل عن حال أمّته، فيزكيهم ويشهد بعدلتهم، وذلك قوله تعالى : (فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) [النساء : 41]. ثم ذكر المؤلف أيضاً مصرّحاً بأنّ هناك أخباراً تؤيّد الخبر المذكور قد نقلها السيوطي وغيره، من تزكية رسول الله لأمرته وتعديله إيّاهم.

فقال بأثره : لعله يراد به تعديله لبعضهم دون جميعهم، وإلا فهو مدفوع بالضرورة الثابتة من الكتاب والسنّة، وكيف تصحّح أو تصوّب هذه الفجائع التي لا تكاد توجد، ولا أنموذجة منها واحدة من الأمم الماضية؟ وكيف يزكي ويعدّد فراعنة هذه الأمّة وطواغيتها؟ فهل ذلك إلا طعن في الدين الحنيف؟ ولعب بحقائق هذه الملة البيضاء.

(1) هذه العبارة للسيد الطباطبائي .

ثم أورد ما في المناقب في هذه المعنى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال : « ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسل، وأما الأمة فغير جائز أن يستشهدها الله، وفيهم من لا تجوز شهادته على حزمة بقل ».

ونقل عن تفسير العياشي أيضاً عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى : (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) الآية. فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية ؟ كلا، لم يعن الله مثل هذا من خلقه. «ولكن» يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم «في قوله تعالى :» (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وهم الأمة الوسطى، وهم خير أمة أخرجت للناس.

* * *

المبحث الرابع والثلاثون

في قوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) [فاطر : 32].

اختلفت آراء العلماء وتباينت أفهامهم في معرفة المصطفين من العباد الذين يرثون الكتاب، فأتى كل واحد منهم بما ارتآه، كما هو المعلوم في كتب التفسير.

قال الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [4 : 526 ط . مؤسسة التاريخ العربي - بيروت] بعد سرده الأقاويل المتضاربة، روي عن الباقر والصادق (عليهما السلام) أنهما قالا : « هي لنا خاصة وإيانا عنى »، وهذا أقرب الأقوال لأنهم أحق الناس بوصف الاصطفاء والاجتباء وإيراث علم الأنبياء، إذ هم المتعبّدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه، والعارفون بجلالته ودقائقه انتهى.

وقد اتفق هذا القول مع أقوال بعض أعيان المؤرّخين ومشاهير المفسّرين البارعين منهم :
محمّد جواد مغنية في كتابه «الشيعية في الميزان» [ص 258 ط . دار التعارف - بيروت] فإنه قد ذكر رواية الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) في محضر العلماء على اختلاف مذاهبهم وفرقهم الذين جمعهم المأمون العباسي ليتدارسوا ويتناقشوا في الفقه والحديث والفلسفة وغيرها، وحين ذاك ألقى المأمون عليهم السؤال : من هم المصطفون المعنّيون بقوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) ؟

قال العلماء غير الإمام : إنهم أمة محمّد بكاملها.

قال المأمون للإمام الرضا (عليه السلام) : ما تقول أنت يا أبا الحسن ؟

قال الإمام : إنه أراد العترة الطاهرة دون غيرهم.

قال المأمون : وما الدليل على ذلك ؟

قال الإمام : لو أراد الله عزّ وجلّ بهذه الآية الكريمة جميع المسلمين كما قال العلماء لحرّمت النار على كل مسلم وإن فعل ما فعل، لأنه تعالى لا يعذب أحداً اصطفاً، والثابت بضرورة الدين خلاف ذلك. وإنّ من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، وإن من يعمل مثقال ذرة شراً يره، هذا إلى أن آيات القرآن الكريم يفسّر بعضها بعضاً، كما أن الأحاديث النبويّة هي تفسيرٌ وبيان لكتاب الله، وفي الكتاب والحديث دلائل وشواهد على أن المراد بقوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)، هم العترة الطاهرة منها :

1 - قوله تعالى : (إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [الأحزاب : 32].

فقد دلّت الآية على أن أهل البيت هم المطهّرون من الرّجس، وبديهة أن المصطفين مطهّرون، فأهل البيت إذن هم المصطفون دون غيرهم.

2 - قول الرسول الأعظم : « إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »، وما دام الكتاب ملازماً للعتره ولم يفترق عنها بحال، إذن هي التي ترثه، وهي التي خصّها الله بالقرب والاصطفاء.

3 - قوله تعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) [آل عمران : 61] فالذين اختارهم الله هنا في هذه الآية واصطفاهم للمباهلة هم بالذات الذين اصطفاهم وعناهم في آية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) ولا يختلف اثنان، أن المراد بأنفسنا: علي، وأبنائنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة، وهذه خاصة لا يتقدمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم به بشر. وشرف لا يسبقهم إليه مخلوق.

4 - أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سدّ أبواب الصّحابة جميعاً التي كانت على مسجده إلا باب عليّ، حتى تكلموا واحتجّوا، وقالوا فيما قالوا : يا رسول الله أبقيت علياً وأخرجتنا؟. فقال : « ما أنا أبقيته وأخرجتكم، ولكن الله سبحانه هو الذي أبقاه وأخرجكم »، فكما أخرج الله الناس هناك وأبقى علياً، كذلك أخرجهم من آية : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) وأبقى العتره الطاهرة.

5 - قوله تعالى : (وَآتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) [الأسراء : 26]، فقد نص صراحة على أن لأهل البيت حقاً خاصاً بهم، لا يشاركونهم فيه أحد، وما ذاك إلا لأن الله سبحانه قد أصطفاهم على الأمة جمعاء.

6 - أن الله عزّوجلّ لم يبعث نبياً إلا أوحى أن لا يسأل قومه أجراً على تبليغ رسالته، لأن الله سبحانه هو الذي يوقيه أجر الأنبياء، إلا محمداً فإن الله أمره أن يجعل أجره مودّة قرابته، بطاعتهم ومعرفة فضلهم. فقد حكى عن نوح أنه قال : (ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله) وحكى عن هود أنه قال لقومه : (قل لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني).

أما محمد فقد قال بأمر ربّه : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى) [الشورى : 20]. وإذا كان وجوب المودّة ميزة خاصة بآل الرسول دون غيرهم من آل الأنبياء، فكذلك إرث الكتاب والاصطفاء ميزة خاصة بهم دون غيرهم.

7 - قوله تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) [الأنفال : 41] فقد جعل الله سبحانه الآل في حيّز، والنّاس في حيّز دونهم، ورضي لهم ما رضي لنفسه، واصطفاهم على الخلق، فبدأ بنفسه ثم تنّى برسوله ثم بذى القربى في كل ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك، وهذا فضل للآل دون الأمة.

8 - قوله تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل : 43]. وأهل البيت هم أهل الذكر، لأنهم عدل القرآن بنص حديث الثقلين.

9 - قوله تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [طه : 132]. قال الإمام الرضا (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى قد أمرنا مع النّاس بإقامة الصلاة في قوله: (أَقِيمُوا الصَّلَاةَ) ثم خصنا من دونهم بهذه الآية الكريمة، فكان رسول الله بعد نزولها يأتي إلى باب عليّ وفاطمة عند حضور كلّ صلاة خمس

مرات. ويقول : « الصلاة يرحمكم الله ». ولم يكرم أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها.

10 - إن الله سبحانه وتعالى قال : (سلامٌ على نوح في العالمين) [الصفات: 79]، وقال : (سلامٌ على إبراهيم) [الصفات: 109] وقال : (سلامٌ على موسى وهارون) [الصفات: 120]، ولم يقل سلامٌ على آل نوح، ولا سلام على آل إبراهيم، ولا سلام على آل موسى ولكنه قال عز من قائل : (سلام على آل يس) ويس هو محمّد بالاتفاق، وإذا خصّهم الله بالسلام فقد خصهم أيضاً بإرث الكتاب والاصطفاء. وجاء في الحديث أن المسلمين سألوا محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف نصلي عليك يا رسول الله ؟ قال : « تقولون: اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد. »

وبعد أن انتهى الإمام من حديثه الطويل، قال العلماء والمأمون للإمام : جزاكم الله خيراً أهل البيت عن أمة جدّكم. فإننا لا نجد بيان ما اشتبه علينا من الحق إلا عندكم.

وقال صاحب تفسير «الميزان» [17: 45] في تفسير الآية الكريمة :

واختلفوا في هؤلاء المصطفين من عباده من هم. فقيل : هم الأنبياء، وقيل هم بنو إسرائيل الداخلون في قوله تعالى : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) [آل عمران : 33]، وقيل هم : أمة محمّد أورثوا القرآن من نبيّهم، إليه يرجعون، وبه ينتفعون، علماؤهم بلا واسطة، وغيرهم بواسطة. وقيل هم : العلماء من الأمة المحمّدية.

وقيل ، وهو المأثور عن الصادقين (عليهما السلام)، في روايات كثيرة مستفيضة: إن المراد بهم ذرية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، من أولاد فاطمة (عليها السلام) وهم الداخلون في آل إبراهيم في قوله تعالى : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم)، وقد نصّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على علمهم بالقرآن وإصابة نظرهم فيه، وملازمتهم إيّاه، بقوله في الحديث المتواتر المتفق عليه. « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفرقا حتّى يردا عليّ الحوض ». وأورد في [ص 49] من نفس المصدر عن الكافي بإسناده عن أحمد بن عمر قال : سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ : (ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) قال : ولد فاطمة (عليها السلام)، والسابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام.

* * *

المبحث الخامس والثلاثون

في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي
اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) [المائدة: 54]:

كثرت الأقاويل وتباينت التأويل، في مورد نزول هذه الآية الشريفة. التي تتضمن الأوصاف الحميدة، والخصال المجيدة، التي قلَّ من يتصف بها من كبار الصحابة فضلاً عن غيرهم من المؤمنين، ما عدا المهدي المنتظر، كما في قول بعضهم، نظراً إلى حرف الاستقبال وهي «سوف». فمنهم من زعم أنها نزلت في أبي بكر، ومنهم من قال بنزولها في الأنصار، ومنهم من رأى أنها نزلت في أبي موسى الأشعري وقومه، ومنهم من ذهب إلى أنها نزلت في الفرس، ومنهم من رأى أنها نزلت في أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ثم إنه لما اختلفت آراؤهم وأقوالهم فبطبيعة الحال تضاربت حججهم أيضاً.

وأما من قال إن الآية نزلت في أبي بكر، فحجَّتهم بأنَّه هو الذي حارب المرتدِّين، ولكن تلك الحجة غير ناهضة أمام مخالفيهم، لما يرون أنه من يوم نزول تلك الآية إلى أن استولى على الخلافة لم يكن يحارب المرتدِّين، فهذا استشكل عظيم المفسِّرين الإمام الرازي إرادة أبي بكر في هذه الآية، كما قال الإمام المظفر الشيخ محمد حسن في كتابه «دلائل الصدق» [2: 194].

وأما القول بإصدار أبي بكر جيشاً تحت قيادة خالد بن الوليد إلى بني يربوع الذين كان في طليعتهم مالك بن نويرة لكونهم مرتدِّين، فليس من الممكن القطع بالحكم على ردِّتهم بمقتضى الشرع. ومن باب أولى، إذا كان القول بكفرهم مراعاة أو دفاعاً عن أن تمسَّ كرامة أحد من النَّاس، على أن هنالك محلاً للنظر، قد عرف من له أقلُّ إلمام بواقعة يوم البطاح وتبصر، فإنهم لا يزالون مقيمين للصلاة جماعة مع أولئك القوم الذين يبيِّنون لهم، أليس معنى الردة الخروج عن الاسلام والرجوع إلى الكفر؟

وأما من حيث إمساكهم زكاة أموالهم فللعالم المنتهت مجالٌ للاحتمال على أن يستبعد من أن يكونوا بوجوبها من الجاحدين، فليس من المحال أن يحتمل أنهم اجتهدوا وتأولوا في تفسير قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)⁽¹⁾ فرأوا أن المأمور بأخذ الزكاة واستلامها هو الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد توفاه الله، ولم يتحقق ويتعين عندهم الأولى الذي استحق الولاية من بعده (صلى الله عليه وآله) حتى تسلم إليه.

ومن الغريب البعيد عن مدار الحقيقة والتحقيق أن يقال بأن قاتلي مالك قد اتصفوا بالأوصاف القيمة، المذكورة في الآية الكريمة، فإن هذه المزعة مما لا يشك في أن أساسها محض الجهل أو جهل في كذب، أو الكذب المبني على العصبية الممنوعة في الشريعة المحمدية، لما لا يخفى على الباحث المتبصر المستقيم، ما وقع بين خالد وبين مالك وزوجته ما يتكرر من ذكره صفاء كل قلب منصف سليم، فحسبك نزرٌ يسيرٌ ليكون ذلك منك على بال، منه قولة لعمر بن الخطاب التي وجهها إلى خالد مقسماً: والله لأرجمئك، وقوله أيضاً لأبي بكر: إن خالداً قد زنى فارجمه، وقد حلف أبو قتادة الأنصاري - وكان وقتذاك مع خالد - أن لا يكون أبداً تحت لواء عليه خالد.

وقد كفى للعاقل اللبيب بما جرى بين خالد وبين عمر وأبي قتادة أن يتخذه مقياساً وميزاناً للاعتبار، فليستوح من عقله ليتبين له المصيب من المخطئ ثم ليقض ما هو قاض.

وعلى ذلك كله، أعني فيما تقدم ذكره، فأن لخالد واقعة أخرى في أيام حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) وذلك حين بعثه إلى بني جذيمة، داعياً لا محارباً. وكانت جذيمه قد قتلت الفاكه بن المغيرة «عم خالد» في الجاهلية، فلما ورد عليهم قال لهم:

ضعوا سلاحكم فإن الناس قد أسلموا، فوضعوا أسلحتهم، فأمر بهم فكثفوا ثم عرضهم على السيف، فقتل منهم مقتلة عظيمة، فلما انتهى الخبر إلى النبي (صلى الله عليه وآله) رفع يده إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد «مرتين»⁽²⁾.

وفي «الفصول المهمة» [هامش 14 ص: 58] عن ابن الأثير في كامله⁽³⁾: ثم أرسل علياً، ومعه مال وأمر أن ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والأموال، حتى إنّه ودى ميلغة الكلب، وبقي معه من المال فضلة، فقال لهم: هل بقي لكم مال أودم لم يود؟ قالوا: لا، قال (عليه السلام): فإني أعطيكم هذه البقية، احتياطاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ففعل، ثم رجع إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال (صلى الله عليه وآله): أصبت وأحسن.

فأما من قال بأن نزول هذه الآية في الأنصار، فحجّتهم في ذلك: بأن المراد بالآية النصرة، فهم الذين نصرّوا الرسول ووازرّوه فاخترت بهم، ولكن لم يرد في ذلك حديث يستدلّ به على صحّة هذا القول، على أن المهاجرين قد شاركوهم في النصرة. فكيف تكون هذه الآية مختصة بالأنصار دون غيرهم؟ فظهر بطلان تطبيق هذه الآية على الأنصار، إذ لم يكن تطبيقهم إلا تطبيقاً نظرياً محضاً كتطبيق من قال بنزولها في أبي بكر.

ولا تنطبق هذه الآية أيضاً على الفرس وأهل اليمن ولا على أبي موسى الأشعري، لما تتضمن فيها من الأوصاف التي لم يتعين ظهورها وثبوت مجموعها فيهم، ككمال الشجاعة والحزم واللين للمؤمنين، وعلو العزة على الكافرين، والشدة عليهم في نصرة الدين، والتفاني في إعلاء كلمة الحقّ وتشديد ملّة سيّد المرسلين. فإن هذه الصفات ما تجمّعت وظهر جلّها إلا لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) بحيث لا يخاف في

(2) راجع: صحيح البخاري 3: 47، كتاب المغازي، باب: بعث خالد إلى بني جذيمة.

(3) الكامل 2: 256 ط. دار الفكر - بيروت.

الله لومة لائم وخصوصاً في قوله تعالى: (يحبهم ويحبونه) فلا يتعين قط إلا له (عليه السلام)، كما نطقت بذلك الكتب والدفاتر، وأيده الخبر المتواتر، مما لا يمكن لأحد أن ينازع ويدافع استحقاقه ذلك، ومن الخبر المتفق مع هذه الآية الشريفة ما رواه إمام المحدثين البخاري، وذلك بعد أن انهزم قوم بعد قوم، مرة بعد أخرى، وكان القائد منهم يجبن الناس ويحبونهم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يده فأعطاه الراية. وقد جاء أيضاً ما يدل على محبته عز وجلّ لأمر المؤمنين وجماعته رضي الله عنهم ما رواه الترمذي⁽⁴⁾ وحسنه، وابن عبد البر في الاستيعاب أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم قيل: يا رسول الله سمّهم لنا. قال (صلى الله عليه وآله): علي منهم» يقول ذلك ثلاثاً» وأبو ذرّ والمقداد وسلمان أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم». ويؤيد ما قلناه أيضاً قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذراً لقريش بقتال عليّ من بعده، وذلك حين جاء سهل بن عمرو في جماعة منهم، فقالوا للنبي (صلى الله عليه وآله): يا محمد إن أرقاءنا لحقوا بك فارددهم إلينا، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله): «لتنتهن يا معشر قريش، أو ليبعثن الله عليكم رجلاً يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله». فقال بعض أصحابه: من هو يا رسول الله، أبو بكر؟ قال (صلى الله عليه وآله): لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة. وكان علي يخصف نعل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وفي رواية أحمد وابن جرير كما في الكنز [6: 396] عن عليّ (عليه السلام) قال: جاء النبي (صلى الله عليه وآله) أناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا جيرانك وحلفائك، وإن أناساً من عبيدنا قد أتوك، ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه إنما فرّوا من ضياعنا وأموالنا فارددهم إلينا. فقال (صلى الله عليه وآله) لأبي بكر: «ما تقول؟» قال: صدقوا إنهم لجيرانك وأحلافك، فتغير وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال لعمر: «ما تقول؟» قال: صدقوا إنهم لجيرانك وحلفائك، فتغير وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال (صلى الله عليه وآله): «يا معشر قريش، والله ليبعثن الله عليكم رجلاً قد امتحن الله قلبه بالإيمان فيضربكم على الدين أو يضرب بعضكم». فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه الذي يخصف النعل وكان أعطى علياً نعلًا يخصفها⁽⁵⁾.

وفي رواية أحمد في مسنده [3: 33 / 82] والحاكم في المستدرک [3: 133] فإن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله».

قال أبو بكر وعمر: أنا هو؟

قال: «لا ولكنه خاصف النعل».

وفي الاستيعاب⁽⁶⁾ في ترجمة عليّ قال (صلى الله عليه وآله) لوفد ثقيف حين جاءه: «لنسلمن أو لأبعثن رجلاً مني،» (أو قال: مثل نفسي) فليضربن أعناقكم وليسبين ذرايكم، وليأخذن أموالكم». قال عمر:

(4) الترمذي: 5: 594 ط. دار الفكر - بيروت وهذا الحديث نقله أيضاً الإمام أحمد في مسنده 6: 489 ط. بيروت مؤسسة التاريخ.

(5) كنز العمال: 13: 127 ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

(6) الاستيعاب بهامش الإصابة 3: 46 ط. دار الكتاب - بيروت.

فوالله ماتمنيت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هو هذا. فالتفت النبي(صلى الله عليه وآله) إلى عليّ(عليه السلام) فأخذ بيده ثم قال: «هو هذا، هو هذا».

وهل بقي لذوي الإنصاف أدنى شك بعد ورود هذه الأخبار الصريحة في أنه وقومه غير داخلين في عموم هذه الآية التي نحن بصددھا؟ فضلاً عن أن تكون نازلة بهم.

والله أعلم والموفق للصواب.

* * *

المبحث السادس والثلاثون

في قوله تعالى: (فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) [البقرة: 37].

اختلفت أقوال المفسرين وتباينت آراؤهم في تفسير معنى «الكلمات» التي في هذه الآية الشريفة، حيث تكون لشيخ النبيين آدم (عليه السلام) سبباً في الفوز بالتوبة والسعادة الأبدية من ربه عز وجل. فمنهم من رأى أنهم مناسك الحج. وقد استبعد البعض منهم ذلك الرأي، لعدم انسجامها مع معناها اللغوي. إذ المناسك من جنس الأعمال.

وذهب بعضهم كما في «الدر المنثور» للإمام الجليل عبد الرحمن السيوطي، إلى أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه من جملة الدعوات والمناجاة كقوله: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)، كما أخرجه الثعلبي وابن المنذر وابن جرير.

وأخرج ابن عساكر والبيهقي في شعب الإيمان بأن الكلمات هي قوله (عليه السلام): لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت التواب الرحيم.

وذكر أنه عن النبي (صلى الله عليه وآله)، ولكن شك فيه. وذكر أيضاً في تفسيره المذكور ما أخرجه الديلمي في «فردوس الأخبار» رواية ذكر فيها هبوط آدم (عليه السلام) بالهند، وحواء بجدة، وبكاؤه على خطيئته مائة سنة حتى بعث الله جبريل (عليه السلام) وقال له: عن الله عز وجل ما قال حتى قال أخيراً: فعليك بهؤلاء الكلمات فإن الله قابل توبتك وغافر ذنبك، قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتاب عليّ إنك أنت التواب الرحيم. فهؤلاء الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام).

وأما ما ذكره من رواية الخطيب في أماليه وابن عساكر أيضاً أنه (عليه السلام) لما أمره الله بالهبوط إلى الأرض هبط مسوداً، فبكت الأرض وضجت فأوحى الله إليه بالصيام. إلى آخر الرواية فلا مناسبة بينها وبين الكلمات المذكورة في هذه الآية.

وهناك روايات كثيرة مليئة باعترافاته (عليه السلام) وتأسّيه وما قاساه من سوء أحواله ما لم تكن صالحة لأن تكون مرادفة لمعنى الكلمات، ولا قابلة لمفهوم معنى التلقي لكونها من الأعمال والأحوال، كالأمر بالإقلال من الكلام والإكثار من السكوت، وما هنالك من الأخبار ما يطول المقام بذكرها.

ولعلّ الأقرب إلى مستوى الأفهام من الروايات في نظر الآخرين ما ذكره عن ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه فقال (صلى الله عليه وآله): «سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين».

وقد أخرج هذا الحديث أيضاً الفقيه الحافظ الخطيب أبو الحسن علي بن محمد الواسطي الشافعي الشهير بابن المغازلي في مناقبه [ص 63 ط. منشورات المكتبة الإسلامية - طهران] مسنداً، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة، أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبيد الله بن شاذب حدّثنا محمد بن عثمان قال: حدّثني محمد بن سليمان بن الحارث، حدّثنا محمد بن علي بن خلف العطار، حدّثنا حسين الأشقر، حدّثنا عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس قال: سئل النبي (صلى الله عليه وآله) عن الكلمات التي تلقاها (7) آدم من ربه فتاب عليه، قال: «سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي، فتاب عليه».

وقد أخرج أيضاً هذا الحديث بعينه الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» [ص 97].

وقد نقل ابن الجوزي عن الدارقطني كما صرح بذلك الإمام المظفر في دلائل الصدق [2: 88 ط. بصيرتي - قم] قال الدارقطني: حدّثنا أبو زر أحمد بن أبي بكر الواسطي، حدّثنا محمد بن علي بن خلف العطار حدّثنا حسين الأشقر، حدّثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله) الحديث.

وذكره أيضاً الطباطبائي في تفسيره القيم [1: 149]، عن الكليني في الكافي بعد أن أورد كثيراً من الروايات تتضمن فيها التوحيد والتسبيح والتمجيد والاستغفار: وفي رواية أخرى في قوله تعالى: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) قال (صلى الله عليه وآله): سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

قال الطباطبائي: وروى هذا المعنى الصدوق والعيّاشي والقمي وغيرهم. وروى ما يقرب من ذلك من طرق أهل السنة والجماعة أيضاً كما رواه في الدر المنثور [1: 58] أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لمّا أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه الى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي. فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ قال: تبارك إسمك لمّا خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى الله إليه: يا آدم إنّه آخر النبيين من ذريّتك ولولا هو ما خلقتك.

* * *

(7) هكذا في الأصل ، والظاهر أنها «تلقاها».

المبحث السابع والثلاثون

في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ) [البقرة: 207].

نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) كما نقل بعض المفسرين وأعلام المحدثين والمؤرخين. وقال البعض منهم أنها نزلت في صهيب، وقال الآخرون أنها نزلت في الزبير والمقداد، ولا يهمننا هذا الاختلاف بعد أن أورد الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» وغيره من أعيان الأمة عن ابن عباس أنها نزلت لما هرب النبي (صلى الله عليه وآله) من المشركين إلى الغار خلفه لقضاء دينه وردّ ودائعه، فبات عليّ على فراش النبي وأحاط المشركون بالدار، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل: أني قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختر كل منهما الحياة. فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة. إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله، فقال جبرئيل: بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة.

وروى الحاكم أيضاً ما يدل على ذلك في مستدركه [3: 4]، وصحّحه الذهبي في تلخيصه من طريق أبي بكر أحمد بن إسحاق عن ابن عباس قال: شري عليّ نفسه ولبس ثوب النبي (صلى الله عليه وآله) ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألبسه بردة وكانت قريش تريد أن تقتل النبي (صلى الله عليه وآله) فجعلوا يرمون علياً ويرونه النبي (صلى الله عليه وآله) وقد لبس بردة، وجعل عليّ رضي الله عنه يتصور فإذا هو عليّ، فقالوا إنك للنائم إنك لتتصور وكان صاحبك لا يتصور ولقد استنكرناه منك. قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

وفيه أيضاً عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) أنه قال: أن أول من شري نفسه ابتغاء رضوان الله عليّ بن أبي طالب. وقال عليّ عند مبيته على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله):

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى *** ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله خاف أن يمكروا به *** فنجاه ذو الطول الإله من المكر

وبات رسول الله في الغار آمناً *** موقى وفي حفظ الإله وفي ستر

وبت أراعيهم ولم يتهمونني *** وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وقد أخرجه أيضاً القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» [ص92].

وقال: أخرجه الحموي بعينه، وأبو نعيم الحافظ بسنده عن ابن عباس قال: بات عليّ على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة خروجه من مكة، ونزلت: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) الآية.

وذكر القندوزي أيضاً ما أخرجه الثعلبي في تفسيره، وابن عتبة في ملحمة، وأبو السعادات في «العترة الطاهرة» والغزالي في «إحياء علوم الدين» بأسانيدهم عن ابن عباس، وعن أبي رافع، وعن هند بن أبي هالة ربيب النبي (صلى الله عليه وآله) أمّه خديجة أم المؤمنين (عليها السلام) قالوا: أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل: أني أخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه عمره؟ فكلاهما كرهما الموت.

فأوحى الله إليهما أني أخيت بين عليّ وليّ وبين محمد نبيّ فآثر عليّ حياته للنبيّ، فرقد عليّ فراش النبيّ يقيه بمهجته، اهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه، فهبطا، فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله، وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب والله عزّوجلّ يباهي بك الملائكة، فأنزل الله: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله).

قال الشيخ المؤلف: فمن شجاعته نومه على فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) لما أمره النبيّ بذلك، وقد اجتمعت قریش على قتل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يكثرث عليّ (رضي الله عنه) بهم. قال بعض أصحاب الحديث: أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام) أن انزلا إلى عليّ واحرساه إلى الصباح فنزلا إليه وهم يقولون بخ بخ من مثلك يا عليّ قد باهى الله بك الملائكة.

وأخرجه عنه من أعلام القوم مع اختلاف مذاهبهم - كما ذكره الفاضل حسين الراضي صاحب «تنمة المراجعات» - الحسكاني الحنفي في تفسيره [1: 96 و 133 إلى 142]: والكنجي الشافعي في كفايته [ص 239] والغزالي في إحياء علوم الدين [3: 238]، والأميني في الغدير [2: 47] وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة» [ص 31 ط. الحيدرية و ص 114 ط. الغري] وسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» [ص 35 و ص 20 ط. الحيدرية]، والرازي في تفسيره [5: 223 ط. البهية] و [2: 283 ط. الطباعة بمصر]. وابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج» [ط. مصر بتحقيق محمد أبو الفضل] - وزيني دحلان في «السيرة النبوية» بهامش السيرة الحلبية [1: 306] وفي «نور الأبصار» [ص 96 ط. دار الفكر].

وقد أورد الغزالي الحديث الآنف ذكره في كتابه «إحياء علوم الدين» وأردفه بقوله: فأنزل الله عزوجل: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد). وقال أبو جعفر الاسكافي كما في «شرح النهج» [3: 270]: حديث الفراش قد ثبت بالتواتر فلا يجحده إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة. وقد روى المفسرون كلهم أن قول الله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) نزلت في عليّ ليلة المبيت على الفراش.

وقد أنكر بعض المتقدمين على من قال بأن نزول الآية المذكورة في الزبير والمقداد، وذلك لما بعثهما النبي (صلى الله عليه وآله) لإنزال خبيب بن عدي من خشبة صلب عليها في مكة. منهم الإمام المظفر الشيخ محمد حسن (قدس سره)، كما في كتابه «دلائل الصدق»⁽⁸⁾. وقد قال فيه بأن هذا الخبر كذب صريح. قال ذلك لعدم تعرض الرازي لذكره في تفسيره الكبير الجامع لأقوالهم، وكذا الزمخشري، ولا ذكره السيوطي أيضاً مع أنه قد جمع في تفسيره «الدر المنثور» عامة أخبارهم. ومع ذلك كله فإن هذا الخبر مخالف لما هو المذكور في «الاستيعاب» بترجمة خبيب. فإن الذي نقله ابن عبد البر في استيعابه أن الذي أمره النبي (صلى الله عليه وآله) بإنزال خبيب هو عمرو بن أمية الضمري، وما ذكر فيه الزبير، والله أعلم.

* * *

المبحث الثامن والثلاثون

في قوله تعالى: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [مُحَمَّدٌ: 30].

أخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص315] قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إننا، أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبدالله بن شاذب، حدثنا جعفر بن محمد بن نصير - وهو الخديّ - حدثنا عبدالله بن أيوب بن زاذان الخزاز ، حدثنا زكريا بن يحيى. حدثنا عليّ بن قادم، عن رجل عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى في قوله عزّ وجلّ: (لتعرفنهم في لحن القول) قال: ببغضهم عليّ بن أبي طالب. وقد أورده السيوطي في «الدر المنثور» [7: 504]، وأورد أيضاً ما أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ببغضهم عليّ بن أبي طالب.

وروى الترمذي في فضائل عليّ (عليه السلام) عن أبي سعيد قال: إنّنا كنّا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب، وروى أيضاً عن أم سلمة قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن».

وروى مسلم عن عليّ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لعهد النبي الأُمّي إلىّ أنه لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق. ونحوه في سنن النسائي في علامة الإيمان من «كتاب الإيمان» ورواه بسند آخر في علامة النفاق. وكذا في كنز العمال في فضائل عليّ [6: 294].

وأما الحاكم فقد روى في «المستدرک» [3: 129]: عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلّف عن الصلوات، والبغض لعليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه). ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ونقل ابن حجر في صواعقه [ص177 في المقصد الثالث] عن أحمد والترمذي عن جابر: ما كنّا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً.

قال الإمام المظفر في دلائله [2: 276 ط. بصيرتي - قم]: بعد إيراده هذه الأحاديث ونحوها: والحصر في هذا الحديث ونحوه بلحاظ أن المنافق يتسرّر بجميع علائم النفاق إلا ببغض عليّ (عليه السلام) لكثرة مبغضيه، حتى أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعرفه منهم بلحن القول.

المبحث التاسع والثلاثون

في قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) [آل عمران: 103].

إن لأعظم الأمة وأعيان المفسرين والمحدثين في تفسير معنى الحبل في هذه الآية الشريفة أقوالاً مختلفة، وآراء متباينة. فمنهم من ذهب إلى أن معناه هم أهل البيت (عليهم السلام) متمسكاً بما ورد من الأخبار في ذلك، كما رواه القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص118] قال: أخرج الثعلبي بسنده عن أبان بن تغلب عن جعفر الصادق (رضي الله عنه) قال: نحن حبل الله الذي قال الله عز وجل: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

ونقل أيضاً عن «المناقب» عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: كنّا عند النبي (صلى الله عليه وآله) إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، سمعتك تقول: «واعتصموا بحبل الله»، فما حبل الله الذي نعتصم به؟ فضرب النبي (صلى الله عليه وآله) يده في يد عليّ، وقال: «تمسكوا بهذا، هو حبل الله المتين».

وقال الشبلنجي في كتابه «نور الأبصار» [ص124] فيما يتعلق بفضائل أهل البيت النبوي (عليهم السلام): وقد جاء في فضلهم وشرفهم آيات وأحاديث، فمن الآيات زيادة على ما سبق ما أخرجه الثعلبي في تفسير قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً) عن جعفر الصادق أنه قال: نحن حبل الله.

وأورد نحوه أيضاً الصّبّان في كتابه «إسعاف الراغبين» بهامش نور الأبصار. [ص118 ط. دار الفكر]. وقد أورد ابن حجر الهيتمي في كتابه «الصواعق» [ص90 ط. الميمنية في الآية الخامسة]، ما أخرجه الثعلبي عن جعفر الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله) وقد ذكره أيضاً من المفسرين: الحاكم الحسكاني في تفسيره «شواهد التنزيل» [1: 130 و 177 - 180]، والآلوسي في تفسيره «روح المعاني» [4: 16]. ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد كما في «إسعاف الراغبين» بهامش نور الأبصار [ص119] وذلك في قوله (صلى الله عليه وآله) إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من الأرض إلى السماء، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة، فانظروا بما تخلفوني فيهما.

المبحث الأربعون

في قوله عزّوجلّ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الاحزاب : 56].

لقد عدّ العلماء المحققون والأئمة المجتهدون بأن هذه الآية الكريمة من الآيات الواردة في فضل النبيّ وأهل بيته الميامين، بما دلّت على ذلك أخبار كثيرة فوق حدّ الحصر بصياغات مختلفة وأساليب بديعة، توجد في طيّات كتب الفقه والتفسير والحديث، وغير ذلك مما نقلها المؤرّخون والمصنّفون في كتبهم وزبرهم، منها كتاب الصواعق لابن حجر الهيثمي في [ص 87 ط. الميمنية] عند ذكره هذه الآية، فإنه قد روى جملة من الأخبار الصحيحة المشيرة إلى أن الصلاة على آله أيضاً مأمور بها، منها قوله (صلى الله عليه وآله): لا تصلّوا عليّ صلاة البتراء فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صلّ على محمّد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد.

وقوله (صلى الله عليه وآله) داعياً حينما دخل مع من دخل في الكساء: اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم. وصرّح فيه أيضاً بقوله: إن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه. وهذا دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة عليه وعلى بقية آله مراد في هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر، فلما أجيبوا به دلّ على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به. وأنه (صلى الله عليه وآله) أقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم.

ثم نقل عن الشافعي قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم *** فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم *** من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة، فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الآل، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليّه.

وأورد فيه أيضاً ما أخرجه الدارقطني والبيهقي حديث: من صلّى صلاة ولم يصلّ فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه. وكأنّ هذا الحديث هو مستند قول الشافعي (رضي الله عنه): إن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة، كالصلاة عليه (صلى الله عليه وآله). لكنه ضعيف.

فمستنده الأمر المتفق عليه «وهو قوله (صلى الله عليه وآله)»: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح - انتهى -.

وقال صاحب التفسير الكبير الفخر الرازي في تفسيره [7: 391]: إن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد وهو قوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد. وهذا التعظيم لا يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب.

وللفخر الرازي أيضاً كلام يناسب ذكره في المقام، كما ذكره ابن حجر في صواعقه [ص 147 ط. المحمدية]: أن أهل بيته (صلى الله عليه وآله) يساوونه في خمسة: في السلام قال: السلام عليك أيها النبي، وقال: (سلام على آل ياسين). وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد. وفي الطهارة قال تعالى: (طه) أي يا طاهر. وقال: (وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً) وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالى: (فاتبعوني يحببكم الله)، وقال: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى).

وفي سنن البيهقي [2: ص 379]، روى بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال: لو صليت صلاة لا أصلي فيها على آل محمد لرأيت أن صلاتي لا تتم. وفي رواية: ما رأيت أنها تتم. ورواه أيضاً الدارقطني. وفي سنن الدارقطني [ص 136] روى بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من صلى صلاة لم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه». وفي ذخائر العقبى للطبري [ص 19] قال عن جابر إنّه كان يقول: «لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد ما رأيت أنها تقبل».

وفي صحيح البخاري في كتاب الدعوات في باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) روى بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي (صلى الله عليه وآله) خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال (صلى الله عليه وآله): فقولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ورواه أيضاً في كتاب «بدء الخلق» في التفسير. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة في باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) بعد التشهد، بطرق متعددة. ورواه النسائي أيضاً في صحيحه، وابن ماجه في صحيحه، وأبو داود في صحيحه، والحاكم في مستدرك الصحيحين، وأحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود الطيالسي في مسنده، والدارمي في سننه، والبيهقي في سننه، وأبو إبراهيم في حليته، والطحاوي في مشكل الآثار، والخطيب البغدادي في تأريخه، وجمع آخرون من أئمة الحديث كل بطرق عديدة عن كعب بن عجرة.

وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير في باب قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا

اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم».

ورواه النسائي أيضاً في صحيحه [1: 190]: ورواه أحمد بن حنبل في مسنده [2: 47]. ورواه الطحاوي في مشكل الآثار [3: 73].

وفي صحيح مسلم في كتاب الصلاة في باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) بعد التشهد، رواه بسنده إلى أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عزّ وجلّ أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم.

«ورواه الترمذي أيضاً في صحيحه [2: 212]، ورواه النسائي أيضاً في صحيحه، وأبو داود في صحيحه، والإمام مالك في موطنه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم في مستدركه، والدارمي في سننه، والبيهقي في سننه، والطحاوي في مشكل الآثار، وجملة منهم بطرق متعددة.

وفي صحيح النسائي [1: 190]: روى بسنده عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: قلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وفيه أيضاً في نفس الصفحة المذكورة روى عن موسى بن طلحة قال: سألت زيد ابن خزيمة، قال: إنني سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: «صلّوا عليّ واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد. ورواه أحمد بن حنبل، وأبو نعيم في حليته، والطحاوي في مشكل الآثار والمنوي في فيض القدير، وابن الأثير في أسد الغابة.

وفي المستدرک للحاكم [1: 269]: روى بسنده عن ابن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إذا تشهّد أحدكم في الصلاة فليقل: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد، كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وفي تفسير ابن جرير الطبري [22: 31]: روى بمسنده عن إبراهيم في قوله تعالى (إن الله وملائكته) الآية، قالوا: يا رسول الله، هذا السلام قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد».

وفي مسند الإمام ابن حنبل [5: 353]: روى بسنده عن بريدة الخزاعي قال: قلنا يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد». ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه [8: 142].

وفي سنن البيهقي [2: 147]: روى بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه كان يقول في الصلاة: «اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد». رواه أيضاً الشافعي في مسنده ص 23.

وفي مسند الإمام الشافعي [ص 23] روى بسنده عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ «يعني في الصلاة» فقال: «تقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم، ثم تسلمون عليّ»، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال [4: 103]: نقلاً عن الشافعي. وفي مشكل الآثار [3: 75] عن أبي هريرة.

وفي تفسير فتح القدير للشوكاني أخبار في هذا الموضوع أخرجها الحفاظ وأئمة المحدثين مما لا يستهان بعددها، ثم قال بعد أن أوردها: وجميع التعليمات الواردة عنه (صلى الله عليه وآله) للصلاة عليه مشتملة على الصلاة على آله معه، إلا النادر اليسير من الأحاديث، فينبغي للمصلي عليه أن يضم آله إليه في الصلاة عليه. وقد قال بذلك جماعة، ونقله الشافعي وإمام الحرمين والغزالي عن الشافعي كما رواه عنهما ابن كثير في تفسيره.

وفي دلائل الصدق [2: 131 - 132 ط. بصيرتي - قم] قال مؤلفه الإمام الشيخ محمد حسن المظفر مصرحاً بعبارته على أفضلية آل لا على فضلهم كما سيستبين لنا: وأنت تعلم دلالة هذه الآية على أفضلية آل محمد، لأنها أوجبت الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) وأرادت بها الصلاة عليه وعلى آله معاً، مشيرةً بالاكْتفاء بذكره إلى أنه وإياهم كنفس واحدة، وأنه منهم وهم منه، فلا بد أن يكونوا أفضل من سائر الأمة، على أن مجرد وجوب الصلاة عليهم كالنبي (صلى الله عليه وآله) دليل على أن لهم فضلاً ومنزلة يستحقون بها الصلاة وإيجابها على الأمة كالنبي (صلى الله عليه وآله) وكفى بذلك فضلاً باذخاً، والمراد بآل محمد: «عليّ وفاطمة والحسن والحسين» كما نطقت به الأخبار المتواترة كحديث الكساء وغيره، ولا شك أن علياً أفضلهم فيكون هو الإمام، وإنما قلنا إن الآية أرادت الصلاة عليه وعلى آله معاً، لتصريح الأخبار المفسرة لكيفية الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك. كالرواية التي نقلها المصنف عن مسلم. «إلى أن أتمّ تعبيره بقوله»: والقوم كما ترى قد اجتهدوا في إنكارهم مراغمة للأدلة الواضحة، بل اجتهدوا في درس فضائلهم بكلّ ما تناله أو هامهم، وجّدوا في الإزراء بهم والغضب من شأنهم. كما يشهد له أنهم مع وجود هذه الآية الشريفة وتلك الأخبار المستفيضة، وهي بمرأى منهم ومسمع، تراهم إذا ذكروا رسول

الله(صلى الله عليه وآله)أفردوه عن آله بالصلاة، وإذا ذكروا واحداً من آله الطاهرين لم يصلوا أو يسلموا عليه كما أمر الله ورسوله، بل يترضّون عليه كسائر المسلمين، مع أنه قد ورد أن النبي(صلى الله عليه وآله) نهى عن الصلاة البتراء فقليل له: وما الصلاة البتراء؟ قال: «تقولون: اللهم صلّ على محمدّ وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ على محمدّ وآل محمد»، كما ذكره ابن حجر في «الصواعق» في الآية الثانية من الآيات الواردة في أهل البيت. نعم ربّما يصلّون على آله معه في أوائل مصتفاتهم وأواخرها، لكن يضيفون إليه صحبه، كراهة لإفرادهم وتمييزهم على صحبه بالاقتران مع النبي(صلى الله عليه وآله) كما ميّزهم الله ورسوله.

ثم قال(رحمه الله) منكراً على الزمخشري فيما ذكره في تفسيره كما سيظهر لنا في أجوبته ورده: أولاً: أنه إذا لم يكن لهم كلام في الصلاة عليهم على سبيل التبع، فلم التزموا بتركها إذا ذكروه(صلى الله عليه وآله) كما سبق؟ فهل المنشأ غير الانحراف عن آل محمد(صلى الله عليه وآله)؟

ثانياً: لا تصحّ كراهتها عند انفرادهم بالذكر، وما ذكره من صيرورتها شعاراً لذكر رسول الله(صلى الله عليه وآله) فهو لا يوجب الكراهة، لأنهم منه وهو منهم، وتعظيمهم تعظيمه، وما بالهم جعلوها شعاراً لذكره(صلى الله عليه وآله) دونهم؟ وهم شركاؤه في أمر الله بالصلاة عليهم. وأما الاتهام بالرفض، فهو لو اقتضى كراهة الصلاة على آل محمدّ، وتغيير حكم الله تعالى، لأدّى إلى كراهة حبهم، ولعلّه لهذا تظهر منهم آثار العداوة لآل محمدّ. على أن الاتهام إنما يقتضي الكراهة في مقام التهمة، فما بالهم تركوا الصلاة على آل محمدّ في كل مقام؟ وأما الحديث فلو صحّ لم يكن أن يفهم منه مسلم إرادة النبي(صلى الله عليه وآله)، النهي عن تعظيم آله الطاهرين الذي هو من علائم الإيمان وأمور به في الكتاب العزيز.

«وفي كتاب القول القيم» قال شيخ الاسلام ابن القيم [ص 40]: فإن الصلاة على النبي(صلى الله عليه وآله) حقّ له ولآله دون سائر الأئمة، ولهذا تجب عليه وعلى آله عند الشافعي وغيره. فمن قال إن آله في الصلاة هم الأئمة فقد أبعد غاية الإبعاد. وأيضاً: فإن النبي(صلى الله عليه وآله) شرع في التشهد السلام والصلاة، فشرع في السلام تسليم المصلّي على الرسول(صلى الله عليه وآله) أولاً، وعلى نفسه ثانياً، وعلى سائر عباد الله الصالحين ثالثاً، وقد ثبت عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إذا قلتم ذلك فقد سلّمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض».

وأما الصلاة فلم يشرعها إلاّ عليه وعلى آله فقط، فدلّ أن آله هم أهله وأقاربه.

* * *

المبحث الحادي والأربعون

في قوله تعالى: (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) [المجادلة: 13].

لقد فضّل الكتاب المجيد علياً (عليه السلام) بشتى وجوه التفضيل، حتى عجزت الألسن عن الإحاطة بها، وكثرت العقول وحارت عن إدراك مراميها، فياحبذا له وما أحقه بذلك، فإِنَّه أَوْحد النَّاسَ الذي يحارب على تأويله، وأحرصهم على العمل بما فيه وأسرعهم على اتباع أوامره، حتى أنه (عليه السلام) قد تقرّد بفعل آية في كتاب الله تعالى ما لم يعمل بها أحد من الأولين قبله، ولا أحد من الآخرين بعده، ألا وهي آية النجوى.

قال ابن عمر: كانت لعلّي ثلاثة لو كانت لي واحدة منها أحب إليّ من حمر النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطائه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وروى الحاكم في «المستدرک» [2: 482]: في تفسير سورة المجادلة عن علي⁽⁹⁾ قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية.

قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فناجيت النبي (صلى الله عليه وآله) وكنت كلما ناجيت النبي (صلى الله عليه وآله) قدّمت بين نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد. فنزلت: (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الآية.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى السيوطي في «الدر المنثور» [3: 185 ط. قم منشورات مرعشي نجفي]: عن عبد ابن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي (صلى الله عليه وآله) حتى يقدموا صدقة، فلم ينجاه إلا علي بن أبي طالب، فإنه قد قدّم ديناراً فتصدّق به، ثم ناجى النبي (صلى الله عليه وآله) فسأله عن عشر خصال، ثم نزلت رخصة.

وروى أيضاً في [ص 83] ما أخرجه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والنحاس عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية. قال لي النبي (صلى الله عليه وآله) ما ترى، ديناراً؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فنصف ديناراً؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلت: شعيرة. قال: إنك لزاهد. قال: فنزلت: (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) قال علي (عليه السلام): فبي خفف الله عن هذه الأمة.

(9) في المصدر هكذا: قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله). ويبدو أن قوله: «قال رسول الله» زيادة.

وفي [ص85] روى أيضاً ما أخرجه عبد بن حميد عن سلمة بن كهيل: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم) الآية. قال: أول من عمل بها عليّ (رضي الله عنه) ثم نسخت، والله أعلم.

وقد روى أيضاً هذه الأخبار ابن كثير في تفسيره [4: 326]: ثم صرح بقوله: وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

وقد أخرج ابن المغازلي في «المناقب» [ص326] مسنداً. قال: أخبرنا أحمد بن محمد إذنا، أخبرنا عمر بن عبدالله بن شاذب، حدثنا أحمد بن إسحاق الطيبي، حدثنا محمد بن عبد العوام. حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا أبو شهاب، عن ليث، عن مجاهد قال: قال عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام): آية في كتاب الله ما عمل بها أحد من الناس غيري «النجوى» كان لي دينار بعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي النبي (صلى الله عليه وآله) تصدّقت بدرهم، ما عمل بها أحد قبلي ولا بعدي.

وفي «دلائل الصدق» للشيخ حسن المظفر [2: 104 ط. بصيرتي - قم]. روى عن «منهاج الكرامة» للحلي عن أبي نعيم، عن ابن عباس قال: إن الله حرّم كلام رسول الله إلا بتقديم الصدقة، وبخلوا أن يتصدّقوا قبل كلامه، وتصدّق عليّ ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره.

وفي تفسير الميزان للسيد الطباطبائي [19: 317 ط. دار الكتب الإسلامية - طهران] في قوله تعالى: (أشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات)، الآية ناسخة لحكم الصدقة المذكور في الآية السابقة، وفيه عتاب شديد لصحابة النبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين. حيث إنهم تركوا مناجاته (صلى الله عليه وآله) خوفاً من بذل المال بالصدقة، فلم يناجه أحد منهم إلا عليّ (عليه السلام) فإنه ناجاه عشر نجوات، كلّمنا ناجاه قدّم بين يدي نجواه صدقة، ثم نزلت الآية ونسخت الحكم.

وفي تفسير «مجمع البيان» للطبرسي [9 - 10: 252 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت]: قال مجاهد وقتادة: لمّا نهوا عن مناجاته صلوات الرّحمن عليه حتى يتصدّقوا، لم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات، قدّم ديناراً فتصدّق به. ثم نزلت الرخصة.

المبحث الثاني والأربعون

في قوله تعالى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) [الزخرف: 41].

قد أورد جمع من أعلام المفسرين وأساطين المحدثين من جملة الأخبار والآثار في كتبهم روايات مصرحة بأن انتقام الله عز وجل من الكفار والمنافقين بعلي (عليه السلام)، وما ينتقم به إلا إكراماً لنبيه (صلى الله عليه وآله) فإنه جلّ وعزّ لم يُر حبيبه تلك النعمة. ولم ير في أمته إلا ما قرّت به عينه، وقد كان بعده (صلى الله عليه وآله) نعمة شديدة كما قال بذلك الحسن وقتادة فيما رواه الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [5: 64] وغيره من أعلام الأمة.

وقال فيه أيضاً: وقد روي أنه (صلى الله عليه وآله) أرى ما تلقى أمته بعده فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتى لقي الله تعالى. ثم روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: إني لأدناهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع بمنى حتى قال (صلى الله عليه وآله): «لَأُفِيَّتْكُمْ تَرْجِعُونَ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم»، ثم التفت إلى خلفه فقال: «أو عليّ» ثلاث مرات، فرأينا أن جبرئيل غمزه فأُنزل الله على أثر ذلك: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) بعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقد روى ذيل الحديث المذكور إمام الحنابلة في مسنده [3: 8 و 87 و 104]: عن عبد الله بن عمر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال في حجة الوداع: «ويحكم - أو قال ويلكم - لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي [5: 37 و 39]: فعن أبي بكرة، وروى في [5: 59] عن ربيعة بن كلثوم عن أبي غادية.

وفي «الدر المنثور» [7: 379] روى السيوطي عن ابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق حميد عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) في قوله تعالى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) قال: أكرم الله نبيه أن يريه في أمته ما يكره فرفعه إليه، وبقيت النعمة.

وروى أيضاً ما رواه ابن جرير، وابن المنذر عن الحسن (رضي الله عنه) في قوله تعالى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) قال: لقد كانت نعمة شديدة، أكرم الله نبيه أن يريه في أمته ما كان من النعمة بعده. وروى أيضاً ما أخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) نزلت في علي بن أبي طالب، إنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي.

وفي «المستدرک» [3: 126]: روى الحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: كان علي يقول في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله يقول: (أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله. والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إنني لأخوه ووليّه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحق به مني؟

وفيه أيضاً عن مجاهد عن ابن عباس أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال في خطبة خطبها في حجة الوداع: لأقتلن العمالقة في كتيبة، فقال له جبرئيل (عليه السلام): أو عليّ، قال (صلى الله عليه وآله): أو عليّ بن أبي طالب.

وفي «فضائل الخمسة» [2: 359] للسيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي عن تأريخ الخطيب البغدادي [8: 340] روى بسنده عن خلد العصري قال: سمعت أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

وفي تأريخ بغداد أيضاً [13: 186 - 187]: روى الخطيب بسنده عن علقمة والأسود قالاً: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد (صلى الله عليه وآله) وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك، حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟ فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرنا بقتال ثلاثة مع عليّ (عليه السلام): بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قتلناهم⁽¹⁰⁾، أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم، - يعني معاوية وعمرأ - وأما المارقون فهم أهل الطرقات⁽¹¹⁾ وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله.

قال: وسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعمار: «تقتلك»⁽¹²⁾ الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس غيره، فأسلك مع عليّ، فانه لن يدليكَ في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو عليّ عليه، قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار»، قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله.

وفي «أسد الغابة» لابن الأثير [4: 32]: روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: «مع عليّ بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر».

(10) هكذا في فضائل الخمسة، وهي في تاريخ بغداد «قابلناهم».

(11) هكذا في فضائل الخمسة، وهي في تاريخ بغداد «الطرفاوات».

(12) في تاريخ بغداد: «يا عمار تقتلك».

وفي «أسد الغابة أيضاً» [4: 33]: روى بسنده عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا: قاتلت بسيفك مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفيه أيضاً روى بسنده عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً (عليه السلام) على منبركم هذا يقول: عهد إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي «كنز العمال» [6: 82] قال: عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول على المنبر وأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، ما لي أراك تستحل الناس استحلال الرجل إبله؟ أبعد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو شيئاً رأيته؟ قال: والله ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضلّ بي، بل عهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهدي إليّ. وقد خاب من افتري، عهد إلي النبي (صلى الله عليه وآله) أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. قال: أخرجه البزار، وأبو يعلى.

وفيه أيضاً [6: 319]: قال: عن أبي مسعود قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتى منزل أم سلمة، فجاء علي (عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا أم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين بعدي»، قال: أخرجه الحاكم في «الأربعين» وابن عساكر، وذكره الطبري أيضاً في «الرياض النضرة» [2: 240]:

وفي «مجمع الزوائد» للهيتمي [9: 235]: عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له بصنعاء، فقلنا عنده، فقلت: يا أبا أيوب قاتلت المشركين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرني بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلت الناكثين وقاتلت القاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات، بالطرقات، بالنهروان، وما أدري أين هم. قال: رواه الطبراني.

وفي تفسير الميزان [18: 107]: قال: وفي تفسير القمي بإسناده عن يحيى بن سعيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ) يا محمد من مكة إلى المدينة، فإننا رادوك إليها ومنتقمون منهم بعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

وأخرج ابن المغازلي في «المناقب» برقم 366 ص 320 قال: أخبرنا أحمد بن محمد إجازة، أخبرنا عمر بن عبد الله بن شوذب، حدثنا محمد بن حسن بن زياد، حدثنا يوسف ابن عاصم، حدثنا أحمد بن صبيح، حدثنا يحيى بن يعلى، عن عمر بن عيسى، عن جابر قال: لما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) قال (صلى الله عليه وآله): بعلي بن أبي طالب.

وفي «ينابيع المودة» [ص 98] في الباب السادس والعشرين روى الشيخ المؤلف الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ما أخرجه أبو نعيم الحافظ بسنده عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: قوله تعالى: (فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) بعلي.

وروى فيه أيضاً عن الحافظ ابن المغازلي الحديث الأنف ذكره عن محمد الباقر عن جابر بن
عبدالله الأنصاري.

* * *

المبحث الثالث والأربعون

في قوله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [الانسان : 8].

ذكر الكتاب العزيز في هذه السورة الكريمة أوصاف الأبرار التي دامت شاهدة على رفيع منزلتهم، وقامت مشيرة إلى علو مكانتهم وعظيم مرتبتهم. وظلت معلنة بسمو أفضليتهم، وثبوت ما اختصهم الله بأجلّ وجوه التشريفات وأبهى أنواع التكريمات وأزهى التفضيلات، بحيث لا يمكن تطبيقها على أبرار وخيار هذه الأمة، إلا على العترة المطهّرة، أهل بيت الكرامات ومعدن الرسالة القيمة، لكمال إخلاصهم، وصفاء سرائرهم، وتنوّر بصائرهم، وطهارة نفوسهم، وشدة حبهم لله وخوفهم منه جلّ جلاله، وتمام حسن نيّتهم في الأعمال، وعظيم جهدهم في الإيثار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. إذ لم يوجد لغيرهم في الأمة المحمّدية إخلاص وحبّ وخوف ورجاء، وطهارة نفس وصفاء طويّة بهذه المثابة، حتى أنزل الله فيهم هذه السورة الشريفة، كما روى ذلك جمع من أعيان المفسّرين في تفاسيرهم، والحفاظ في سننهم ومسانيدهم، والمؤرّخون في مصنّفاتهم، فمنهم:

شهاب الدين بن عبد ربه المالكي المتوفى [سنة 310]: ذكر في كتاب «العقد الفريد» [3: 42 - 47]: حديث احتجاج المأمون الخليفة العباسي على أربعين فقيهاً.

وفيه قال: يا إسحاق! هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: اقرأ عليّ: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)، فقرأت منها حتى بلغت (يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً) إلى قوله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) قال: على رسلك، فيمن أنزلت هذه الآية؟ قلت: في عليّ، قال: فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: (إنما نطعمكم لوجه الله)؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً؟ قلت: لا، قال: صدقت، لأن الله جلّ ثناؤه عرف سيرته. يا إسحاق! ألسنت تشهد أن العشرة في الجنة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: رأيت لو أن رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافراً؟ قلت: أعوذ بالله. قال: رأيت لو أنه قال: لا أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا، كان كافراً؟ قلت: نعم، قال: يا إسحاق أرى بينهما فرقاً.

وقد أجاد من قال شعراً:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها *** مناقبهم جاءت بوحي وإنزال

مناقب في الشورى وسورة هل أتى *** وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
وهم أهل بيت المصطفى فودادهم *** على الناس مفروض بحكم وإسجال

وروى الشبلنجي في «نور الأبصار» [ص 124 - 126] عن الشيخ الأكبر أن عبد الله ابن عباس قال في قوله تعالى: (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً): مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما صبيان فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه أبو بكر وعمر، فقال عمر لعلي (عليه السلام): يا أبا الحسن لو نذرت عن ابنك نذراً إن الله عافاهما، قال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله، قالت فاطمة: وأنا أصوم ثلاثة شكراً لله، وقال الصبيان: ونحن نصوم ثلاثة أيام، وقالت: جاريتهما فضة: وأنا أصوم ثلاثة أيام. فألبسهما الله العافية فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق علي إلى جار له من اليهود يقال له شمعون، يعالج الصوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزءاً من صوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت، ثم غزلت ثلث الصوف فأخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزته خمسة أقراص، لكل واحد قرص، وصلى علي (رضي الله عنه) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) المغرب ثم أتى منزله فوضع الخوان فجلسوا، فأول لقمة كسرها علي (رضي الله عنه) إذا مسكين واقف على الباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من طعام الجنة، فوضع علي اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين *** يا بنت خير الناس أجمعين

أما ترين البائس المسكين *** جاء إلى الباب له حنين

كل امرئ بكسبه رهين

فقال فاطمة «رض» من حينها:

أمرك سمع يابن عم وطاعه مالي من لوم وما ضراعه باللب غذيت وبالبراعه

أرجو إذا أنفقت من مجاعه أن ألحق الأبرار والجماعه وأدخل الجنة بالشفاعه

قال: فعمدت إلى ما في الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جوعاً، وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح. ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعاً فطحنته وعجنته وخبزت من خمسة أقراص، لكل واحد منهم قرص، وصلى علي (رضي الله عنه) مع النبي (صلى الله عليه وآله) ثم أتى منزله، فلما وضعت الخوان وجلس فأول لقمة كسرها علي (رضي الله عنه) إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، أنا يتيم من يتامى المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة. فوضع علي (رضي الله عنه) اللقمة من يده وقال:

فاطم بنت السيد الكريم *** قد جاءنا الله بذا اليتيم

من يطلب اليوم رضا الرحيم *** موعده في جنة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة رضي الله عنها وقالت:

فسوف أعطيه ولا أبالي *** وأوثر الله على عيالي

أمسوا جوعاً وهمو أمثالي *** أصغرهم يقتل في القتال

ثم عمدت إلى جميع ما في الخوان فأعطته اليتيم، وباتوا جوعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح وأصبحوا صياماً. وعمدت فاطمة إلى باقي الصوف فغزلته، وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزته خمسة أقراص، لكل واحد قرص، وصلى عليّ (رضي الله عنه) المغرب مع النبي (صلى الله عليه وآله) ثم أتى منزله، فقربت إليه الخوان ثم جلس فأول لقمة كسرهما إذا أسير من أسارى المسلمين بالباب، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، إن الكفار أسرونا وقيدونا وشدونا فلم يطعمونا، فوضع عليّ (رضي الله عنه) اللقمة من يده، وقال:

فاطمة ابنة النبي أحمد بنت نبي سيد مسود هذا أسير جاء ليس يهتدي

مكبل في قيد المقيد يشكو إلينا الجوع والتشدد من يطعم اليوم يجده في غد

عند العلي الواحد الموحد *** ما يزرع الزارع يوماً يحصد

فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تقول:

لم يبق مما جاء غير صاع *** قد دبرت كفي مع الذراع

وابنائي والله ثلاثاً جاعاً *** يا رب لا تهلكهما ضياعاً

ثم عمدت إلى ما كان في الخوان فأعطته إياه فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء، وأقبل عليّ والحسن والحسين نحو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهما يرتعشان كالفرخين من شدة الجوع، فلما أبصرهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يا أبا الحسن أشد ما يسوءني ما أدرككم، انطلقوا بنا إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها. فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضمها إليه وقال: واغوثاه! فهبط جبرئيل (عليه السلام) وقال: يا محمد، خذ ضيافة أهل بيتك، قال: وما أخذ يا جبرئيل؟ قال: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) إلى قوله: (وكان سعيكم مشكوراً).

وروى ابن حجر العسقلاني في «الإصابة» [4: 376 ط. دار الكتاب العربي - بيروت]: في ترجمة فضة عن ابن عباس في قوله تعالى: (يوفون بالنذر) الآية. قال: مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما (صلى الله عليه وآله) وعادهما عامّة العرب، فقالوا لأبيهما لو نذرت، فقال عليّ: إن عوفياً فعليّ صيام ثلاثة أيام شكراً، وقالت فاطمة كذلك، وقالت جارية لها يقال لها فضة النوبية، فذكر حديثاً طويلاً.

وذكر الأميني في الغدير [3: 107 - 110] قول أبي جعفر الاسكافي في رسالته التي رد بها على الجاحظ: لسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على جحد الأمور المعلومّة، ولكننا ننكر تفضيل أحد من الصحابة على عليّ بن أبي طالب ولسنا ننكر غير ذلك، «إلى أن قال» وأما إنفاقه فقد كان حسب حاله وفقره، وهو الذي أطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن.

وذكر فيه أيضاً ممن روى الحديث المذكور الحافظ الكنزي المتوفى [سنة 658]، في «الكفاية» [ص201] وقال بعد ذكر الحديث: هكذا رواه الحافظ أبو عبدالله الحميدي في فوائده، ورواه ابن جرير الطبري أطول من هذا في أسباب نزول هل أتى. وقد سمعت الحافظ العلامة أبا عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح في درس التفسير في سورة هل أتى، وذكر الحديث وقال فيه: إن السؤال كانوا ملائكة من عند رب العالمين، وكان ذلك امتحاناً من الله عز وجل لأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسمعت بمكة حرسها الله تعالى من شيخ الحرم بشير التبريزي: إن السائل الأول كان جبرئيل، والثاني ميكائيل، والثالث إسرافيل (عليهم السلام).

وذكر فيه أيضاً نظام الدين القمي النيسابوري، فإنه قال في تفسيره بهامش تفسير الطبري [29: 112]: ذكر الواحد في «البسيط» والزمخشري في تفسير «الكشاف» وكذا الإمامية أطبقوا على أن السورة نزلت في أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ولا سيما هذه الآية. ثم ذكر حديث الإطعام فقال: ويروى أن السائل في الليالي جبرئيل، أراد بذلك ابتلاءهم بإذن الله سبحانه.

وذكر فيه أيضاً محمد بن طلحة الشافعي المتوفى [سنة - 652] فقد روى الحديث في «مطالب السؤل» [ص31] وقال: رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي وغيره من أئمة التفسير. ثم قال: فكفى بهذه عبادة، وبإطعام هذا الطعام مع شدة حاجتهم إليه منقبة. ولولا ذلك لما عظمت هذه القصة شأنًا، وعلت مكانًا، ولما أنزل الله تعالى فيها على رسوله قرآنًا.

وذكر فيه أيضاً سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى [سنة 654] في كتاب «تذكرة الخواص» من طريق البغوي والتعلبي وردّ على جدّه ابن الجوزي في إخرجه في الموضوعات.

وقال بعد تنزيه سنده عن الضعف: والعجب من قول جدّي وإنكاره، وقد قال في كتابه «المنتخب»: يا علماء الشرع! أعلمتم لم أثر «علي وفاطمة» وتركوا الطفلين «الحسينين» وعليهما أثر الجوع؟ أتراهما خفي عنهما سرّ ذلك؟ وما ذاك إلا لأنهما علما قوة صبر الطفلين، وأنهما غصنان من شجرة الظل عند ربي، وبعض من جملة فاطمة بضعة مني، وفرخ البط السابح⁽¹³⁾.

وقد روى هذا الحديث جملة كبيرة من أعلام الأمة وأعيان المفسرين وجمع من حملة الأخبار والآثار في كتبهم، بلغ عددهم 34 راوياً، كما ذكرهم الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر عبد الحسين أحمد الأميني النحفي في كتابه النفيس القيم «الغدير» [3: 103] تغمده الله بوابل رحمته، وأسكنه فسيح جنّته. قال الخطيب الشاعر الشيخ كاظم آل حسن الجنابي ممتدحاً ذلك الكتاب المعرب عن سعة إحاطة

مؤلفه بالفنون وتبحّره في العلوم:

سألوني عن «الغدير» أناس *** أين كان «الغدير» قبل الأميني؟

قلت: كان الغدير في سجن غي *** صفّته قيود إفك ومين

(13) هكذا في الأصل، والصواب «سابح».

وغدا في السجون من يوم خمّ *** يوم قال الإله: أكملت ديني
قد أتاه «الأمين» لمّا دعاه *** مستعيناً فيا له من معين
فجزاه الإله خير جزاء *** أوضح الحق في كتاب مبين
وإذا بالغدير بين يدينا *** فيه تبيان كل شيء دفين
فيه ما تشتهي النفوس وفيه *** ما تلذّ العيون رأي العيون
فرحة الصّادقين فيه وفيه *** ترحة الكاذبين حقّ اليقين
يا كتاب «الغدير» أبهجت مآ *** مذّ تلوناك كلّ قلب حزين
سوف تبقى بغرّة الدهر نوراً *** خالداً في الوجود طول السنين
وسلام على مؤلف سفر *** فاق فضلاً رجال كلّ القرون⁽¹⁴⁾

* * *

المبحث الرابع والأربعون

في قوله تعالى: (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) [التوبة: 3].

إذا أمعنا نظرنا شطر هذه الآية، وتدبرنا فيما يتعلّق بها من الأخبار والروايات تكشّفت من خلالها آية من الحكمة العظيمة، وبدت من جانبها أعلام الفضيلة العليا، وظهرت جلياً من ورائها حيث لا غبار فيها أولوية من قام بالنيابة عن سيّد الأنبياء في تبليغ ما أمره الله سبحانه، ولا سيما بعد أن وردت عنه (صلى الله عليه وآله) أخبار مصرحة، ما ارتبطت بتبليغ من أمره أوّل مرة إلى أهل مكة، وكان أوّل من بعثه بها شيخ المهاجرين أبا بكر، فما مضت ليلتان أو ثلاث من رحلته حتى هبط بأمر الله جبرئيل منبّهاً بقوله الذي يتضمّن فيه عدم أحقية من بعثه بها، ومظهراً أولوية من أخذها منه . فقال: لا يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك.

فمن ذلك لا أظن أن يكون عند ذوي العدالة والإنصاف أدنى شك، بأن هذه القضية لم تكن إلا لتصير عبرةً لأولي الأبصار، وإشارةً لأولي النهى والاعتبار، بأن من اختاره الله أن يكون نائباً عن رسوله، كان أحق وأولى من يتولّى الأمر من بعده، إذا ما أتى أمر الله عليه.

روى الطبري في تفسيره [6: 306 ط. دار الكتب العلمية - بيروت] وابن كثير في تفسيره [2: 333] عن زيد بن يثيع قال: نزلت براءة فبعث بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر، ثم أرسل علياً فأخذها منه، فلما رجع أبو بكر قال: هل نزل في شيء؟ قال (صلى الله عليه وآله): «لا، ولكني أمرت أن أبلغها أو رجل من أهل بيتي»، فانطلق عليّ إلى مكة فقام فيهم بأربع. إلخ.

وفي خصائص النسائي [ص2]. و«الأموال» لأبي عبيد [ص565] عن زيد أيضاً قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر، ثم أتبعه بعليّ فقال له: «خذ الكتاب وامض إلى أهل مكة». قال: فلحقه فأخذ الكتاب منه. فانصرف أبو بكر وهو كئيب، فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أنزل في شيء؟ قال: «لا، إلا أنني أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي».

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده [1: 151]: عن حنش عن عليّ (رضي الله عنه) قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي (صلى الله عليه وآله) دعا النبي (صلى الله عليه وآله) أبا بكر فبعثه بها ليقراها على أهل مكة. ثم دعاني النبي (صلى الله عليه وآله) فقال لي: «أدرك أبا بكر (رضي الله عنه) فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم» فلحقته بالحجفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، نزل في شيء؟ قال: «لا، ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك».

وأخرج أيضاً في مسنده [1: 150]: عن حنش عن علي (رضي الله عنه): أن النبي حين بعثه ببراءة فقال: يا نبي الله إني لست باللسن ولا بالخطيب، قال (صلى الله عليه وآله): ما بد أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت. قال: فإن كان ولا بد فساذهب أنا، قال (صلى الله عليه وآله): «فانطلق فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك»، قال: ثم وضع يده على فمه. ورواه ابن كثير في تفسيره [2: 333]. والسيوطي في «الدر المنثور» [4: 122]:

وروى ابن كثير في تأريخه [7: 357]: واحمد بن حنبل في مسنده [1: 3]: والكنجي في «الكفاية» [ص125] عن أبي بكر بن أبي قحافة قال: إن النبي بعثه ببراءة إلى أهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله، فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي (رضي الله عنه): إحقه فرد عليّ أبا بكر، وبلغها أنت، قال: ففعل. فلما قدم على النبي أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله، حدث في شيء؟ قال (صلى الله عليه وآله): ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني⁽¹⁵⁾.

وأخرج الترمذي في جامعه [2: 135]: والبيهقي في سننه [9: 234]: والخوارزمي في «المناقب» [ص164 ط. جامعة المدرسين - قم]. والشوكاني في تفسيره [2: 319]: عن ابن عباس قال: بعث النبي (صلى الله عليه وآله) أبا بكر وأمره بأن ينادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه علياً، فبينما أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) القصواء فخرج أبو بكر فزعاً فظن أنه رسول الله، فإذا هو علي (رضي الله عنه) فدفع إليه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات.

وروى السيوطي في «الدر المنثور» [3: 211] ما أخرجه ابن أبي حاتم عن حكيم بن حميد قال: قال لي علي بن الحسين «زين العابدين»، إن لعلي (رضي الله عنه) في كتاب الله اسماً ولكن لا يعرفونه، قلت: ما هو؟ قال: ألم تسمع قول الله: (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر) هو والله الأذان. وذكره أيضاً السيّد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في «فضائل الخمسة» [1: 330].

وأخرج ابن عساكر بإسناده من طريق الحافظ عبد الرزاق عن ابن عباس قال: مشيت مع عمر بن الخطاب في بعض أزقة المدينة فقال: يا ابن عباس، أظن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم، فقلت: والله ما استصغره رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ اختاره لسورة براءة يقرأها على أهل مكة، فقال لي: الصواب تقول، والله لسمعت رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبك أحبني، ومن أحبني أحب الله، ومن أحب الله أدخله الجنة جذاً».

وأخرج ابن مردويه والطبراني كما في «الدر المنثور» [3: 210 ط. مرعشي نجفي - قم] عن أبي رافع، قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر ببراءة إلى الموسم، فأتى جبريل (عليه السلام)، فقال: إنه لن

(15) هذا النص بعينه ليس موجوداً في تاريخ ابن كثير، ولكن يوجد ما في معناه. راجع: البداية والنهاية 5: 44 - 47 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

يؤدّيها عنك إلا أنت أو رجل منك، فبعث عليّاً (رضي الله عنه) على أثره حتّى لحقه بين مكة والمدينة فأخذها، فقرأها على الناس في الموسم.

وروى الحافظ الكنجي في الكفاية [ص 151] عن الحرث بن مالك قال: أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت: هل سمعت لعليّ منقبة؟ قال: لقد شهدت له أربعاً لأن تكون لي واحدةً منهم أحبّ إليّ من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش، فسار بها يوماً وليلة، ثم قال لعليّ: إتبع أبا بكر فحذها وبلغها، فردّ عليّ (عليه السلام) أبا بكر، فرجع يبكي فقال: يا رسول الله، أنزل فيّ شيء؟ قال: «لا، إلا خيراً، أنه ليس يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني»، أو قال من أهل بيتي⁽¹⁶⁾.

وروى النيسابوري في تفسيره بهامش تفسير الطبري [10: 36]: روي أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل (عليه السلام) وقال: يا محمّد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك، فأرسل عليّاً، فرجع أبو بكر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أشيء نزل من السماء؟ قال: «نعم، فسر وأنت على الموسم، وعليّ ينادي بالآي» «الحديث».

وفي تفسير الطبري [6: 307 ط. دار الكتب العلمية - بيروت]: وفي تأريخه [2: 382 ط. الاعلمي]: عن السدي قال: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية بعث بهن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أبي بكر وأمره على الحجّ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة، أتبعه بعليّ فأخذها منه، فرجع أبو بكر إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أنزل في شأنّي شيء؟ قال: لا، ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل منّي... فسار أبو بكر على الحاج، وعليّ يؤذن ببراءة.

* * *

المبحث الخامس والأربعون

في قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [البقرة: 274].

إن في هذه الآية أقوالاً، منهم من قال إنها نزلت في عليّ (عليه السلام) وهذا هو المتسالم عند القوم.
والثاني: فيمن يعلفون الخيل.

والثالث: أنها نزلت في أبي بكر، وهذا القول الأخير يتعجب منه من له أقل إلمام بالتأريخ. إذ قالوا: إن لأبي بكر فضائل جمّة لا يختلج منها ريب في قلوب المسلمين، كمصاحبته في الغار، ومرافقته في الهجرة من مكة إلى المدينة، وغير ذلك مما كفاه عزّاً وفضلاً. منها قول من قال بنزول الآية فيه حين تصدّق بأربعين ألف دينار.

فيا للعجب أكان الراوي لم يُعر جانباً من الاهتمام إلى كتب التأريخ؟ أو لم يكثرث بما اتفقت جماعة من المفسّرين على أن نزولها في عليّ (عليه السلام) حين تصدّق بأربعة دراهم فقط فنزلت، فيه الآية؟ أفيظنون أن التأريخ يمرّ على أبي بكر لا هيأ عن أحواله من يوم كان في العهد الجاهلي إلى أن أسلم واستولى على الخلافة؟ كلا، بل شهد التأريخ وما زال شاهداً إلى يوم الناس هذا، بأن أبا بكر لم يكن في الجاهلية من مشاهير الأغنياء ومن ذوي الثروة الطائلة، حتى استطاع أن يتصدّق في أوليات الهجرة، إذ نزول هذه الآية في ذلك الحين، كما ذكره المفسّرون في تفاسيرهم، منهم: القرطبي في تفسيره [1: 132]: والخازن في تفسيره [1: 91]. والشوكاني في تفسيره «فتح القدير» [1: 27]. وابن كثير في تفسيره [1: 37]: وقال فيه: وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسّرين، ولا خلاف فيه. وكذا ما ذكره الأميني في «الغدير» [8: 57].

فأما ما كان من حال أبي بكر في عهد الجاهلية فلم يخف على من تصفّح صفحات التأريخ بأن أبا قحافة كان أجيراً لعبد الله بن جذعان على طعامه، كما ذكره الأميني في «الغدير» [8: 51] عن الكلبي في مثالبه وأبي الفرج الأصفهاني في «الأغاني» وابن أبي الحديد في «شرح النهج» [3: 272]. قال الكلبي في مثالبه: وأشار إليه أمية بن الصلت في قصيدة يمدح بها ابن جذعان:
له داع بمكة مشمعل *** وآخر فوق دارته ينادي
إلى ربح من الشيزي عليها *** لباب البريلبك بالشهاد

قال الكلبي: المشمعل هو سفيان بن عبد الأسد. وآخر: أبو قحافة. وفي «مسامرة الأوائل» [ص88] يقال: إن الداعي هو أبو قحافة والد الصديق.

أمن المعقول أن يكون مثل أبي بكر يرى أباه في أسوأ حالة وهو يتقلب في مهاد النعمة وظل راضياً آمناً لا يروعه أدنى شيء من اللوم؟ فهيهات أن يكون كذلك. وأما ما كان من حاله بعد أن أسلم إلى أن تولى الخلافة، فقد أخرج ابن سعد من طريق عطاء قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبتة أثواب يتجر بها. فلقبه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له:

أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق. قالوا: تصنع ماذا وقد ولّيت أمور المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالوا: إنطلق حتى نفرض لك شيئاً. فانطلق معهما، ففرضوا كل يوم شاة، وما كسوه في الرأس والبطن. وفي لفظ الحلبي: لما بويع أبو بكر بالخلافة أصبح وعلى ساعده قماش وهو ذاهب إلى السوق، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: السوق (الخ).

فياليت شعري! أذهل من قال بنزولها في أبي بكر عما هو المتسالم عند القوم بأن أبا بكر (رضي الله عنه) لا يملك يوم الهجرة إلى المدينة سوى خمسة أو ستة آلاف درهم، وهي جميع ما كان يملكه، فأئى له أن يتصدق بأربعين ألف دينار؟

قال المظفر في «دلائل الصدق» [2: 200]: أم أعجب من دعوى وجود هذا المال عند أبي بكر البالغ أربعمائة ألف درهم؟ وهو كان معلماً للصبيان في الجاهلية، وخياطاً في الاسلام، ولم يكن قسمه من الغنائم إلا كواحد من المسلمين، وقد كان ماله عند الهجرة خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف كما رواه الحاكم عن ابنته [أسماء بنت أبي بكر] في المستدرك [3: 5] ورواه أحمد عنها في مسنده [6: 350]... أم أعجب من خفاء الصدقة بهذا المال على عامة الناس حتى أظهرها هذا الراوي؟ وهي مما ينبغي أن تغني أكثر أهل المدينة في ذلك اليوم...، ولو كان من أهل الصدقة بمثل ذلك المقدار، فلم أشفق من تقديم الصدقة اليسيرة في النجوى؟ ولم أخذ من رسول الله حين الهجرة والضيق قيمة البعير الذي ابتاعه منه؟

وأما من قال بأن الآية نزلت فيمن يعلفون الخيل كما رواه السيوطي في الدر المنثور [1: 363 ط. مكتبة آية الله المرعشي النجفي] بعدة طرق فقد أنكره الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [2: 430 ط. دار الكتب الإسلامية]: بقوله: أقول: المراد بهم المرابطون الذين ينفقون على الخيل ليلاً ونهاراً، لكن لفظ الآية أعني قوله: (سراً وعلانية) لا ينطبق عليه. إذ لا معنى لهذا التعميم والترديد في الانفاق على الخيل أصلاً.

وكذلك قوله فيمن قال بأن نزول الآية في عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان في نفقاتهم في جيش العسرة. ولا شك إذن في أن أصح الأقوال قول من قال بنزولها في علي (عليه السلام) كما قد اتفقت كلمات جمع من المفسرين والمحدثين على ذلك.

منهم: ابن كثير، روى في تفسيره [1: 333]: عن ابن جبير عن أبيه قال: كان لعلي أربعة دراهم، فأنفق درهماً ليلاً ودرهماً نهاراً ودرهماً سراً ودرهماً علانية فنزلت: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) وقال: وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف، لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس، أنها نزلت في علي بن أبي طالب.

وكذا روى الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» [1: 294]: بالسند واللفظ المذكورين. وقال الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [2: 429]: وفي المجمع⁽¹⁷⁾ في قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) الآية. قال: سبب النزول عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب (عليه السلام) كانت معه أربعة دراهم، فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد علانية فنزل: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية). قال الطبرسي: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام).

ورواه أيضاً الشبلنجي في «نور الأبصار» [ص87].

وروى السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [1: 363] بعدة طرق عن ابن عباس قال: نزلت «أي هذه الآية» في علي بن أبي طالب كانت له أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً وبالنهار درهماً وسراً درهماً وعلانية درهماً.

وأخرج ابن المغازلي بالاسناد الى ابن عباس في قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) الآية، قال: هو علي بن أبي طالب كان له أربعة دراهم (الخ). تجده في [ص280] من مناقبه. وكما في فضائل الخمسة [1: 274 - 276 ط. إحياء التراث العربي - بيروت]:

روى ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة» [4: 25] بطريقين عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحداً وبالنهار واحداً وفي السرّ واحداً وفي العلانية واحداً.

وروى الطبري في كتابه «الرياض النضرة» [2: 206] قال: عن ابن عباس في قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب. فساق الحديث المذكور، غير أنه زاد في آخره بقوله: «فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما حملك على هذا؟ فقال [علي]: أن أستوجب على الله ما وعدني، فقال (صلى الله عليه وآله): ألا إن لك ذلك فنزلت الآية.

وروى ابن حجر الهيتمي في «الصواعق» [ص78 ط. الميمنية] ما أخرجه الواقدي عن ابن عباس قال: كان مع علي أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فنزل فيه: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) الآية.

(17) مجمع البيان: 1 - 2: 388 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وروى الواحدي في «اسباب النزول ص 64» بسنده عن مجاهد قال: كان لعلّي (عليه السلام) أربعة دراهم فأنفق درهماً بالليل ودرهماً بالنهار ودرهماً سرّاً ودرهماً علانية، فنزلت: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية) الآية.

(قال) وقال الكلبي: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكن يملك غير أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما حملك على هذا؟ قال: حملني أن أستوجب على الله ما وعدني، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا إن ذلك لك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

* * *

المبحث السادس والأربعون

في قوله تعالى: (وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) [الاحزاب: 25].

قال الذهبي في كتابه «ميزان الاعتدال» [2: 380]: وقال ابن المقري: حدَّثنا إسماعيل بن عبَّاد البصري، حدَّثنا عبَّاد بن يعقوب، حدَّثنا الفضل بن القاسم، عن سفيان الثوري، عن زبيد، عن مرّة، عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: (وكفى الله المؤمنين القتال) بعليّ.

وروى السيوطي في «الدر المنثور» [5: 192 ط. مكتبة المرعشي النجفي]، في ذيل تفسير قوله تعالى: (وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) قال: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه كان يقرأ هذا الحرف: (وكفى الله المؤمنين القتال) بعليّ بن أبي طالب.

وفي تفسير الميزان [16: 314]: روى المؤلف ما ذكره ابن اسحاق: أن عمرو بن عبدود كان ينادي: من يبارز؟ فقام عليّ وهو مقنّع في الحديد فقال أنا له يا نبي الله. فقال (صلى الله عليه وآله): إنّه عمرو إجلس. ونادى عمرو: ألا رجل؟ وهو يؤتّبهم ويقول: أين جنّتك التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ فقام عليّ (عليه السلام) فقال: أنا له يا رسول الله. فنادى عمرو الثالثة فقال:

ولقد بحثت عن النداء *** بجمعكم هل من مبارز

ووقفت إذ جُبِن المشجع *** موقف البطل المناجز

إنّ السماحة والشجاعة *** في الفتى خير الغرائز

فقام عليّ: فقال يا رسول الله أنا له، فقال: إنّه عمرو، فقال: وإن كان عمرواً، فاستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأذن له رسول الله. قال ابن اسحاق: فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك *** مجيب صوتك غير عاجز

ذونيّة وبصيرة *** والصدق منجي كل فائز

إنّي لأرجو أن أقيم *** عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى *** ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. فقال: غيرك يابن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فإنّي أكره أن

أهريق دمك. فقال عليّ: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك. فغضب ونزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو عليّ مغضباً، فاستقبله عليّ بدرقته فضربه عمرو بالدرقة ففدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليّ على حبل العاتق فسقط.

وفي رواية حذيفة: وتسيف عليّ رجله بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه، وثارت بينهما عجاجة، فسمع عليّ يكبر، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قتله والذي نفسي بيده، فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله قتله، فجزّ عليّ رأسه، وأقبل نحو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووجهه يتهلل.

قال حذيفة: فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أبشر يا علي، فلو وزن اليوم عملك بعمل أمّة محمد لرجح عملك بعملهم، وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عزّ بقتل عمرو.

وعن الحاكم بن أبي القاسم أيضاً بالاسناد عن سفيان الثوري، عن زبيد الثاني، عن مرّة، عن عبدالله بن مسعود، قال: كان يقرأ: **(وكفى الله المؤمنين القتال)** بعليّ. الآية.

وفي مناقب ابن شهر آشوب [3: 134]: روى عن ابن مسعود والصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: **(وكفى الله المؤمنين القتال)** بعليّ بن أبي طالب وقتله عمرو بن عبدود.

وقد رواه أبو نعيم الأصفهائي في كتاب «ما نزل من القرآن في عليّ» بالاسناد عن سفيان الثوري عن مرّة عن رجل، عن عبدالله:

وقال جماعة من المفسرين في قوله تعالى: **(اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود)**: إنها نزلت في عليّ يوم الأحزاب.

وفي المناقب أيضاً ما رواه الواقدي، والخطيب، والخوارزمي، عن عبد الرحمن السعدي، بإسناده عن بهرم بن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لمبارزة عليّ ابن أبي طالب لعمر بن عبدود أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة.

وعن أبي بكر بن عيّاش قال: لقد ضرب عليّ ضربة ما كان في الاسلام أعزّ منها، وضرب ضربة ما كان فيه أشأم منها، ويقال: إن ضربة ابن ملجم وقعت على ضربة عمرو.

ومن كلمات السيد الحميري:

وفي يوم جاء المشركون بجمعهم *** وعمرو بن عبد في الحديد مقنّع

فجدّله شلواً صريعاً لوجهه *** رهيناً بقاع حوله الضبع يجمع

وأهلكهم ربّي ورُدّوا بغیظهم *** كما أهلكت عاد الطغاة وتبع

وقال المرزكي:

وفي الأحزاب جاءتهم جيوش *** تكاد الشامخات لها تميد

فنادى المصطفى فيه علياً *** وقد كادوا بيثرب أن يكيّدوا

فأنت لهذه ولكل يوم *** تذلل لك الجبابرة الأسود

فسقى العامري كؤوس حتف *** فهزمت الجحافل والجنود

وقد أخرج الحاكم في «المستدرک» [3: 32 ط. دار المعرفة] بعين اللفظ والسند المذكورين وفي [ص34] ذكر فيه ما قاله يحيى بن آدم: ما تنبّهت قتل عليّ عمرواً إلا بقول الله عزّ وجلّ: (فهزمهم ياذن الله * وقتل داود جالوت).

قال الامام المظفر في «دلائله» [2: 174 ط. بصيرتي - قم]: فيما ارتبط من قراءة ابن مسعود، في قوله تعالى: (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي) وكيف كان فلتفرض قراءة ابن مسعود رواية بأن يكون قد روى إنّ الله سبحانه أنزل هذه الآية لبيان هذه الفضيلة لعليّ (عليه السلام)، وأن الله تعالى كفى به المؤمنين القتال يوم الأحزاب، حيث قتل عمرو بن عبدود، وردّ الأحزاب خاسرين، فيكون جهاده أفضل من جهاد المسلمين جميعاً، لأن به الفتح مع حفظ نفوسهم، فمنه (عليه السلام) حياة الاسلام والمسلمين، ولولا أن يكفيهم الله تعالى بعليّ، لاندست معالم الاسلام، لضعف المسلمين ذلك اليوم وظهور الوهن عليهم.

وفي «ينابيع المودة» [ص94 ط. بصيرتي - قم] للحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، قال في تفسير قوله تعالى: (وكفى الله المؤمنين القتال): قال الحافظ جلال الدّين السيوطي: في مصحف ابن مسعود: (وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ).

وفي المناقب، عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: لما برز عليّ إلى عمرو بن عبدود، قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): برز الإيمان كلّهُ إلى الشّرك كلّهُ، فلما قتله قال (صلى الله عليه وآله) له: أبشر يا عليّ فلو وزن عملك اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم.

وفي «المناقب» بالسند عن زياد بن مطرب قال: كان ابن مسعود يقرأ: (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي) وسبب نزوله: أنّ عمرو بن عبدود كان فارساً مشهوراً، يعدل بألف فارس، وكان قد شهد بدرأ ولم يشهد أحدأ، ويوم الخندق ونادى هل من مبارز؟ فلم يجبه أحدٌ، فقام عليّ (عليه السلام) وقال: أنا يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): إنه عمرو، اجلس. فنادى ثانية فلم يجبه أحد، فقام عليّ وقال: أنا يا رسول الله، فقال: إنه عمرو، فقال عليّ (عليه السلام): وإن كان عمرواً. فاستأذن النبيّ (صلى الله عليه وآله)، قال حذيفة بن اليمان: ألبسه رسول الله (صلى الله عليه وآله) درعه «الفضول» وعمّمه بعمامته «السّحاب» على رأسه تسعة أذوار، وقال له: تقدّم، فلما ولى قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): «برز الإيمان كلّهُ إلى الشّرك كلّهُ»، وقال: «رب لا تذرني فردأ، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه». فاستقبل عليّ (عليه السلام) عمرواً فعمره ضربه بسيفه فشجّ رأسه. ثم إن علياً (عليه السلام) ضربه على حبل عاتقه، فسقط إلى الأرض، فسمعنا تكبير عليّ (عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه

وآله): قتله عليّ. وقال(صلى الله عليه وآله): أبشر يا عليّ، فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم. فنزلت آية: (وكفى الله المؤمنين القتال) بعليّ لأنه قتل عمرو بن عبدود.

وروى ابن شيرويه الديلمي في كتابه «الفردوس» بسنده عن عروة بن الزبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قتل عليّ عمرو بن عبدود العامري، وجاء عند النبي(صلى الله عليه وآله)وسيفه يقطر دماً، فلما رأى النبي علياً قال: «اللهم أعط عليّاً فضيلة لم تعطها أحداً قبله ولا بعده»، فهبط جبرئيل ومعه أترجة الجنة فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: حيّ هذه عليّاً فدفعها إليه، فانفلقت في يده فلقنت فإذا فيها حريرة خضراء مكتوب سطران: «تحفة من الطالب الغالب إلى عليّ بن أبي طالب». قال: أيضاً الخطيب الخوارزمي أخرجه عن ابن عباس. وأيضاً صاحب «روضة الفضائل» وصاحب «ثاقب المناقب» أخرجاه عن سالم بن الجعد عن جابر بن عبد الله.

وروى الشبلنجي في «نور الأبصار» [ص97]: أنه لما بلغ رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن قريشاً تجمعت وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وأن غطفان تجمعت وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، واتفقوا مع بني النضير من اليهود على قصد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وحصار المدينة، أخذ النبي(صلى الله عليه وآله) في حراسة المدينة بحفر الخندق عليها، وعمل النبي(صلى الله عليه وآله) بنفسه الشريفة وأحكمه في أيام، فلما فرغ رسول الله(صلى الله عليه وآله) من حفره أقبلت قريش بمجموعها وجيوشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف. وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد، فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم، كما قال تعالى: (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) [الاحزاب: 10].

فخرج النبي(صلى الله عليه وآله) ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم، واتفق اليهود مع المشركين على قتال رسول الله(صلى الله عليه وآله). فلما رأى المسلمون ذلك اشتدّ الأمر عليهم، وكان مع المشركين من قريش عمرو بن عبدود، وكان من مشاهيرهم الصناديد. «إلى أن قال»: وقال عمرو: هل من مبارز؟ فأراد عليّ أن يبرز إليه، فأرسل النبي(صلى الله عليه وآله)لعليّ أن لا يبرز إليه. فجعل عمرو ينادي: هل من مبارز؟ وجعل يقول: أين حميتكم؟ أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل دخلها؟ أفلا يبرز إليّ رجل منكم؟ وذكر أخيراً نزول قوله تعالى بعد مقتل عمرو: (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال) [الاحزاب: 25].

المبحث السابع والاربعون

في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [الحديد الآية: 19].

إنّ للعلماء في تفسير معنى الصّديقين والشهداء في هذه الآية، ومن المراد بهم أقوالاً، منهم - كما ذكر الطبرسي في «مجمع البيان» [5: 302 ط. مؤسسة التاريخ العربي] - : من قال: كلّ من آمن بالله ورسله فهو صديقٌ وشهيدٌ. وهذا القول لمجاهد.

وقيل: إنّ الشهداء منفصل مما قبله مستأنف، والمراد بالشهداء الأنبياء (عليهم السلام) الذين يشهدون للأُمم وعليهم، وهو قول ابن عبّاس ومسروق ومقاتل بن حيان، واختاره الفراء والزجاج، وقيل: هم الذين استشهدوا في سبيل الله، وهذا القول عن مقاتل بن سليمان وابن جرير.

ومنهم من يستدل في تحقيق معنى الصّديقين بما ورد من الأحاديث النبوية. إذ ليس كل مؤمن يصلح بأن يكون صديقاً وشهيداً للأُمم أو عليهم عند ربهم، وكانوا يرون إنّما الصّديقون ثلاثة، كما دلّت على ذلك الأخبار والآثار، وأخرجها حفظة السنن والمحدّثون في كتبهم، منهم:

المتقي الهندي في كتابه «منتخب الكنز» بهامش مسند الامام أحمد [5: 30]: الصديقون ثلاثة: حبيب النجّار، مؤمن آل يس قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين)، وحز قيل مؤمن آل فرعون قال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم. - أخرجه أبو نعيم في «المعرفة» وابن عساكر عن أبي ليلى.

وابن حجر العسقلاني في «الإصابة» [4: 170] بترجمه أبي ليلى الغفاري، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان كذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنه أوّل من آمن بي، وأوّل من يصابحني يوم القيامة، وهو الصّديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأُمّة، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين.

والحاكم في «المستدرک» [3: 112] أخرجه مسنداً عن عليّ (رضي الله عنه) قال: إني عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصّديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذبٌ. صليت قبل الناس بسبع سنين، قبل أن يعبدّه أحدٌ من هذه الأُمّة.

والسيوطي في «الجامع الصغير» [ص190 ط. دار القلم] روى عن ابن النجّار عن ابن عبّاس قال: الصّديقون ثلاثة: حز قيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار صاحب آل يس، وعليّ بن أبي طالب.

ورواه ابن حجر الهيتمي في «الصواعق» [ص124] في الحديث الثلاثين عن ابن النجار عن ابن عبّاس. وفي الحديث الحادي والثلاثين ما أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلى الغفاري بالسندين واللفظين المذكورين.

وأخرج الحديثين أيضاً الفقيه الحافظ ابن المغازلي الشافعي في «المناقب» [ص245]. كلاهما عن أبي يعلى الغفاري.

وفي ذيل الكتاب قال محمد باقر البهودي: أخرجه الامام أحمد بن حنبل في كتاب المناقب تارة [ص193] وأخرى [ص156] - مخطوط - بالإسناد إلى الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى المكفوف الأنصاري «أبي حصين» بعين السند واللفظ. وهكذا أخرجه الحافظ الكنجي في «كفاية الطالب» في الباب 24 [ص123] بعين السند، ولفظه «سباق الأمم ثلاثة وهم الصديقون» ثم قال: هذا سند اعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به.

وقال الامام المظفر في «دلائل الصدق» [2: 126]: في ذيل قوله تعالى: (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون): روى أحمد بن حنبل أنها نزلت في عليّ (عليه السلام).

وقال في [ص128]: وقد نقل في كنز العمال هذا الحديث [6: 394] عن ابن أبي شيبة، والنسائي في «الخصائص» وابن أبي عاصم في «السنة» والعقيلي، وأبي نعيم في «المعرفة» ونقل أيضاً [6: 405] عن العقيلي ومحمد بن أيوب الرازي: أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال على منبر البصرة: «أنا الصديق الأكبر».

وقال: ونقل في «الكنز» أيضاً [6: 156] عن الطبراني عن سلمان وأبي ذر معاً، وعن البيهقي وابن عدي عن حذيفة: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال في حق عليّ (عليه السلام): «إن هذا أول من آمن بي، وهو أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب الدين، والمال يعسوب الظالمين».

فإذا ثبت أن علياً (عليه السلام) هو أكمل الأمة تصديقاً، وجب أن يكون أفضلهم، ولا سيما هو أفضل صديقي أُمم الأنبياء، والأفضل هو الإمام. ولكن القوم سرقوا هذا الاسم، ونحلوه إلى أبي بكر فسمّوه صديقاً.

ولما علم الله سبحانه ذلك منهم، أثبت دليلاً واضحاً على كذبهم، وهو ما ألحقه بهذا الوصف من وصف الشهداء. وهذه السرقة ليست بغريبة منهم، فإنهم سرقوا أيضاً وصف الفاروق من أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عمر، فقد صرح بأن علياً هو الفاروق.... «الحديث المتقدم وغيره» كالذي نقله في كنز العمال [6: 155] عن أبي نعيم عن أبي ليلى «الحديث».

ثم قال أخيراً: وقال الطبري في «المنتخب» من كتاب «ذيل المزيل» المطبوع في ذيل تأريخه [ص9]: قال ابن سعد: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح ابن كيسان قال: قال ابن

شهاب: بلغنا أنّ أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر: الفاروق، وكان المسلمون يؤثرون ذلك من قولهم، وما بلغنا أنّ رسول الله (عليه السلام) ذكر من ذلك شيئاً.

* * *

المبحث الثامن والأربعون

في قوله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) [الاحزاب: 23].

روى الحافظ القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص 96 في الباب 23] عن الحافظ أبي نعيم عن ابن عباس، وعن جعفر الصادق (عليه السلام) قالاً: قال عليّ كرم الله وجهه: كنا عاهدنا الله ورسوله، أنا وحمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث على أمر وفينا به الله ورسوله، وتقدّمني أصحابي وخلفت بعدهم فأُنزل الله سبحانه فينا: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) حمزة وجعفر وعبيدة، (ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) أنا المنتظر وما بدلت تبديلاً. أيضاً روى عن محمد الباقر (عليه السلام) هذا الحديث. وروى ابن حجر الهيتمي في «الصواعق» [ص 207 ط. دار الكتب العلمية - بيروت وص 80 ط. القاهرة]: أنه سئل عليّ (عليه السلام) وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الآية. فقال (عليه السلام): اللهم غفرأ، هذه الآية نزلت فيّ، وفي عمّي حمزة وفي ابن عمّي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فأما عبيدة ففُضِيَ نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى شهيداً يوم أحد، وأما أنا فأنْتَظِرُ أشقاها، يخضب هذه من هذه، وأشار بيده إلى لحيته ورأسه، عهدٌ عهدهُ إليّ حبيبي أبو القاسم (صلى الله عليه وآله).

ثم قال ابن حجر: وروي أنّ علياً جاءه ابن ملجم يستحمله، فحمله ثم قال (رضي الله عنه):

أريد حياته ويريد قتلي *** عذيري من خليلي من مراد

ثم قال (عليه السلام): هذا والله قاتلي، فقيل له: ألا تقتله؟ فقال: فمن يقتلني؟

وفي المستدرك [3: 143]: عن السدي قال: كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج، يقال لها

نظام⁽¹⁸⁾، فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم، وقتل عليّ، وفي ذلك قال الفرزدق:

فلم أرمهراً ساقه ذو سماعة *** كمهر نظام بيّن غير معجم

(18) هكذا في الأصل، وقيل إنها «قطام» كما في مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن بكر عبدالله بن محمد، ص 86 ط. وزارة الارشاد - طهران.

ثلاثة آلاف وعبد وقينة *** وضرب عليّ بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من عليّ وإن غلا *** ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

قال الأميني (قدس سره) «في الغدير» [2: 51]: أخرج الخطيب الخوارزمي في المناقب [ص188] وصدر الحقاظ الكنجي في الكفاية [ص122] نقلاً عن ابن جرير وغيره من المفسرين، أنه نزل قوله تعالى: (فمنهم من قضى نحبه) في حمزة وأصحابه، كانوا عاهدوا الله تعالى لا يولون الأدبار، فجاهدوا مقبلين حتى قتلوا (ومنهم من ينتظر) عليّ بن أبي طالب مضى على الجهاد ولم يبذل ولم يغيّر الآثار. ثم ذكر ما رواه ابن حجر في صواعقه [ص207 ط. دار الكتب العلمية].

وذكر الفيروز آبادي في «فضائل الخمسة» [1: 287 ط. دار الكتب الإسلامية - طهران]: ما رواه ابن حجر أيضاً في صواعقه. وكذا أيضاً في «دلائل الصدق» [2: 164]: ورواه أيضاً الشبلنجي في «نور الأبصار» [ص119] عن «الفصول المهمة».

وفي تفسير «مجمع البيان» [7 - 8: 349 - 350، ط. دار إحياء التراث العربي]: قال الطبرسي في قوله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي بايعوا أن لا يفرّوا، فصدقوا في لقائهم العدو، (فمنهم من قضى نحبه) أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب، وقيل: قضى نحبه معناه: فرغ من عمله، ورجع إلى ربّه، يعني من استشهد يوم أحد، عن محمد بن اسحاق. وقيل: معناه قضى أجله على الوفاء والصدق، عن الحسن. وقال ابن قتيبة: أصل النحب النذر، وكان قوم نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله، فقتلوا.

وروي عن ابن عباس قال: (من قضى نحبه) حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه، وأنس بن النضر وأصحابه. وقال الكلبي: ما بدّلوا العهد بالصبر ولا نكثوه بالفرار. وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبي اسحاق عن عليّ (عليه السلام) قال: فينا نزلت: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فأنا والله المنتظر، وما بدّلت تبديلاً. ورواه أيضاً الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [16: 304]: عن المجمع ما رواه الحسكاني.

المبحث التاسع والأربعون

في قوله تعالى: (والذي جاء بالصدّق وصدّق به أولئك هم المثقون)

الزمر: 33] .

لقد اتفقت أكثر أقوال المفسرين على أن (الذي جاء بالصدّق) هو النبي(صلى الله عليه وآله) واختلفت أقوال بعضهم في تفسير (وصدّق به).

فمنهم من قال: بأن الذي (صدّق به) هو أبو بكر الصديق، فلذلك زعموا بأن الآية نزلت فيه. ومنهم من قال بنزولها في عليّ(عليه السلام) ومنهم من قال غير ذلك.

فأما من قال بنزولها في أبي بكر(رضي الله عنه) فبرواية رواها الطبري في تفسيره «جامع البيان» عن عمر بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان. ولكن هذه الرواية لم تكن لهم حجة ناهضة أمام مخالفيهم لضعف سندها، فإن عمر بن إبراهيم هو أحد الكذابين، كما نقله الذهبي في كتابه «ميزان الاعتدال» [3: 179] وعن الدارقطني أنه قال: بأن عمر بن إبراهيم، كذاب. ونقل فيه عن الخطيب قال: إنه غير ثقة.

وأما عبد الملك بن عمير، فقد نقل الذهبي في ميزانه [2: 660] بأن أبا حاتم قال: ليس بحافظ، تغيّر حفظه. وقال أحمد: ضعيف يغلط. وقال ابن معين: مغلط. وأما أسيد بن صفوان، فقد نقل الذهبي كما في آخر السطر من الصفحة المذكورة بأنه مجهول.

فلا تعجب على من مال إلى هذه الرواية مع عدم صحتها كما قد علمت، ووجود رواية مصرّحه بنزولها في عليّ(عليه السلام) فعدلوا عنها. ولعلّ المنصف المستقيم يدري ما الذي حملهم على ذلك، ودفعهم إليه.

وقد صرح رسول الله(صلى الله عليه وآله) بأن علياً مع القرآن والقرآن مع عليّ. والحق مع عليّ وعليّ مع الحقّ. وأخرج ابن عساكر فيما رواه ابن حجر في «الصواعق» [ص125]: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في عليّ. وفيه أيضاً: نزل في عليّ ثلاثمائة آية. وفي [ص118] منه قال أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل ما نزل في عليّ.

وأما من قال إن الذي جاء به «جبريل» والذي صدّق محمد، قال الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [17: 264]: هذا تطبيق، غير أن السياق يدفعه، فإن الآيات مسوقة لوصف النبي(صلى الله عليه وآله) والمؤمنين، وجبريل أجنبي عنه لا تعلق للكلام به.

وروى فيه نقلاً عن «المجمع» في قوله تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به) قيل: الذي جاء بالصدق محمد (صلى الله عليه وآله) (وصدق به)، علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو المروي عن أئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وآله).

وأخرج الفقيه الحافظ ابن المغازلي في كتابه «المناقب» [ص269] مسنداً، قال: أخبرنا علي بن الحسين بن الطيّب إنداء، قال: حدثنا علي بن محمد بن أحمد، حدثنا عبدالله ابن محمد الحافظ، حدثنا الحسين بن علي، حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا عمر بن سعيد عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال: جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) وصدق به علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وفي «دلائل الصدق» [2: 116 - 117]: فقد روى الإمام المظفر الحديث من طريق ابن المغازلي ومن طريق أبي نعيم في ذيل الآية، ثم قال: فيكون الجميع متحداً في المراد، وأن المقصود بثنائي الوصفين أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

الى أن قال في آخر كلام: هذا ومن المضحك ما ذكره الرازي في المقام، قال: «أجمعوا على أن الأسبق الأفضل إما أبو بكر وإما علي، وحمل هذا اللفظ على أبي بكر أولى، لأن علياً كان وقت البعثة صغيراً، فكان كالولد الصغير الذي يكون في البيت، ومعلوم أن إقدامه على التصديق لا يفيد مزيد قوة وشوكة، أما أبو بكر كان رجلاً كبيراً في السن، كبيراً في المنصب، فإقدامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة في الإسلام، فكان حمل اللفظ على أبي بكر أولى».

قال المظفر ردّاً على هذا القول الذي يتضمن ما يمس كرامة أمير المؤمنين (عليه السلام): فإن مزيد الشوكة لا ربط له بالأولوية المذكورة، لأن التصديق فرع المعرفة والتقوى، لا الشوكة. ولذا مدح الله سبحانه وتعالى من جاء بالصدق وصدق به: بالتقوى، فقال: (فأولئك هم المتقون) ومن المعلوم أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أقرب إلى المعرفة والتقوى من أبي بكر، فإنه لم يعبد صنماً قط، خلافاً لقومه، وعندها أبو بكر مدة من عمره، وطهره الله سبحانه من الرجز ولم يطهر أبا بكر، وصلى مع رسول الله سبع سنين قبل أبي بكر وغيره، ولا منافاة بين الصغر والمعرفة والكمال، ولذا دعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الاسلام وهو صبي، فكان أخص الناس به وأطوعهم له، وجعله خليفته ووزيره عندما جمع عشيرته الأقربين في أول البعثة ودعاهم إلى الاسلام.

كما جعل الله يحيى نبياً، وآتاه الحكم صبيّاً، وكذلك عيسى ويوسف وسليمان، وقد مدح الله الحسنين (عليهما السلام) وهما طفلان بقوله سبحانه: (إن الأبرار يشربون)، (ويخافون يوماً)، (ويطعمون الطعام على حبه)، (إنما نطعمكم لوجه الله) الآيات.

ولو سلم دخل الشوكة والقوة والمنصب بأولوية الوصف بالتصديق، فأى قوة وشوكة لأبي بكر؟ وهو من أرذل بيت في قريش، كما قاله أبو سفيان، وأي منصب له وهو كان خياطاً ومعلماً للصبيان؟ فأين

هو من أسد الله ورسوله وابن سيّد البطحاء؟ الذي إن لم يزد الاسلام بنفسه قوة، فباتصاله بأبيه وتعلقه به (الخ).

ورواه السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [7: 228]: عن ابن مردويه عن أبي هريرة (والذي جاء بالصدق) قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) (وصدّق به) قال: علي بن أبي طالب.

وذكر الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [7 - 8: 498، ط. دار إحياء التراث العربي] قال: وقيل الذي جاء بالصدق محمد (صلى الله عليه وآله) وصدق به علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن مجاهد، ورواه الضحاك عن ابن عباس، وهو المروي عن أئمة الهدى (عليهم السلام) من آل محمد (صلى الله عليه وآله).

* * *

المبحث الخمسون

في قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنتَ فيهم) [الانفال: 33].

قال الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص298]: أشار (صلى الله عليه وآله) إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته، وأنهم أمان لأهل الأرض كما كان (صلى الله عليه وآله) أماناً لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة، منها: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي» كما في المصدر أخرجه جماعة.

وفي رواية: «وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون». وفي أخرى لأحمد: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»، وفي رواية صححها الحاكم في [3: 149؛ ط. دار المعرفة]: على شرط الشيخين: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلّفوا، فصاروا حزب إبليس».

وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك». وفي رواية مسلم: «ومن تخلف عنها غرق».

وفي رواية: «وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له». وإن الله تبارك وتعالى لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي (صلى الله عليه وآله) جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، لأنهم يساوونه في خمسة أشياء مرّت، ولأنه قال في حقهم: «اللهم إنهم منّي وأنا منهم»، ولأنهم بضعة منه، بواسطة أن فاطمة رضي الله عنها أمهم بضعته (صلى الله عليه وآله) فأقيموا مقامه في الأمان. ووجه تشبيههم بالسفينة، أن من أحبهم وعظمهم وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفران النعم، وهلك في مفاوز الطغيان. وورد حديث: «يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين»، ويشهد له خبر: «المرء مع من أحب». ووجه تشبيههم بباب حطة، أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب وهو باب أريحا، أو باب بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودّة أهل البيت سبباً للمغفرة.

وقد ذكر ابن حجر في «الصواعق» [ص91 ط. الميمنية] هذه الآية وعدّها في الآية السابعة النازلة في أهل البيت (عليهم السلام)، وأورد في ذيلها الأحاديث النبوية المشيرة إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته (صلى الله عليه وآله).

ثم قال: وقال بعضهم: يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان، علماؤهم، لأنهم الذين يُهتدى بهم كالنجوم، والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون.

ثم قال: ويحتمل وهو الأظهر عندي، أن المراد بهم سائر أهل البيت، فإن الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي (صلى الله عليه وآله) جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، لأنهم يساوونه في أشياء مرّ عن الرازي بعضها، ولأنه (صلى الله عليه وآله) قال في حقهم: «اللهم إنهم مئّي وأنا منهم»، ولأنهم بضعة منه بواسطة فاطمة أمهم بضعته (صلى الله عليه وآله) فأقيموا مقامه في الأمان. انتهى ملخصاً.

* * *

المبحث الحادي والخمسون

في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ

مآبٍ) [الرعد: 29].

أخرج الفقيه الحافظ ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص268] قال: أخبرنا علي بن الحسين بن الطيب إذنا، حدّثنا أبو علي الحسن بن شاذان الواسطي، حدّثنا أبو محمد جعفر ابن محمد بن نصير الخلدي، حدّثنا عبيد بن خلف البزار، حدّثنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم البلخي، حدّثنا علي بن ثابت القرشي، حدّثنا أبو قتيبة تميم بن ثابت، عن محمد بن سيرين في قوله تعالى: (طوبى لهم وحسن مآب) قال: طوبى شجرة في الجنة، أصلها في حجرة علي بن أبي طالب، ليس في الجنة حجرة إلا فيها غصن من أغصانها.

وذكر الفاضل محمد باقر البهبودي في ذيل الكتاب حديثاً عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) «قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الآية فقال: هي شجرة أصلها في داري، وفرعها على أهل الجنة. فقيل: يا رسول الله سألتك عنها، فقلت: هي شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفاطمة، وفرعها على أهل الجنة؟ فقال (صلى الله عليه وآله): إن داري ودار علي وفاطمة واحد غداً، في مكان واحد، وهي شجرة غرسها الله تبارك وتعالى بيده، ونفخ فيها من روحه، تنبت الحلي والحلل». - راجع تفسير القرطبي [9: 317]. وذكره أيضاً القندوزي في «الينابيع» [ص96].

وذكر الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [3: 376 ط. دار إحياء التراث العربي] بأن في طوبى عشرة أقوال، قال: القول العاشر: أن طوبى شجرة في الجنة، أصلها من دار النبي (صلى الله عليه وآله) وفي دار كل مؤمن منها غصن. وروى علي بن إبراهيم عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكثر تقبيل فاطمة (عليها السلام) فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك، فقال (صلى الله عليه وآله): إنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة، وأدناني جبرائيل (عليه السلام) من شجرة طوبى وناولني منها تفاحة فأكلتها، فحوّل الله في ظهري ماء، فهبطت إلى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة، فكُلما اشتقت إلى الجنة قُبِلتها، وما قُبِلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى، فهي حوراء إنسية.

وروى الثعلبي بإسناده عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس قال: طوبى شجرة أصلها في دار علي (عليه السلام) في الجنة، وفي دار كل مؤمن منها غصن. ورواه أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام).

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن طوبى قال (صلى الله عليه وآله): شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة، ثم سئل عنها مرة أخرى، فقال: في دار علي (عليه السلام) فقليل في ذلك، فقال: إن داري ودار علي في الجنة بمكان واحد.

وقال السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [4: 59]: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين (رضي الله عنه)، قال: شجرة في الجنة أصلها في حجرة علي وليس في الجنة حجرة إلا وفيها غصن من أغصانها. وأما حديث التفاحة فقد وردت فيه روايات نقلها جماعة من طرق متعددة، ومن جملتهم الذهبي والعسقلاني، ولكنهما قد صرحا بعدم صحتها حتى حكما بأن الحديث موضوع، لأنهما زعما بأن ميلاد السيدة فاطمة قبل البعثة. وكأنهما لم يُعيرا جانباً من الاهتمام أو تغافلا عما ورد من الروايات عن أهل بيت النبوة وغيرهم من أهل السنة. كابن عبد البر وابن المغازلي وغيرهما من أعلام الفريقين. وقبل أن نذكر تلك الروايات والأخبار، فلعلّ من الخير أن نقدّم أقوال المحققين والمدققين في هذا المقام.

منهم الفاضل المحقق محمد باقر البهبودي صاحب التعليقات على «المناقب» للحافظ الشهير بابن المغازلي [ص358].

قال: الآراء في تأريخ ولادتها «السيدة فاطمة (عليها السلام)» مختلفة عندهم، فقد ذكر أبو عمر بن عبد البر، أنها ولدت في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي (صلى الله عليه وآله) يعني بعد البعثة بسنة، وصح في رواية أهل البيت من أولاد فاطمة - كما روتها الشيعة من دون اختلاف - أنها ولدت لخمس بعد بعثته (صلى الله عليه وآله). ويؤيد ذلك بل يعينه أن سورة الكوثر وفيها: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) نزلت في العاص بن وائل السهمي، حين رمى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه أبتَر. وذلك بعد ما مات ابنه الطيّب المولود في الاسلام، كما رواه ابن عساكر في التأريخ الكبير، على ما في منتخبه [1: 293] والبلاذري في أنسابه [1: 405] وغيره في غيره.

فبعد ما ثبت بالإجماع عند أهل النقل أنّ فاطمة أصغر أولاد الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يكون ذلك إلا بعد المبعث بسنين، كما أن المراد بالكوثر المبتثر به إنما يكون فاطمة، لانقطاع نسل الرسول من غيرها وانتشاره منها، والمراد بالنحر العقيقة. على أن ابن حجر العسقلاني هو الذي نص في تهذيبه [12: 441] أنّ علياً (عليه السلام) تزوج فاطمة (عليها السلام) في السنة الثانية من الهجرة، وكان سنّها يوم تزوّجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف الشهر. وعلى هذا تكون ولادتها عام المبعث كما اختاره ابن عبد البر، لا قبله بخمس سنوات.

ويؤيد ذلك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعدّها لعليّ (عليه السلام) ثم زفّها إليه بعد سنة أو سنتين، ولم يكن هذا التأخير إلا لأن يتم لها تسع سنين، على ما ترويه الشيعة من أهل بيتها، بل وقد نص على ذلك

رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ما أخرجه النسائي في «الخصائص» [ص31] وأحمد بن حنبل في «الفضائل» كما في تذكرة السبط [ص316 ط. الغري. وص173 ط. ايران]. والخطيب في «مشكاة المصابيح» [4: 246 ط. دمشق وفي ص565 ط. لكنهو]: من طريق النسائي عن عبدالله ابن بريدة عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنها صغيرة». فهل تكون الفتاة وهي ابنة خمس عشرة سنة أو سبع عشرة سنة صغيرة؟

بل ولو صح ما يقولونه من أنها ولدت قبل البعثة بخمس، لكان لها يوم زواجها عشرون سنة، فكيف أخر رسول الله (صلى الله عليه وآله) تزويجها إلى تلك السنة؟ ولم أخر زفافها إلى سنة أو سنتين مع هذا الحد من سنّها؟ وهي قد تجاوزت حد الزواج على رسمهم في تزويج بنات الأشراف. كما نرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) زوج ابنتيه أم كلثوم ورقية من ابني عمه أبي لهب في صغرهما، حتى أنهما يوم فارقهما بأمر أبي لهب لم يكونا قد بنيا بهما لصغرهما.

بل وكيف لم يرغب أحد من أشراف الصحابة في زواجها فيخطبها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة، وفي زواجها الشرف المؤبد؟ وكيف لم يخطبها أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما قبل الهجرة، وأخراً خطبتها إلى ما بعد الهجرة؟ وكيف يعتذر الرسول إليهما بأنها صغيرة وهي بنت عشرين؟ على أن ابن حجر وأمثاله كيف يحكمون بوضع هذه الأحاديث المتضاربة عن طريق الفريقين وقد تابع حديث بعضهم حديث بعض؟ وإنما يستدلون على ذلك برواية ابن إسحاق. فهل هذه إلا رواية واحدة تخالفها هذه النصوص المتضاربة ويضادها الاعتبار الصحيح والقرائن التاريخية.

فمن القرائن ما روي من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «فاطمة حوراء آدمية»⁽¹⁹⁾ لم تحض ولم تطم، وإنما سمّاها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار». أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه [12: 331] والمحب الطبري في «ذخائر العقبى» [ص26] وقال: خرّجه النسائي. فلولا أنها كانت نطفتها متكوّنة من فواكه الجنة، لما كانت حوراء آدمية لا تحيض ولا تطم. ولولا أنها ولدت بعد النبوة والوحي لما كانت تسميتها بأمر من الله عزّ وجلّ كما سيأتي ذلك في الأخبار الواردة.

ولنعطف الآن قبل أن نذكر من تلك الأخبار والروايات ما قاله المدقق التاريخي الفاضل جعفر مرتضى العاملي في كتابه «الصحيح من سيرة النبي الأعظم» [1: 269] الفصل الثالث «الإسراء والمعراج».

وبعد بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) وفي أثناء المرحلة السريّة، التي استمرّت ثلاث، أو خمس سنوات، كان على الأرجح الإسراء والمعراج. الإسراء إلى بيت المقدس، حسب نص القرآن الكريم. والمعراج من هناك إلى السماء، الذي وردت به أخبار كثيرة.

(19) في بعض الأحاديث «إنسية».

وحيث إن التفاصيل الدقيقة لهاتين القضيتين، يصعب الجزم في كثير منها إلا بعد البحث الطويل والعميق.. وذلك لأن هذه القضية وجزئياتها قد تعرّضت على مرّ الزمان للتلاعب والتزيّد فيها، من قبل الرواة والقصاصين، بل من قبل أعداء الاسلام بهدف تشويه هذا الدين، وإظهاره على أنّه يحوي الأساطير والخرافات. ولذا فنحن لا نستطيع في هذه العجالة أن نعطي تصوّراً دقيقاً عنه،.. ولذا فإننا نكتفي بالإشارة إلى بعض الجوانب التي رأينا أن من المناسب التعرّض لها.... فنقول:

متى كان الإسراء والمعراج؟

إنّ المشهور هو أنّ الإسراء والمعراج قد كان قبل الهجرة بمدة وجيزة. فبعضهم قال ستة أشهر، وبعضهم قال في السنة الثانية عشرة للبعثة، أو في الحادية عشرة أو في العاشرة... وقيل بعد الهجرة. وفي مقابل ذلك نجد البعض يقول: إنّه كان في السنة الثانية من البعثة، وقيل في الخامسة، وقيل في الثالثة، وهو الأرجح عندنا، ولعلّ ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا، حيث إنّه ذكر الإسراء في أوّل البعثة، كما ذكره عنه ابن كثير في تأريخه «البداية والنهاية» [3: 108].

وقال مغلطاي بعد أن ذكر الأقوال: وقيل: كان بعد النبوة بخمسة أعوام، وقيل: بعام ونصف عام. وقال عيّاض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهراً. سيرة مغلطاي [ص27].

وقال الملا علي القاري: وذكر النووي: أن معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء، على أنّ الإسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهراً. «شرح الشفاء» [1: 222].

وقال ابن شهر آشوب في مناقبه [1: 43]: ثم فرضت الصلوات الخمس بعد إسرائه في السنة التاسعة من نبوته، ولكنّه لم يبين لنا تأريخه بالتحديد.

وقال الديار بكري في «تاريخ الخميس» [1: 307]: فأما سنة الإسراء، فقال الزّهري: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين، حكاه القاضي عيّاض ورجّحه القرطبي، والنووي. وقيل بعد الهجرة بسنة «الخ».

وأما ما يدل على أن الإسراء قد كان في السنوات الأولى من البعثة، فلنذكر:

الأول: جميع ما تقدّم ولا سيّما ما ذكره النووي، والزّهري، وابن شهر آشوب وغيرهم.

الثاني: ما روي عن ابن عباس، من أنّ ذلك كان بعد البعثة بسنتين.

الثالث: وقد ورد عن الامام أمير المؤمنين(عليه السلام): أن الإسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه. وهذا هو الأصح والمعتمد كما سيظهر مما يلي.

الرابع: ويدلّ على ذلك بشكل قاطع ما روي عن ابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والامام الصادق(عليه السلام) وعائشة: من أنّه(صلى الله عليه وآله) قال لعائشة، حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته سيّدة النساء فاطمة(عليها السلام): «نعم يا عائشة، لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنّة،

فناولني منها تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة في صلبى، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء إنسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها»⁽²⁰⁾.

ومعلوم مما سبق: أن فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنين، فالإسراء والمعراج، كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، ولعله قبل ذلك بسنتين، حتى أذن الله لتلك النطفة بالظهور، والاستقرار في موضعها.

الخامس: أن سورة الإسراء قد نزلت في أوائل البعثة، ويدلّ على ذلك:

أ - ما رواه البخاري وغيره، من أن قوله تعالى في سورة الإسراء: **(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها)**: قد نزل بمكة، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) مختف، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به..... الخ.

ب - ما ذكره البعض في مقال نشرته مجلة الوعي الاسلامي المغربية عدد [163 ص56] من أن سورة الإسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سور، وسورة الحجر قد نزلت في المرحلة السريّة، وفيها جاء قوله تعالى: **(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)**... الخ.

السادس: أن سورة النجم التي يذكرون أنها تذكر المعراج في آياتها، قد نزلت هي الأخرى في أوائل البعثة، فإنها قد نزلت بعد اثنتين أو ثلاث وعشرين سورة، ونزل بعدها أربع وستون سورة في مكة. وسيأتي في قصة الغرانيق المكذوبة أو المحرفة، إنهم يقولون: إنها إنما نزلت بعد الهجرة إلى الحبشة بثلاثة أشهر، والهجرة إلى الحبشة كانت في السنة الخامسة.... الخ.

ملاحظة: إنه إذا تأكد لنا أن الإسراء والمعراج كان في السنة الثالثة من البعثة، أي قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلاً، ... فإننا نعرف أن الإسراء قد كان قبل إسلام أبي بكر بمدة طويلة، ... لأنه كما تقدم قد أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، بل إنما أسلم حوالي السنة الخامسة من البعثة، أي بعد وقوع المواجهة بين قريش وبين النبي (صلى الله عليه وآله) فهو أول من أسلم بعد هذه المواجهة على الظاهر.

وإذا كان الإسراء قد حصل قبل إسلامه بمدة طويلة، فلا يبقى مجالاً لتصديق ما يذكر، من أنه قد سمى صديقاً حينما صدّق رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قضية الإسراء.

ولنعد الآن بعد ذكر تلك الأقوال إلى ما نحن بصدد ذكر الأخبار الواردة في كتب القوم. منها كتاب «المناقب» للحافظ ابن المغازلي الشافعي [ص357 برقم 406]. أخرج بالإسناد عن ابن عباس قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكثر القبل لفاطمة (عليها السلام)، فقالت له عائشة: يا نبي الله إنك لتكثر قبل

(20) تاريخ بغداد ج5 ص87. - المواهب اللدنية للزرقاني المالكي ج2 ص29. - مقتل الحسين للخوارزمي ص63 - 64. ذخائر العقبى للطبري ص36. - وميزان الاعتدال للذهبي ج1 ص81 ط. دار المعرفة - مستدرک الحاكم ج3 ص156 وتلخيص الذهبي. مجمع الزوائد للهيثمي ج9 ص202. - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص97. نزهة المجالس ج2 ص179. ومناقب ابن المغازلي ص358. - والبحار ج18 ص315 وص350 وص364. - والمختصر ص135. - وعلل الشرائع ص72. - وتفسير القمي ص341 وص242. - وملحقات احقاق الحق للمرعشي ج10 ص11، عن بعض من تقدم، وعن محاضرات الأوائل ص88. ونظم درر السمطين ص77. وأرجح المطالب ص739. - ووسيلة المال ص78 - 79. وإعراب ثلاثين سورة ص120. وكنز العمال ج14 ص97 وج3 ص94. ومفتاح النجا ص98 وأخبار الدول ص87. وميزان الاعتدال ج1 ص38 وص252. - وج2 ص26 و ص84.

فاطمة(عليها السلام)؟ فقال النبي(صلى الله عليه وآله): «إن جبرئيل ليلة أسري بي أدخلني الجنة وأطعمني من جميع ثمار الجنة، فصار ماءً في صلبى، فواقعت خديجة، فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمة، فأصبت من رائحتها قصم الثمار التي أكلتها».

وأخرج في [ص359 برقم 407] مسنداً عن سعد بن مالك قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «ليلة أسري بي أتاني جبرئيل(عليه السلام) بسفرجلة من الجنة فأكلتها، فواقعت خديجة فعلمت بفاطمة، فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة، شممت رقبة فاطمة، فأجد رائحة الجنة».

وروى الذهبي في كتابه «ميزان الاعتدال» [1: 541] من طريقين: عن ابن عباس، وعن عمر. فالأول عن ابن عباس: كان النبي(صلى الله عليه وآله) يقبل فاطمة وقال: «إن جبرئيل ليلة أسري بي دخلت الجنة فأطعمني من جميع ثمارها، فصار ماءً في صلبى، فحملت خديجة بفاطمة، فإذا قبلتها أصبت من رائحة تلك الثمار».

والحديث الثاني عن عمر مرفوعاً: «أتاني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من رمضان، ومعه طبق من رطب الجنة، فأكلت منه وواقعت خديجة فحملت بفاطمة».

قال الذهبي: فاطمة ولدت قبل أن ينزل جبرئيل بسنوات.

وروى أيضاً في ميزانه [2: 400]: مسنداً من طريق عبدالله بن جرير عن ابن عباس. وفي [2: 518] أيضاً مسنداً من طريق عبدالله بن واقد عن عائشة.

الحديث الأول عن ابن عباس قال: لما ولدت فاطمة بنت النبي(صلى الله عليه وآله) سمّاها المنصورة، فنزل جبرئيل فقال: الله يقرئك السلام ويُقرئ مولودك السلام. الحديث بطوله سيأتي في ترجمة مجالد بن سعيد.

والحديث من طريق عبدالله بن واقد عن عائشة: أن النبي(صلى الله عليه وآله) كان كثيراً ما يقبل نحر فاطمة، فقالت: يا رسول الله، أراك تفعل شيئاً لم أكن أراك تفعله، قال(صلى الله عليه وآله): «أو ما علمت يا حميراء، أن الله لما أسرى بي إلى السماء أمر جبرئيل فأدخلني الجنة، وأوقفني على شجرة ما رأيت رائحة أطيب منها، ولا أطيب ثمرأ، فأقبل جبرئيل يفرك ويطعمني، فخلق الله منها في صلبى نطفة، فلما صرت إلى الدنيا واقعت خديجة فحملت، وإنى كلما اشتقت إلى رائحة تلك الشجرة شممت نحر فاطمة، فوجدت رائحة تلك الشجرة منها، وإنها ليست من نساء أهل الدنيا ولا تعتلّ كما يعتلّ أهل الدنيا».

وروى أيضاً في «ميزانه» [3: 439] من طريق مجالد عن ابن عباس قال: لما ولدت فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) سمّاها المنصورة، فنزل جبرئيل فقال: يا محمد: الله يُقرئك السلام، ويُقرئ مولودك السلام، وهو يقول: ما ولد مولود أحبّ إليّ منها، وأنها قد لقبها باسم خير مما سميتها، سمّاها فاطمة، لأنها تظلم شيعتها من النار. قال الذهبي، - كعادته فيما مرّ من الأحاديث - : هذا كذب صريح، لأنها ولدت من قبل البعثة بخمس سنين أو نحوها.

فهذا القول خلاف ما قد علمنا من البيانات الساطعة والبراهين القاطعة، من أقوال المحققين والمدققين فيما تقدم. والله الموفق للصواب والأعلم به.

وروى الحاكم في «المستدرک» [3: 156]: بالإسناد إلى سعد بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أتاني جبرئيل (عليه السلام) بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسري بي، فعلفت خديجة بفاطمة، فكنت إذ اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة». وقال الحاكم: حديث غريب الإسناد والمتن، وشهاب بن حرب مجهول، والباقون من رواة ثقات.

وقد ذكر السيد المرتضى الحسيني في كتابه النفيس «فضائل الخمسة» [3: 123 - 124]: ما رواه أعلام القوم: بأن نطفة السيّدة المطهّرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) انعقدت من ثمار الجنة، وإنها حوراء إنسيّة لم تحض ولم تطمّ، منهم:

الإمام السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» في ذيل تفسير قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام) قال: أخرج الطبراني عن عائشة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لما أسري بي إلى السماء ادخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة أحسن منها ولا أبيض ورقاً ولا أطيب ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها، فأكلت فصارت نطفة في صلبى، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة رضي الله عنها فإذا أنا اشتقت إلى ریح الجنة شممت ریح فاطمة». وفي «ذخائر العقبى» [ص36] روى الطبري عن ابن عباس قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يكثر القبل لفاطمة (عليها السلام)، فقالت له عائشة: إنك تكثر تقبيل فاطمة، فقال (صلى الله عليه وآله): «إن جبرئيل ليلة أسري بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صلبى فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة، فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها». قال: خرّجه أبو الفضل بن خيرون.

وفي «ذخائر العقبى» أيضاً [ص44] قال: روى الملا في سيرته أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «أتاني جبريل بتفاحة من الجنة فأكلتها، وواقعت خديجة فحملت بفاطمة». فقالت: إني حملت حملاً خفيفاً فإذا خرجت حدّثني الذي في بطني، فلما أرادت أن تضع بعثت إلى نساء قريش ليأتينها، فيلين منها ما يلي النساء ممن تلد، فلم يفعلن وقلن: لاناأتيك وقد صرت زوجة محمّد، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة، عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف. فقالت لها إحداهن: أنا أمك حواء، وقالت الأخرى: أنا آسية بنت مزاحم، وقالت الأخرى: أنا كلثم أخت موسى، وقالت الأخرى: أنا مريم بنت عمران أم عيسى، جنّنا لنلي من أمرك ما تلي النساء. فولدت فاطمة سلام الله عليها، فوقعت حين وقعت على الأرض ساجدة رافعة إصبعها.

وفي «تأريخ بغداد» [12: 331] للخطيب، أنه روى بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمت، وإنما سمّاها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار».

وذكره ابن حجر أيضاً في «صواعقه» [ص96] وقال: أخرجه النسائي.

وفي «تأريخ بغداد» أيضاً [5: 87]، روى بسنده عن عائشة قالت: يا رسول الله مالك إذا جاءت فاطمة قبلتها حتى تجعل لسانك في فيها كله، كأنك تريد أن تلحقها عسلاً؟ قال (صلى الله عليه وآله): «نعم يا عائشة: إني لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبريل الجنة، فناولني منها تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة في صلبى، فلما نزلت وقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، وهي حوراء إنسية، كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها».

أقول: وذكره المحب الطبري في «ذخائر العقبى» [ص36] وقال: أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوة».

وفي «ذخائر العقبى» أيضاً [ص44] ذكر حديثاً عن أسماء في ولادة فاطمة بالحسن (عليهما السلام) قالت أسماء: يا رسول الله، إني لم أر لها دماً في حيض ولا في نفاس، فقال (صلى الله عليه وآله): «أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمت ولا ولادة».

* * *

المبحث الثاني والخمسون

في قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ...) [البقرة: 124].

أخرج ابن المغازلي في «المناقب» [ص276]: أخبرنا أبو أحمد الحسن بن أحمد بن موسى الغندجاني، أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد الحفار، حدّثنا إسماعيل بن عليّ بن رزين، قال: حدّثني أبي وإسحاق بن إبراهيم الدبري، قالوا: حدّثنا عبد الرزاق، قال: حدّثني أبي عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنا دعوة أبي إبراهيم». قلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال (صلى الله عليه وآله): «أوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم: (إني جاعلك للناس إماماً)، فاستخف إبراهيم الفرح، قال: يا ربّ ومن ذريتي أئمة مثلي، فأوحى الله إليه: أن يا إبراهيم إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به. قال: يا ربّ ما العهد الذي لا تفي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذريتك، قال إبراهيم عندها: (واجنّبي وبنّي أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيراً من الناس). قال النبي (صلى الله عليه وآله): فانتهت الدعوة إليّ وإلى عليّ، لم نسجد أحداً منّا لصنم قط، فاتخذني الله نبياً واتخذ علياً وصياً».

وقال الطباطبائي في تفسير «الميزان» [1: 273]: في قوله تعالى: (إني جاعلك للناس إماماً) أي مقتدى يقتدي بك الناس ويتبعونك في أقوالك وأفعالك. فالإمام هو الذي يقتدى ويؤتم به. «إلى أن قال»: وقال تعالى: (يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم)⁽²¹⁾... فالإمام هو الذي يسوق الناس إلى الله سبحانه وتعالى، يوم تبلى السرائر، كما أنه يسوقهم إليه في ظاهر هذه الحياة الدنيا وباطنها.

والآية مع ذلك تفيد أن الإمام لا يخلو منه زمان من الأزمنة، وعصر من الأعصار، لمكان قوله تعالى: (كلّ أناس). ثم إن هذا المعنى، أعني الإمامة، على شرافته وعظمته، لا يقوم إلا بمن كان سعيد الذات بنفسه، إذ الذي ربّما تلبّس ذاته بالظلم والشفاء، فإنما سعادته بهداية من غيره، وقد قال الله تعالى: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى)⁽²²⁾ وقد قبل في هذه الآية بين الهادي إلى الحقّ وبين غير المهتدي إلا بغيره، أعني المهتدي بغيره، وهذه المقابلة تقتضي أن يكون الهادي إلى الحقّ مهتدياً بنفسه، وأن المهتدي بغيره لا يكون هادياً إلى الحقّ البتّة.

(21) الاسراء: 71.

(22) يونس: 35.

ويستنتج من هنا أمران: أحدهما: أن الامام يجب أن يكون معصوماً عن الضلال والمعصية، وإلا كان غير مهتد بنفسه، كما مرّ، كما يدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)⁽²³⁾.

فأفعال الإمام خيرات يهتدي إليها، لا بهداية من غيره، بل باهتداء من نفسه بتأييد إلهي، وتسديد رباني.

قال العبدی:

وقالوا رسول الله ما اختار بعده *** إماماً لنا لكن لأنفسنا اخترنا
فقلنا إذن أنتم إمام إمامكم *** بفضل من الرحمن تهتم وما تهنا
ولكننا اخترنا الذي اختار ربنا *** لنا يوم «خَمٍّ» لا ابتدعنا ولا جرنّا
سيجمعنا يوم القيامة ربنا *** فتجزون ما قلتم ونجزى بما قلنا
هدمت بأيديكم قواعد دينكم *** ودين على غير القواعد لا يُبنى
ونحن على نور من الله واضح *** فيا رب زدنا منك نوراً وثبتنا⁽²⁴⁾

والدليل عليه قوله تعالى: (فَعَلِ الْخَيْرَاتِ) بناءً على أن المصدر المضاف يدلّ على الوقوع، ففرق بين مثل قولنا: وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات، فلا يدلّ على التحقيق والوقوع، بخلاف قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ) فهو يدلّ على أن ما فعلوه من الخيرات إنما هو بوحى باطني وتأييد سماوي، والثاني عكس الأمر الأول، وهو أن من ليس بمعصوم فلا يكون إماماً هادياً إلى الحقّ البتّة. وبهذا البيان يظهر: أن المراد بالظالمين في قوله تعالى: (قَالَ وَمَنْ ذَرَيْتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) مطلق من صدر عنه ظلم ما من شرك أو معصية، وإن كان منه في برهة من عمره، ثم تاب وصلاح.

وقد سئل احد أساتيدنا رحمة الله عليه عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام، فأجاب: أن الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: من كان ظالماً في جميع عمره، ومن لم يكن ظالماً في جميع عمره، ومن هو ظالم في أول عمره دون آخره، ومن هو بالعكس من هذا. وإبراهيم أجلّ شأنًا من أن يسأل الإمامة للقسمة الأول والرابع من ذريته. وبقي قسمان وقد نفى الله أحدهما، وهو الذي يكون ظالماً في أول عمره دون آخره، فبقي الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره. انتهى.

وقد ظهر مما تقدم من البيان أمور:

الأول: أن الإمامة مجعولة.

الثاني: أن الإمام يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية.

الثالث: أن الأرض وفيها الناس لا تخلو من إمام حق .

(23) الانبياء: 73.

(24) الغدير 4 : 159.

الرابع: أن الإمام يجب أن يكون مؤيداً من عند الله.

الخامس: أن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الامام.

السادس: أنه يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم.

السابع: أنه يستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس⁽²⁵⁾.

ومما ذكر في بحثه الروائي: (26)

في الكافي [1: 175؛ ط. دار الكتب الإسلامية]: عن الصادق (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذ نبياً، وإن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذ رسولاً، وإن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذ خليلاً، وإن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: (إني جاعلك للناس إماماً) قال (عليه السلام): فمن عظمها في عين إبراهيم قال: (ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) قال: لا يكون السفية إمام التقي».

وعن المفيد عن درست وهشام عن الصادق (عليه السلام) قال: قد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتى قال الله تبارك وتعالى: (إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي) فقال تبارك الله وتعالى: (لا ينال عهدي الظالمين) من عبد صنماً أو وثناً أو مثلاً لا يكون إماماً.

وفي أمالي الشيخ [ص 379 ط. مؤسسة البعثة] مسنداً، وعن مناقب ابن المغازلي [ص 277]: مرفوعاً، عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله) في الآية، عن قول الله لإبراهيم: من سجد لصنم دوني لا أجعله إماماً، قال (صلى الله عليه وآله): «وانتهت الدعوة إلي وإلى أخي علي، لم يسجد أحدٌ منا لصنم قط».

وفي تفسير العياشي⁽²⁷⁾ بأسانيد عن صفوان الجمال قال: كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال: أتمهن بمحمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام)، والأئمة من ولد علي (صلى الله عليهم)، في قول الله: (ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليم).

قال المؤلف الطباطبائي شرف الله قدره ومجهوده: والرواية مبنية على كون المراد بالكلمة «الإمامة» كما فسرت في قوله تعالى: (فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه) [الزخرف: 27 - 28] فيكون معنى الآية: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات، هن إمامته وإمامة إسحاق وذريته، وأتمهن بإمامة محمد (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته، من ولد إسماعيل، ثم بين الأمر بقوله: (إني جاعلك للناس إماماً) الآية.

وقال السيد أمير محمد الكاظمي في كتابه «نقض الصواعق» [ص 220]: إن السجود للأصنام الذي كان عليه الخلفاء الثلاثة قبل ظهور الإسلام بمكة، ينافي منصب الخلافة ولو بعد الإيمان، لأن الله تعالى أخبر صريحاً بأن عهد الإمامة في قوله: (لا ينال عهدي الظالمين) لا تليق بمن تلبس بالظلم في وقت من

(25) الميزان 1 : 277، ط. دار الكتب الإسلامية.

(26) الميزان 1 : 279، ط. دار الكتب الإسلامية.

(27) تفسير العياشي 1 : 57 ط. المكتبة العلمية الإسلامية.

الأوقات، والكافر لا شك في أنه ظالم، بدليل قوله تعالى: (والكافرون هُم الظالمون) [البقرة: 254]: ولا شك لأحد في أن قريشاً، ومنهم الخلفاء الثلاثة، كانوا يعبدون غير الله، ويسجدون للأصنام قبل ظهور الاسلام وعليه إجماع المسلمين.... إلى أن قال:

وخلاصة القول: إن الله قد أخبر نبيّه إبراهيم(عليه السلام) لما طلب منه الإمامة لذريته، بقوله تعالى: (لا ينال عهدي الظالمين) والظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفى أن ينال عهده، فقد حكم بأنه لا يناله مطلقاً، ولما كانت الآية مطلقة غير مقيدة بوقت وجب حملها على سائر الأوقات، فلا يناله الظالم وإن تاب فيما بعد.

وبعبارة أوضح: إن المضارع المنفي بقوله: (لا ينال عهدي) ليس للحال فقط، بل يعم المستقبل أيضاً، وهو يعم جميع الأوقات الآتية، ولما لم يقيد الكلام بشيء منها، وجب أن يعم النفي جميعها، فكل من اتصف بالظلم وصدق عليه في وقت ما، كان داخلاً في الظالمين في ذلك الوقت ومشمولاً للآية... «الخ».

وقال الإمام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [2: 90 ط. بصيرتي]: وأما دلالة الآية بضميمة الحديث على إمامة أمير المؤمنين(عليه السلام)، فلأن الحديث قد دلّ على استجابة دعوة إبراهيم في بعض ذريته، وصيرورتهم أئمة للناس لكونهم أنبياء أو أوصياء، ودلّ على أن الدعوة انتهت إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعلي(عليه السلام) فكانت إمامة رسول الله باتخاذ الله له نبياً، وإمامة عليّ باتخاذ وصياً، إلى أن قال:

ثم إن قوله(صلى الله عليه وآله): لم يسجد أحدنا لصنم قط، إشارة إلى انتفاء مانع النبوة والإمامة عنهما، أعني المعصية والظلم المذكور في تلك الآية بقوله سبحانه: (لا ينال عهدي الظالمين) فيكون معنى كلامه(صلى الله عليه وآله) انتهت إليّ وإلى عليّ دعوة إبراهيم لذريته لانتفاء الظلم عنّا، الذي جعله الله مانعاً عن نيل الإمامة، فاتخذني نبياً وعلياً وصياً.

وإنما خص السجود للصنم بالذكر، دون سائر الظلم والمعصية، لأنه الفرد الأهم في الانتفاء وابتلاء عامة قومه به. فالمقصود: إنما هو بيان انتفاء المانع المذكور في الآية عنهما، لا بيان أن عدم السجود للصنم علة تامة لانتفاء الدعوة إليهما، حتى تلزم إمامة كل من لم يسجد لصنم، وإن كان جاهلاً عاصياً، ولا بيان كون عدم السجود للصنم فضيلة مختصة بهما في دائم الدهر، حتى يقال بمشاركة كل من ولد على الإسلام لهما، ولا بيان أن عدم السجود للصنم سبب تام للأفضلية، حتى يقال: إن بعض من تاب عن الكفر أفضل ممن ولد على الاسلام.

ثم إن المراد بانتفاء الدعوة إليهما، وصولها إليهما، لا انقطاعها عنهما، لتعديته بآلي، فلا ينفي إمامة الحسن والحسين والتسعة من بعدهما... الخ.

وفي مناقب «ابن شهر آشوب» [3: 64 - 65]: عن أمالي ابن بابويه⁽²⁸⁾ عن الباقر (عليه السلام) قال: لما نزل قوله تعالى: (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) قام رجلان من مجلسيهما فقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟ قال: لا، قالوا: هو الإنجيل؟ قال: لا، قالوا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): هذا هو الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه كل شيء. وفي [3: 65 ط. دار الأضواء] منه قال الصادق (عليه السلام): ألا تحمدون الله، إذا كان يوم القيامة يدعى كل قوم إلى من يتولونه، وفزعنا إلى رسول الله، وفزعتم أنتم إلينا، فإلى أين ترون أن نذهب بكم؟ إلى الجنة ورب الكعبة. قال الشاعر:

أشهد بالله وآلائه *** شهادة يعلمها ربّي

أن علياً بعد خير الورى *** إمام أهل الشرق والغرب
من لم يقل مثل الذي قلته *** جاءت به الرعاء في الدرب
وقال آخر:

حبّ الإمام على الأنام فريضة *** أعني أمير المؤمنين عليا
فرض الاله على البريه حبّه *** واختاره للمؤمنين وليّا

وفي [3: 55] منه: عن أمالي ابن سهل أحمد القطان، وكافي الكليني بإسنادهما إلى جابر الجعفي قال: «قال أبو جعفر (عليه السلام): لو علم الناس متى سمّي أمير المؤمنين ما أنكروا ولايته، قلت: رحمك الله، ومتى سمّي؟ قال: إنّ ربك عزّوجلّ حين أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم، قال: ألسن بربكم وأن محمداً رسولي، وأن علياً أمير المؤمنين».

* * *

المبحث الثالث والخمسون

في قوله تعالى: (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) [الرعد: 43].

روى الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص102 باب 30] عن الثعلبي وابن المغازلي بسنديهما عن عبدالله بن عطا قال: كنت مع محمد الباقر (رضي الله عنه) في المسجد، فرأيت ابن عبدالله بن سلام، فقلت: هذا ابن الذي عنده علم الكتاب. قال «يعني الباقر»: إنما ذلك علي بن أبي طالب.

وروى الثعلبي، وأبو نعيم بسنديهما عن زاذان عن محمد بن الحنفية قال: من عنده علم الكتاب علي بن أبي طالب.

وعن الفضيل بن يسار عن الباقر (عليه السلام) قال: «هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه عالم هذه الأمة».

وفي رواية عنه (عليه السلام) قال: «إيانا عنى، وعلي أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبي (صلى الله عليه وآله)».

وعن عمر بن أذينة عن جعفر الصادق (عليه السلام) قال: «قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ألا إن العلم الذي هبط به آدم (عليه السلام) من السماء إلى الأرض، وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين، في عترة خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم».

وقال الصادق (عليه السلام): «علم الكتاب كله والله عندنا، وما أعطي وزير سليمان بن داود (عليهما السلام)، إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وعلم بعض الكتاب كان عنده، قال تعالى: (قال الذي عنده علم من الكتاب) (29) أي بعض الكتاب: (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)، قال تعالى لموسى (عليه السلام): (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة) (30) و«من» للتبعيض، وقال في عيسى (عليه السلام): (وليبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) (31) بكلمه البعض. وقال في علي (عليه السلام): (ومن عنده علم الكتاب) أي كل الكتاب، وقال: (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (32) وعلم هذا الكتاب عنده».

(29) النمل: 40.

(30) الأعراف: 145.

(31) الزخرف: 63.

(32) الأنعام: 59.

وعن صاحب المناقب: روى عن محمد بن مسلم، وأبي حمزة الثمالي، وجابر بن يزيد عن الباقر (عليه السلام). وروى علي بن فضال، وفضيل بن يسار، وأبو بصير عن الصادق (عليه السلام). وروى أحمد بن محمد الحلبي، ومحمد بن فضيل عن الرضا (عليه السلام). وقد روى عن موسى بن جعفر، وعن زيد بن علي (عليهم السلام)، وعن محمد بن الحنفية، وعن سلمان الفارسي، وعن أبي سعيد الخدري، وإسماعيل السدي، أنهم قالوا في قوله تعالى: **(قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)** هو: علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وعن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: «سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن هذه الآية: **(الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ)** قال (صلى الله عليه وآله): ذاك وزير أخي سليمان بن داود (عليهما السلام)، وسألته عن قول الله عز وجل: **(قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)** قال (صلى الله عليه وآله): ذاك أخي علي بن أبي طالب».

وفي المناقب سئل علي (عليه السلام) أن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، هل لكم هذه المنزلة؟ قال (عليه السلام): إن سليمان بن داود (عليهما السلام) غضب لهدد عند فقده، لأنه يعرف الماء ويدلّ على الماء، ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء مع أن الريح والنمل والإنس والجن والشياطين والمردة كانوا له طائعين. وأن الله يقول في كتابه: **(وَلَوْ أَن قَرَأْنَا سُبُرَاتِ الْجِبَالِ أَوْ قُطِّعَتْ بِهَ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّم بِهَ الْمَوْتَى)**⁽³³⁾ ويقول تعالى: **(وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)**⁽³⁴⁾ ويقول تعالى: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)**⁽³⁵⁾ فنحن أورثنا هذا القرآن، الذي فيه ما يسير به الجبال، وقطعت به البلدان، ويحيي به الموتى، ونعرف به الماء، وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء.

وسئل سعيد بن جبیر: ومن عنده علم الكتاب، عبدالله بن سلام؟ قال: لا، كيف وهذه السورة مكية، وعبدالله بن سلام أسلم في المدينة بعد الهجرة.

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: **(ومن عنده علم الكتاب)** إنما هو علي، لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ. وعن محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) قال: عند أبي أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، علم الكتاب الأول والآخر.

وعن سليم بن قيس الهلالي في كتابه عن قيس بن سعد بن عبادة قال: **(ومن عنده علم الكتاب)** علي. قال معاوية بن أبي سفيان: هو عبدالله بن سلام، قال سعد: أنزل الله: **(إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)**⁽³⁶⁾ وأنزل: **(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ)**⁽³⁷⁾ فالهادي من الآية الأولى، والشاهد من الآية

(33) الرعد: 31.

(34) النمل: 75.

(35) فاطر: 32.

(36) الرعد: 7.

(37) هود: 17.

الثانية: عليّ، لأنه نصبه (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير، وقال (صلى الله عليه وآله): «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وقال (صلى الله عليه وآله): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، فسكت معاوية ولم يستطع أن يردّها.

وقال بعض المحققين: إن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيائه، وأشرف رسله، وأكرم خلقه بمثّه وتحنّنه وفضله العظيم، بسابق علمه ولطفه، بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيائه وعباده بمحمد (صلى الله عليه وآله) بقوله: (لتؤمننّ به ولتنصرنه) ولما فتح الله أبواب السعادة الكبرى، والهداية العظمى، برسالة حبيبهِ على العرب وقريش، وخصوصاً على بني هاشم، بقوله تعالى: (وأُنذِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك المخلصين، اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله، لا بدّ أن يكون رجلاً من بني هاشم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) لأنه أقرب به (38) من سائر قريش، وإن يكون إسلامه أولاً، ليكون واقفاً على أسرار الرسالة وبدء الوحي، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة، ليكون خبيراً عن جميع أعماله وأقواله، وأن يكون من طفولته منزهاً من أعمال الجاهلية ليكون متخلّفاً بأخلاقه، ومؤدّباً بأدابه ونظيراً بالرشيد من أولاده، فلم يوجد هذه الشروط لأحد إلا في عليّ (عليه السلام).

وأما عبدالله بن سلام فلم يسلم إلا بعد الهجرة، فلم يعرف سبب نزول السورة التي نزلت قبل الهجرة، ولما كان حاله هذا لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه، مع أن سلمان الفارسي الذي صرف عمره الطويل ثلاثمائة وخمسين سنة في تعلّم أسرار الإنجيل، والتوراة والزبور، وكتب الأنبياء السابقين والقرآن، لم يكن من عنده علم الكتاب، لفقد الشروط المذكورة، فكيف يكون من عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام؟ الذي لم يقرأ الإنجيل، ولم يوجد فيه الشروط، ولم يصدر منه ما صدر من عليّ (عليه السلام) يعسوب الدين من الأسرار والحقائق في الخطبات، مثل قوله (عليه السلام): «سلوني قبل أن تفقدوني، فإن بين جنبي علوماً كالبحار الزواجر». ومثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداة عليهم سلام الله وبركاته، من المعارف والحكم في تأويلات كتاب الله وأسراره.

وقال الامام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [ص135]: ويشهد لإرادة عليّ (عليه السلام) في الآية: التعبير عنه بمن عنده علم الكتاب، الدال على إحاطة علمه في الكتاب، «أعني القرآن» كما هو المنصرف، إذ لا يحيط به علماً غير قرينه، الذي أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتمسك به معه.

كما يشهد لعدم إرادة ابن سلام، ما في «الدر المنثور»: عن سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وغيرهم، أنهم أخرجوا عن سعيد بن جبّير أنّه سئل عن قوله تعالى: (ومن عنده علم الكتاب) أهو عبدالله بن سلام؟ قال: وكيف وهذه السورة مكية؟ وفي «الدر المنثور» أيضاً عن ابن المنذر أنّه أخرج عن الشعبي قال: ما نزل في عبدالله بن سلام شيء من القرآن.

(38) هكذا في الأصل، والظاهر أنها «أقرب له».

* * *

المبحث الرابع والخمسون

في قوله تعالى: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) [التكاثر: 8].

تقرّعت آراء ذوي الأفهام، وتشعبت أفكار المفسّرين والعلماء الأعلام، في تفسير معنى النعيم الذي يسأل عنه العباد يوم القيامة، منهم من يقول إنّه: نعمة شرب الماء البارد، ومنهم من يقول: نعمة الرقود تحت الظل، ومنهم من يقول: نعمة الأسودين، الماء والتمر، ومنهم من يقول: نعمة الصحة والأمن، إلى ما هنالك من الأقوال المختلفة المعاني، والألفاظ المتفرقة المباني، حتى إن أبا حنيفة التجأ سائلاً إلى أبي عبدالله (عليه السلام) عن معنى هذا النعيم، كما رواه الطبرسي في تفسيره [9 - 10: 534 ط. دار إحياء التراث العربي] عن العياشي بإسناده في حديث طويل قال: «سأل أبو حنيفة أبا عبدالله (عليه السلام) عن هذه الآية، فقال (عليه السلام) له: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد. فقال (عليه السلام): لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها، وشربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه. قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال (عليه السلام): نحن أهل بيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا انتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألفت الله بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله للإسلام، وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم، وهو النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته».

وروى القندوزي في «ينابيع المودة» [ص111]: عن الحافظ أبي نعيم بسنده عن جعفر الصادق (عليه السلام) في هذه الآية قال (عليه السلام): «النعيم، ولأية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه». وعن الحاكم بن أحمد البيهقي قال: حدثنا محمد بن يحيى الصوفي، قال: حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل، قال: حدثني إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومائتين قال: كنا يوماً بين يدي عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) قال له بعض العلماء: إن النعيم في هذه الآية هو الماء البارد، فقال له الرضا (عليه السلام) بارتفاع صوته: «كذا فسّرتموه أنتم، وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال آخرون: هو النوم، وقال غيرهم: هو الطعام الطيب، ولقد حدثني أبي، عن أبيه جعفر بن محمد (عليهم السلام) إذ أقوالكم هذه ذكرت عنده فغضب، وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عباده عما تفضّل عليهم به، ولا يمين بذلك عليهم، وهو مستقبح من المخلوقين كيف يضاف إلى الخالق، جلت عظمتة ما لا يرضى للمخلوقين؟ ولكن النعيم: حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد لله ونبوّه رسوله (صلى الله عليه وآله) لأن العبد إذا وافى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول. قال أبي

موسى(عليه السلام): لقد حدّثني أبي جعفر، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب(عليهم السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): يا عليّ إن أوّل ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك وليّ المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك، فمن أقرّ بذلك وكان معتقده، صار إلى النعيم الذي لا زوال له».

وفي المناقب أيضاً عن الأصمغ بن نباتة، عنه [أي الرضا(عليه السلام)] قال(عليه السلام): «نحن النعيم الذي كان في هذه الآية». وأيضاً عن الباقر(عليه السلام) قال: «ما هو الطعام والشراب، ولكن هو ولايتنا». وأيضاً عن الكاظم(عليه السلام) قال: «نحن نعيم المؤمن، وعلقم الكافر».

وفي تفسير الميزان [20: 353]: عن تفسير القمي بإسناده عن جميل عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: قلت له: (لتسألن يومئذ عن النعيم) قال(عليه السلام): «تسأل هذه الأمة عما أنعم الله عليها برسوله، ثم بأهل بيته».

وعن الكافي بإسناده عن أبي حامد الكابلي قال: «دخلت على أبي جعفر(عليه السلام) فدعا بالغداء فأكلت معه طعاماً ما أكلت طعاماً أطيب منه قط ولا ألطف، فلما فرغنا من الطعام قال(عليه السلام): يا أبا خالد كيف رأيت طعامك؟ أو قال: طعامنا؟ قلت: جعلت فداك، ما أكلت طعاماً أطيب منه قط ولا ألطف⁽³⁹⁾، ولكن ذكرت الآية التي في كتاب الله: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) فقال أبو جعفر(عليه السلام): إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق».

وفيه بإسناده عن أبي حمزة قال: كنا عند أبي عبد الله(عليه السلام) جماعة، فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لاذةً وطيباً، واتينا بتمر تنظر فيه أوجهنا من صفائه وحسنه، فقال رجل: لتسألن عن هذا النعيم الذي تنعمتم به عند ابن رسول الله، فقال أبو عبد الله(عليه السلام): «إن الله عزّ وجلّ أكرم وأجلّ أن يطعم طعاماً فيسوّغكموه ثم يسألكم عنه، إنما يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وآل محمد(صلى الله عليه وآله)».

قال المؤلف: أقول: وهذا المعنى مروى عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) بطرق أخرى وعبارات مختلفة، وفي بعضها أن النعيم ولايتنا أهل البيت، ويؤول المعنى إلى ما قدمناه من عموم النعيم لكلّ نعمة أنعم الله بها بما أنها نعمة.

وبيان ذلك: أن هذه النعم لو سئل عن شيء منها فليست يسأل عنها بما أنّها لحم أو خبز أو تمر أو ماء بارد، أو أنها سمع أو بصر أو يد أو رجل مثلاً، وإنما يسأل عنها بما أنّها نعمة خلقها الله للإنسان، وأوقعها في طريق كماله، والحصول على التقرب العبودي، كما تقدّمت الإشارة إليه، وندبه إلى أن يستعملها شكراً لا كفرًا. فالمسؤول عنها هي النعمة بما أنّها نعمة، ومن المعلوم أنّ الدالّ على نعيمية النعيم وكيفية استعماله شكراً، والمبين لذلك كلّ هو الدّين الذي جاء به النبي(صلى الله عليه وآله) ونصب لبيانه الأئمة من أهل بيته، فالسؤال عن النعيم مرجعه السؤال عن العمل بالدين في كل حركة وسكون. ومن

(39) في المصدر: ولا أنظف قط.

المعلوم أيضاً أنّ السؤال عن النعيم الذي هو الدين، سؤال عن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة من بعده، الذين افترض الله طاعتهم، وأوجب اتباعهم في السلوك إلى الله، الذي طريقه استعمال النعيم كما بيّنه الرسول والأئمة صلى الله عليه وعليهم.

والى كون السؤال عن النعيم سؤالاً عن الدين، يشير ما في رواية أبي خالد من قوله: «وإنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق» وإلى كونه سؤالاً عن النعيم الذي هو النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم، يشير ما في روايتي جميل وأبي حمزة السابقتين من قوله: «يسأل هذه الأمة عما أنعم الله عليها برسوله ثم بأهل بيته». وما في معناه... (الخ).

* * *

المبحث الخامس والخمسون

في قوله تعالى: (الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) [النور: 35].

قال الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [7 - 8 : 142 ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت]: في قوله تعالى: (الله نور السماوات والأرض) اختلف في معناه على وجوه: أحدها: الله هادي أهل السماوات والأرض إلى ما فيه من مصالحهم، عن ابن عباس.
والثاني: الله نور السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم، عن الحسن وأبي العالية والضحاك.

والثالث: مزين السماوات بالملائكة، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء، عن أبي بن كعب.
وقوله تعالى: (مثل نوره) فيه وجوه:
أحدها: أن المعنى: مثل نور الله الذي هدى به المؤمنين، وهو الإيمان في قلوبهم. عن أبي بن كعب والضحاك، وكان أبي يقرأ: مثل نور من آمن به.
الثاني: مثل نوره الذي هو القرآن في القلب، عن ابن عباس والحسن وزيد بن أسلم.
والثالث: أنه عنى بالنور: محمد (صلى الله عليه وآله) وأضافه إلى نفسه تشريفاً له، عن كعب وسعيد ابن جبير.

والرابع: أن نوره سبحانه: الأدلة الدالة على توحيده وعدله، التي هي في الظهور والوضوح مثل النور، عن أبي مسلم.
والخامس: أن النور هنا: الطاعة، أي مثل طاعة الله في قلب المؤمن، عن ابن عباس في رواية أخرى.

وقوله تعالى: (كمشكاة فيها مصباح).
المشكاة: هي الكوة في الحائط، يوضع عليها زجاجة، ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة، ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه.
وقيل: المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وهو مثل الكوة، والمصباح السراج.
وقيل: المشكاة: القنديل، والمصباح الفتيلة.... «إلى أن قال»: وقد قيل أيضاً: المشكاة إبراهيم، والزجاجة إسماعيل، والمصباح محمد (صلى الله عليه وآله) كما سمي سراجاً في موضع آخر.

وقوله تعالى: (من شجرة مباركة) يعني: إبراهيم، لأن أكثر الأنبياء من صلبه (لا شرقية ولا غربية) لا يهودية ولا نصرانية. لأن النصارى تصلي إلى المشرق، واليهود تصلي إلى المغرب. (يكاد زيتها يضيء) أي يكاد محاسن محمد (صلى الله عليه وآله) تظهر قبل أن يوحى إليه. (نور على نور) أي نبي من نسل نبي، عن محمد بن كعب.

وقيل: إن المشكاة: عبد المطلب، والزجاجة: عبدالله، والمصباح: هو النبي (صلى الله عليه وآله) (لا شرقية ولا غربية) بل مكية، لأن مكة وسط الدنيا، عن الضحاك.

وروي عن الرضا (عليه السلام) أنه قال: «نحن المشكاة فيها، والمصباح: محمد (صلى الله عليه وآله) يهدي الله لولايتنا من أحب».

وفي كتاب «التوحيد» لأبي جعفر بن بابويه (رحمه الله) بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله: (كمشكاة فيها مصباح) قال: «نور العلم في صدر النبي (صلى الله عليه وآله) (المصباح في زجاجة)، الزجاجة: صدر علي (عليه السلام) صار علم النبي (صلى الله عليه وآله) إلى صدر علي (عليه السلام)، علم النبي (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام). (يوقد من شجرة مباركة): نور العلم. (لا شرقية ولا غربية): لا يهودية ولا نصرانية. (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) قال: يكاد العالم من آل محمد (صلى الله عليه وآله) يتكلم بالعلم قبل أن يسأل. (نور على نور) أي: إمام مؤيد بنور العلم والحكمة، في أثر إمام من آل محمد (صلى الله عليه وآله) وذلك من لدن آدم (عليه السلام) إلى أن تقوم الساعة. فهؤلاء الأوصياء، الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه، وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم». ويدلّ عليه قول أبي طالب في رسول الله (صلى الله عليه وآله):

أنت الأمين محمد *** قرم أغر مسود

لمسودين أطاهر *** كرموا وطاب المولد

أنت السعيد من السعود *** تكنفتك الأسعد

من لدن آدم لم يزل *** فينا وصي مرشد

ولقد عرفتك صادقاً *** والقول لا يتفند

ما زلت تنطق بالصواب *** وأنت طفل أمرد⁽⁴⁰⁾

وفي مناقب الحافظ ابن المغازلي الشافعي [ص201] قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازةً، أن أبا أحمد عمر بن عبدالله بن شاذب أخبرهم قال: حدثنا محمد بن الحسن بن زياد، حدثنا أحمد بن الخليل ببلخ، حدثني محمد بن أبي محمود، حدثنا يحيى بن أبي معروف، حدثنا محمد بن سهل البغدادي، عن موسى بن القاسم عن علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (كمشكاة فيها مصباح) قال (عليه السلام): (صلى الله عليه وسلم) المشكاة: فاطمة، والمصباح: الحسن والحسين

(الزجاجة كأنها كوكب دري) قال: كانت فاطمة كوكباً دريًّا من نساء العالمين. (يوقد من شجرة مباركة) الشجرة المباركة: إبراهيم. (لا شرقية ولا غربية): لا يهودية ولا نصرانية. (يكاد زيتها يضيء) قال: يكاد العلم أن ينطق منها. (ولو لم تمسسه نار نور على نور) قال: فيها إمام بعد إمام. (يهدى الله لنوره من يشاء) قال: يهدى الله عز وجلّ لولايتنا من يشاء.

ورواه أيضاً الإمام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [2: 306]: من طريق الحسن البصري. وفي تفسير «الميزان» [15: 152 ط. دار الكتب الإسلامية] قال الطباطبائي: وفي «التوحيد»: وقد روي عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن قول الله عز وجلّ: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فقال: «هو مثل ضربه الله لنا، فالنبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة صلوات الله عليهم من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والسنن والفرائض، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ثم قال: أقول: الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق، وهو من أفضل المصاديق وهو النبي (صلى الله عليه وآله) والظاهر من أهل بيته (عليهم السلام)، وإلا فالآية تعم بظاهرها غيرهم من الأنبياء (عليهم السلام)، والأوصياء والأولياء.

وقد وردت عدة من الأخبار من طرق الشيعة في تطبيق مفردات الآية على النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، وهي من التطبيق دون التفسير، ومن الدليل على ذلك اختلافها في نحو التطبيق، كرواية الكليني في «روضة الكافي» بإسناده عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) وفيها: «أن المشكاة: قلب محمد (صلى الله عليه وآله)، والمصباح: النور الذي فيه العلم. والزجاجة: عليّ أو قلبه. والشجرة المباركة الزيتون التي لا شرقية ولا غربية: إبراهيم (عليه السلام) ما كان يهودياً ولا نصرانياً. وقوله: (يكاد زيتها يضيء) الخ: يكاد أولادهم أن يتكلموا بالنبوة وإن لم ينزل عليهم ملك».

وما رواه في «التوحيد» بإسناده إلى عيسى بن راشد عن الباقر (عليه السلام) وفيه: «أن المشكاة: نور العلم في صدر النبي (صلى الله عليه وآله). والزجاجة: صدر علي (عليه السلام) (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار): يكاد العالم من آل محمد (صلى الله عليه وآله) يتكلم بالعلم قبل أن يسأل. (نور على نور): إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في أثر الامام من آل محمد».

وفي الدر المنثور [7: 201]: عن ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله: (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال: قلب إبراهيم لا يهودي ولا نصراني.

المبحث السادس والخمسون

في قوله تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ)

الزخرف: 57.]

ذكر الطبرسي في «مجمع البيان» [9 - 10: 53]: بأن لتفسير هذه الآية وجوهاً. وقال ورابعها: ما رواه سادة أهل البيت عن عليّ عليهم أفضل الصلوات، أنه قال: جئت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً، فوجدته في مأى من قريش فنظر إليّ قال: يا عليّ إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم، أحبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا، وأبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا، فعظم ذلك عليهم فضحكوا، وقالوا: يشبّهه بالأنبياء والرسل.

فنزلت الآية وقالوا: (أألهتنا خير أم هو)؟ أي: ألهتنا أفضل أم المسيح؟.... الخ.

وقد ذكر هذا الحديث الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [18: 116] عن مجمع البيان ثم قال: أقول: والرواية غير متعرّضة لتوجيه قولهم: (أألهتنا خير أم هو). ولئن كانت القصة سبباً للنزول فمعنى الجملة: لئن نتبع ألهتنا ونطيع كبراءنا خير من أن نتولى عليّاً فيتحكم علينا، أو خير من أن نتبع محمداً فيحكم علينا ابن عمّه.

وأورد السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في كتابه «فضائل الخمسة» [2: 129 ط. دار الكتب الإسلامية] عن «كنز العمال» [1: 226] قال: عن عليّ (عليه السلام) قال: جئت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مأى من قريش، فنظر إليّ وقال: يا عليّ إنّ مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم، أحبه قومه فأفرطوا فيه، فصاح المأ الذين عنده وقالوا: شبّه ابن عمه بعيسى، فأنزل القرآن: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون).

وهناك أحاديث واردة، وأخبار متعددة، في تشبيه الرسول (صلى الله عليه وآله) عليّاً بالأنبياء لا تصافه بصفاتهم وتخلّقه بأخلاقهم، فمنها: ما أورده الطبري في كتابه «الرياض النضرة» [2: 218] فيما ذكره السيد المرتضى الحسيني في كتابه الذي تقدم ذكره.

قال الطبري: عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب قال: (أخرجه القزويني الحاكمي).

وفي «الرياض النضرة» أيضاً [2: 218] قال: وعن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله فلينظر إلى علي بن أبي طالب. «قال: خرج الملاء في سيرته».

وذكر الامام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [2: 185] عن الحلي في قوله تعالى: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي: إن فيك مثلاً من عيسى، أحبه قوم فهلكوا فيه، وأبغضه قوم فهلكوا فيه. فقال المنافقون: أما يرى له مثلاً إلا عيسى؟ فنزلت الآية.

وأخرج الحافظ ابن المغازلي في «المناقب» [ص212] قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب، حدثنا الحسين بن محمد بن الحسين العدل العلوي الواسطي، حدثنا محمد بن محمود، حدثنا إبراهيم بن مهدي الأبلّ، حدثنا إبراهيم بن سليمان بن رشيد، حدثنا زيد بن عتيبة حدثنا أبان بن فيروز عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أراد أن ينظر إلى علم آدم، وفقه نوح، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

وروى الحاكم في «المستدرک» [3: 123] عن ربيعة بن ناجد عن علي (عليه السلام) قال: دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا علي: إن فيك من عيسى عليه الصلاة والسلام مثلاً، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمّه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها، قال: وقال علي: ألا وإته يهلك في محب مطري يفرطني بما ليس في، ومبغض مفتر يحمله شأنني على أن يبهتني، ألا وإنني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة الله تعالى فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم أو كرهتم، وما أمرتكم بمعصية أنا وغيري فلا طاعة لأحد في معصية الله عز وجل، إنما الطاعة في المعروف. - «قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

أقول: وأخرجه الإمام أحمد في مسنده [1: 160]، وابن حجر الهيتمي في «الصواعق» [ص121] في الحديث العشرين. والشبلنجي في كتابه «نور الأبصار» [ص89] عن البزار، وأبي يعلى، والحاكم. والذهبي في «ميزان الاعتدال» [4: 99] عن ابن بطة.

وفي «فضائل الخمسة» [2: 129]: عن «الرياض النضرة» [2: 202]: قال الطبري: أخرج الملاء في سيرته، قيل: يا رسول الله، كيف يستطيع علي (عليه السلام) أن يحمل لواء الحمد؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وكيف لا يستطيع ذلك وقد أعطي خصالاً شتى، صبراً كصبري وحسناً كحسن يوسف، وقوة كقوة جبرئيل (عليه السلام).

وفي «ينابيع المودة» للقندوزي الحنفي [ص109] في الباب 35 قال: أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي المكي عن زاذان عن علي (عليه السلام) قال: تفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الذين قال عز وجل في حقهم: (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ

وبه يعدلون⁽⁴¹⁾ وهم أنا ومحبي وأتباعي. أيضاً أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي عن عمر بن أذينة عن جعفر الصادق عن آبائه عن علي رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي مثلك في أمّتي مثل عيسى بن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن دين الله وهم النصارى، وإنّ أمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق: فرقة أتبعوك وأحبّوك وهم المؤمنون، وفرقة عادوك وهم الناكثون والمارقون والقاسطون، وفرقة غلوا فيك وهم الضالّون، يا علي أنت وأتباعك في الجنة، وعدّوك والغالي فيك في النار.

وفي «مشكاة المصابيح» عن علي رضي الله عنه قال: قال لي النبي (صلى الله عليه وآله): فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمّه، وأحبّته النصارى حتى أنزلوه بمنزلة ليست له، ثم قال: يهلك فيّ رجلان محب مفرط يفرطني بما ليس فيّ، ومبغض يحملني شناني على أن يبهتني الخ كما رواه أحمد في مسنده.

وفي «الغدير» [3: 353] أورد الأميني قصيدة «الأشباه» للمفجّع (رحمه الله) المتوفّى [سنة 327 هـ] ما تناسب المقام الذي نحن فيه وذلك قوله:

أيّها اللّائمي لحبيّ عليّاً *** قم ذميماً إلى الجحيم خزيّاً
أبخير الأنام عرضت؟ لا زلـ *** ست مذوداً عن الهدى مزويّاً
أشبه الأنبياء كهلاً وزولاً⁽⁴²⁾ *** وفطيماً وراضعاً وغذا
كان في علمه كآدم إذ علـ *** م شرح الأسماء والمكيّاً
وكنوح نجا من الهلك من سـ *** سير في الفلك إذ علا الجوديا

ثم قال الأميني (رحمه الله): وهذه القصيدة تسمى به «الأشباه»، قال الحموي «في معجم الأدباء» [17: 191] في أوّل ترجمة المترجم: إنّ له قصيدة يسميها بالأشباه، يمدح فيها عليّاً. ثم قال في [ص 200]: له قصيدته ذات الاشباه، وسمّيت بذات الأشباه لقصدته فيما ذكره من الخبر الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في محفل من أصحابه: إنّ تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنّته، ومحمد في هديه وحلمه، فانظروا إلى هذا المقبل، فتطاول النّاس فإذا هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فأورد المفجّع ذلك في قصيدته.

قال الأميني: هذا الحديث الذي رواه الحموي في معجمه نقلاً عن تأريخ ابن بشران، قد أصفق على روايته الفريقان، غير أنّ له ألفاظاً مختلفة وإليك نصوصها:

1 - أخرج إمام الحنابلة أحمد عن عبد الرزاق بإسناده المذكور بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنّته، وإلى

(41) الأعراف: 181.

(42) الزول: الغلام الطريف .

محمد في تمامه وكماله، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل. فتطاول الناس فإذا هم بعلي بن أبي طالب، كأنما ينقلع من صعب، وينحط من جبل.

2 - أخرج أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي المتوفى [سنة 458] في «فضائل الصحابة» بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

3 - أخرج الحافظ أحمد بن محمد العاصمي في كتابه «زين الفتى في شرح هل أتى» بإسناده من طريق الحافظ عبيد الله بن موسى العباسي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب. وأخرج بإسناد ثالث بلفظ أقصر من المذكور.

ثم بسط القول في بيان وجوه المشابهة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين بعض الأنبياء، منهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، ويونس، وموسى، وداود، وسليمان، وأيوب، ويحيى، وعيسى.

4 - أخرج أخطب الخطباء الخوارزمي المالكي المتوفى [سنة 568] بإسناده في «المناقب» [ص 49] من طريق البيهقي عن أبي الحمراء بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

وأخرج في [ص 39] بإسناده من طريق ابن مردويه عن الحارث الأعور صاحب راية علي بن أبي طالب قال: بلغنا أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في جمع من أصحابه فقال: أريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته؟ فلم يكن بأسرع من أن طلع علي (عليه السلام) فقال أبو بكر: يا رسول الله! أقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخ بخ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله؟ قال النبي: أو لا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب. فقال أبو بكر: بخ بخ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن؟

5 - أورد أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفى [سنة 652] في «مطالب السؤل» نقلاً عن كتاب «فضائل الصحابة» للبيهقي بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

ثم قال: فقد أثبت النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي بهذا الحديث علماً يشبه علم آدم، وتقوى تشبه تقوى نوح، وحلماً يشبه حلم إبراهيم، وهيبة تشبه هيبة موسى، وعبادة تشبه عبادة عيسى. وفي هذا تصريح لعلي بعلمه وتقواه وحلمه وهيئته وعبادته، وتعلو هذه الصفات إلى أوج العلا حيث شبهها بهؤلاء الأنبياء المرسلين من الصفات المذكورة، والمناقب المعودة.

6 - قال عزّ الدين بن أبي الحديد المتوفى [سنة 655] في «شرح النهج» [2: 36]: روى المحدثون عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزّته، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

ورواه في [2: 449]: من طريق أحمد البيهقي نقلاً عن مسند الأول وصحيح الثاني بلفظ: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

7 - الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعي المتوفى [سنة 658] أخرجه في «كفاية الطالب» [ص45] بإسناده عن ابن عباس قال: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليّ (عليه السلام)، فلما بصر به النبي (صلى الله عليه وآله) قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

ثم قال: قلت: تشبيهه لعليّ بآدم في علمه، لأن الله علم آدم صفة كل شيء، كما قال عزّ وجلّ: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)⁽⁴³⁾ فما من شيء ولا حادثة إلا وعند عليّ فيها علم، وله في استنباط معناها فهم. وشبّهه بنوح في حكمته، وفي رواية: في حكمه، وكأنه أصبح، لأن علياً كان شديداً على الكافرين، رؤوفاً بالمؤمنين، كما وصفه الله تعالى في القرآن بقوله: (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ)⁽⁴⁴⁾ وأخبر الله عزّ وجلّ عن شدة نوح على الكافرين بقوله: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً)⁽⁴⁵⁾. وشبّهه في الحلم بإبراهيم خليل الرحمن. كما وصفه الله عزّ وجلّ بقوله: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) فكان متخلقاً بأخلاق الأنبياء، متصفاً بصفات الأصفياء.

8 - الحافظ أبو العباس محب الدين الطبري المتوفى [سنة 694] رواه في «الرياض النضرة» [2: 218] كما قد مرّ حديثه. الرواية الأولى عن أبي الحمراء، والثانية عن ابن عباس.

9 - شيخ الاسلام الحموي المتوفى [سنة 722] أخرجه في «فرائد السمطين» بعدة أسانيد من طرق الحاكم النيسابوري، وأبي بكر البيهقي، بلفظ محب الدين الطبري المذكور وما يقرب منه.

10 - القاضي عضد الدين الأيجي الشافعي المتوفى [سنة 756] رواه في «المواقف» [3: 276] بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

11 - ابن الصباغ المالكي المتوفى [سنة 855] روى في «الفصول المهمة» [ص21] نقلاً عن «فضائل الصحابة» للبيهقي باللفظ المذكور.

(43) البقرة: 31.

(44) محمد: 29.

(45) نوح: 26.

12 - التفتازاني الشافعي المتوفى [سنة 792] في «شرح المقاصد» [2: 299] بلفظ القاضي الأيجي المذكور.

13 - السيد محمود الألوسي المتوفى [سنة 1270] رواه في شرح عينية عبد الباقي العمري [ص27] بلفظ البيهقي.

14 - الصفوري قال في «نزهة المجالس» [2: 240]: قال النبي(صلى الله عليه وآله): من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في زهده، وإلى محمد في بهائه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب(رضي الله عنه). ذكره ابن الجوزي.

وفي حديث آخر ذكره الرازي في تفسيره: من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلقه، وموسى في قربه، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

15 - السيد أحمد القادين خاني في «هداية المرتاب» [ص146] بلفظ البيهقي.

* * *

المبحث السابع والخمسون

في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [النساء: 54].

أخرج ابن المغازلي الشافعي في «المناقب» [ص267] قال: أخبرنا أبو الحسن علي ابن الحسين الطيّب الواسطيّ إذنًا، حدّثنا أبو القاسم الصقّار، حدّثنا عمر بن أحمد بن هارون، حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، حدّثنا يعقوب بن يوسف، حدّثنا أبو غسان، حدّثنا مسعود بن سعد عن جابر عن أبي جعفر، يعني محمّد بن عليّ الباقر (عليهما السلام) في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال: نحن النّاس.

وقد ذكره ابن حجر الهيتمي في «الصواعق» [ص150] واعترف بأن هذه الآية من الآيات النازلة في أهل بيت النبوة (عليهم السلام) وقال: أخرج أبو الحسن ابن المغازلي، عن الباقر (عليه السلام) أنّه قال في هذه الآية: نحن الناس والله، «أي المحسودون».

وفي «إسعاف الراغبين» [ص118] بهامش «نور الأبصار» قال الصّبّان: وأخرج بعضهم عن الباقر في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) أنّه قال: أهل البيت هم النّاس.

وذكره أيضاً القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» [ص131] قال في تفسير قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ): أخرج ابن المغازلي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: هذه الآية نزلت في النبي (صلى الله عليه وآله)، وفي عليّ (عليه السلام). أيضاً: أخرج ابن المغازلي، عن جابر الجعفي، عن محمد الباقر (عليه السلام) في هذه الآية، قال: نحن الناس المحسودون.

وفي الغدير [3 ص61] قال الأميني عند شرحه بعض شعر الحمّاني في قوله:

محسّدون ومن يعقد بحبّهم *** حبل المودة يضحى وهو محسود

ولعلّ قوله: محسّدون، إشارة إلى قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) وقد ورد فيها أنهم الأئمة من آل محمد. قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج» [2: 236]: إنها نزلت في عليّ (عليه السلام) وما خص به من العلم.

وفي تفسير «مجمع البيان» [3 - 4 : 79 ط. دار إحياء التراث العربي]: قال الطبرسي عند تفسيره قوله

تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) معناه: بل يحسدون النّاس، واختلف في معنى النّاس هنا على أقوال:

وقال في القول الثاني: إن المراد بالنّاس النبي (صلى الله عليه وآله) وآله، عن أبي جعفر (عليه السلام)

والمراد بالفضل فيه النبوة، وفي آله الإمامة.

وفي تفسير العياشي بإسناده عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا أبا الصباح! نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفوة المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون، الذين قال الله في كتابه: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) الآية، قال: والمراد بالكتاب: النبوة، وبالحكمة: الفهم والقضاء، وبالمالك العظيم: افتراض الطاعة.

وفي تفسير «الميزان» [4: 400] قال الطباطبائي في تفسير الآية: والمراد بالناس على ما يدلّ على هذا السياق هم: الذين آمنوا، وبما آتاهم الله من فضله هو: النبوة والكتاب والمعارف الدينية، غير أن ذيل الآية: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ) الخ يدلّ على أنّ هذا الذي أطلق عليه الناس من آل إبراهيم، فالمراد بالناس حينئذ هو: النبي (صلى الله عليه وآله) ولما انبسط على غيره من هذا الفضل المذكور في الآية، فهو من طريقه وببركاته العالية، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ) الآية [آل عمران: 23] أن آل إبراهيم هو النبي وآله.

وفي بحثه الروائي [ص 408] قال: وفي تفسير «البرهان» في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ): الآية. عن الشيخ في أماليه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام): (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال: نحن الناس.

قال: أقول: وهذا المعنى مروي عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مستفيضاً بطرق كثيرة، مودعة في جوامع الشيعة، كالكافي، والتهذيب، والمعاني، والبصائر، وتفسير القمي، وتفسير العياشي وغيرها. وفي معناها من طرق أهل السنة ما عن ابن المغازلي... «وقد مر ذكره».. وما في «الدر المنثور» عن ابن المنذر، والطبراني من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) قال: نحن الناس، دون الناس، وقد روى فيه أيضاً تفسير «الناس» برسول الله (صلى الله عليه وآله) عن عكرمة ومجاهد ومقاتل وأبي مالك، وقد مرّ فيما قدّمناه من البيان: أنّ الظاهر كون المراد بالناس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته ملحقون به.

وفي «دلائل الصدق» [ص 201] قال الإمام المظفر بعد أن ذكر ما أورده ابن المغازلي عن الباقر (عليه السلام): فإن المراد بـ (ما آتاهم الله من فضله) هو: العلم والهدى والفهم والحكمة ونحوها من الصفات والفضائل التي هي شأن محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) لا أمور الدنيا الدنيّة. ومن المعلوم أن إيتاء هذا الفضل لعلّي (عليه السلام) الذي حسده الناس عليه، يستدعي الأفضلية والإمامة، وإلا لما حسدوه عليه، كما أنّ مشاركته (عليه السلام) للنبي (صلى الله عليه وآله) في الفضل على الرواية الثانية، دليل على أنّ فضله من نوع فضل النبي (صلى الله عليه وآله) فيكون الأفضل والأحقّ بخلافته. «والمراد بالرواية الثانية هي: ما أخرجها ابن المغازلي عن ابن عباس قال: هذه الآية نزلت في النبي (صلى الله عليه وآله) وفي علي (عليه السلام)».

المبحث الثامن والخمسون

في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: 6].

إن لأهل التفسير في تفسير معنى «الصرّاط» أقوالاً، منهم من قال بأن (الصرّاط المستقيم) هو: الاسلام. ومنهم من قال هو: القرآن. ومنهم من قال هو: رسول الله(صلى الله عليه وآله) وصاحبه من بعده.

لفت نظر في هذا القول

إنّ المتبادر إلى عقل كل قارئ بأن مراد القائل في قوله: «وصاحبه من بعده» هما: الشيخان أبو بكر وعمر بلا نزاع. وأما كونهما أحد معاني «الصرّاط المستقيم» فلعلّ من القراء من لم يجد سبيلاً يهتدي به إلى معرفة مصداق هذا القول، لتجرّده عن البيان والتبيين. ولما كانت الحالة هذه، فكان لزاماً على القارئ إذا شكّ في صحّة هذا القول، أن يحسن ظنّه بقائله، كأن يعتقد بأنه من ذوي مسكة بدقائق العلوم، بحيث إنّه يعلم مثلاً بأعلمية الشيخين بمعاني كتاب الله عزّوجلّ وجميع أسرار ما تضمّنته آياته وغاية مغزاها، وكعلمه بشدّة تمسك الشيخين بسنة الله ورسوله، وحرصهما على العمل بما أوصاهما به، وتماّم وفائهما بعهده، وفيما أشار إليه من بعده، وحسن موافقتهما له(صلى الله عليه وآله) في جميع مبادئه، أو لسبب آخر كان معلوماً لديه مهما قد خفي على أكثر النّاس، حتى صاروا به من جملة المفسّرين بمعاني «الصرّاط المستقيم».

وهذا القول لأبي العالية كما في «الدر المنثور» [1: 40]: وصدّقه الحسن. ومهما كان فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، والله أعلم.

وهناك أقوال مسطّورة في كتب القوم وتفسيرهم مسندة بالأخبار والآثار والروايات بغير المعنى المذكور، كما سنوردها فيما يلي تيمّناً، نقلاً عن تفسير الثعلبي «الكشف والبيان» وتفسير وكيع بن الجراح، وكتاب ابن شاهين، وتفسير «الميزان» للعلامة محمد حسين الطباطبائي. وتفسير «مجمع البيان» للشيخ أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، من أكابر العلماء في القرن السادس. فعسى أن يكون إيرادهما في هذه العجالة من المتممات للفائدة.

منها ما ذكره الحافظ الشهير محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني في مناقبه [3: 73 ط. دار الأضواء]: ومن تفسير وكيع ابن الجراح عن سفيان الثوريّ، عن السديّ، عن أسباط ومجاهد، عن عبدالله

بن عباس في قوله تعالى: (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) قال: قولوا معاشر العباد: أرشدنا إلى حب النبي وأهل بيته.

وفيه عن تفسير الثعلبي وكتاب ابن شاهين عن رجاله، عن مسلم بن حيان، عن بريدة، في قول الله: (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) قال: صراط محمد وآله.

وأخرج عن الباقرين (عليهما السلام) في قوله تعالى: (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) قالوا: دين الله الذي نزل به جبرائيل على محمد: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، فهديتهم بالاسلام وبولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولم تغضب عليهم ولم يضلوا، (المغضوب عليهم) اليهود والنصارى، والشكاك الذين لا يعرفون إمامة أمير المؤمنين. و(الضالين) عن إمامة علي بن أبي طالب.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً [6: 97 ط. مؤسسة التاريخ العربي] روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) «أو قال»: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يكون بعدي إثنا عشر خليفة كلهم من قريش. قال: ثم رجع إلى منزله فأتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج. وروى في [6: 119] بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: يكون لهذه الأمة إثنا عشر خليفة.

وفي «كنز العمال» للمتقي [12: 33 ط. مؤسسة الرسالة] ولفظه: يكون لهذه الأمة إثنا عشر قيماً، لا يضرهم من خذلهم، كلهم من قريش، قال: أخرجه الطبراني عن جابر بن سمرة. قال المؤلف: وذكره الهيثمي أيضاً في مجمع [5: 191] وقال: لا يضرهم عداوة من عاداهم، فالتفت خلفي فإذا أنا بعمر بن الخطاب في أناس، فأتيتوا لي الحديث كما سمعت. انتهى. وقال أبو جعفر الهاروني في قوله تعالى: (وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) (1). وأم الكتاب «الفاتحة»، يعني أن فيها قوله: (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).

وعن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: (فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ) (2) هو والله محمد وأهل بيته. (ومن اهتدى) فهم: أصحاب محمد.

وفي «الخصائص» بالإسناد عن الأصبغ بن نباتة عن علي (عليه السلام) وفي كتبنا عن جابر، عن أبي جعفر في قوله تعالى: (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنْ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) (3) قال: عن ولايتنا.

وقال أبو عبدالله (عليه السلام) في قوله تعالى: (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى) أي: أعداؤهم (أم من يمشي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (4) قال: سلمان الفارسي، والمقداد، وعمار وأصحابه، وفي التفسير: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ) (5): يعني القرآن وآل محمد.

(1) الزخرف: 4.

(2) طه: 135.

(3) المؤمنون: 74.

(4) الملك: 22.

(5) الأنعام: 153.

عن عليّ بن عبدالله بن عباس عن أبيه، وزيد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام) في قوله تعالى: (والله يَدْعُو إلى دار السلام)⁽⁶⁾ يعني به: الجنة (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يعني به: ولاية عليّ بن أبي طالب.

وعن جابر بن عبدالله: أن النبي (صلى الله عليه وآله) هباً أصحابه عنده، إذ قال وأشار بيده إلى عليّ: هذا صراط مستقيم فاتبعوه.

قال ابن عباس: كان رسول الله يحكم وعليّ بين يديه ومقابلته، ورجل عن يمينه ورجل عن شماله فقال: اليمين والشمال مضلة، والطريق المستوي الجادة، ثم أشار بيده، وأنّ هذا صراط مستقيم فاتبعوه.

قال الثماليّ عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: (فاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)⁽⁷⁾ قال: إنك على ولاية عليّ (عليه السلام) وهو الصراط المستقيم.

ومعنى ذلك: أن علي بن أبي طالب الصراط إلى الله. كما يقال: فلان باب السلطان إذا كان يوصل به، ثم إن الصراط الذي هو عليه عليّ، يدلك وضوحاً على ذلك قوله: (صراط الذين أنعمت عليهم)⁽⁸⁾ يعني: نعمة الاسلام، لقوله: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ)⁽⁹⁾ والعلم: (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ)⁽¹⁰⁾. والذرية الطيبة، لقوله: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ)⁽¹¹⁾ وإصلاح الزوجات، لقوله: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)⁽¹²⁾ فكان عليّ في هذه النعم في أعلى ذراها.

قال الحميري:

سمّاه جبار السما *** صراط حق فسما
فقال في الذكر وما *** كان حديثاً يفتري
هذا صراطي فاتبعوا *** وعنهم لا تخذعوا
فخالفوا ما سمعوا *** والخلف ممن شرعوا
واجتمعوا واتفقوا *** وعاهدوا ثم التقوا
إن مات عنهم وبقوا *** أن يهدموا ما قد بنى
وقال أيضاً:

وله صراط الله دون عباده *** من يهده يرزق تقى ووقارا
في الكتب مسطور مجلى باسمه *** وبنعته فاسأل به الأحبارا

(6) يونس: 25.

(7) الزخرف: 43.

(8) الفاتحة: 7.

(9) لقمان: 20.

(10) النساء: 113.

(11) آل عمران: 33.

(12) الانبياء: 90.

قال الطباطبائي في تفسير «الميزان» [1: 39]: في «الفقيه» وتفسير العياشي عن الصادق (عليه السلام) قال: الصراط المستقيم: أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

وفي «المعاني» أيضاً عن السجاد (عليه السلام) قال: ليس بين الله وبين حجته حجابٌ، ولا لله دون حجته سترٌ، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه.

وفي تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيها حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع، ما يعني بقوله: «ظهر وبطن»؟ قال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع الحديث.

قال الطباطبائي: وفي هذا المعنى روايات أخرى، وهذه سليقة أئمة أهل البيت، فإنهم (عليهم السلام) يطبقون الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد، وإن كان خارجاً عن مورد النزول، والاعتبار يساعده، فإن القرآن نزل هدى للعالمين، يهديهم إلى واجب الاعتقاد وواجب الخلق وواجب العمل، وما بيّنه من المعارف النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال، ولا زمان دون زمان، وما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرّعه من حكم عملي لا يتقيد بفرد دون فرد، ولا عصر دون عصر لعموم التشريع. انتهى.

وفي «الغدير» [2: 311] قال الأميني بعد ما روى ما أخرجه الثعلبي ووکیع بن الجراح: وأخرج الخوارزمي في «المناقب»: الصراط صراطان: صراط الدنيا، وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا فهو علي بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة فهو: جسر جهنم. من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة. ويوضح معنى هذا الحديث ما أخرجه ابن عدي والديلمي، كما في «الصواعق» [ص111] عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي.

وأخرج شيخ الإسلام الحموي بإسناده في «فرائد السمطين» في حديث عن الإمام جعفر الصادق قوله: نحن خيرة الله، ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله.

فهم الصراط إلى الله، فمن تمسك بهم فقد اتخذ إلى ربه سبيلاً، كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوة» بإسناده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً. «ذخائر العقبى» [ص16].

أقول: وهناك أخبار كثيرة في حديث الشجرة، قد أوردها جمع من حملة الأخبار والسنة، فمنهم ابن المغازلي في مناقبه [ص90]: أخبرنا أبو نصر أحمد بن موسى بن عبد الوهاب بن عبد الله الطحان إجازة، عن أبي الفرج أحمد بن علي الخيوطي القاضي، حدثنا عبد الحميد، حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية. أخبرنا عثمان بن عبد الله القرشي بالبصرة، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن أبي الزبير، واسمه محمد بن مسلم بن تدرس، عن جابر بن عبد الله قال: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم بعرفات، وعليّ تجاهه، إذ

قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): أدن مني يا عليّ، خلقت أنا وأنت من شجرة، صنع جسمك من جسمي. خلقت أنا وأنت من شجرة، فأنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن منها، أدخله الله الجنة.

وأخرجه الذهبي في «ميزان الاعتدال» [3: 41] برقم 5523 من طريق يحيى البخاري بلفظ: يا عليّ أدن مني، جسمك في خمسي، يا عليّ، أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة.

وروى الحاكم في «المستدرک» [2: 241] من كتاب التفسير، مسنداً عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعليّ (عليه السلام): يا عليّ، الناس من شجر شتّى، وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله): (وَجَنَاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يَسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ) (13) ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

وفي [3: 160] روى أيضاً حديثاً بسنده عن مولى عبد الرحمن بن عوف قال: خذوا عني قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أنا الشجرة وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة.

وفي «كنوز الحقائق» [ص155] كما في «فضائل الخمسة» [1: 172] قال (صلى الله عليه وآله): الناس من شجر شتّى، وأنا وعليّ من شجرة واحدة. «قال»: أخرجه الطبراني. وفيه أيضاً عن «كنز العمال» [6: 154] قال (صلى الله عليه وآله): أنا وعليّ من شجرة واحدة، والناس من أشجار شتّى. «قال»: أخرجه الديلمي عن جابر.

وروى السيوطي في «الدر المنثور» [4: 44] في ذيل قوله تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون): عن ابن مردويه عن جابر (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: يا عليّ! الناس من شجر شتّى، وأنا وأنت يا عليّ من شجرة واحدة.

ورواه أيضاً صاحب «مجمع البيان» [5 - 6: 276 ط. دار إحياء التراث العربي] عند تفسيره (وفي الأرض قطع متجاورات) في الآية الرابعة من سورة الرعد.

وأيضاً صاحب تفسير «الميزان» في [11: 142] في بحثه الروائي نقلاً عن تفسير «البرهان» وعن الخرکوشي في كتابه «شرف المصطفى» وعن الثعلبي في «الكشف والبيان» وعن الفضيل بن شاذان في «الأمالي» واللفظ له، بإسناده عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعليّ (عليه السلام): الناس من شجر شتّى، وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثم قرأ: (جنات من أعناب وزرع ونخيل) إلى

قوله تعالى: (يسقى بماء واحد) قال (صلى الله عليه وآله): بالنبي وبك. قال: ورواه النطنزي في «الخصائص» عن سلمان، وفي رواية: أنا وعليّ من شجرة، والناس من أشجار شتى.

وأخرج ابن المغازلي أيضاً في «المناقب» [ص297 برقم 340] من طريق أحمد بن المظفر العطار، عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعرفات وعليّ تجاهه، فأوماً إليّ وإلى عليّ فأقبلنا نحوه، وهو يقول: أدن منّي يا عليّ، فدنا منه، فقال: ضع خمسك في خمسي، فجعل كفه في كفه فقال: يا عليّ، خلقت أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة، يا عليّ، لو أنّ أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلوا حتى يكونوا كالأوتار وبغضوك لأكبهم الله في النار. انتهى.

قال الفاضل المحقق محمد باقر البهبودي في ذيل الكتاب: أخرجه أيضاً العلامة الحمّوي في «فرائد السمطين» والحافظ الكنجي في «كفاية الطالب» [ص318]: كلاهما بالإسناد إلى ابن زنجويه بعين السند واللفظ. وأخرجه السيوطي في ذيل «اللاّلي» [ص63 ط. لکهنو] بالإسناد إلى عثمان بن عبد الله القرشي.

* * *

المبحث التاسع والخمسون

في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) [الأنفال : 62].

قال القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» [ص94] أخرج أبو نعيم بسنده عن أبي هريرة، أيضاً عن أبي صالح عن ابن عباس، أيضاً عن جعفر الصادق رضي الله عنهم في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) قالوا: نزلت في عليّ، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: رأيت مكتوباً على العرش: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد عبدي ورسولي، أيدته ونصرته بعليّ بن أبي طالب. وروى عن أنس بن مالك نحوه.

وفي كتاب «الشفاء» روى ابن قانع القاضي، عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لما أسرى بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعليّ. قال القندوزي: وفي المناقب عن حذيفة (رضي الله عنه) قال النبي (صلى الله عليه وآله): ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

وفي «الدر المنثور» [3: 199] قال السيوطي: وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله أنا وحدي لا شريك لي، محمد عبدي ورسولي أيدته بعليّ.

وروى السيد مرتضى الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [1: 175] ما أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» [11: 173] بسنده عن أنس بن مالك قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله أيدته بعليّ.

وأورد أيضاً عن «ذخائر العقبى» [ص69] عن أبي الخميس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أسري بي إلى السماء، فنظرت إلى ساق العرش الأيمن، فرأيت كتاباً فهمته: محمد (صلى الله عليه وآله) رسول الله، أيدته بعليّ (عليه السلام) ونصرته به.

وأورد عن «كنز العمال» [6: 158] قال (صلى الله عليه وآله): رأيت ليلة أسري بي مثبتاً على ساق العرش: إني أنا الله لا إله غيري، خلقت جنة عدن بيدي، محمد صفوتي من خلقي، أيدته بعليّ ونصرته بعليّ. قال: أخرجه ابن عساكر وابن الجوزي من طريقين عن أبي الحمراء.

وفي «كنز العمال» أيضاً [6: 158] قال: مكتوب في باب الجنة، قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي سنة، لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعليّ. قال: أخرجه العقيلي عن جابر.

وفي «المناقب» لابن المغازلي [ص91 برقم 134] قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر الفقيه الشافعي (رحمه الله) بقراءتي عليه فأقرّه، فقلت له: أخبركم أبو محمد عبدالله بن محمد ابن عثمان المزنيّ الملقب بابن السقاء الحافظ الواسطي (رحمه الله)، حدثنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصليّ، حدثنا

زكريا بن يحيى الكسائي، حدّثنا يحيى بن سالم، حدّثنا أشعث ابن عمّ الحسن بن صالح، وكان يفضل على الحسن بن صالح قال: حدثني مسعر بن كدام، عن عطية بن سعيد، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: مكتوب على باب الجنة قبل أن يخلق الله السموات والأرض بألفي عام: محمد رسول الله وعليّ أخوه.

وفي «ميزان الاعتدال» للذهبي [2: 76 برقم 2890]: حدّثنا محمد بن عثمان، حدّثنا زكريا بن يحيى الكسائي، حدّثنا يحيى بن سالم، حدّثنا أشعث ابن عم الحسن بن صالح، حدّثنا مسعر، عن عطية العوفي عن جابر مرفوعاً: مكتوب على باب الجنة: محمد رسول الله، أيّدته بعليّ. قال أبو نعيم الحافظ: أخبرنا أبو عليّ بن الصوّاف، ومحمّد بن عليّ بن سهل، وسليمان الطبراني، والحسن بن عليّ بن خطاب، قالوا: حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، فسأقه بنحوه، لكن لفظه: على باب الجنة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، عليّ أخو رسول الله، قبل أن يخلق الله السموات بألفي عام.

وفي «ميزان الاعتدال» أيضاً [1: 269 برقم 1006] بالسند المذكور: مكتوب على باب الجنة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيّدته بعليّ، قبل خلق السموات بألفي سنة.

المبحث الستون

في قوله تعالى: (واسأل مَنْ أرسلنا من قبلك من رُسُلنا) [الزخرف: 45].

قال الحلّي وهو الحسن بن يوسف المطهر من كبار العلماء الإمامية في القرن الثامن الهجري كما في «دلائل الصدق» [2: 108]: روى ابن عبد البر وغيره من السّنة في قوله تعالى: (واسأل مَنْ أرسلنا من قبلك من رُسُلنا) قال: أن النبيّ ليلة أسري به، جمع الله بينه وبين الأنبياء، ثم قال له: سلهم يا محمّد! على ماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة إن لا إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوتك، والولاية لعليّ بن أبي طالب. قال الإمام المظفر: نقل المصنّف «أي الحلّي» في «منهاج الكرامة» هذا الحديث عن ابن عبد البر، وعن أبي نعيم، ونقل جماعة نحوه عن الثعلبي «أي صاحب تفسير الكشف والبيان» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أتاني ملك فقال: يا محمّد! واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب.

وفي «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي [ص 82] عن أبي نعيم، الحافظ والحمّوي، وموفق بن أحمد الخوارزمي بأسانيدهم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لما عرج بي إلى السماء انتهى بي السير مع جبرائيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر، فقال جبرائيل: هذا البيت المعمور، قم يا محمّد فصلّ إليه، قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): جمع الله النبيين فسوّوا ورائي صفاء، فصلّيت

بهم، فلما سلّمت أُناني آت من عند ربي فقال: يا محمد، ربك يقرئك السلام ويقول لك: سل الرسل على ما أرسلتم من قبلك؟ فقلت: معاشر الرسل، على ماذا بعثكم ربّي قبلي؟ فقالت الرسل: على نبوتك وولاية عليّ بن أبي طالب. وهو قوله تعالى: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) الآية أيضاً رواه الديلمي عن ابن عباس.

ثم قال: عن طلحة بن زيد عن جعفر الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما قبض الله نبياً حتى أمره الله أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته، وأمرني أن أوص إلى ابن عمك عليّ، أثبته في الكتب السالفة، وكتبت فيها أنّه وصيّك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق، وميثاق أنبيائي ورسلي، وأخذت ميثاقهم لي بالربوبية، ولك يا محمد بالنبوة، ولعليّ بن أبي طالب بالولاية والوصية. انتهى.

قال الإمام المظفر: فإن قلت: لم تذكر الآية الكريمة النبوة والإمامة، بل ولا الإرسال بالشهادة أن لا إله إلا الله، فإنها قالت: أجعلنا؟ ولم يقل: أرسلناهم بالشهادة؟! قلت: السؤال والاستفهام للتقرير، بمعنى تقرير الرسل عن أمر استقر عندهم نفيه، وهو: جعل آلهة من دون الرحمن يعبدون.

لكن لما كان المناسب لتقرير الرسل بما هم رسل، هو تقريرهم عما أرسلوا به، كان الظاهر إرادة تقريرهم عن ذلك بما هم رسل بنفيه، وهو راجع إلى الإرسال بالشهادة بالوحدانية، فصحّ ما أفادته الروايات من أن المراد بالآية السؤال عما بعث به الرسل من الشهادة بالوحدانية.

ولما كان بعثهم بهذا معلوماً للنبي (صلى الله عليه وآله) البتة، لم يحسن أن يراد أن يقرّروا به خاصة، بل ينبغي أن يراد تقريرهم به بضميمة ما لا يعلم النبي (صلى الله عليه وآله) إقرارهم به، لعدم علمه بإرسالهم عليه، وهو الذي ذكرته الروايات، أعني: إرسالهم على نبوته وإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإنما لم تذكره الآية الشريفة، للاكتفاء بذكر الأصل، وهو البعث على الشهادة بالوحدانية، كما أن بعض الروايات المذكورة اكتفت بذكر نبوة نبيّنا وإمامة وليّنا، لأنهما الداعي إلى السؤال والتقرير، مع وضوح بعثهم على الشهادة بالوحدانية، لكونه الأصل، ولذكر الآية له.

فما أعظم قدر نبيّنا الأطيب، وأخيه الأطهر، عند الله تبارك وتعالى؟ حتى ميّزهما على جميع عباده، وأكرمهما ببعث الرسل الأكرمين على الإقرار بفضلهما، ورسالة محمّد، وإمامة عليّ، وأخذ الميثاق عليهم بهما مع الشهادة بالوحدانية، فحقّ لذريتهما أن يفتخروا بما افتخر الشريف الرضي به، وهو قول الفرزدق: أولئك آبائي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جريير المجمع

وفي تفسير «الميزان» [18: 108] قال السيد المؤلف: وفي «الاحتجاج» عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه: وأما قوله تعالى: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) فهذا من براهين نبيّنا (صلى الله عليه وآله) التي آتاه الله إياها، وأوجب به الحجّة على سائر خلقه، لأنّه ختم به الأنبياء، وجعله رسولاً إلى جميع الأمم وسائر الملل، وخصّه بالارتقاء إلى السماء عند المعراج، وجمع له يومئذ الأنبياء، فعلم منهم ما أرسلوا به، وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه.

ثم قال: أقول: وروى هذا المعنى القمي في تفسيره بإسناده عن أبي الربيع عن أبي جعفر (عليه السلام) في جواب ما سألته نافع بن الأزرق. ورواه في «الدر المنثور» بطرق عن سعيد بن جبير، وابن جريج، وابن زيد.

أقول: وإليك ما رواه السيوطي في «الدر المنثور» [6: 19]: أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير، في قوله: (واسأل مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) قال: ليلة أسري به لقي الرسل.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: (واسأل مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) قال: بلغنا أنه ليلة أسري به أرى الأنبياء، فأرى آدم، فسلم عليه، وأرى مالكاً خازن النار، وأرى الكذاب الدجال. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله: (واسأل مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) قال: جُمِعُوا له ليلة أسري به ببيت المقدس.

أقول: فهذه الأخبار قد اتفقت مع ما مر من الروايات المذكورة، في كون الأمر بالسؤال ليلة الإسراء حين جمعوا له النبيين، ولا تنسجم بطبع الحال مع من فسّر بأن المسؤول هم: مؤمنو أهل الكتاب، أو رواية من قال أهل التوراة والإنجيل. والله أعلم.

وفي تفسير «فتح القدير» للشوكاني في [4: 557 ط. بيروت - عالم الكتب] في ذيل قوله تعالى: (واسأل مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) قال الزهري، وسعيد بن جبير، وابن زيد: إن جبرئيل قال: ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله) لما أسري به. فالمراد سؤال الأنبياء في ذلك الوقت عند ملاقاتهم له.

المبحث الحادي والستون

أيضاً في قوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى : 5].

قال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس في قوله: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال: رضاء أن يدخل أمته كلهم الجنة. وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عنه أيضاً في الآية قال: من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» من طريق حرب بن شريح قال: لا يرضى محمد وأحد من أمته في النار. ويدل على هذا ما أخرجه عن ابن عمرو: أن النبي (صلى الله عليه وآله) تلا قول الله في إبراهيم: (فمن تبعني فإنه مني) وقول عيسى: (إن تعذبهم فإنهم عبادك). فرفع النبي يديه وقال: اللهم أمّتي أمّتي وبكى. فقال الله: يا جبرئيل، اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمّتك ولا نسوؤك.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم، في «الحلية» من طريق حرب قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين «الباقر»: أرايت هذه الشفاعة التي يتحدّث بها أهل العراق أحق هي؟ قال: إي والله، حدّثني محمد بن الحنفية عن عليّ: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أشفع لأمتي حتى يناديني ربّي: أَرْضِيَتْ يَا مُحَمَّدٌ؟ فأقول: نعم يا رب رضيت، ثم أقبل عليّ (عليه السلام) فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق: إن أَرَجَى آية في كتاب الله: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)⁽¹⁴⁾ قلت: أنا لنقول ذلك؛ قال (عليه السلام): لكننا أهل البيت نقول: إن أَرَجَى آية في كتاب الله: (ولسوف يعطيك ربك فترضى)⁽¹⁵⁾ وهي الشفاعة.

وفي تفسير ابن كثير [4: 558-559 ط. دار المعرفة] قال السدي عن ابن عباس: من رضاء محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة. وهكذا قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام).

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا معاوية بن هشام، عن عليّ بن صالح، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة عن عبدالله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنا أهل بيت، لنا الآخرة على الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى.

(14) الزمر: 53.

(15) الضحى: 5.

وفي تفسير «مجمع البيان» [9 - 10: 505 ط. مؤسسة التاريخ العربي - بيروت] روى الحديث الآنف ذكره عن محمد ابن الحنفية. وعن الصادق (عليه السلام) قال: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على فاطمة (عليها السلام) وعليها كساء من ثلثة الإبل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أبصرها فقال: يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ: **(ولسوف يعطيك ربك فترضى)**.

وقال زيد بن علي: إن من رضا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يدخل أهل بيته الجنة. وفي تفسير «الدر المنثور» للسيوطي في [6: 361] قال: أخرج ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس في قوله: **(ولسوف يعطيك ربك فترضى)** قال: من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. وقد أردف فيه أيضاً جميع ما ذكرناه في هذه السطور من الروايات في هذا المقام. **أقول:** وقد يؤيد فيما يناسب ذكره في هذا المعنى من الأحاديث النبوية حول تفسير هذه الآية الشريفة، ما أورده أساطين المحدثين في كتبهم المشهورة، السائرة الدائرة بين الأمة، وقد جمع البعض منها عنهم العالم الفاضل، فرع الشجرة النبوية وزهرة الدوحة العلوية، السيد الشريف مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، في كتابه النفيس «فضائل الخمسة» [2: 64] منها:

ما في «مستدرک الصحيحين» [3: 150] روى بسنده عن عمر بن سعيد الأبح، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم. قال عمر بن سعيد الأبح: ومات سعيد ابن أبي عروبة يوم الخميس، وكان حدث بهذا الحديث يوم الجمعة، مات بعده بسبعة أيام في المسجد. فقال قوم: لا جزاك الله خيراً صاحب رفض وبلاء، وقال قوم: جزاك الله خيراً صاحب سنة وجماعة، أدّيت ما سمعت. «قال الحاكم»: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفي «كنز العمال» [6: 215] ولفظه: سألت ربي أن لا يدخل أحداً من أهل بيتي النار فأعطانيها قال: أخرج به أبو القاسم بن بشران في أماليه. وأخرجه المحب الطبري في «ذخائر العقبى» [ص19]. وقال: أخرج به أبو سعيد، والملا في سيرته، والمناعي أيضاً في «فيض القدير» [4: 77] في المتن، وذكر في الشرح أنه أخرج به أبو القاسم بن بشران في أماليه عن عمران بن حصين، وأبو سعيد في «شرف النبوة». والملا في سيرته. وهو عند الديلمي وولده بلا سند. قال: وهذا يوافق ما أخرج به ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: **(ولسوف يعطيك ربك فترضى)** قال: من رضا محمد (صلى الله عليه وآله) أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وفي «كنوز الحقائق» للمناعي [ص24] ولفظه: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي. قال: أخرج به الطبراني. أقول: وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [6: 217]. وقال: أخرج به الطبراني عن أم سلمة. انتهى.

وفي «الصواعق» عدّ ابن حجر هذه الآية من الآيات النازلة في أهل البيت، وذكرها في «الآية العاشرة» [ص95] وقال في ذيل الآية: نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال: رضا محمد (صلى الله عليه وآله) أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. وقال ابن حجر في [ص158] من صواعقه: وأخرج تمام، والبخاري، والطبراني، وأبو نعيم أنه (صلى الله عليه وآله) قال: فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار، «وفي رواية»: فحرّمها الله وذريتها عن النار.

وقال أيضاً: وأخرج الحافظ أبو القاسم الدمشقي أنه (صلى الله عليه وآله) قال: يا فاطمة! لم سميت فاطمة؟ قال عليّ: لم سميت فاطمة يا رسول الله؟ قال: إن الله قد فطمها وذريتها من النار.

وقال: أخرج النسائي: إن ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمئ، إنّما سمّاها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها على النار. وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات، أنه (صلى الله عليه وآله) قال لها: إنّ الله غير معذبك ولا أحد من ولدك.

وفي «فضائل الخمسة» [2: 66] قال السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي: ونظيره ما رواه المحب الطبري في «ذخائر العقبى» [ص20] قال: وعن عليّ (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: اللهم إنهم عترة رسولك، فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لي، قال: ففعل وهو فاعل، قال: قلت: ما فعل؟ قال: فعله بكم ويفعله بمن بعدكم. أخرجه الملاء «يعني في سيرته».

* * *

المبحث الثاني والستون

في قوله تعالى: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء: 59].

إن أقوال العلماء والمفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة غير متفقة، وآراؤهم في بيان ما تضمنته من الإشارات متضاربة متفارقة. فمنهم من قال بأن المراد بأولي الأمر هم العلماء، ومنهم من قال بأن المراد بهم الأمراء. ومنهم من قال بأن المراد بهم الأئمة الإثنا عشر الأوصياء من أهل بيت أفضل الأنبياء عليهم أفضل الصلوات، وأزكى التحيات. وكل حزب منهم يستدلون فيما قالوه بما ورد من الأحاديث عن المشرع الأعظم (صلى الله عليه وآله).

فحجة من قال بأن المراد بهم العلماء، فيما ورد من الأحاديث عن جابر بن عبد الله وعن ابن عباس، وفي رواية عن مجاهد، والحسن، وعطاء، وجماعة، كما ذكره الطبرسي وغيره من المفسرين. وحجة من قال بأن المراد بهم الأمراء، فيما ورد عن أبي هريرة، وابن عباس أيضاً، وفي رواية عن ميمون بن مهران، والسدي، وأختاره الجبائي والبلخي والطبري.

وأما حجة من قال بأن المراد بهم الأئمة الإثنا عشر، فيما ورد عن زهرة الشجرة النبوية، وثمره الدوحة العلوية، الإمام جعفر الصادق عليه وعلى آبائه السلام. من الأحاديث والأخبار، كما سيلي ذكرها فيما بعد.

وقبل أن نخوض في هذا البحر المتلاطمة أمواجه، أرى من الخير لمن كان من أمثالي التحرر من قيد العصبية المظلمة. ولكل باحث عن الحق، أن يستهدي بما ثبت من البينات المسطورة في طيات صحائف المتبحرين في هذا الفن، فيستضيء بأنوارها إلى سبل السلام، فالله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق.

قال الجهيز العلامة، والحبر الفهامة، السيد الشريف محمد حسين الطباطبائي في تفسيره القيم «الميزان» [4: 416] في بعض ما تعلق بهذه الآية الشريفة: فالآية تدلّ على افتراض طاعة أولي الأمر هؤلاء، ولم تقيد بقيد ولا شرط، وليس في الآيات القرآنية ما يقيد الآية في مدلولها، حتى يعود معنى قوله: (وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) إلى مثل قولنا: وأطيعوا أولي الأمر منكم فيما لم يأمرُوا بالمعصية أو لم تعلموا بخطئهم، فإن أمروكم بمعصية فلا طاعة عليكم، وأن علمتم خطأهم فقوموهم بالرد إلى الكتاب والسنة، فهذا معنى قوله: (وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

مع أنّ الله سبحانه أبان ما هو أوضح من هذا القيد، فيما هو دون هذه الطاعة المفترضة، كقوله في الوالدين: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) الآية [العنكبوت: 8].

فما باله لم يظهر شيئاً من هذه القيود في آية تشتمل على أسّ أساس الدين، وإليها تنتهي عامّة أعراق السعادة الإنسانيّة؟

على أنّ الآية جمع فيها بين الرسول وأولي الأمر، وذكر لهما معاً طاعة واحدة، فقال: (وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولا يجوز على الرسول أن يأمر بمعصية، أو يغلط في حكم، فلو جاز شيء من ذلك على أولي الأمر، لم يسع إلا أن يذكر القيد الوارد عليهم، فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من غير أي تقييد.

ولازمه اعتبار العصمة في جانب أولي الأمر، كما اعتبر في جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من غير فرق.

ثم أتى السيد المؤلف ببخثه الروائي من الأحاديث عن تفسير «البرهان» عن ابن بابويه بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله): (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قلت: يا رسول الله! عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال (صلى الله عليه وآله): هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي. أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي ابن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيناه فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمّي محمد وكنّي حجة الله في أرضه، وبقيته في عبادته، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاريها، ذاك الذي يغيب عن شيعة وأوليائه، غيبة لا يثبت فيه على القول بإمامته، إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت له يا رسول الله، فهل يقع لشيعة الانتفاع به في غيبته؟

فقال (صلى الله عليه وآله): إي والذي بعثني بالنبوة. إنهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علم الله، فاكتمه إلا عن أهله.

وقال: أقول: وفي تفسير العياشي عن عمر بن سعيد عن أبي الحسن (عليه السلام) مثله. وفيه: علي بن أبي طالب والأوصياء من بعده. وعن ابن شهر آشوب: سأل الحسن بن صالح عن الصادق (عليه السلام) ذلك، فقال: الأئمة من أهل البيت.

ثم قال: أقول: وروى مثله الصدوق عن أبي بصير عن الباقر (عليه السلام) وفيه قال: الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى أن تقوم الساعة.

وفي تفسير العياشي عن عبدالله بن عجلان عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال: هي في علي وفي الأئمة، جعلهم الله مواضع الأنبياء، غير أنهم لا يحلون شيئاً ولا يحرّمونه.

وفي «الكافي» بإسناده عن بريد بن معاوية قال: تلا أبو جعفر (عليه السلام): (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم): فإن خفتن تنازعاً في الأمر فارجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم. - (الخ) انتهى.

وفي تفسير «مجمع البيان» [3 - 4]: للطبرسي، قال: وأما أصحابنا فإنهم رَوَوْا عن الباقر والصادق (عليهما السلام) أن أولي الأمر، هم الأئمة من آل محمد (صلى الله عليه وآله)، أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته، وعلم أن باطنه كظاهره، وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم، جلّ الله أن يأمر بطاعة من يعصيه، أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل، لأنّه محال أن يطاع المختلفون، كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. ومما يدلّ على ذلك أيضاً أن الله تعالى لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله، كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلا وأولو الأمر فوق الخلق جميعاً، كما أن الرسول فوق أولي الأمر وفوق سائر الخلق، وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وآله) الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم واتفقت الأمة على علوّ رتبتهن وعدالتهن.

(فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول) معناه: فإن اختلفتم في شيء من أمور دينكم، فردّوا التنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي.

ونحن نقول: الرد إلى الأئمة القائمين مقام الرسول بعد وفاته، وهو مثل الرد إلى الرسول في حياته، لأنهم الحافظون لشريعته، وخلفاؤه في أمته، فجروا مجراه فيه.... (الخ). انتهى.

وفي «الينابيع» للقندوزي الحنفي قال في الباب السابع والسبعين [ص444] في تحقيق حديث: بعدي إثنا عشر خليفة: وفي «جمع الفوائد» جابر بن سمرة رفعه: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم إثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليه الأمة، فسمعت كلاماً من النبي (صلى الله عليه وآله) لم أفهمه، فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: كلهم من قریش. للشيخين، والترمذي، وأبي داود بلفظه.

وذكر يحيى بن الحسن في كتابه «العمدة» من عشرين طريقاً في أنّ الخلفاء بعد النبي (صلى الله عليه وآله) إثنا عشر خليفة كلهم من قریش. في البخاري من ثلاثة طرق، وفي مسلم من تسعة طرق، وفي أبي داود من ثلاثة طرق، وفي الترمذي من طريق واحد، وفي الحميدي من ثلاثة طرق.

وفي «البخاري» عن جابر رفعه: يكون بعدي إثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فسألت أبي: ماذا قال؟ قال: قال: كلهم من قریش.

وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعد: كتبت إلى ابن سمرة: أخبرني بشيء سمعته من النبي(صلى الله عليه وآله)فكتب إليّ: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوم الجمعة، عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

وفي المودة العاشرة من كتاب «مودة القربى» للسيد علي الهمداني قدس الله سرّه، وأفاض علينا من بركاته وفتوحه: عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند النبي(صلى الله عليه وآله) فسمعته يقول: بعدي إثنا عشر خليفة، ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلهم من بني هاشم. وعن سماك بن حرب مثل ذلك.

وعن الشعبي عن مسروق قال: بينا نحن عند ابن مسعود نعرض مصاحفنا عليه إذ قال له فتى: هل عهد إليكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة؟ قال: إنك لحديث السن، وإن هذا شيء ما سألتني عنه أحد قبلك، نعم، عهد إلينا نبينا(صلى الله عليه وآله) أنه يكون بعده إثنا عشر خليفة، بعدد نقباء بني إسرائيل.

وعن عباية بن ربعي عن جابر قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): أنا سيّد النبيين، وعليّ سيّد الوصيّين وإن أوصيائي بعدي إثنا عشر، أولهم عليّ وآخرهم القائم المهدي. وعن عليّ كرم الله وجهه قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمتي رجل من ولد الحسين، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً.

وعن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي(رضي الله عنه) قال: دخلت على النبي(صلى الله عليه وآله) فإذا الحسين على فخذه، وهو يقبل خديّه ويلثم فاه، ويقول: أنت سيد ابن سيّد، أخو سيّد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة، أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهدي. وأخرجه أيضاً: الحمّوي، وموفق بن أحمد الخوارزمي.

وعن ابن عباس(رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون. وأخرجه أيضاً الحمّوي.

وعن عليّ(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعمود الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوال عليّاً، وليعاد عدوه، وليأتم بالأئمة الهداة من ولده، فإنهم خلفائي وأوصيائي، وحجج الله على خلقه من بعدي، وسادات أمتي وقوادّ الأتقياء إلى الجنة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): إن الله فتح هذا الدين بعليّ، وإذا قتل فسد الدين، ولا يصلحه إلا المهدي.

وعن عليّ(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): الأئمة من ولدي، فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العمود الوثقى، والوسيلة إلى الله جلّ وعلا.

قال القندوزي: قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده(صلى الله عليه وآله)إثنا عشر، قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان، وتعريف الكون والمكان، علم أن مراد رسول

الله(صلى الله عليه وآله) من حديثه هذا الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه، لقُلتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية، لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأن النبي(صلى الله عليه وآله)قال: كلهم من بني هاشم، في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته(صلى الله عليه وآله).

في هذا القول ترجح هذه الرواية، لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم. ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسية، لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلة رعايتهم الآية: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (16) وحديث الكساء، فلا بدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته(صلى الله عليه وآله)، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله.

وكان علمهم عن آبائهم متصلاً بجدهم(صلى الله عليه وآله) وبالورثة واللدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق، وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيد هذا المعنى، أي أن مراد النبي(صلى الله عليه وآله) الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته، ويشهد له ويرجح: حديث الثقلين والأحاديث المتكررة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها. وأما قوله(صلى الله عليه وآله) في رواية جابر بن سمرة، فمراده(صلى الله عليه وآله) أن الأمة تجتمع على الإقرار بإمامة كلهم وقت ظهور قائمهم المهدي، رضي الله عنهم.

وفي نهج البلاغة من خطبة علي(عليه السلام): «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا؟ أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطى الهدى، وبنا يُستجلى العمى» (17). وقال: وإِنَّه سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ، ليس فيه شيء أخفى من الحقّ، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر. واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذوه، فالتمسوا ذلك من عند أهلهم، فإنهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق (18).

وفي الباب الثامن والسبعين [ص448] أورد ما رواه الشيخ محمد بن إبراهيم الجويني الخراساني الحمّوي، المحدث الفقيه الشافعي: عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): إن علياً وصيّى، ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً،

(16) الشورى: 23.

(17) نهج البلاغة - الخطبة: 144 ص201: صبحي الصالح، ط. دار الهجرة - قم.

(18) آخر الخطبة 147.

كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته، لأعزّ من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبد الله فقال: يا رسول الله! وللك غيبة؟ قال: إي وربّي، ليمحصّ الذين آمنوا ويمحق الكافرين، ثم قال: يا جابر إن هذا أمر من أمر الله، وسر من سر الله، فإياك والشك، فإن الشك في أمر الله عزّ وجلّ كفر.

وذكر السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي في كتابه «فضائل الخمسة» [2: 23] ما أخرجه بعض أئمة المحدثين في كتبهم، كالبخاري ومسلم، وقد مضت بعض رواياتهم فيما مضى، وأما رواية غيرهما فسنذكرها فيما يلي، فمنهم: الترمذي في صحيحه [2: 35] روى بسندين عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يكون بعدي اثنا عشر أميراً، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني، فقال: قال: كلهم من قریش.

الحاكم في «المستدرک» [4: 501] روى بسنده عن مسروق قال: كنا جلوساً ليلة عند عبد الله يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن! هل سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عن هذه أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سأله، فقال: اثنا عشر، عدّة نقباء بني اسرائيل.

«قال الفيروز آبادي»: ورواه أيضاً: أحمد بن حنبل في مسنده: بطريقين في [1: ص 389 وص 406] وذكره الهيثمي أيضاً في «مجمع الزوائد» [5: 190] وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، والبخاري. وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [3: 205] ولفظه: إن عدّة الخلفاء بعدي عدّة نقباء موسى، وقال: أخرجه: ابن عدي وابن عساكر عن ابن مسعود، وفي [6: 201] أيضاً، وقال: أخرجه الطبراني عن ابن مسعود وفي [ص 201] أيضاً، وقال: أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» عن ابن مسعود.

وذكره المناوي في «الفيض القدير» في الشرح [2: 458] وقال: أخرجه ابن عدي، وابن عساكر في التاريخ، عن ابن مسعود.

أحمد بن حنبل في مسنده [5: 86] روى بسند عن جابر بن سمرة فقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قریش (الحديث).

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً [5: 92] روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قریش. وروى في [5: 106] بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة.

وفي «كنز العمال» للمتقي [6: 201] ولفظه: يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة قيماً لا يضرهم من خذلهم، كلهم من قریش، قال: أخرجه الطبراني عن جابر بن سمرة.

قال المؤلف: وذكره الهيثمي أيضاً في مجمعه [5: 191] وقال: لا يضرهم عداوة من عاداهم. فالتقت خلفي فإذا بعمر بن الخطاب في أناس، فأثبتوا لي الحديث كما سمعت. انتهى.

وإلى ذلك أشار سيدي وقدوتي الحبيب العارف بالله عبدالله الحداد في قصيدة له:

ومنا إمام حان حين خروجه *** يقوم بأمر الله خير قيام
فيملأها بالحق والعدل والهدى *** كما ملئت جوراً بظلم طغام
إذا قام قمنا والموفق ربنا *** بنصرته أن راث حين حمام
وإلا ففرجو أن يقوم بنصره *** فروع من البيت المصون نوامي
ولله من الحمد والشكر والثنا *** على نعم مشكورة بدوام
ونسأل مولانا تبارك اسمه *** ثباتاً وتأييداً وحسن ختام
وتمت وصلى الله أزكى صلاته *** على أحمد ما انهلّ وثقّ غمام
وما غرّدت ورق على غصن دوحة *** وما لاح برق النجد جنح ظلام
وآل وأصحاب ومن كان تابعاً *** على البر والتقوى وحفظ ذمام

وقال رضي الله عنه ورضي به عنا في الدارين في كتابه «تثبيت الفؤاد» [1: 34]: أخبر رجل عن أبيه أنه قال: إذا مات فلان سيدنا، بقي الناس يضرب جباههم بعضها بعضاً. فقلنا: لا، إن شاء الله، وليس هذا الظن بالله، بل الظن أنه إذا راح واحد خلفه بدل منه قدم على قدم، إلى خروج المهدي ونزول عيسى. قال الحساوي: وفي ذلك رائحة من معنى قوله (رضي الله عنه): عندنا أمانة لا يحملها إلا المهدي، وقال مرة: أخذنا من الكتاب والسنة ما لا يحمله إلا المهدي، وقال مرة: عندنا من الشيخ عبدالله بن أبي بكر «يعني العيدروس» أمانة لا يحملها إلا المهدي.

وقد ذكر ابن حجر الأئمة الاثني عشر بأسمائهم وصفاتهم ومالهم من الفضائل والمكرامات واحداً بعد واحد في كتابه «الصواعق»⁽¹⁹⁾.

ونقل السيد أمير محمد الكاظمي القزويني في كتابه «نقض الصواعق» [ص278] ما قاله قطب العارفين، وشيخ المؤرخين، الباحثة عند أعلام السنة، صاحب الفتوحات المكية، ابن عربي في الباب [366 ص128] من اليواقيت والجواهر، للعارف عبد الوهاب الشعراني في المبحث 65 من النسخة المطبوعة سنة 317 هجرية: «إن الأئمة من أهل البيت النبوي اثنا عشر إماماً، وإن آخرهم المهدي، وهو حي موجود. وقد اجتمع معه الكثير من علماء السنة، وسوف يخرج في آخر الزمان، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»⁽²⁰⁾.

قال في ذلك الكتاب ما لفظه: واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي (عليه السلام) لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً. ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم، حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ولد فاطمة (عليها السلام) جدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي «بالنون» ابن الإمام محمد التقي «بالتاء» ابن الإمام عليّ الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد

(19) الصواعق، الفصل الثالث، ص 114 - 124 ط. الميمنية.

(20) الفتوحات المكية: 3 / 337 ط. بيروت.

الباقر، ابن زين العابدين عليّ، ابن الإمام الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، يواطئ اسمه اسم الرسول(صلى الله عليه وآله)يبايعه المسلمون بين الركن والمقام. انتهى.

وهذا يتفق مع ما أخرجه البخاري في صحيحه [4: 154]: في باب «الأمراء من قريش» في أول كتاب الأحكام. ومسلم في الباب نفسه، وغيرهما من أهل الصحاح. كما مرّ عن النبي(صلى الله عليه وآله): «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» وفي بعض الرواية: من بني هاشم كما في «ينابيع المودة».

* * *

المبحث الثالث والستون

في قوله تعالى: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) [العاديات : 1] .

قد جاء فيما نقله بعض المفسرين في تفاسيرهم بأن هذه الآية الشريفة قد نزلت في أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، وذلك حين بعثه النبي (صلى الله عليه وآله) في سرية من السرايا، وكان (صلى الله عليه وآله) قد بعث قبله رجالاً بعد رجال عدّة مرّات وانهزموا ورجعوا خائبين. وقتل من المسلمين عدد كبير كما روى ذلك:

الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [5: 675 ط. بيروت - مؤسسة التاريخ العربي]: قال: قيل: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) سرية إلى حي من كنانة، فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء، فتأخر رجوعهم، فقال المنافقون: قتلوا جميعاً، فأخبر الله عنها بقوله: (والعاديات ضبحاً) عن مقاتل، وقيل: نزلت السورة لما بعث النبي (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) إلى ذات السلاسل فأوقع بهم، وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كل منهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله). وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل. قال: وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنه أسر منهم وقتل وسبي وشد أسراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل.

ولما نزلت السورة، خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الناس فصلّى بهم الغداة، وقرأ فيها: (والعاديات ضبحاً). فلما فرغ من صلاته قال أصحابه: هذه سورة لم نعرفها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نعم، إن علياً ظفر بأعداء الله، وبشّرني بذلك جبرئيل (عليه السلام) في هذه الليلة، فقدم عليّ (عليه السلام) بعد أيام بالغنائم والأسارى.

وفي تفسير الميزان [20: 491 ط. دار الكتب الإسلامية] ذكر في بحثه الروائي ما نقله عن مجمع البيان باللفظ المذكور. وذكر ابن شهر آشوب في مناقبه [3: 140]: في فصل «فيما ظهر منه (عليه السلام) في غزاة السلاسل» قال: قال أبو القاسم بن شبل الوكيل، وأبو الفتح الحفار بإسنادهما عن الصادق (عليه السلام) ومقاتل، والزجاج، ووكيع، والثوري، والسدي، وأبو صالح، وابن عباس: إنه أنفذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر في سبعئة رجل، فلما صار إلى الوادي وأراد الانحدار فخرجوا إليه، فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً، فلما قدموا على النبي (صلى الله عليه وآله) بعث عمر فرجع منهزماً، فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعة، ولعليّ أخدمهم، فبعثه فرجع منهزماً، «وفي رواية» أنه أنفذ خالداً فعاد كذلك، فسأ النبي ذلك فدعا علياً وقال: أرسلته كرّاراً غير فرّار، فشيعه إلى مسجد الأحزاب، فسار بالقوم متنكباً عن الطريق، يسير بالليل ويكمن بالنهار، ثم أخذ عليّ محبّة غامضة، فسار

بهم حتى استقبل الوادي من فمه، ثم أمرهم أن يعكموا الخيل وأوقفهم في مكان. وقال لا تبرحوا، وانتبذ أمامهم وأقام ناحية منهم، فقال خالد، وفي رواية قال عمر: أنزلنا هذا الغلام في واد كثير الحيات والهوام والسباع، إمّا سبع يأكلنا أو يأكل دوابنا، وإمّا حيات تعقرنا وتعقر دوابنا، وإمّا يعلم بنا عدونا فيأتينا ويقتلنا، فكلّموه نعلو الوادي.

فكلّمه أبو بكر فلم يجبه، فكلّمه عمر فلم يجبه، فقال عمرو بن العاص: إنه لا ينبغي أن نضيع أنفسنا، انطلقوا بنا نعلو الوادي، فأبى ذلك المسلمون.

ومن روايات أهل البيت(عليهم السلام): أنه أبت الأرض أن تحملهم، قالوا فلما أحس(عليه السلام)الفجر قال: إركبوا بارك الله فيكم وطلع الجبل حتى إذا انحدر على القوم وأشرف عليهم قال لهم: أتركوا عكمة دوابكم قال: فشمت الخيل ريح الإناث فصهلت فسمع القوم صهيل خيلهم فولّوا هاربين. وفي رواية مقاتل والزجاج: أنه كبس القوم وهم غادون، فقال: يا هؤلاء! أنا رسول الله إليكم، أن تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإلا ضربتكم بالسيف، فقالوا: إنصرف عنا كما انصرف ثلاثة، فإنك لا تقاومنا، فقال(عليه السلام): إنني لا أنصرف، أنا علي بن أبي طالب، فاضطربوا، وخرج إليه الأشداء السبعة، وناصره وطلبوا الصلح، فقال(عليه السلام): إمّا الاسلام وإما المقاومة. فبرز إليه واحد بعد واحد، وكان أشدهم آخرهم، وهو سعد بن مالك العجليّ، وهو صاحب الحصن، فقتلهم فانهزموا، ودخل بعضهم في الحصن وبعضهم استأمنوا وبعضهم أسلموا، وأتوه بمفاتيح الخزائن.

قالت أم سلمة: انتبه النبي(صلى الله عليه وآله) من القيلولة، فقلت: الله جارك مالك؟ فقال: أخبرني جبرئيل بالفتح، ونزلت: **(والعاديّات ضبحاً)** فبشّر النبي(صلى الله عليه وآله) أصحابه بذلك، وأمرهم باستقباله والنبي(صلى الله عليه وآله) تقدمهم، فلما رأى عليّ النبي(صلى الله عليه وآله) ترجّل عن فرسه فقال النبي(صلى الله عليه وآله): إركب فإن الله ورسوله عنك راضيان، فبكى عليّ(عليه السلام) فرحاً، فقال النبي(صلى الله عليه وآله): يا عليّ لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح، «الخبر». انتهى.

وقد أخرج ابن المغازلي هذا الخبر أيضاً، غير أنه قال بأنّ قول النبي(صلى الله عليه وآله) لعليّ لما قدم بفتح خيبر. روى ذلك في «المناقب» [ص237 برقم 285] مسنداً. قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عبيد الله بن القصاب البيّح(رحمه الله)، حدّثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد الجرجرائيّ، حدّثنا أبو الحسن عليّ بن سليمان بن يحيى، حدّثنا عبد الكريم بن عليّ، حدّثنا جعفر بن محمّد بن ربيعة البجليّ، حدّثنا الحسن بن الحسين العرنّيّ، حدّثنا كادح بن جعفر، عن عبد الله بن لهيعة عن عبد الرحمن بن زياد، عن مسلم بن يسار، عن جابر بن عبد الله قال: لمّا قدم عليّ بن أبي طالب بفتح خيبر قال له النبي(صلى الله عليه وآله): يا عليّ لولا أن تقول طائفة من أمّتي، فيك ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً، لا تمرّ بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت رجلك، وفضل طهورك، يستشفّون بهما، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، ترثني وأرثك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت تبرئ

ذمتي، وتستتر عورتني، وتقاتل على سنّتي، وأنت غداً في الآخرة أقرب الخلق منّي، وأنت على الحوض خليفتي، وإنّ شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي، أشفع لهم ويكونون في الجنة جيرانني، وإن حربك حربي وسلمك سلمي، وسريرتك سريرتي، وعلايتك علانيتي وإن ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني وأنت تنجز وعدي، وإن الحق على لسانك وفي قلبك ومعك وبين يديك ونصب عينيك، الإيمان مخالط لحكمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، لا يرد عليّ الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محب لك. فخرّ عليّ (عليه السلام) ساجداً وقال: الحمد لله الذي منّ عليّ بالأسلام، وعلمني القرآن، وحبّني إلى خير البرية، وأعزّ الخليفة، وأكرم أهل السماوات والأرض على ربّه، وخاتم النبيين وسيّد المرسلين وصفوة الله في جميع العالمين. إحساناً من الله العليّ إليّ، وتفضلاً منه عليّ.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): لولا أنت يا عليّ ما عرف المؤمنون بعدي. لقد جعل الله جلّ وعزّ نسل كل نبي من صلبه، وجعل نسلي من صلبك، يا عليّ فأنت أعزّ الخلق وأكرمهم عليّ وأعزّهم عندي، ومحبك أكرم من يرد عليّ من أمتي.

قال الفاضل محمد باقر البهبودي في تعليقه على الكتاب: أخرجه ابن حاتم في «علل الحديث» [1]: 313 والكراجكي في «كنز الفوائد» [ص281]. والخوارزمي في «مقتل الحسين» وفي المناقب [ص245 و ص77]. والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» [ص263] والهيثمي في «مجمع الزوائد» [9: 131] وابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج» [2: 339] وقال: ذكره أحمد بن حنبل في مسنده. انتهى.

وذكر الإمام المظفر في «دلائل الصدق» [2: 156] عن الحلّي في قوله تعالى: (والعاديات) قال: أقسم الله تعالى بخيل جهاده في غزوة السلسلة لما جاء جماعة من العرب واجتمعوا على وادي الرملة لبيّئتوا النبي (صلى الله عليه وآله) بالمدينة، فقال النبي لأصحابه: من لهؤلاء؟ فقام جماعة من أهل الصفة فقالوا: نحن، فولّ علينا من شئت، فأقرع بينهم فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم.

فأمر أبا بكر بأخذ اللواء، والمضي إلى بني سليم وهم ببطن الوادي، فهزموهم وقتلوا جمعاً كثيراً من المسلمين وانهزم أبو بكر. وعقد لعمر وبعثه فهزموه، فساء النبي (صلى الله عليه وآله) فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله، فأنفذه، فهزموهم وقتلوا جماعة من أصحابه، وبقي النبي (صلى الله عليه وآله) أياماً يدعو عليهم.

ثم طلب أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعثه إليهم، ودعا له وشيّعه إلى مسجد الأحزاب. وأنفذ معه جماعة منهم أبو بكر وعمر وعمرو بن العاص، فسار الليل وكمن النهار حتى استقبل الوادي من فمه، فلم يشك عمرو بن العاص أنه يأخذهم، فقال لأبي بكر: هذه أرض سباع وذئاب، وهي أشدّ علينا من بني سليم، والمصلحة أن نعلو الوادي، وأراد إفساد الحال، وقال: قل ذلك لأمرير المؤمنين (عليه السلام) فقال له أبو بكر، فلم يلتفت (عليه السلام) إليه، ثم قال لعمر فلم يجبه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكبس على القوم الفجر فأخذهم، فأنزل الله تعالى: (والعاديات ضبحاً) السورة. واستقبله النبي (صلى الله عليه وآله) فنزل أمير المؤمنين وقال له النبي (صلى الله عليه وآله): لو لا أن أشفق أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في

المسيح، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك، إركب فإن الله ورسوله
عنك راضيان.

قال الإمام المظفر: وقد ورد مضمون هذا الخبر في جملة من أخبار القوم فضلاً عن أخبارنا. فقد
حكاه في «ينابيع المودة» عن أحمد في مسنده من طريقين، وكذا عن موفق ابن أحمد «الخوارزمي»،
وقال الشافعي فيما نسب اليه:

لو ان المرتضى أبدى محله *** لصار الخلق طراً سجّداً له
كفى في فضل مولانا عليّ *** وقوع الشك فيه أنه الله

* * *

المبحث الرابع والستون

في قوله تعالى: (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصرَ بيوتاً) [يونس: 87].

قال السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [3: 314] لدى تفسير الآية: وأخرج ابن عساكر عن أبي رافع (رضي الله عنه): أن النبي (صلى الله عليه وآله) خطب فقال: إن الله أمر موسى وهارون أن يتبوءا لقومهما بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقرّبا فيه النساء إلا هارون وذريته، ولا يحلّ لأحد أن يقرب النساء في مسجدي هذا، ولا يبيت فيه جنب إلا علي وذريته.

وأخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص 252 برقم 301]: أخبرنا أحمد بن محمد إجازة، قال: حدّثنا عمر بن شاذب، حدّثنا أحمد بن عيسى بن الهيثم، حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، حدّثنا عليّ بن عيَّاش، عن الحارث ابن حصيرة، عن عديّ بن ثابت قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المسجد فقال: إن الله أوحى إلى نبيه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا موسى وهارون وابنا هارون، وإن الله أوحى إليّ أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وعليّ وابنا عليّ.

قال الفاضل محمد باقر البهبودي في تعليقاته على الكتاب المذكور: وأخرجه الشيخ عبد الله الشافعي في مناقبه المخطوط. وأخرجه الشيخ عبيد الله الحنفي الأمرتسري في «أرجح المطالب» [ص 416 ط. لاهور] بعين السند واللفظ، كلاهما من طريق مؤلفنا ابن المغازلي الشافعي. وأخرجه العلامة السيوطي في «الخصائص» [2: 343] بالإسناد عن أبي حازم الأشجعي، وأخرجه ابن عساكر عن أبي رافع «وقد مر ذكره» وهكذا أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» [ص 284] من طريق الحافظ ابن عساكر. وأخرج ابن المغازلي أيضاً في [ص 299] من الكتاب المذكور برقم [343] مسنداً قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن الله عزّوجلّ أوحى إلى موسى (عليه السلام) أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يكون فيه غير موسى وهارون وابني هارون شبراً وشبيراً، وأن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً، لا يكون فيه غيري وغير أخي عليّ وغير ابني الحسن والحسين (عليهم السلام). «انتهى».

أقول: وقد روى هذا الحديث ونحوه عدّة من الأئمة وكبار المحدثين وحملته السنن في صحاحهم ومسانيدهم، كما نقل عنهم السيد الشريف مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في كتابه القيم «فضائل الخمسة» [2: 156] فمنها:

صحيح الترمذي [2: 300] روى بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): يا عليّ! لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك.

سنن البيهقي [7: 65] روى بسنده عن أم سلمة قالت: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوجّه هذا المسجد فقال: ألا لا يحلّ هذا المسجد لجنب ولا لحائض إلا لرسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بينت لكم الأسماء أن لا تضلّوا.

وقال المؤلف السيد مرتضى: ورواه بطريق آخر عن أم سلمة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ (عليه وآله): ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء. وكل جنب من الرجال إلا على محمّد وأهل بيته: عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

ثم إنّ الطريقتين المذكورين قد ذكرهما المتقي أيضاً في «كنز العمال» [6: 217]: قال في أولهما: أخرجه البيهقي وابن عساكر، وقال في ثانيهما: أخرجه البيهقي.

وفي «كنز العمال» [1: 159] قال (صلى الله عليه وآله): لا ينبغي لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا أنا أو عليّ قال: رواه الطبراني عن أم سلمة.

وفي «مجمع الزوائد» [9: 115] للهيتمي قال: عن خارجة بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ: لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. وقال: رواه البزار.

وقال المؤلف: وذكره ابن حجر أيضاً في صواعقه [ص73] وقال أيضاً: أخرجه البزار، وفي «فتح الباري» في شرح البخاري [8: 16] قال: أخرج إسماعيل القاضي في أحكام القرآن، من طريق المطلب بن عبدالله بن حنطب، أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يأذن لأحد أن يمرّ في المسجد وهو جنب إلا لعليّ بن أبي طالب لأن بيته كان في المسجد.

وفي «الصواعق» لابن حجر [ص121] قال في الحديث الثالث عشر: أخرج البزار عن سعد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ: لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. انتهى.

وقد ذكره السيوطي أيضاً في كتابه «تأريخ الخلفاء» [ص115 ط. المنيرية سنة 1351].

المبحث الخامس والستون

في قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ)

[الفتح: 29].

نقل السيد المرتضى الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [2: 208] عن «تأريخ بغداد» للخطيب البغدادي [3: 153] أنه روى بسنده عن أبي الأحوص. قال: كنا عند ابن مسعود فتلا ابن عباس هذه الآية: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) وساق الحديث إلى أن قال ابن عباس: (يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار): عليّ بن أبي طالب. كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيبغضهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

أقول: وقد روى الحديث جمع كثيرون من أساطين المحدثين وحملة السنن في صحاحهم ومسانيدهم كما نقل عنهم السيد الفاضل الحسيني في كتابه المذكور. فمنهم:

الترمذي في صحيحه [2: 299] روى بسنده عن أبي سعيد قال: إنا كنا لنعرف المنافقين «نحن معشر الأنصار» بيبغضهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

قال المرتضى الحسيني: رواه أبو نعيم أيضاً في «حلية الأولياء» [6: 294].

وفي صحيح الترمذي أيضاً [2: 299] روى بسنده عن المساور الحميري عن أمّه قالت: دخلت على أم سلمة فسمعتها تقول: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا يحب علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن. قال: وفي الباب عن عليّ (عليه السلام). قال المؤلف: رواه أحمد بن حنبل في مسنده [6: 292].

وفي «المستدرک» للحاكم [3: 129] روى بسنده عن أبي عبد الله الجدليّ عن أبي ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وقال الحسيني: وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [6: 39] وقال: أخرجه الخطيب في «المتفق».

وذكره المحب الطبري أيضاً في «الرياض النضرة» [2: 214]: وقال: أخرجه ابن شاذان.

وفي «مشكل الآثار» للطحاوي [1: 50] روى بسنده عن عمران بن حصين قال: خرجت يوماً فإذا أنا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لي: يا عمران! إن فاطمة مريضة، فهل لك أن تعودها؟ قال: قلت: فذاك أبي وأمي، وأي شيء أشرف من هذا؟ قال (صلى الله عليه وآله): انطلق، فانطلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانطلقت معه حتى أتى الباب، فقال: السلام عليكم، أدخل؟ «فساق الحديث» وفي آخره قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة: لقد زوجتك سيّداً في الدنيا وسيّداً في الآخرة، لا يبغضه إلا منافق.

قال الحسيني: وذكره المحب الطبري أيضاً في «ذخائر العقبى» [ص43] وقال: خرّجه الحافظ أبو القاسم الدمشقي في «فضل فاطمة».

وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر [2: 464] قال: وروى عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

قال السيد الحسيني: وذكره الهيثمي أيضاً في «مجمع الزوائد» [9: 132] وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» والبخاري بنحوه، إلا أنه قال: ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار. وذكره المحب الطبري أيضاً في «الرياض النضرة» [2: 214] وقال أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي «الدر المنثور» للسيوطي في ذيل تفسير قوله تعالى: (إن الذين ارتدّوا على أديبارهم) في آخر سورة محمد، «ويقال لها سورة القتال أيضاً» قال: وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ببغضهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

وفي «كنز العمال» للمتقي [6: 158] قال: لا يبغض علياً مؤمن ولا يحبه منافق. قال: أخرجه ابن أبي شيبه عن أم سلمة.

وقال أيضاً ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: (ولتعرفنهم في لحن القول) [محمد: 30] قال: ببغضهم علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وفي «كنز العمال» أيضاً [6: 158] قال: لا يحب علياً إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق وقال: أخرجه الطبراني عن أم سلمة.

وفي «مجمع الزوائد» للهيتمي [9: 133] قال: وعن ابن عباس قال: نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى عليّ (عليه السلام) فقال: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق، من أحبك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبي حبيب الله، وبغيضي بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي. قال: رواه الطبراني في «الأوسط».

وفي «مجمع الزوائد» [9: 133] قال: وعن عمران بن الحصين أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام): لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

قال: رواه الطبراني في الأوسط.

وفي «الرياض النضرة» للطبري [2: 214] قال: وعن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا أيها الناس! أوصيكم بحب ذي قرنيها، أخي وابن عمي عليّ بن أبي طالب، فإنه مئّي لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني. قال: أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي «كنوز الحقائق» للمناوي [ص63] قال: حب عليّ براءة من النفاق. قال: أخرجه الديلمي.

وفي «الرياض النضرة» أيضاً [2: 214] قال: عن الحارث الهمداني قال: رأيت علياً (عليه السلام) على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قضاء قضاءه الله عزّوجلّ على لسان نبيكم، النبي الأمي (صلى الله عليه وآله) أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق. قال: أخرجه ابن فارس.

وفي «نور الأبصار» للشبلنجي [ص90] قال: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): حبك إيمان، وبغضك نفاق، وأول من يدخل الجنة محبك، وأول من يدخل النار مبغضك.

ومنها: ما ذكره الهيثمي أيضاً في «مجمع الزوائد» [9: 132] قال: وعن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشية عرفة فقال: إن الله تعالى باهى بكم وغفر لكم عامة، ولعلي (عليه السلام) خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محاب لقرايتي، هذا جبريل يخبرني: أن السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته، وأن الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد موته. قال رواه الطبراني. وقال المؤلف السيد الحسيني: وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [6: 400] وقال: أخرجه الطبراني، والبيهقي في «فضائل الصحابة» وابن الجوزي.

ومنها: ما ذكره الطبري في «الرياض النضرة» [2: 189] قال: وعن أبي بكر قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وليّ لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة.

وفي «صحيح مسلم» في كتاب الإيمان، في باب الدليل على حب الأنصار وعلي (عليه السلام) من الإيمان، روى بسنده عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي (عليه السلام): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمي إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق.

قال المؤلف السيد الحسيني: ورواه الترمذي أيضاً في صحيحه [2: 301] والنسائي أيضاً في صحيحه [2: 271] بطريقين وفي خصائصه [ص27] بثلاثة طرق، وابن ماجه أيضاً في صحيحه [ص12] وأحمد بن حنبل أيضاً [1: 84 - 95 - 128] في مسنده والخطيب البغدادي في تاريخه [2: 255] وفي [8: 417] وفي [14: 426] وأبو نعيم في حليته [4: 185] بثلاثة طرق عن عدي بن ثابت عن زر، ثم قال: هذا حديث صحيح متفق عليه. ثم ذكر جمعاً كثيراً ممن روى هذا الحديث عن عدي بن ثابت. وذكره المتقي أيضاً في كنز العمال [6: 394] وقال: أخرجه الحميدي، وابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، والعدني، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، وأبو نعيم، وابن أبي حاصم.

ثم قال المؤلف السيد الحسيني: وذكره المحب الطبري أيضاً في الرياض النضرة [2: 214] وقال أخرجه أبو حاتم.

المبحث السادس والستون

في قوله تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) [الاحزاب: 6].

قال السيوطي في تفسيره [5: 182] في ذيل الآية : أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والنسائي عن بريدة(رضي الله عنه) قال: غزوت مع عليّ اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذكرت علياً فتنقّصته، فرأيت وجه رسول الله(صلى الله عليه وآله) تغير وقال: يا بريدة! أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

أقول: والروايات في الباب كثيرة عديدة، والأخبار فيه متعددة متواردة، وقد أثبتتها السيد العلامة البحّثة الفاضل مرتضى الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [1: 349-384] عن أعيان المحدثين ما لا يستهان بهم، منهم:

الإمام أحمد بن حنبل في مسنده [4: 372] روى بسنده عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) بواد يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظلل لرسول الله(صلى الله عليه وآله) بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: أأنت تعلمون؟ أولستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه.

قال المؤلف: رواه في [4: 372] بلفظ آخر، عن ميمون أبي عبد الله قال: كنت عند زيد بن أرقم، فجاء رجل من أقصى الفسطاط فسأله، فقال: إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، قال ميمون: فحدثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» [9: 104] عن عمر ذي مر، وزيد بن أرقم قال: خطب رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوم غدیر خم فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً [4: 368] روى بسنده عن عطية العوفي قال: سألت زيد بن أرقم فقلت له: إن ختناً لي حدثني عنك بحديث في شأن عليّ(عليه السلام) يوم غدیر خم، فأنا أحب أن أسمعه منك، فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت له: ليس عليك مني بأس، قال: نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله(صلى الله عليه وآله) إلينا ظهراً وهو أخذ بعضد عليّ(عليه السلام) فقال: يا أيها الناس! أأنت تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، قال: فقلت: هل قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟ قال: إنما أخبرك كما سمعت.

وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [6: 390] وقال: عن عطية العوفي، عن زيد بن أرقم، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذ بعضدي عليّ (عليه السلام) يوم غدير خم بأرض الجحفة ثم قال: أيها الناس أستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، قال: أخرجه ابن جرير.

وفي صحيح ابن ماجة في باب «فضائل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)» [ص12] روى بسنده عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق فأمر بالصلاة جامعة، فأخذ بيد عليّ (عليه السلام) فقال: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أأست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا وليّ من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه.

قال الحسيني: ورواه أحمد بن حنبل في مسنده [4: 281] وهذا لفظه: قال البراء: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سفر، فنزلنا بغدير خم فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تحت شجرتين فصلّى الظهر، وأخذ بيد عليّ (عليه السلام) فقال: أأستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أأستم تعلمون أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد عليّ (عليه السلام) وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وفي «خصائص النسائي» [ص25] روى بسنده عن سعد قال: أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد عليّ (عليه السلام) فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألم تعلموا أنني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: نعم صدقت يا رسول الله، ثم أخذ بيد عليّ (عليه السلام) فرفعها فقال: من كنت وليّ فهذا وليّ، وإن الله ليوالي من والاه، ويعادي من عاداه.

وفي «خصائص النسائي أيضاً» [ص25] روى بسنده عن سعد قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطريق مكة، وهو متوجه إليها، فلما بلغ غدير خم وقف الناس، ثم رد من سبقه، ولحقه من تخلف، فلما اجتمع الناس إليه قال: أيها الناس من وليّكم؟ قالوا: الله ورسوله، ثلاثاً، ثم أخذ بيد عليّ (عليه السلام) فأقامه، ثم قال: من كان الله ورسوله وليّ، فهذا وليّ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وفي «كنز العمال» [6: 397] قال: عن عليّ (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت وليّة فهو وليّ.

وفي «كنز العمال أيضاً» [6: 399] قال: عن عليّ (عليه السلام): أن النبي (صلى الله عليه وآله) حضر الشجرة بخم، ثم خرج أخذاً بيد عليّ فقال: أيها الناس، أأستم تشهدون أن الله ربكم؟ قالوا: بلى، قال: أأستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كان الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده. كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم، وأهل بيتي. قال أخرجه ابن جرير، وابن أبي عاصم، والمحاملي في أماليه وصححه.

وفي «مشكل الآثار» للطحاوي [2: 307] روى بسنده عن محمد بن عمر بن عليّ (عليه السلام) عن أبيه عليّ (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) حضر الشجرة بخم، فخرج آخذاً بيد عليّ (عليه السلام) فقال: يا أيها الناس! أستم تشهدون أن الله ربكم؟ قالوا: بلى، قال: أستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله بأيديكم، وأهل بيتي.

وأخرج ابن المغازلي في مناقبه [ص18] قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن طوان قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن الحسين «ابن السماك» قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخدي، حدثنا علي بن سعيد بن قتيبة الرملي، حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي، عن ابن شاذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة خلت من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد عليّ بن أبي طالب فقال: ألتست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا عليّ بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن فأنزل الله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم) [المائدة: 3].

وفي «الصواعق» لابن حجر [ص25 ط. الميمنية] قال: هذا الحديث وغيره عند الطبراني وغيره بسند صحيح أنه (صلى الله عليه وآله) خطب بغدير خم تحت شجرات فقال: أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، وإني لأظن أني يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهت ونصحت، فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله؟ وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن نارَه حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، «ثم قال»: يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولا فهذا مولا «يعني علياً» اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

«ثم قال»: يا أيها الناس إني فرطكم، وإنكم واردون عليّ الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ، سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليّ الحوض.

وفي «خصائص النسائي» [ص21] روى بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع ونزل غدیر خم، أمر بدوحات فقمم ثم قال: كأني دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، «ثم قال»: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم إنه أخذ

بيد عليّ (عليه السلام) فقال: من كنت وليّ هذا فهذا وليّ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال: وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه.

وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [6: 390]: وقال: أخرجه ابن جرير، ثم قال عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مثل ذلك، أخرجه ابن جرير أيضاً.

وفي «كنز العمال» [1: 48]: بلفظ: إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي كان قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنت قائلون؟ قالوا: نصحت، قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث بعد الموت حق؟ قالوا: نشهد. قال: وأنا أشهد معكم، ألا تسمعون؟ إني فرطكم على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وأن عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقذاح بعدد النجوم من الفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تفلتوا، والآخر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، من كنت أولى به من نفسه فعليّ وليّ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: رواه الطبراني في الكبير عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم.

وفي «الرياض النضرة» للطبري [2: 169] قال: وعنه «أي عن رياح» قال: بينما عليّ جالس إذ جاء رجل فدخل، عليه أثر السفر، فقال: السلام عليك يا مولاي، قال: من هذا؟ قال: أبو أيوب الأنصاري، فقال عليّ (عليه السلام): أفرجوا له ففرجوا، فقال أبو أيوب: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه. قال: أخرجه البغوي في معجمه.

وفي «أسد الغابة» لابن الأثير [3: 47 ط. دار الشعب] روى بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد عليّ (صلى الله عليه وآله) الناس في الرحبة: من سمع النبي (صلى الله عليه وآله) يوم غدير خم ما قال إلا قام، ولا يقوم إلا من سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول، فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري، وأبو عمرة بن عمرو بن محسن، وأبو زينب، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله بن ثابت الأنصاري، وحبشي بن جنادة السلولي، وعبيد بن عازب الأنصاري، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وثابت بن دبيعة الأنصاري، وأبو فضالة الأنصاري، وعبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ألا إن الله عزّ وجلّ وليّ. وأنا وليّ المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبه، وبغض من أبغضه، وأعن من أعانه.

وفي «الإصابة» [2: 248 ط. دار الكتاب العربي] للعسقلاني قال: وأورد ابن مندة من طريق عمرو بن عبدالله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جدّه قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فلما قدم عليّ (عليه السلام) الكوفة نشد الناس فانتشد سبعة عشر رجلاً، منهم عامر بن ليلى الغفاري،

وذكره أيضاً ابن الأثير الجزري في «أسد الغابة» [3: 139 ط. دار الشعب] وقال فيه بعد قوله (صلى الله عليه وآله): من كنت مولاه فعلي مولاه: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وفي دلائل الصدق أيضاً ما رواه صاحب «المواقف» وشارحها، والقوشجي في «شرح التجريد» أن النبي أحضر القوم بغدير خم، وأمر بجمع الرجال فصعد عليها وقال لهم: ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله.

وأخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه ص25 ط. برقم 37 ط. المكتبة الإسلامية - طهران قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن طوان، قال: حدثنا الحسين بن محمد العلوي العدل، قال: حدثنا علي بن عبد الله بن مبشر، قال: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة وبكر بن سودة عن قبيصة بن ذؤيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزل بخم، فتنحى الناس عنه، ونزل معه علي بن أبي طالب، فشق على النبي (صلى الله عليه وآله) تأخر الناس فأمر علياً فجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم متوسداً علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه قد كرهت تخلفكم عني حتى خيل إلي أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني، ثم قال: لكن علي بن أبي طالب أنزله الله مني بمنزلة مني، فرضي الله عنه كما أنا عنه راض، فإنه لا يختار على قربي ومحبتي شيئاً، ثم رفع يديه وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال: فابتدر الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقولون: يا رسول الله، ما تنحينا عنك إلا كراهية أن ننقل عليك، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسخط رسول الله. فرضي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنهم عند ذلك.

وقال: الطبرسي في «مجمع البيان» [4: 440 ط. مؤسسة التاريخ العربي - بيروت] لدى تفسيره النظمي في قوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)⁽¹⁾ الآية: وأصل الولاية لله تعالى كما قال: (هنالك الولاية لله)⁽²⁾ فلاحظ فيها لأحد إلا لمن ولاه سبحانه. وإلى هذا المعنى أشار النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير في قوله: ألسنت أولى بكم منكم بأنفسكم؟ فلما قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، والمولى بمعنى الأولى، بدلالة قوله: (مأواكم النار هي مولاكم)⁽³⁾ أي أولى بكم.

أقول: ولعل من المناسب بالمقام الذي نحن بصدده أن نعقد هنا ما ذكره الحافظ الشهير محمد بن علي بن شهر آشوب المتوفى [سنة 588] في مناقبه [1: 251 - 252].

قال: سأل حمران بن أعين يحيى بن أكثم عن قول النبي (صلى الله عليه وآله) حيث أخذ بيد علي (عليه السلام) وأقامه للناس فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، أبأمر من الله تعالى ذلك أم برأيه؟ فسكت عنه

(1) الأحزاب: 6.

(2) الكهف: 44.

(3) الحديد: 15.

حتى انصرف، فقيل له في ذلك، فقال: إن قلت برأيه نصبه للناس خالفت قول الله تعالى: (وما ينطق عن الهوى)⁽⁴⁾ وإن قلت بأمر الله تعالى ثبتت إقامته، قال: فلم خالفوه واتخذوا ولياً غيره؟ قال البشوي:

يا مصرف النص جهلاً عن أبي حسن *** باب المدينة عن ذي الجهل مقفول
مولى الأنام عليّ والولي معاً *** كما تفوّه عن ذي العرش جبريل
وقال ابن العودي النيلي:

وكل نبي جاء قبلي وصيّهُ *** مطاع وأنتم للوصي عصيتم
فعلكم في الدين أضحى منافياً *** لفعلي وأمري غير ما قد أمرتم
وقلتم مضى عنا بغير وصية *** ألم أوص لو طاوعتُم وعقلتم
وقد قلت من لم يوص من قبل موته *** يمت جاهلاً بل أنتم قد جهلتم
نصبت لكم بعدي إماماً يدلّكم *** على الله فاستكبرتم وضللتم
وقد قلت في تقديمه وولائه *** عليكم بما شاهدتم وسمعتم
عليّ غدا مئّي محلاً وقربةً *** كهارون من موسى فلم عنه حلتم
عليّ رسولي فاتبعوه فإنه *** وليّكم بعدي إذا غبت عنكم

ومما يناسب المقام ذكره، ما رواه المؤلف في [ص258] محاورة أبي الحسن الرقا مع ابن رامين الفقيه، وذلك: قال أبو الحسن الرقا لابن رامين الفقيه: لما خرج النبي(صلى الله عليه وآله) من المدينة ما استخلف عليها أحداً؟ قال: بلى استخلف علياً. قال: وكيف لم يقل(صلى الله عليه وآله) لأهل المدينة: اختاروا فإنكم لا تجتمعون على الضلال، قال: خاف عليهم الخلف والفتنة. قال: فلو وقع بينهم فساد لأصلحه عند عودته، قال: هذا أوثق، قال: أفاستخلف أحداً بعد موته قال: لا، قال: فموته أعظم من سفره، فكيف أمن على الأمة بعد موته ما خافه في سفره وهو حي؟ فقطعه.

* * *

المبحث السابع والستون

في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) [المطففين: 29 - 30].

نقل السيد مرتضى الحسيني في «فضائل الخمسة» [1: 290] عن الزمخشري في الكشاف [4: 724 ط. دار الكتاب العربي] في تفسيره هذه الآية قال: وقيل: جاء عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في نفر من المسلمين، فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع، وضحكوا منه، فنزلت قبل أن يصل عليّ (عليه السلام) إلى رسول الله (عليه السلام). قال المؤلف: وذكره الفخر الرازي أيضاً في تفسيره الكبير [31: 101 ط. دار احياء التراث العربي].

وقال الطبرسي في «مجمع البيان» [9 - 10: 457]: وقيل نزلت في عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وذلك أنه كان في نفر من المسلمين جاءوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فنزلت الآية قبل أن يصل عليّ (عليه السلام) وأصحابه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) عن مقاتل والكلبي.

وذكر الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب «شواهد التنزيل» بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس قال: (إن الذين أجرموا) منافقو قريش، و (الذين آمنوا): عليّ ابن أبي طالب وأصحابه.

وذكر أيضاً السيد الطباطبائي في «الميزان» [20: 240] في بحثه الروائي عن «مجمع البيان» في قوله تعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) ما رواه الطبرسي عن مقاتل والكلبي. وأيضاً ما ذكره الحسكاني عن أبي صالح وابن عباس.

أقول: وقد استفاضت الأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله) فيمن سبّ علياً (عليه السلام) فكأنما سبّ النبي (صلى الله عليه وآله)، كما نقل إلينا جمع من أعظم العلماء والمحدثين في صحاحهم ومسانيدهم، منهم:

الحاكم في «مستدرك الصحيحين» [1: 121] فيما نقل عنه السيد المفضل مرتضى الحسيني الفيروز آبادي في كتابه النفيس «فضائل الخمسة» [2: 223] روى بسنده عن أبي عبد الله الجدلي قال:

دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيكم؟ فقلت: معاذ الله، أو سبحانه الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من سب علياً فقد سبني. قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد.

وقال المؤلف: رواه أحمد بن حنبل في مسنده [6: 323] والنسائي في خصائصه [ص24].

وفي «المستدرک أيضاً» [3: 121] روى بسنده عن أبي عبد الله الجدلي يقول: حجبت وأنا غلام فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنق واحد، فأبتعتهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أماء، قالت: يسب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ناديك؟ قال: وأنى ذلك؟ فقالت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله.

وذكره المتقي الهندي أيضاً في «كنز العمال» [6: 401] وقال: أخرجه ابن شعبة.

وفي «ذخائر العقبى» للطبري [ص66] قال: وعن ابن عباس قال: أشهد بالله لسمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله عز وجل أكبه الله على منخره.

وفي «الرياض النضرة للطبري أيضاً» [2: 166] قال: وعن ابن عباس أنه مرّ بعدما حجب بصره بمجلس من مجالس قریش، وهم يسبون علياً (عليه السلام)، فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال: سيوا علياً (عليه السلام) قال: فردّني إليهم؛ فردّه، قال: أيكم الساب لله؟ قالوا: سبحان الله من سب الله فقد أشرك، قال: أيكم الساب لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قالوا: سبحان الله من سب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد كفر، قال: فأأيكم الساب لعلي (عليه السلام)؟ قالوا: أما هذا فقد كان، قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله عز وجل، ومن سب الله عز وجل أكبه الله على منخره. ثم تولى عنهم فقال لقائده: ما سمعتهم يقولون؟ قال: ما قالوا شيئاً، قال: فكيف رأيت وجوههم حيث قلت ما قلت؟ قال:

نظروا إليك بأعين محمّرة *** نظر التيوس إلى شفار الجازر

قال: زدني فذاك أبي وأمي قال:

جزر الحواجب ناكسي أذقانهم *** نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فذاك أبي وأمي، قال: ما عندي غيرهما، قال: لكن عندي:

أحياؤهم حزني على أمواتهم *** والميتون مسبة للغابر

وفي مناقب ابن شهر آشوب [3: 221]: فقال ابن عباس:

سبوا الإله وكذبوا بمحمد *** والمرضى ذاك الوصي الطاهر

أحياؤهم خزي على أمواتهم *** والميتون فضيحة للغابر

وقال العبدى:

وقد روى عكرمة في خبر *** ما شك فيه أحد ولا امترى

مرّ ابن عباس على قوم وقد *** سبوا علياً فاستراع وبكى

وقال مغتاضاً لهم أيكم *** سب إله الخلق جلّ وعلا

قالوا معاذ الله قال أيكم *** سب رسول الله ظلماً واجترى

قالوا معاذ الله قال أيكم *** سب علياً خير من وطئ الحصى

قالوا نعم قد كان ذا فقال قد *** سمعت والله النبي المجتبى

يقول من سب علياً سبني *** وسبني سب الإله واكتفى

وفي «فضائل الخمسة» [2: 225]: قال المتقي الهندي في «كنز العمال» [6: 405]: قال: عن أبي صادق قال: قال عليّ (عليه السلام): حسبي حسب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وديني دينه، فمن تناول مني شيئاً فإنما تناوله من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال: أخرجه الخطيب في «المتفق» وابن عساكر.

وفيه أيضاً ما ذكره الهيثمي في مجمع [9: 129] قال: وعن أبي بكر بن خالد بن عرفة: أنه أتى سعد بن مالك فقال: بلغني أنكم تعرضون على سب عليّ بالكوفة، فهل سببته؟ قال: معاذ الله، والذي نفس سعد بيده لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في عليّ شيئاً، لو وضع المنشار على مفريقي ما سببته أبداً.

قال رواه أبو يعلى وإسناده حسن.

أقول وبالله بالتوفيق: كيف لا يكون سبه (عليه السلام) سباً للنبي (صلى الله عليه وآله) وقد أخبرنا الله بكل وضوح في آية المباهلة بأنه (عليه السلام) نفس النبي (صلى الله عليه وآله) واتفقت على ذلك كلمة أهل التفسير على اختلاف مذاهبهم. ولو لم يكن لنا ما دلّ على أن علياً (عليه السلام) هو نفس الرسول (صلى الله عليه وآله) سوى هذه الآية الكريمة لكانت كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ومع ذلك فقد كان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يقول في معرض الإنذار لأقوام: لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً هو عندي كنفي. فليضربن أعناق مقاتليهم وليسبن ذراريهم، قال: فرأى الناس أنه يعني أبا بكر أو عمر فأخذ بيد عليّ (عليه السلام) فقال: هذا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

قال المؤلف: وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» [6: 415] والهيثمي في مجمع [9: 134] وقال: رواه أبو يعلى. وذكره في [ص163] وقال: رواه البزار.

وفي «خصائص النسائي» [ص89 ط. نينوى الحديثة - طهران] روى بسنده عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ عليهم رجلاً كنفي، ينفذ فيهم أمري، فيقتل المقاتلة، ويسبي الذرية. قال أبي بن كعب: فما راعني إلا وكف عمر في حذرتي من خلفي، وقال: من يعني؟ قلت: إياك يعني وصاحبك، قال: فمن يعني؟ قلت: خاصف النعل، قال: وعليّ يخصف النعل.

قال المؤلف: وكان أبي قد استهزأ بعمر أولاً، فقال له: إياك يعني وصاحبك، فأحس بذلك عمر وأنه قد استهزأ به، فاستفهمه ثانياً، فبين له على وجه الجد أنه (صلى الله عليه وآله) يعني علياً (عليه السلام). وذكر مثله الطبري في «الرياض النضرة» [2: 164]: عن زيد ابن نفع، وقال: أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي «الكشاف للزمخشري» في تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ

فتبينوا) [الحجرات: 6].

قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه، «إلى أن قال» مصدقاً إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له، فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله): قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم فوردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم فقال (صلى الله عليه وآله): لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلاً هو عندي كنفي، يقاتل مقاتلكم ويسبي ذراريكم، ثم ضرب بيده على كتف علي (عليه السلام).

وفي «مجمع الزوائد» للهيتمي [7: 110] قال: وعن جابر بن عبد الله قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوليد بن عقبة إلى بني وليعة، وساق الحديث إلى أن قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفي يقتل مقاتلهم ويسبي ذراريهم، وهو هذا، ثم ضرب بيده على كتف علي بن أبي طالب (عليه السلام). الحديث. قال: رواه الطبراني في «الأوسط».

وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر [2: 464] قال: وروى معمر عن طاووس عن أبيه عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لوفد ثقيف حين جاءه: لتسلمن أو لأبعثن رجلاً مثل نفسي، فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم. قال عمر: فوالله ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب صدري له، رجاء أن يقول: هو هذا، قال: فالتفت إلى علي فأخذ بيده، ثم قال: هو هذا. وذكره الطبري أيضاً في الرياض النضرة [2: 164] وقال فيه: رجلاً مني، أو قال: رجلاً مثل نفسي، وقال في آخره: هو هذا، هو هذا مرتين.

قال السيد المؤلف: وفي روايات أخرى ما يناسب ذكرها:

أحدها: ما رواه الحاكم في «المستدرک» [3: 126] روى بسنده عن ابن عباس أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال في خطبته في حجة الوداع: لأقتلن العمالة في كتيبة، فقال جبرئيل (عليه السلام): أو علي، قال (صلى الله عليه وآله): أو علي بن أبي طالب.

وثانيها: ما ذكره الطبري في «الرياض النضرة» [2: 164] قال: وعن أنس بن مالك قال: قال (صلى الله عليه وآله): ما من نبي إلا وله نظير في أمته. وعليّ نظيري. قال: أخرجه القلي.

وثالثها: ما ذكره المناوي في «فيض القدير» [4: 356]: في المتن، وذكره المتقي في «كنز العمال» في [11: 602 ط. مؤسسة الرسالة] تحت رقم 32908: عليّ أصلي وجعفر فرعي.

قالا: رواه الطبراني، والضياء عن عبدالله بن جعفر. انتهى.

فهذه بعض الروايات الدالة على كون علي (عليه السلام) نفسه صلوات الله عليه وآله، وقد نقلت إلينا عن الرواة الثقات البارزين، واقتصرنا على القدر المذكور على سبيل التبرك، ولنذكر الآن ما ورد من الأخبار ما يتضمن فيها قوله عليه الصلاة والسلام: «عليّ مني وأنا من عليّ»:

صحيح البخاري في الصلح في باب «يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان» روى بسنده عن البراء بن عازب قال: اعتمر النبي (صلى الله عليه وآله) في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى

قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا نفرّ بها، فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، ولكن أنت محمد بن عبدالله، قال (صلى الله عليه وآله): أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله، ثم قال لعليّ (عليه السلام): امح رسول الله، قال (عليه السلام): لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول (صلى الله عليه وآله) الكتاب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله، لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب، وأن لا يخرج أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه إن أراد أن يقيم بها. فلما دخلها ومضى الأجل، أتوا علياً (عليه السلام) فقالوا: قل لصاحبك فقد مضى الأجل، فخرج النبي (صلى الله عليه وآله) فتبعتهم ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم فتناولها عليّ (عليه السلام) فأخذ بيدها وقال لفاطمة (عليها السلام): دونك ابنة عمك فحملتها، فاختم فيها علي وزيد وجعفر، فقال عليّ: أنا أحق بها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي (صلى الله عليه وآله) لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم. وقال لعليّ: أنت مني وأنا منك. وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا.

قال السيد مرتضى الحسيني: وذكره البخاري ثانياً بعينه سنداً وممتناً في كتاب «بدء الخلق في باب عمرة القضاء». ورواه البيهقي أيضاً في سند عن البراء [5: 8] وأحمد بن حنبل في مسنده [98: 1] عن هاني بن هاني عن عليّ (عليه السلام). والحاكم في «المستدرک» [120: 3] عن هاني بن هاني. والطحاوي في «مشكل الآثار» [173: 4] والخطيب البغدادي في تأريخه [140: 4] عن هاني بن هبيرة عن عليّ (عليه السلام). صحيح الترمذي [297: 2] روى بسنده عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) جيشاً واستعمل عليهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه، وتعاهد أربعة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: إذا لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع عليّ. وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدؤوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي (صلى الله عليه وآله) فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله ألم تر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه (صلى الله عليه وآله)، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه. ثم قام الثالث فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) والغضب يعرف في وجهه فقال: ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو وليّ كل مؤمن بعدي.

قال السيد الحسيني: ورواه أحمد بن حنبل في مسنده [437: 4] والحاكم في «المستدرک» [110: 3] وأبو داود الطيالسي في مسنده [111: 3] وأبو نعيم في «حلية الأولياء» [294: 6] والمتقي في «كنز العمال» [399: 6] وفي صحيح الترمذي أيضاً [299: 2] روى بسنده عن البراء بن عازب أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام): أنت مني وأنا منك. ورواه النسائي أيضاً في «الخصائص ص 19». وفي الصفحة المذكورة روى أيضاً بسنده عن حبشي بن جنادة قال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: عليّ مني وأنا من عليّ، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو عليّ.

قال السيد الحسيني: ورواه ابن ماجة في صحيحه [ص12] وأحمد بن حنبل في مسنده [4: 164] بطريقين، وبثلاثة طرق في [ص165]. والنسائي في الخصائص بطريقين أحدهما في [ص19] والآخر في [ص20]. والطبري في «الرياض النضرة» [2: 174].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل [1: 108] روى بسند عن هاني بن هاني عن عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) قال: أتيت النبي (صلى الله عليه وآله) وجعفر وزيد، فقال لزيد: أنت مولاي فخل، وقال لجعفر: أنت أشبهت خلقي وخلقي فخل وراء زيد: وقال لي: أنت مني وأنا منك، فخلت وراء جعفر. ورواه البيهقي أيضاً في سننه [10: 226] والنسائي في «الخصائص» [ص51] باختلاف اللفظ.

وفي مسند الإمام أحمد أيضاً [6: 489 ط. مؤسسة التاريخ العربي] روى بسنده عن بريدة قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعثين إلى اليمن على أحدهما عليّ بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال (صلى الله عليه وآله): إذا التقيتم فعليّ على الناس، وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده، قال فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، فاصطفى عليّ (عليه السلام) امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخبره بذلك، فلما أتيت النبي (صلى الله عليه وآله) دفعت الكتاب إليه فقرأ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت يا رسول الله هذا مكان العائد، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تقع في عليّ فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي.

قال السيد الحسيني: ورواه النسائي باختلاف في بعض الألفاظ، قال فيه: وكتب بذلك خالد إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأمرني أن أنال منه «أي من عليّ» قال: فدفعت الكتاب إليه (صلى الله عليه وآله) وولت من علي، فتغيّر وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: لا تبغضن يا بريدة لي علياً، فإن علياً مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي.

وذكره الهيثمي أيضاً في مجمع [9: 128] وقال فيه: فخرج «أي رسول الله» مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً، من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي، وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم... «إلى أن قال»: يا بريدة أما علمت أن لعليّ أكثر من الجارية التي أخذ، وإنه وليكم بعدي؟ فقلت: يا رسول الله بالصحبة إلا لبسطت يدك فبايعتني على الاسلام جديداً، قال: فما فارقتك حتى بايعته على الاسلام. انتهى.

وفي «الخصائص للنسائي» [ص19] روى بسنده عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن علياً مني وأنا منه، وولي كل مؤمن بعدي.

وفي [ص36] روى بسنده عن اسامة بن زيد عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أمّا أنت يا عليّ فختني وأبو ولدي، أنت مني وأنا منك.

وفي تاريخ ابن جرير الطبري [2: 197]: روى بسنده عن أبي رافع عن أبيه قال: أبصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ (عليه السلام): إحمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، قال: ثم أبصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ (عليه السلام): إحمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبة ابن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبرئيل: يا رسول الله أن هذه للمواساة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكم، قال: فسمعوا صوتاً «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ».

وفي «الرياض النضرة» للطبري [2: 172] قال: وعن أبي رافع قال: لما قتل عليّ صاحب الألوية يوم أحد، قال جبرئيل (عليه السلام): يا رسول الله إن هذه للمواساة، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): إنه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل (عليه السلام): وأنا منكم يا رسول الله.

قال السيد الحسيني: وذكره الهيثمي في مجمع [6: 114]، والمتقي في «كنز العمال» [6: 400] نقلاً عن الطبراني.

وفي «الرياض النضرة» [2: 202] قال: روى أبو سعيد في «شرف النبوة»: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام): «أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت صهراً مثلي، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم».

* * *

المبحث الثامن والستون

في قوله تعالى: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) [طه: 25 - 26].

روى السيوطي في «الدر المنثور» [5: 565] في ذيل هذه الآيات حديثاً نقله عنه جماعة وذكره في كتبهم، منهم الطباطبائي في تفسيره «الميزان» في [14: 159]، والإمام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [3: 341]، والسيد مرتضى الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [1: 371] وغيرهم.

قال الإمام المظفر: قال السيوطي في «الدر المنثور»: أخرج ابن مردويه، والخطيب وابن عساكر عن أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإزاء ثبير وهو يقول: «أشرق ثبير أشرق ثبير، اللهم إني أسألك بما سألك أخي موسى، أن تشرح لي صدري، وأن تيسر لي أمري، وأن تحلّ عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً».

وقال السيوطي أيضاً: وأخرج السلفي في «الطيورات» بسند رواه عن أبي جعفر ابن عليّ (عليه السلام) قال: لما نزلت: (واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي أشدد به أزري) كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) على جبل، ثم دعا به وقال: «اللهم أشدد أزري بأخي عليّ»، فأجابه إلى ذلك.

وفي «دلائل الصدق» أيضاً ما نقله ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» عن أحمد بن حنبل في «الفضائل» عن ابن عباس قال: أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد عليّ ويدي ونحن بمكة، وصلى أربع ركعات ورفع بيده إلى السماء فقال: «اللهم موسى بن عمران سألَكَ، وأنا محمد نبيكَ أسألك، أن تشرح لي صدري، وتحلّ عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّ بن أبي طالب أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري». قال ابن عباس: سمعت منادياً ينادي: «يا أحمد، قد أوتيت ما سألت».

وقال القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» [ص87] وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن النسيم قال: سمعت رجلاً من خثعم يقول: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «اللهم إني أقول كما يقول أخي موسى: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً».

وفي «نور الأبصار» للشبلنجي [ص86 ط. دار الفكر]، يوجد بعض الاختلاف في متن الرواية المنقولة عن تفسير الفخر الرازي الكبير كما في [6: 26 ط. دار إحياء التراث العربي] في ذيل قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله) [المائدة: 55].

قال: وعن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) قال: صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم إشهد أنني سألت في مسجد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ (عليه السلام) في الصلاة راکعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيها خاتم، فأقبل السائل وأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمراى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في المسجد، فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) طرفه إلى السماء وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي أشد به أزرى، وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً: **(سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً، أشد به أزرى**». قال أبو ذر: فو الله ما أتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال: يا محمد اقرأ: **(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)** قال: نقله أبو اسحاق أحمد الثعلبي في تفسيره.

أقول وفقني الله للصواب بمنه وكرمه: قد دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ربّه عزّ وجلّ كدعاء موسى (عليه السلام) المحكي في الكتاب العزيز، وظهر في مضمون دعائه سؤاله (صلى الله عليه وآله) بأن يجعل له وزيراً من أهله، وهو مما لا جدال فيه أخوه عليّ (عليه السلام) ليشركه في أمره، ويشدد به أزره، ثم إنه (صلى الله عليه وآله) فيما عدا ذلك قد بيّن لأئمة بياناً واضحاً وضوح النور على الطور، في غير مكان، بأن علياً (عليه السلام) أخوه ووزيره وخير من خلفه بعده، مثلما كان لهارون من موسى (عليهما السلام) من المنزلة حين خلفه في قومه، وكم من روايات وأخبار وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك قد سجّلها الحفاظ المشهورون بين الأمة المحمّدية مع اختلاف مذاهبهم، منها ما ورد في أن علياً (عليه السلام) أخو النبي (صلى الله عليه وآله)، ومنها في كونه وزيراً له (صلى الله عليه وآله)، ومنها في أنه (عليه السلام) بمنزلة هارون من موسى (عليهما السلام)، وسنذكر بعون الله كل رواية في بابها وموضعها.

* * *

الباب الاول

في أن علياً أخو النبي(صلى الله عليه وآله)

وأما ما ورد في أن علياً(عليه السلام) أخو النبي(صلى الله عليه وآله) فقد ذكر السيد المرتضى الحسيني الفيروزآبادي في كتابه «فضائل الخمسة» [1: 318 - 332]: عن المستدرک [3: 126] روى بسنده عن ابن عباس قال: كان عليّ(عليه السلام) يقول في حياة رسول الله(صلى الله عليه وآله): إن الله يقول: (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)، والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحق به مني؟

وفي «صحيح الترمذي» [2: 299] روى بسنده عن ابن عمر قال: أخى رسول الله(صلى الله عليه وآله)بين أصحابه، فجاء عليّ(عليه السلام) تدمع عينه فقال: يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله): «أنت أخي في الدنيا والآخرة». ورواه الحاكم في المستدرک [3: 14] والمناوي في «كنوز الحقائق» مختصراً.

وفي صحيح ابن ماجه [ص12] روى بسنده عن عباد بن عبدالله عن عليّ(عليه السلام)قال: قال عليّ(عليه السلام): «أنا عبدالله وأخو رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس بسبع سنين». ورواه الحاكم أيضاً في المستدرک [3: 111]، وابن جرير الطبري في تاريخه [2: 56]، والنسائي في خصائصه [3: 18] باختصار، والمتقي الهندي في كنز العمال [6: 394]، وفي [ص396] أيضاً، وقال في آخره: «لا يقولها أحد بعدي إلا كاذب». فقالها رجل فأصابته جنة. وذكره المحب الطبري أيضاً في «الرياض النضرة» [2: 155] وقال خرّجه القلعي.

وفي «مستدرک الصحيحين» [3: 159] روى بسنده عن أسماء بنت عميس قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فلما أصبحنا جاء النبي(صلى الله عليه وآله) إلى الباب فقال: يا أم أيمن ادعي لي أخي، فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: نعم يا أم أيمن، فجاء عليّ(عليه السلام)فنضح النبي(صلى الله عليه وآله) من الماء ودعا له، ثم قال: ادعي فاطمة، قالت: فجاءت تعثر من الحياء، فقال لها رسول الله(صلى الله عليه وآله): أسكني فقد أنكحتك أحب أهل بيتي. «الحديث» وروى ابن سعد في طبقاته [8: 14] حديثاً قال فيه:

فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستفتح فخرجت أم أيمن، فقال: أثم أخي؟ قالت: وكيف يكون أخاك وقد أنكحته ابنتك؟ قال: فإنه كذلك. وذكره أيضاً الهيثمي في «مجمع الزوائد» [9: 205]، والنسائي في الخصائص [ص32].

وفي «كنز العمال» للمتقي الهندي [3: 155] قال: عن زافر عن رجل عن الحارث بن محمد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً (عليه السلام) يقول: بايع الناس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق به منه، فسمعت وأطعت، مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر، وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف. ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان، إذن أسمع وأطيع، إن عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح، ولا يعرفونه لي، كلنا فيه شرع سواء، وأيم الله لو أشاء أن أتكلم ثم لا يستطيع عريبيهم ولا عجميهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك ردّ خصلة منها فعلت، ثم قال: نشدكم بالله أيها النفر جميعاً، أفیکم أحد أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) غيري؟ قالوا: اللهم لا. «ثم ساق الحديث طويلاً».

وفي «كنز العمال» أيضاً [3: 154] ذكر حديثاً مسنداً عن أبي ذر قال: لما كان أول يوم في البيعة لعثمان، اجتمع المهاجرون والأنصار في المسجد، وجاء علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأنشأ يقول: إن أحق ما ابتدأ به المبتدئون، ونطق به الناطقون، وتفوّ به القائلون حمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم ساق خطبة طويلة إلى أن قال: أناشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لما أسري بي إلى السماء السابعة، رفعت إليّ رفارف من نور، ثم رفعت إليّ حجب من نور. فأوحى إليّ النبي (صلى الله عليه وآله) أشياء، فلما رجع من عنده، نادى مناد من وراء الحجب: يا محمد نعم الأب أبوك إبراهيم (عليه السلام)، نعم الأخ أخوك علي (عليه السلام) تعلمون معاشر المهاجرين والأنصار كان هذا؟ فقال عبد الرحمن بن عوف من بينهم: سمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهاتين وإلا فصمتا. «الحديث».

وفي «ذخائر العقبى» للمحب الطبري [ص92] قال: عن أنس بن مالك قال: صعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) المنبر فذكر قولاً كثيراً ثم قال: أين علي بن أبي طالب؟ فوثب إليه فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمه إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال (صلى الله عليه وآله) بأعلى صوته: «معاشر المسلمين، هذا أخي وابن عمي وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة».

وفي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر [2: 460]: روى بسنده عن أبي الطفيل قال: لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي (عليه السلام) وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد، فقال لهم علي (عليه السلام): «أناشدكم الله، هل فيكم أحد أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينه وبينه إذ

أخى بين المسلمين غيري؟ قالوا: اللهم، لا». قال: وروينا من وجوه عن عليّ (عليه السلام) إنه كان يقول: «أنا عبدالله وأخو رسول الله، لا يقولها أحد غيري إلا كذاب».

وفي «الرياض النضرة» للطبري [2: 168]، قال: وعن عمر بن عبدالله عن أبيه عن جده أن النبي (صلى الله عليه وآله) أخى بين الناس وترك علياً (عليه السلام) حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال (عليه السلام): يا رسول الله، أخيت بين الناس وتركتني، قال (صلى الله عليه وآله): ولم تراني تركتك؟ إنما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد قل: أنا عبدالله وأخو رسوله، لا يدعيها بعدي إلا كذاب. وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» [6: 153] وقال: أخرجه ابن عدي في «الكامل».

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم [7: 256]: روى بسنده عن جابر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مكتوب على باب الجنة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام».

ورواه الخطيب البغدادي أيضاً في تاريخه [7: 387]، وذكره المتقي الهندي أيضاً في «كنز العمال» [6: 159] نقلاً عن الخطيب في «المتفق والمفترق»، وذكره المناوي في «فيض القدير» [4: 355] نقلاً عن الطبراني في «الأوسط».

وفي الإصابة للعسقلاني [8: 183] في ترجمة ليلى الغفارية قال: وأخرج ابن مندة من رواية عليّ بن هاشم بن البريد حدّثني ليلى الغفارية قالت: كنت أغزو مع النبي (صلى الله عليه وآله) فأداوي الجرحى وأقوم على المرضى، فلما خرج عليّ (عليه السلام) إلى البصرة خرجت معه، فلما رأيت عائشة أتيتها فقلت: هل سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضيلة في عليّ (عليه السلام)؟ قالت: نعم، دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو معي، وعليه جرد قطيفة، فجلس بيننا، فقلت: أما وجدت مكاناً أوسع لك من هذا؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «يا عائشة دعي لي أخي، فإنه أول الناس إسلاماً، وآخر الناس بي عهداً، وأول الناس لي لقياً يوم القيامة».

وفي «مناقب آل أبي طالب» [2: 184]، للحافظ الشهير محمد بن علي بن شهر آشوب قال: صار أخوين «أي النبي وعليّ» من ثلاثة أوجه:

أولها: لقوله (صلى الله عليه وآله): لا زال ينقله من الآباء الأخير «الخبر».

الثاني: أن فاطمة بنت أسد ربّته حتى قال (صلى الله عليه وآله): هذه أُمِّي، وكان (صلى الله عليه وآله) عند أبي طالب من أعز أولاده، رباه في صغره وحماه في كبره، ونصره باللسان والمال والسيف والأولاد والهجرة، والأب أبوان: أب ولادة، وأب إفادة، ثم إن العم والد، قال تعالى حكاية عن يعقوب: (ما تعبدون من بعدي) الآية، وإسماعيل كان عمه، وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم: (وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر) قال الزجاج: أجمع النسابة أن اسم أبي إبراهيم تارخ، يعني أن أزر عمه.

والثالث: أخاه في عدة مواضع: يوم بيعة العشيرة حين لم يبايعه أحدٌ ببايعه عليّ، على أن يكون له أخاً في الدارين، وقال (صلى الله عليه وآله) في مواضع كثيرة، منها يوم خيبر: أنت أخي ووصيّ. وفي يوم

المؤاخاة ما ظهر عند الخاص والعام صحته، وقد رواه ابن بطة من ستة طرق، وروى أنه كان النبي(صلى الله عليه وآله) بالنخيلة وحوله سبعة وأربعون رجلاً فنزل جبرئيل وقال: إن الله تعالى آخى بين الملائكة وبين بني ميكائيل، وبين إسرافيل وبين عزرائيل، وبين درداثيل وبين راحيل، فأخى النبي(صلى الله عليه وآله) بين أصحابه.

قال: وفي تاريخ البلاذري والاسلامي وغيرهما عن ابن عباس وغيره: لما نزل قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) آخى رسول الله بين الأشكال والأمثال، فأخى أبا بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف «وساق الحديث إلى أن قال»: حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم، ثم قال(صلى الله عليه وآله): «أنت أخي وأنا أخوك يا علي».

وقال: وفي «فضائل السمعي» روى أبو الصلت الأهوازي بإسناده عن طاووس عن جابر، أن النبي(صلى الله عليه وآله) رأى علياً(عليه السلام) فقال: «هذا أخي وصاحبي ومن باهى الله به ملائكته، ومن يدخل الجنة بسلام».

وروى عن الصادق(عليه السلام) قال: «ولما آخى رسول الله(صلى الله عليه وآله) بين الصحابة وترك علياً، فقال له(عليه السلام) في ذلك، فقال له النبي(صلى الله عليه وآله): إنما اخترتك لنفسك، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة» فبكى عند ذلك وقال:

أفبك بنفسي أيها المصطفى الذي *** هدانا به الرحمن من عمه الجهل
وأفدك حوبائي وما قدر مهجتي *** لمن أنتمي منه إلى الفرع والأصل
ومن ضمّني مذ كنت طفلاً ويافعاً *** وأنعشني بالبرّ والعل والنهل
ومن جدّه جدّي ومن عمه عمي *** ومن أهله أُمّي ومن بنته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً *** دعاني وأخاني وبين من فضلي
لك الفضل إنني ما حييت لشاكر *** لإتمام ما أوليت يا خاتم الرسل

وفي «كنز العمال» [13: 137 ط. مؤسسة الرسالة]، كما في فضائل الخمسة للحسيني [1: 326]: عن جابر

قال: سمعت علياً(عليه السلام) ينشد ورسول الله(صلى الله عليه وآله) يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي *** معه رُبيتُ وسبطاه هما ولدي
جدّي وجدّ رسول الله منفرد *** وفاطم زوجتي لأقول ذي فند
صدّقته وجميع الناس في بهم *** من الضلالة والإشراك والنكد
فالحمد لله شكراً لا شريك له *** البرُّ بالعبد والباقي بلا أمد
فتبسّم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقال: صدقت يا علي.

أقول: وذكره الفنجركرد في «سلوة الشيعة» كما في «المناقب» لابن شهر آشوب [2: 187].

وقال ابن حماد في مناقب شهر آشوب [2: 188 - 189]:

واخاك أحمد إذ وأخى صحابته *** وكنت أنت له دون الأنام كفي

زوّجت فاطمة الزهراء اذ خطبت *** ورد خطابها بالرغم والأسف
وقال الجماني:

وآخاهم مثلاً لمثل فأصبحت *** أخوته كالشمس ضمت إلى البدر
فأخى علياً دونكم وأصاره *** لكم علماً بين الهداية والكفر
وقال محمد بن علي العلوي:

وهو أخوه يوم أخى صحبه *** ونفسه في المحكم المنزل
فإن أردت صدق ما أوضحته *** وجدته في سورة المزمّل

* * *

الباب الثاني

في أن علياً وزير النبي(صلى الله عليه وآله)

وأما الروايات الدالة على أن أمير المؤمنين(عليه السلام) وزير النبي(صلى الله عليه وآله) فسندكر مما ذكره السيد الحسيني في «فضائل الخمسة» [1: 333] وغيره مما رواه الحفاظ على قدر ما يقوم به وجه الاستدلال، فمنهم:

ابن سعد في طبقاته [1: 187 ط. دار الفكر] روى بسنده عن علي(عليه السلام) قال: أمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) خديجة وهو بمكة، فاتخذت له طعاماً ثم قال لعلي(عليه السلام): أدع لي بني عبد المطلب، فدعا أربعين، فقال لعلي(عليه السلام): هلمّ طعامك، قال علي(عليه السلام): فأتيتهم بثريدة، إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، فأكلوا منها جميعاً حتى أمسكوا، ثم قال(صلى الله عليه وآله): اسقهم، فسقيتهم بإناء هو ريّ أحدهم، فشربوا منه جميعاً حتى صدروا، فقال أبو لهب: لقد سحركم محمد، فتفرّقوا، ولم يدعهم، فلبثوا أياماً، ثم صنع لهم مثله، ثم أمرني فجمعتهم فطعموا، ثم قال لهم: من يؤازرني على ما أنا عليه، ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنة؟ فقلت: أنا يا رسول الله، وإنني لأحدثهم سناً وأحشهم ساقاً، وسكت القوم ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى إبنك؟ قال: دعوه فلن يألو ابن عمه خيراً.

وفي «كنز العمال» [13: 131، ح 36419 ط. مؤسسة الرسالة] قال: عن علي(عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله(صلى الله عليه وآله) دعاني رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال: يا علي! إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني مهما أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليها حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعتبك ربك، فاصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واجعل لنا عساً من لبن، ثم اجمع بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغ ما أمرت به. ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحزمة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت له فجلست به، فلما وضعته تناول النبي(صلى الله عليه وآله) جشبت حزمة من اللحم، فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ثم قال: كلوا باسم الله، فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم يا علي، فجلستهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد النبي(صلى الله عليه وآله) أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم

يكلمهم النبي(صلى الله عليه وآله). فلما كان الغد فقال: يا عليّ إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا مثل الذي صنعت بالأمس من الطعام والشراب ثم اجمعهم لي، ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقرّبته، ففعل به كما ما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا حتى نهلوا، ثم تكلم النبي(صلى الله عليه وآله)فقال:

«يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به، إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأَيْكُمْ يُؤازرنِي على أمري هذا؟» فقلت وأنا أحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي فقال: «إن هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا». فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لعليّ.

قال: أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، حق معاً⁽⁵⁾ في «الدلائل».

وقال السيد الحسيني: وجدت الحديث في تأريخ ابن جرير الطبري [2: 62]، كما ذكره المتقي في كنز العمال باختلاف يسير في الألفاظ.

وفي «الإصابة للعسقلاني» [1: 217] قال: ذكر الخطيب في «المؤتلف» من طريق القاسم بن خليفة، حدّثنا أبو يحيى التيمي، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن مطين بن خالد، عن أنس بن مالك قال: كنا إذا أردنا أن نسأل رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن شيء أمرنا علياً(عليه السلام) أو سلمان أو ثابت بن معاذ، لأنهم كانوا أجراً أصحابه عليه، فلما نزلت: (إذا جاء نصر الله)فذكر حديثاً في فضل علي(عليه السلام) فيه: أنه أخي ووزيري وخليفتي في أهل بيتي وخير من أخلف بعدي. «الحديث».

وفي «كنز العمال» [6: 155] ولفظه: «ألا أَرْضِيكَ يا عليّ؟ أنت أخي ووزيري، تقضي ديني وتنجز موعدي وتبرئ ذمتي، فمن أحبك في حياة مئّي فقد قضى نحبّه، ومن أحبك في حياة منك بعدي ختم الله له بالأمن والإيمان، ومن أحبك بعدي ولم يرك ختم الله له بالأمن والإيمان، وآمنه يوم الفزع، ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية، يحاسبه الله بما عمل في الاسلام». قال: أخرجه الطبراني عن ابن عمر.

* * *

الباب الثالث

في حديث المنزلة

أما قوله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): «أنت مئّي بمنزلة هارون من موسى». فقد استفاضت به الروايات في الصحاح وغيرها من المسانيد. وعلى كل تقدير لعلّ من الحسن أن لا يخلو الكتاب منها وليتم الفصل بذكرها، ولأنها جزء من المبحث الذي نحن بصدد. فلنبداً بما أخرجه شيخ المحدثين في صحيحه في كتاب «بدء الخلق» باب فضائل عليّ (عليه السلام).

روى البخاري بسنده عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟». قال السيد الحسيني في «فضائله» [1: 299]: ورواه مسلم أيضاً في صحيحه في كتاب «فضائل الصحابة» في باب فضائل عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام)، وابن ماجّة في صحيحه [ص12]، وأحمد بن حنبل في مسنده [1: 174]، وأبو داود الطيالسي في مسنده [1: 28]، وأبو نعيم في حليته [7: 194]، والنسائي في خصائصه بطريقين في [ص15 - 16].

وفي «صحيح مسلم» في كتاب «فضائل الخمسة» باب فضائل علي بن أبي طالب: روى بسنده عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): «أنت مئّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». قال سعيد: فأحببت أن أشفه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر، فقال: أنا سمعته، فقلت: أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم وإلا فاستكتا. قال: ورواه ابن الأثير في «أسد الغابة» [4: 26]، والنسائي في خصائصه [ص15].

وفي «صحيح البخاري» أيضاً في كتاب «بدء الخلق» باب غزوة تبوك: روى بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج إلى تبوك واستخلف علياً (عليه السلام) فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال (صلى الله عليه وآله): «ألا ترضى أن تكون مئّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي».

وفي «صحيح الترمذي» [2: 301] روى عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام): «أنت مئّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وروى فيه أيضاً نحوه بسنده عن جابر بن عبد الله، وعن سعد، وزيد بن أرقم، وأبي هريرة، وأم سلمة، ورواه أحمد

بن حنبل في مسنده [3: 338]، والخطيب البغدادي في تاريخه [3: 381] بطريقين، قال في أحدهما: إلا أنه لا نبي بعدي، ولو كان لكانته.

وفي «صحيح ابن ماجة» [1: 45 ط. دار احياء التراث العربي - بيروت]: روى بسنده عن ابن سابط وهو عبد الرحمن عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد، فذكروا علياً (عليه السلام) فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه». وسمعتة يقول: «أنت مئى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وسمعتة يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله».

وفي «مسند الإمام أحمد بن حنبل» [1: 175]: روى بسنده عن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن مالك: إنك إنسان فيك حدة، وأنا أريد أن أسألك، قال: ما هو؟ قال: قلت: حديث علي (عليه السلام)، قال: فقال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام): «أما ترضى أن تكون مئى بمنزلة هارون من موسى؟» قال: رضيت، ثم قال: بلى بلى. وروى نحوه أيضاً في [ص: 173 و 175 و 177 و 184 و 230 و [6: 369]، كما قاله السيد الحسيني في فضائله.

وفي «خصائص النسائي» [ص: 17]: روى بسنده عن حرب بن سلك قال: قال سعد ابن مالك: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) غزا على ناقته الجدعاء وخلف علياً (عليه السلام)، وجاء علي (عليه السلام) حتى تعدى الناقة فقال: يا رسول الله زعمت قريش إنك إنما خلفتني أنك استنقلتني وكرهت صحبتي، وبكى علي (عليه السلام) فنادى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الناس: «ما منكم أحد وله حاجة بابن أبي طالب، أما ترضى أن تكون مئى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟» قال علي (عليه السلام): رضيت عن الله عز وجلّ وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وروى نظيره في [ص: 4 و 14 و 19 و 32] كما ذكره السيد الحسيني في [1: 306 ط. دار الكتب الإسلامية - طهران] من عدة طرق.

وفي الطبقات لابن سعد [3: 24]: روى بسند عن أبي سعيد قال: غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأله غزوة تبوك وخلف علياً في أهله، فقال بعض الناس: ما منعه أن يخرج به إلا أنه كره صحبتته، فبلغ ذلك علياً فذكره للنبي (صلى الله عليه وآله) فقال: «أيا بن أبي طالب: أما ترضى أن تنزل مئى بمنزلة هارون من موسى؟».

وروى أيضاً في [3: 24 ط. دار الفكر] بسنده عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا: لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): إنه لا بد من أن أقيم أو تقيم، فخلفه، فلما فصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) غازياً قال ناس: ما خلف علياً إلا لشيء كرهه منه، فبلغ ذلك علياً (عليه السلام) فأتبع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى انتهى إليه فقال له: ما جاء بك يا علي؟ قال: لا يا رسول الله إلا أنني سمعت ناساً يزعمون أنك إنما خلفتني لشيء كرهته مئى، فتضاحك رسول

الله(صلى الله عليه وآله) وقال: «يا عليّ أما ترضى أن تكون منّي كهارون من موسى؟ غير أنك لست بنبي؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: فإنّه كذلك.

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم [7: 196]: روى بسنده عن سعيد بن المسيب عن عليّ(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) في غزوة تبوك: «خلفتك أن تكون خليفتي في أهلي». قلت: لا أتخلف بعدك يا نبي الله، قال: «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». ورواه أيضاً في [ص195] عن سعد بن إبراهيم، وفي [4: 345] روى عن حبشي بن جنادة.

وفي «تاريخ ابن جرير الطبري» [2: 368]: روى بسنده عن ابن إسحاق في حديث غزوة تبوك، قال فيه: فلما سار رسول الله(صلى الله عليه وآله)، تخلف عنه عبدالله بن أبي في من تخلف من المنافقين وأهل الريب، وكان عبدالله بن أبي أخا بني عوف من بني الخزرج، وعبدالله بن النبيل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن يزيد بن الثابت أخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد الاسلام وأهله، وفيهم أنزل الله عزّوجلّ: (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور)⁽⁶⁾ قال: وقال ابن اسحاق: وخلف رسول الله(صلى الله عليه وآله) عليّ ابن أبي طالب(عليه السلام) وأمره بالإقامة فيهم. «إلى أن قال»: فأرجف المنافقون بعليّ بن أبي طالب(عليه السلام) وقالوا: ما خلفه إلا استتقالاً له وتخففاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ عليّ(عليه السلام) سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو بالجرف، فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استتقلتني وتخففت مني فقال(صلى الله عليه وآله): «كذبوا ولكني إنما خلّفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي». فرجع عليّ(عليه السلام) إلى المدينة ومضى رسول الله(صلى الله عليه وآله) على سفره. «الحديث».

وفي «أسد الغابة» لابن الأثير [5: 8] قال في ترجمة نافع بن الحارث بن كلدة: وروى عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال لعليّ(عليه السلام): «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى».

وفي كنز العمال للمتقي [6: 395] قال: عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب: كفوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب، فإنني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: في عليّ ثلاث خصال، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة ابن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) والنبي مئكي على عليّ بن أبي طالب، حتى ضرب بيده على منكبيه ثم قال: «أنت يا علي أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً، - ثم قال - : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وكذب عليّ من زعم أنه يحبني ويبغضك».

وذكر فيه أيضاً في [3: 154] حديثاً نظيره في الباب الذي نحن فيه عن أبي ذر، وفي [6: 154] عن أسماء بنت عميس، وفي [6: 405] عن سعد وعن عامر بن سعد.

وفي «كنز العمال» أيضاً [16: 183 ط. مؤسسة الرسالة] قال: عن يحيى بن عبدالله بن الحسن عن أبيه قال: كان عليّ (عليه السلام) يخطب فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني، من أهل الجماعة؟ ومن أهل الفرقة؟ ومن أهل السنة؟ ومن أهل البدعة؟ فقال (عليه السلام): ويحك، أما إذ سألتني فافهم عليّ، ولا عليك أن لا تسأل عنها أحداً بعدي «فساق الحديث» إلى أن قال: وتنادى الناس من كل جانب: أصبت يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد. فقام عمار فقال يا أيها الناس، إنكم والله إن تبعتموه وأطعتموه لم يضل بكم عن منهاج نبيكم قيد شعرة، وكيف يكون ذلك؟ وقد استودعه رسول الله المنايا والوصايا وفصل الخطاب، على منهاج هارون بن عمران، إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت مئي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فضلاً خصّه الله به إكراماً منه لنبيه (صلى الله عليه وآله) حيث أعطاه ما لم يعطه أحداً من خلقه. «الحديث».

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي [9: 109] قال: عن أبي سعيد الخدري قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام) في غزوة تبوك: خلفتك في أهلي، قال عليّ (عليه السلام): يا رسول الله إني أكره أن تقول العرب: خذل ابن عمه وتخلف عنه، قال: أما ترضى أن تكون مئي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي.

وذكر أيضاً في الصفحة المذكورة نحوه عن أم سلمة، وعن ابن عباس، وفي [ص110] روى عن ابن عمر، وعن جابر بن سمرة، وفي [ص111] روى عن أبي أيوب.

وفيه أيضاً [9: 111] روى عن ابن عباس قال: لما آخى النبي (صلى الله عليه وآله) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فلم يواخ بين عليّ بن أبي طالب وبين أحد منهم، خرج مغضباً حتى أتى جدولاً فتوسّد ذراعاً. «إلى أن قال»: فقال له «أي النبي (صلى الله عليه وآله)»: قم فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب، أغضبت عليّ حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم أواخ بينك وبين أحد منهم؟ أما ترضى أن تكون مئي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس بعدي نبي، ألا من أحبك حُفّ بالأمن والإيمان، ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهلية، وحوسب بعمله في الإسلام. قال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» [6: 154].

وفيه أيضاً [9: 111] روى عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأم سلمة: هذا عليّ بن أبي طالب لحمه لحمي، ودمه دمي، فهو مئي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وفي الرياض النضرة للمحب الطبري [2: 162] قال: وعنه «أي سعد» قال: لما نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الجرف طعن رجال من المنافقين في إمرة عليّ (عليه السلام) وقالوا: إنما خلفه استئقلاً، فخرج عليّ (عليه السلام) فحمل سلاحه حتى أتى النبي (صلى الله عليه وآله) بالجرف، فقال: يا رسول الله! ما تخلفت عنك في غزاة قط قبل هذه، قد زعم المنافقون أنك خلّفتني استئقلاً، فقال (صلى الله عليه وآله): كذبوا ولكن خلّفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي، أفلا ترضى أن تكون مئي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي.

وفي «الرياض النضرة» أيضاً [2: 164] قال: عن أسماء بنت عميس قالت: هبط جبرئيل (عليه السلام): على النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد! إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك. قال: أخرجه الإمام عليّ بن موسى (عليه السلام).

وفيه أيضاً [2: 195] قال: وعن أبي حازم قال: جاء رجل إلى معاوية فسأله عن مسألة فقال: سل عنها عليّ بن أبي طالب فهو أعلم، قال: يا أمير المؤمنين: جوابك فيها أحب إليّ من جواب عليّ، قال: بئسما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يغزوه بالعلم غزراً، ولقد قال له: أنت مئي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه. قال: أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي ذخائر العقبى للمحب الطبري [ص120]: وعن أسماء بنت عميس قالت: أقبلت فاطمة بالحسن (عليهما السلام)، فجاء النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أسماء هلمّي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فألقاها عنه قائلاً: ألم أعهد إليكن أن لا تلقوا مولوداً بخرقة صفراء؟ فلفيته بخرقة بيضاء فأخذه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم قال لعليّ (عليه السلام): أي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك منك بذلك، فقال: ولا أنا أسابق ربّي، فهبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون، فقال: وما كان اسم ابن هارون يا جبرئيل؟ قال: شبر فقال (صلى الله عليه وآله): إن لساني عربي، فقال: سمّه حسناً. ففعل (صلى الله عليه وآله). فلما كان بعد حول ولد الحسين (عليه السلام) فجاء نبي الله (صلى الله عليه وآله) وذكرته مثل الأول، وسأقت قصة التسمية مثل الأول، وأن جبرئيل (عليه السلام) أمره أن يسميه باسم ولد هارون شبير، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): مثل الأول، فقال: سمّه حسيناً، انتهى.

أقول: وأخرجه الفقيه الحافظ الشهير بابن المغازلي في مناقبه [ص27] من عدة طرق.

وفي تفسير الميزان [14: 159] للطباطبائي قال في ذيل تلكم الآيات الشريفة بعد أن نقل الحديث المذكور عن «الدر المنثور» وذلك في قوله مجيباً لقول الألوسي في تفسيره «روح المعاني» [8: 186 ط. دار إحياء التراث العربي] ما مفهومه بأن هذا الحديث لا يصلح أن يكون دليلاً بأن خلافة أمير المؤمنين عليّ بلا فصل.

قلت: أما الاستدلال بالحديث أو حديث المنزلة على خلافته (عليه السلام) بلا فصل فالبحث فيه خارج عن غرض الكتاب، وإنما نبحت عن المراد بقوله (صلى الله عليه وآله) في دعائه لعليّ (عليه السلام): «وأشركه في أمري» طبقاً لدعاء موسى (عليه السلام) المحكي في الكتاب العزيز، فإن له مساساً بما فهمه (صلى الله عليه وآله) من لفظ الآية، والحديث مؤيد بحديث المنزلة المتواتر⁽⁷⁾. فمراده (صلى الله عليه وآله) بالأمر في قوله: «وأشركه في أمري» ليس هي النبوة قطعاً، لنصّ حديث المنزلة باستثناء النبوة، وهو الدليل القاطع على

(7) نقل البحراني الحديث في غاية المرام بمئة طريق من طرق أهل السنة وسبعين طريقاً من طرق الشيعة إمام الميزان 14 / 172 ط. دار الكتب الإسلامية.

أن مراد موسى بالأمر في قوله: «وأشركه في أمري» ليس هو النبوة، وإلا بقي قول النبي (صلى الله عليه وآله): «أمري» بلا معنى يفيد.

وليس المراد بالأمر هو مطلق الارشاد والدعوة إلى الحق قطعاً «كما ذكره» لأنه تكليف، يقوم به جميع الأمة ويشاركه فيه غيره، وحجة الكتاب والسنة قائمة فيه، كمثّل قوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)⁽⁸⁾ وقوله (صلى الله عليه وآله) الذي رواه العامة والخاصة: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب» وإذا كان أمراً مشتركاً بين الجميع فلا معنى لاشتراك عليّ (عليه السلام) فيه، على أن الإضافة في قوله: «أمري» تفيد الاختصاص، فلا يصدق على ما هو مشترك بين الجميع، ونظير الكلام يجري في قول موسى المحكي في الآية.

* * *

المبحث التاسع والستون

في قوله تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)

الأنفال: 29] .

نقل السيد المرتضى الحسيني الفيروز آبادي في كتابه القيم «فضائل الخمسة» [2: 364] حديثاً يناسب ذكره تجاه هذه الآية النازلة في معرض التنبيه والإنذار، لما يتضمن من توضيح الصحابي الكبير الزبير بن العوام، وتعبيره عن معنى هذه الفتنة المحذور منها، وقد كان مقراً ومعتزلاً بأنها قد وقعت فيه وفي قومه، وذلك حينما تظاهروا بالمطالبة بدم عثمان من أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو بريء منه حتى حاربوه، فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر.

فبذلك فقد ظهر لنا أيضاً مصداق ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه (عليه السلام) قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وهم أهل الجمل، وأهل صفين، والخوارج، ويتحقق أيضاً مصداق ما أخبر به الزبير بأنه سيفاتل علياً (عليه السلام) وهو له ظالم. كما سنذكر هنا كل رواية من الأخبار، في مواردنا المناسبة لها.

* * *

في إخبار النبي(صلى الله عليه وآله) زبيراً أنه سيقاتل علياً وهو ظالم له

ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد [ج7 ص27] قال: عن مطرف قلنا للزبير: يا أبا عبدالله ما جاء بكم؟ ضيَعتم الخليفة حتى قتل، ثم جنتم تطلبون بدمه، فقال الزبير: إنا قرأناها على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأبي بكر وعمر وعثمان: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) لم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت فينا.

وفي مستدرك الصحيحين للحاكم [3: 366] روى بسنده عن أبي الأسود الدؤلي قال: شهدت الزبير خرج يريد علياً فقال له علي(عليه السلام): أنشدك الله، هل سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ فقال: لم أذكر، «يعني أنه نسي» ثم مضى الزبير منصرفاً. قال: هذا حديث صحيح.

وفيه أيضاً [3: 366] روى عن قيس بن أبي حازم قال: قال علي(عليه السلام) للزبير: أما تذكر يوم أنا وأنت في سقيفة قوم من الأنصار؟ فقال لك رسول الله(صلى الله عليه وآله): أتعبه؟ فقلت: وما يمنعني؟ قال(صلى الله عليه وآله): أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم له، قال: فرجع الزبير.

وفي نفس الجزء والصفحة منه أيضاً روى بسند عن أبي الأسود الدؤلي قال: شهدت علياً(عليه السلام) والزبير، لما رجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبدالله فقال: مالك؟ قال: ذكر لي علي حديثاً سمعته من رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: لتقاتلنه وأنت ظالم له، فلا أقاتله، قال: وللفقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين الناس، ويصلح الله هذا الأمر بك، قال: لقد حلفت أن لا أقاتل، قال: فاعتق غلامك جرجس، وقف حتى تصلح بين الناس؛ قال فاعتق غلامه جرجس ووقف، فاختلف أمر الناس، فذهب على فرسه. قال الحاكم: وقد روي إقرار الزبير لعلي بذلك من غير هذه الوجوه والروايات.

وفي أسد الغابة لابن الاثير [2: 199] في ترجمة الزبير بن العوام قال: وشهد الزبير الجمل مقاتلاً لعلي(عليه السلام)، فناداه علي(عليه السلام) ودعاه فانفرد به، وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) فنظر إليّ وضحك وضحكت، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال(صلى الله عليه وآله): ليس بمزه، ولتقاتلنه وأنت له ظالم، فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال.

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني [3: 6] قال: روى أبو يعلى من طريق أبي جرو المازني قال: شهدت علياً(عليه السلام) والزبير توافيا يوم الجمل، فقال له علي(عليه السلام) أنشدك، أسمعك رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: إنك تقاتل علياً وأنت ظالم له؟ فقال: نعم، ولم أذكر ذلك إلى الآن، فانصرف.

وفي تهذيب التهذيب [6: 325]: في ترجمة عبد السلام الكوفي قال: قال إسماعيل بن خالد عن عبد السلام «رجل من حية»: خلا علي(عليه السلام) بالزبير يوم الجمل، فذكر حديث: لتقاتلنه وأنت ظالم له.

قال السيد الحسيني: وذكره المتقي الهندي أيضاً في «كنز العمال» [6: 85] وقال: خلا علي(عليه السلام) بالزبير يوم الجمل فقال: أنشدك الله كيف سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول وأنت لاوي يدي

في سقيفة بني فلان: لتقاتلنه وأنت له ظالم، لينصرنّ عليك؟ فقال: قد سمعت لاجرم لا أقاتلك. وذكره العسقلاني أيضاً في فتح الباري [16: 165].

وفي كنز العمال للمتقي [6: 83] قال: عن نذير الضبي: أن علياً (عليه السلام) دعا الزبير وهو بين الصفين فقال: أنت آمن، تعال حتى أعلمك، فأتاه، فقال عليّ (عليه السلام) أنشدك بالله الذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق نبياً، أخرج النبي (صلى الله عليه وآله) يمشي وأنا وأنت معه، فضرب كتفك ثم قال لك: يا زبير كأنك قد قاتلت هذا؟، قال: اللهم نعم، فرجع.

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة [ص 63] في قصة أهل الجمل قال: ثم خرج عليّ (عليه السلام) على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الشهباء بين الصفين وهو حاسر فقال: أين الزبير؟ فخرج إليه حتى إذا كان بين الصفين اعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا، ثم قال عليّ (عليه السلام): يا أبا عبد الله ما جاء بك ها هنا؟ قال جئت أطلب دم عثمان، قال عليّ (عليه السلام): تطلب دم عثمان؟ قتل الله من قتل عثمان، أنشدك الله يا زبير هل تعلم أنك مررت بي وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو منكئ على يدك، فسلم علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضحك إليّ، ثم التفت إليك فقال لك: يا زبير إنك تقاتل علياً وأنت له ظالم؟ قال: اللهم نعم، قال عليّ (عليه السلام): فعلى مَ تقاتلني؟ قال الزبير: نسيتها والله لو ذكرت ما خرجت إليك ولا قاتلتك «الخ».

وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» [1: 207] في ترجمة طلحة بن عبيد الله قال: ثم شهد طلحة بن عبيد الله يوم الجمل محارباً لعليّ (عليه السلام) فزعم بعض أهل العلم أن علياً (عليه السلام) دعاه فذكره أشياء من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله على نحو ما صنع الزبير، واعتزل في بعض الصفوف، فرمي بسهم فقطع من رجله عرق النساء، فلم يزل ينزف حتى مات.

ونقل السيد الحسيني في فضائل الخمسة [2: 408] ما ذكره السيوطي في «الدر المنثور» في ذيل تفسير قوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) [البقرة: 185] قال: وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصلاة المكتوبة إلى الصلاة التي تليها كفارة ما بينهما، والجمعة إلى الجمعة التي تليها كفارة ما بينهما، والشهر إلى الشهر «يعني شهر رمضان» كفارة ما بينهما، إلا من ثلاث: الإشراك بالله، وترك السنّة، ونكث الصفقة فقلت: يا رسول الله، أما الإشراك بالله فقد عرفناه، فما نكث الصفقة وترك السنّة؟ قال: أما نكث الصفقة فإن تباع رجلاً بيمينك ثم تخالف إليه فتقاتله بسيفك، وأما ترك السنّة فالخروج من الجماعة.

وفي الغدير [3: 188] قال ردّاً على مخاريق ابن تيمية في حكم قتال يومي الجمل وصفين المسجلة في كتابه المسمّى بـ «منهاج السنّة»: «إني لأعجب من جهل هذا الانسان «الذي خلق جهولاً» بشؤون الإمامة، وأن حامل أعبائها كيف يجب أن يكون في ورده وصدرة، فإنّه في منتأى عن معنى الإمامة التي نرتنيها، ولا أعجب من جهله بموقف مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنّه كيف كان قيد الأمر ورهن الإشارة من مخلفه النبيّ الأعظم، فإنّه لم تتح له الحيطة بمكانته وفواضله ومجاري علمه وعمله، فإن

النصب المردى قد أعشى بصره، ورماه عن الحق في مرمى سحيق، وإنما كلُّ عجبى من جهله بما أخرج الحقاظ والأئمة في ذلك، ولكنه من قوم «لهم أعين لا يبصرون بها»، ونحن نعلم ما يوسوس به صدره. غاية الرجل من هذا الحكم البات، تغرير الأمة والتمويه على الحقيقة، وجعل تلك الحروب الدامية نتيجة رأي واجتهاد من الطرفين، حتى يسع له القول بالتساوي بين أمير المؤمنين ومقاتليه في الرأي والاجتهاد، وإنَّ كلاً منهما مجتهدٌ، وله رأيه مصيباً كان أو مخطئاً، غير أنَّ للمصيب أجريْن، وللمخطئ أجر واحد، ذاهلاً على أنَّ المنقب لا يخفى عليه هذا التدجيل، ويد التحقيق توقظ نائمة الأتكل، وقلم الحق لا يترك الأمة سدى، وينبئهم عن أن اجتهد القوم [إن صحت الأحلام] اجتهداً في مقابلة النص النبويِّ الأغر.

وليت شعري كيف يخفى الأمر على أي أحد؟ أو كيف يسع أن يتجاهل أيُّ أحد؟ وبين يدي الملاء العلمي قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لزوجاته: أيتكنَّ صاحبة الجمل الأدب «وهو الكثير الشعر» تخرج فينبحها كلاب الحوآب؟ يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت تقتل.

وقوله (صلى الله عليه وآله) لهن: كيف بإحداكن إذا نبج عليها كلاب الحوآب؟
وقوله (صلى الله عليه وآله) لهن: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوآب، سائرة الى الشرق في كتيبة؟
وقوله (صلى الله عليه وآله) لهن: أيتكن التي تنبح عليها «تنبحها» كلاب الحوآب؟
وفي لفظ الخفاجي في شرح الشفا [3: 166]: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأزب، تنبحها كلاب الحوآب؟

وقوله (صلى الله عليه وآله) لعائشة: كأني بإحداكن قد تنبحها كلاب الحوآب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء.

وقوله (صلى الله عليه وآله) لها: يا حميراء كأني بك تنبحك كلاب الحوآب، تقاتلين علياً وأنت له ظالمة.
وقوله (صلى الله عليه وآله) لها: انظري يا حميراء، أن لا تكوني أنت.
وقوله (صلى الله عليه وآله) لعلّي (عليه السلام): إن وليت من أمرها شيئاً فافرق بها.
وقوله (صلى الله عليه وآله): سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً (عليه السلام) على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلمه، وليس وراء ذلك شيء. قال: أخرج الطبراني كما في مجمع الزوائد [9: 134]: وكنز العمال [6: 155] وفي [7: 305] نقلاً عن الطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم.
وقيل لحذيفة اليماني: حدّثنا ما سمعت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لو فعلت لرجمتوني، قلنا: سبحان الله، قال: لو حدّثتكم أن بعض أمهاتكم تغزوكم في كتيبة، تضربكم بالسيف ما صدّقتموني، قالوا: سبحان الله، ومن يصدّقك بهذا؟ قال: أتتكم الحميراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها⁽⁹⁾، حيث تسوء وجوهكم، ثم قام فدخل مخدعاً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه⁽¹⁰⁾.
وقال العرني صاحب جمل عائشة: لمّا طرقتنا ماء الحوآب فنبحتنا كلابها، قالوا: أيّ ماء هذا؟ قلت: ماء الحوآب، فصرخت عائشة بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بغيرها فأناخته ثم قالت: أنا والله صاحبة

(9) الى هنا في كتاب الغدير: أما ما في المستدرک للحاكم فإنه يختلف في بعض الالفاظ قليلاً مع وجود هذا الذيل الذي يذكره المؤلف.

(10) مستدرک الصحيحين 4: 471.

كلاب الحوآب طروقآ، ردّوني. تقول ذلك ثلاثآ، فأناخت وأناخوا حولها، وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد، قال: فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء فقد أدرككم والله عليّ بن أبي طالب. قال: فارتحلوا وشتّموني. تاريخ الطبري [5: 171].

وفي مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري [3: 120] في حديث قيس بن حازم قال: لما بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أيّ ماء هذا؟ قالوا: الحوآب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال الزبير: لا، بعد تقدمي ويراك الناس ويصلح الله ذات بينهم، قالت: ما أظنني إلا راجعة، سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: كيف بإحداكنّ إذا نبحتها كلاب الحوآب؟

* * *

في أمر النبي (صلّى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين

وأما ما جاء عن النبي (صلّى الله عليه وآله) من الروايات في أمره (صلّى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد تواردت في كتب المسانيد والمعاجم وغيرها، غير أنها مدفونة بين أطباق الصفحات: لا يلوي عليها أحد ممن له مسكة من نور العلم، لأمر ما، مع أنها تدعوهم بلسان حالها: «هلمّوا إلينا نهذكم سبيل الرشاد» ولكن يا أسفاً وهل ينفع الصم الدعاء إذا ما ولوا مدبرين إلى حيث ما قادهم تعصبهم لأبائهم أو لكبرائهم؟ إما من دنيا تصيبهم، وإما من أحقاد ما يتوارثونها أبا عن أب وجدّاً عن جد من لدن أهل الطبقة الأولى أو من يوم بدر. فلنذكر في هذه الأسطر مما رواه حفظة السنن الموثوقون، عسى أن يكون بذكرها تطمئن قلوب ذوي الإنصاف، ومما تتم به الفائدة للنشأة الحديثة من أبناء الثقافة الإسلامية، خصوصاً لطلبة العلم الديني الذين تحرّروا من قيد العصبية المضنية، لتقوية وحدة الأخوة الإسلامية.

في مستدرك الصحيحين للحاكم [3: 139] روى بسنده عن عقاب بن ثعلبة: حدّثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب، قال: أمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي الصفحة المذكورة روى أيضاً بسند عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام): تقاتل الناكثين والقاسطين بالطرقات والنهروانات وبالسعفات، قال أبو أيوب: قلت يا رسول الله، مع من نقاتل هؤلاء القوم؟ قال: مع عليّ بن أبي طالب.

وفي تاريخ بغداد للخطيب [8: 340] روى بسنده عن خلد العصري قال: سمعت أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي تاريخ بغداد أيضاً [13: 186] روى بسنده عن علقمة والأسود قالاً: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب، إن الله أكرمك بنزول محمد (صلى الله عليه وآله) وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك، حتى أناخت ببابك، دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله، فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرنا بقتال ثلاثة مع علي (عليه السلام): بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قاتلناهم؛ [أهل الجمل طلحة والزبير] وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم: [يعني معاوية وعمر]، وأما المارقون فهم أهل الطرقات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لا بد من قتلهم إن شاء الله. وسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية. وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك. يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي، فإنه لن يدلي بك في ردى، ولن يخرجك من هدى. يا عمار، من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه، قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي (عليه السلام) قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار. قلنا يا هذا حسبك الله، حسبك رحمك الله. «قال السيد الحسيني في فضائل الخمسة» [2: 359]: وذكره المتقي الهندي في كنز العمال [6: 155] وقال فيه: لن يدلك على ردى ولن يخرجك من الهدى. قال: أخرجه الديلمي عن عمار بن ياسر وعن أبي أيوب.

وفي أسد الغابة لابن الأثير [4: 32] روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله، أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر.

وفي أسد الغابة [4: 33] روى بسنده عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا: قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم جئت تقاتل المسلمين قال: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وفي «كنز العمال» [6: 88] وقال في آخره: فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين. قال: أخرجه ابن جرير.

وفي «أسد الغابة أيضاً» [4: 33] روى بسنده عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً (عليه السلام) على منبركم هذا يقول: عهد إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي الدر المنثور للسيوطي في ذيل تفسير قوله تعالى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) [الزخرف: 41] قال: أخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) نزلت في علي (عليه السلام) أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي.

وفي «كنز العمال» [11: 327 ط. مؤسسة الرسالة - بيروت]: قال: عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً (عليه السلام) على المنبر وأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، مالي أراك تستحل الناس استحلال الرجل إبله؟ أبعهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو شيئاً رأيته؟ قال: والله ما كذبت ولا كذبت، ولا ضللت ولا ضلّ بي، بل

عهدٌ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهده إليّ، وقد خاب من افتري، عهد إليّ النبي (صلى الله عليه وآله) أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين: «قال: أخرجه البزار وأبو يعلى».

وفي «كنز العمال» [11: 352]: قال: عن الثوري ومعمار عن أبي إسحاق عن عاصم ابن ضمرة عن أبي صادق: قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراقي فقلت له: يا أبا أيوب، قد كرّمك الله بصحبة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) وبنزوله عليك، فما لي أراك تستقبل الناس تقتلهم؟ تستقبل هؤلاء مرةً، وهؤلاء مرةً، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إلينا أن نقاتل مع علي (عليه السلام) الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه وعهد إلينا أن نقاتل مع علي (عليه السلام) المارقين فلم أرهم بعد. «قال أخرجه ابن عساكر».

وفي «كنز العمال» [11: 327]: قال: عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتى منزل أم سلمة، فجاء عليّ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي. قال: أخرجه الحاكم في «الأربعين» وابن عساكر والمحب الطبري في «الرياض النضرة» [2: 240].

وفي «كنز العمال» [16: 194 - 44216]: قال: عن يحيى بن عبدالله بن الحسن عن أبيه قال: كان عليّ (عليه السلام) يخطب، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين «إلى أن قال»: أخبرنا عن الفتنة هل سألت عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: نعم، إنه لما نزلت هذه الآية من قول الله عز وجل: (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) [العنكبوت: 2] علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) حيّ بين أظهرنا، فقلت: ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال: يا عليّ! إن أمتي سيفتنون من بعدي، «إلى أن قال»: فقلت: بأبي أنت وأمي بيّن لي ما هذه الفتنة التي يبتلون بها؟ وعلى ما أجاهدكم بعدك؟ فقال: إنك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة، وجلاهم وسمّاهم رجلاً رجلاً.

وفي «مجمع الزوائد للهيثمي» [9: 235]: قال: وعن عبدالله «يعني ابن مسعود» قال: أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وذكره في [7: 238] وقال: أمر عليّ (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. ثم قال: رواه الطبراني في الأوسط⁽¹¹⁾.

وروى الذهبي في «ميزان الاعتدال» [1: 271]: قال: وعن علي بن الحزور، عن الأصمغ بن نباتة عن أبي أيوب عن النبي (صلى الله عليه وآله): أنه أمرنا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. قلت: يا رسول الله مع من؟ قال: مع عليّ بن أبي طالب.

وفي [1: 584]: روى عن عبيد الله بن موسى عن فطر عن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن عليّ قال: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي منتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل [5: 437]: قال: عن عليّ (عليه السلام) قال: أمرت بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما القاسطون فأهل الشام، فأما الناكثون فذكرهم....

وأما المارقون فأهل النهروان «يعني الحرورية». وفي [ص451] منه روى أيضاً عن الثوري عن عاصم بن ضمرة عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراقي. إلى آخر الحديث المذكور في كنز العمال، وقد مر ذكره.

وفي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» بهامش الإصابة للعسقلاني [3: 53]. في ترجمة علي بن أبي طالب قال: وروى من حديث عليّ، ومن حديث ابن مسعود ومن حديث أبي أيوب الأنصاري أنه أمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي «مناقب محمد بن عليّ بن شهر آشوب [3: 147 ط. دار الاضواء] قال: قرأ أمير المؤمنين(عليه السلام) يوم البصرة «أي في وقعة الجمل»: (وَإِنْ نَكُنُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُنْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) [التوبة: 12] ثم قال: لقد عهد إليّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقال: يا علي، لتقاتلن الفئة الناكثة، والفئة الباغية، والفرقة المارقة، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون.

قال ابن عباس: لما علم الله أنه ستجري حرب الجمل، قال لأزواج النبي(صلى الله عليه وآله): (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) وقال تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِ مِنْكِ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ) [الأحزاب: 30 و 33] في حربها مع عليّ.

وعن شعبة، والشعبي، والأعمش، وابن مردويه، والخطيب في كتبهم، بالأسانيد عن ابن عباس وابن مسعود، وحذيفة، وقتادة، وقيس بن أبي حازم، وأم سلمة، وميمونة، وسالم بن أبي الجعد واللفظ له: إنه ذكر النبي(صلى الله عليه وآله) خروج بعض نسائه فضحكت عائشة، فقال: انظري يا حميراء لا تكونين هي، ثم التفت إلى عليّ فقال: يا أبا الحسن إن وليت من أمرها شيئاً فافرق بها.

قال الزاهي:

كم نُهيت عن تبرج فعصت *** وأصبحت للخلاف متبّعه
قال لها في البيوت قري *** وخالفته العفيفة الورعه
وقال السوسي:

وما للنساء وحرب الرجال *** فهل غلبت قط أنثى ذكر
ولو أنها لزمت بيتها *** ومغزلها لم ينلها ضرر
وقال الحميري:

جاءت مع الأشقين في هودج *** تزجي إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرة *** تريد أن تأكل أولادها
وقال الحميري:

أعائش ما دعاك إلى قتال *** الوصي وما عليه تنقمينا
ألم يعهد إليك الله ألا *** تري أبداً من المتبرّجينا
وأن ترخي الحجاب وأن تقرّي *** ولا تتبرّجي للناظرينا

وقال لك النبي أيا حميرا *** سييدي منك فعل الحاسدينا
وقال ستنبحين كلاب قوم *** من الأعراب والمتعربينا
وقال ستركبين على خذب *** يسمي عسكرياً فتقاتلينا
فخنت محمداً في أقربيه *** ولم ترعي له القول الوضينا
وفي [3: 153]⁽¹²⁾ منه قال: وسأل ابن الكواء وقيس بن عباد أمير المؤمنين (عليه السلام) عن قتال طلحة
والزبير، فقال: إنهما بايعاني بالحجاز وخلعاني بالعراق فاستحللت قتالهما لنكثهما بيعتي.
وفيه عن تأريخ الطبري: قال يونس النحوي: فكرت في أمر عليّ وطلحة والزبير، إن كانا صادقين
أن علياً قتل عثمان فعثمان هالك، وإن كذبا عليه فهما هالكان.
قال رجل من بني سعد:
صنتم حلائلكم وقدمت أمكم *** هذا لعمر ك قلّة الإنصاف
أمرت بجرّ ذيولها في بيتها *** فهوت تشقّ البيد بالايحاف
عرضاً يقاتل دونها أبنائها *** بالنبل والخطي والأسياف
وقال الناشي:
ألا يا خليفة خير الورى *** لقد كفر القوم إذ خالفوكا
أدلّ دليل على أنهم *** أتوك وقد سمعوا النص فيكا
خلافهم بعد دعوتهم *** ونكثهم بعد ما بايعوكا
طغوا بالخريفة واستجدوا *** بصفين والنهر إذ صالتوكا
أناس هم حاصروا نعتلاً *** ونالوه بالقتل ما استأذنوكا
فيا عجباً منهم إذ جنوا *** دماً وبثاراته طالبوكا

* * *

المبحث السبعون

في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: 28].

قال السيوطي في «الدر المنثور» [4: 642 ط. دار الفكر - لبنان]: وأخرج ابن مردويه عن علي (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما نزلت هذه الآية: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) قال: ذاك من أحب الله ورسوله، وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب، وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً، ألا بذكر الله يتحابون. وذكره الشوكاني في تفسيره فتح القدير في [3: 82]. والطباطبائي في تفسيره «الميزان» في [11: 367] ونقل فيه عن تفسير العياشي عن ابن عباس أنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ثم قال لي: أتدري يا ابن أم سليم من هم؟ قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: نحن أهل البيت وشيعتنا.

وفي الدر المنثور في الصفحة المذكورة قال: أخرج أبو الشيخ عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه لما نزلت هذه الآية: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ): أتدرون ما معنى ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: من أحب الله ورسوله، وأحب أصحابي.

وأخرج ابن مردويه عن علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما نزلت هذه الآية: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) قال: ذاك من أحب الله ورسوله، وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب، وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً، ألا بذكر الله يتحابون.

يفيد مفهوم هذه الآية بأن القلوب لا تطمئن بشيء عن ذكر الله عز وجل، واستبان لنا أيضاً من بيان النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله: «ذاك من أحب الله» فلا ضير أن يكون ذلك كما قيل من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

ثم عطف النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: «وأحب رسوله» فبطبع الحال بأن من أحب الله عز وجل لا محالة أحب رسوله. وقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله) لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه «الحديث» ثم عطف (صلى الله عليه وآله) محبة أهل بيته على محبته بقوله: «وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب» ثم ختم حديثه بقوله: «وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً».

قال الطباطبائي في تفسير الحديث: فإن النبي (صلى الله عليه وآله) والمطهرين من أهل بيته، والخيار من الصحابة والمؤمنين من مصاديق ذكر الله لأن الله يُذكر بهم.

وأقول وبالله التوفيق للصواب: ولعل من الممكن من أهم ما يعتبر بما في ضمن هذا الحديث، ويعتني بتحقيقه، قوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «وأحب أهل بيته صادقاً غير كاذب» لأن ذلك من المحتمل لمن أمعن النظر فيه من مغزاه ومفهومه، أن يكون من الناس من لم يكن صادقاً في حبهم، فلعل من أجل ذلك قد ورد عنه (صلى الله عليه وآله) أحاديث كثيرة في التحريض على حبهم، وبشر من أحبهم بما بشر، وحدّر من بغضهم وأنذر من أبغضهم بما أنذر. كما سنذكر بعون الله عزّوجلّ في هذه العجالة بعض الأحاديث المحرّضة على حبّهم، والمحدّرة من بغضهم. راجياً من المولى أن ينتفع بها كل قارئ منصف لبيب، وكل ذي قلب سليم ورأي أريب، من الذين لا ينتزع أحدهم بأي نزعة من النزعات، ولا ممن يتكدر صفاء ذهنه بهوى العصبية.

* * *

في ما جاء في حب أهل البيت (عليهم السلام)

روى الترمذي في «صحيحه» [2: 308] عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبّوني لحب الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي».

قال السيد الحسيني في «فضائل الخمسة» [2: 75]: ورواه الحاكم أيضاً في «مستدرك الصحيحين» [3: 149] بطريقتين وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ورواه أبو نعيم أيضاً في «حلية الأولياء» [3: 211] والخطيب البغدادي أيضاً في «تأريخ بغداد» [4: 159] وابن الأثير الجزري أيضاً في «أسد الغابة» [2: 12] والسيوطي أيضاً في تفسيره «الدر المنثور» في ذيل تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً) الآية [الشورى: 23] وقال: أخرجه الترمذي وحسنه، والطبراني والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان».

وفي «تأريخ بغداد للخطيب» [2: 146] روى بسنده عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي، وهم شيعتي.

وفي «الدر المنثور» للسيوطي [7: 349] في ذيل تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قال: وأخرج أحمد، والترمذي وصحّحه، والنسائي، والحاكم، عن المطلب بن ربيعة قال: دخل العباس على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إنا لنخرج فنرى قريشاً تحدّث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودرّ عرق بين عينيه ثم قال: والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبّكم الله ولقرايتي. وذكره المحب الطبري أيضاً في ذخائر العقبى [ص9] لكن عن ابن عباس وقال: أخرجه أحمد.

وقال فيه أيضاً: أخرجه الطبراني والخطيب من طريق أبي الضحى عن ابن عباس قال: جاء العباس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إنك قد تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لا يبلغوا الخير والإيمان حتى يحبّوكم.

وقال فيه أيضاً: وأخرج الخطيب من طريق أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت: أتى العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، إنا لنعرف الضعائن في أناس من قومنا لوقائع أوقعناها، فقال: أما والله إنهم لم يبلغوا خيراً حتى يحبّوكم لقرايتي، ترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب.

وفي «كنز العمال» [1: 41 ط. مؤسسة الرسالة] ولفظه: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذريتي أحب إليه من ذريته. قال أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» والبيهقي في «شعب الإيمان». وقال السيد الحسيني: وذكره الهيثمي أيضاً في «مجمع الزوائد» [1: 88] وقال: رواه الطبراني في «الأوسط والكبير» انتهى. وذكره الشبلنجي في نور الأبصار [ص103] وقال: رواه الطبراني والديلمي، وأبو الشيخ ابن حبان، والبيهقي مرفوعاً.

وفي «كنز العمال» أيضاً [6: 218] وفي [7: 103] قال (صلى الله عليه وآله): يا علي إن الاسلام عريان، لباسه التقوى، ورياشه الهدى، وزينته الحياء، وعمارته الورع، وملاكه العمل الصالح، وأساس الاسلام حبي وحب أهل بيتي. قال: أخرجه ابن عساكر عن علي (عليه السلام).

وفي «كنز العمال» أيضاً [7: 213] ولفظه: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن حبنا أهل البيت، قال: أخرجه الطبراني عن ابن عباس.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» [10: 346] وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وذكره ثانياً بلا فصل وقال: عن أبي برزة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تزول قدما عبد يوم القيامة «وساق الحديث كما تقدم» وقال في آخره: قيل: يا رسول الله، فما علامة حبكم؟ فضرب بيده على منكب علي (عليه السلام).

قال: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط».

وفي «كنز العمال» أيضاً [6: 217] وفي [8: 151] قال (صلى الله عليه وآله): أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحِب لهم بقلبه ولسانه... «قال: أخرجه الديلمي». وقال السيد الحسيني: وذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى [ص18].

وفي «كنز العمال» أيضاً [8: 278] ولفظه: أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفائه. قال: أخرجه أبو نصر عبد الكريم الشيرازي في «الفوائد» والديلمي في الفردوس، وابن النجار عن علي (عليه السلام). وقال السيد الحسيني: وذكره المناوي في «فيض القدير» في المتن [1: 225] وذكره ابن حجر أيضاً في «الصواعق» [ص103].

وفي «كنز العمال» أيضاً [6: 216] ولفظه: إن لكل بني أب عصابة ينتمون إليها، إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم، وهم عترتي خلقوا من طينتي، ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله. قال: أخرجه ابن عساكر عن جابر. أقول: وأما حديث كون النبي (صلى الله عليه وآله) عصابة أولاد فاطمة فقد رواه ابن حجر في صواعقه [ص234] وقال: جاء من طرق، بعضها رجاله موثقون.

وفي تفسير الكشاف للزمخشري [4: 220 ط. منشورات البلاغة] في تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) [الشورى: 23]. قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله): من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما

تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزاراً لملائكة الرحمن، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة. انتهى.

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير في ذيل تفسير أية المودة «بعد نقل ما تقدم من الزمخشري في الكشف» ما لفظه: أقول: آل محمد (صلى الله عليه وآله) هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين (عليه السلام) كان التعلق بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل. وذكره الشبلنجي أيضاً في نور الأبصار [ص127 ط. دار الفكر].

وفي «مجمع الزوائد» للهيتمي [9: 172]: قال: وعن الحسن بن علي (عليهما السلام)، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عزّوجلّ وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا. «قال: ورواه الطبراني في الأوسط». وفي «كنوز الحقائق» للمناوي [ص5] ولفظه: أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي. وقال: أخرجه الديلمي.

وفي «ذخائر العقبى» للمحب الطبري [ص18] قال: وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي. «قال: أخرجه الملا. يعني في سيرته».

وفي «ذخائر العقبى» أيضاً [ص18] قال: وعن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم كهاتين السبابتين. «قال: أخرجه الملا. يعني في سيرته».

وفي «نور الأبصار» للشبلنجي [ص103] قال: وروي عن علي (عليه السلام) قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) مغضباً حتى استوى على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال قوم يؤذونني في أهل بيتي، والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذريتي.

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم [9: 652] قال: حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثني أبو بكر السبئي قال: سمعت بعض مشائخنا يحكي: أن الشافعي عابه بعض الناس لفرط ميله إلى أهل البيت ولشدة محبته لهم، إلى أن نسبه بعض إلى الرفض، فأنشأ الشافعي في ذلك يقول:

يا راكباً قف بالمحصّب من منى *** واهتف بقاعد خيفها والناهض

إن كان رفضاً حب آل محمد *** فليشهد الثقلان أني رافضي

قال السيد مرتضى الحسيني: وذكرها أيضاً ابن حجر في صواعقه [ص131] وفي طبعة أخرى [ص79] باختلاف وزيادة، فقال: وقال أيضاً «يعني الشافعي»:

يا راكباً قف بالمحصب من منى *** واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى *** فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد *** فليشهد الثقلان أني رافضي
ثم قال: «يعني ابن حجر» [ص178] وفي طبعة أخرى [ص108]:

وأخرج الخطيب أن أحمد بن حنبل كان إذا جاءه شيخ أو حدث من قریش أو الأشراف، قدمهم بين يديه، وخرج وراءهم. وكان أبو حنيفة يعظم أهل البيت كثيراً، ويتقرب بالإنفاق على المتسترين والظاهرين، حتى قيل إنه بعث إلى متستر منهم باثني عشر ألف درهم، وكان يحض أصحابه على ذلك، ولمبالغة الشافعي فيهم صرح بأنه من شيعتهم حتى قيل: كيت كيت. فأجاب عن ذلك بما قدمنا عنه من النظم البديع. وله أيضاً:

آل النبي ذريعتي *** وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم أعطى غداً *** بيدي اليمين صحيفتي

وذكرها الشلنجي في نور الأبصار [ص127].

وقال ابن حجر في صواعقه [ص131] والشلنجي في نور الأبصار [ص127]: قال «يعني الشافعي»:

قالوا ترفضت قلت كلا *** ما الرفض ديني ولا اعتقادي

لكن توليت غير شك *** خير إمام وخير هادي

إن كان حب الولي رفضاً *** فإنني أرفض العباد

وفي الصواعق أيضاً [ص131] قال: قيل للمزني «أي الشافعي»: إنك توالي أهل البيت، فلو عملت

في هذا الباب أبياتاً، فقال:

وما زال كتماً منك حتى كأني *** برّد جواب السائلين لأعجم

وأكتم ودّي مع صفاء مودّتي *** لتسلم من قول الوشاة وأسلم

وفي نور الأبصار [ص127] قال الشلنجي: ولأبي الحسن بن جبیر (رحمه الله):

أحب النبي المصطفى وابن عمه *** علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا

همو أهل بيت أذهب الرجس عنهمو *** وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهرا

موالاتهم فرض على كل مسلم *** وحبهمو أسنى الذخائر للأخرى

ولا أنا للصحب الكرام بمبغض *** فإني رأيت البغض في حقهم كفرا

همو جاهدوا في الله حق جهاده *** وهم نصرُوا دين الهدى بالظبا نصرا

عليهم سلام الله ما دام ذكرهم *** لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

وقال بعضهم:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها *** مناقبهم جاءت بوحى وإنزل

مناقب في الشورى وفي هل أتى أنت *** وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

وهم آل بيت المصطفى فودادهم *** على الناس مفروض بحكم وإسجال

* * *

في تحذيره(صلى الله عليه وآله) من بغض أهل بيته(عليهم السلام)

وأما ما جاء من الروايات عن النبي(صلى الله عليه وآله) في التحذير من بغض أهل بيته(عليهم السلام)، فقد رواها عدة من المحدثين والمفسرين وغيرهم، وقد ذكرنا شطراً من ذلك في باب «حُتّه(صلى الله عليه وآله) على حب أهل بيته» وسنذكر ما بقي مما جمعه السيد الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [2: 91] فيكون متمماً للباب الذي نحن بصدد.

روى الحاكم في «المستدرک» [3: 148] بسنده عن ابن عباس أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: يا بني عبد المطلب! إني سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قانمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم. وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلاً صفن فصلّى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار. قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم.

وقال السيد الحسيني: وذكره المتقي أيضاً في كنز العمال [6: 203] وقال فيه: «صنف بين الركن والمقام» ثم قال: أخرجه الطبراني والحاكم عن ابن عباس.

وفي «المستدرک» أيضاً [3: 150] روى بسند إلى أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار. «قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

وقال السيد الحسيني: وذكره ابن حجر في صواعقه [ص143] وقال: إنه صحيح. وذكره السيوطي أيضاً في الدر المنثور في ذيل تفسير آية المودة في سورة الشورى، وقال: أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد.

وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي [3: 122] روى بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) ليس في القيامة راكب غيرنا، ونحن أربعة «وساق الحديث» فذكر النبي(صلى الله عليه وآله) وصالح وحمزة وعلي بن أبي طالب(عليه السلام) إلى أن قال(صلى الله عليه وآله): لو أن عابداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام، حتى يكون كالشن البالي، ولقي الله مبغضاً لآل محمد، أكبه الله على منخره في نار جهنم.

وفي الدر المنثور للسيوطي في ذيل تفسير آية المودة في سورة الشورى قال: وأخرج ابن عدي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من أبغضنا أهل البيت فهو منافق.

قال السيد الحسيني: وذكره الطبري أيضاً في ذخائر العقبى [ص18] وقال: أخرجه أحمد في المناقب. وذكره المناوي أيضاً في كنوز الحقائق [ص134] وقال: أخرجه الديلمي. وقال السيوطي أيضاً: وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي(عليهما السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا زيد يوم القيامة بسياط من نار.

وفي «مجمع الزوائد» للهيتمي [4: 278] قال: وعن معاوية بن خديج قال: أرسلني معاوية بن أبي سفيان إلى الحسن بن عليّ (عليهما السلام) أخطب على يزيد بنتاً له - أو اختاً له - فأتيتها فذكرت له يزيد، فقال (عليه السلام): إنا قوم لا نزوج نساءنا حتى نستأمرهن، فأتيتها فذكرت لها يزيد، فقالت: والله لا يكون ذلك حتى يسير فينا صاحبك كما سار فرعون في بني إسرائيل، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، فرجعت إلى الحسن (عليه السلام) فقلت: أرسلتني إلى فلقة تسمي أمير المؤمنين «يعني معاوية» فرعون، قال (عليه السلام): يا معاوية «يعني ابن خديج» إياك وبغضنا فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا نزيد يوم القيامة بسياط من النار.

وفي «تفسير الكشاف» للزمخشري في تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) [الشورى: 23] قال: وعن النبي (صلى الله عليه وآله): حرمت الجنة على من ظلم أهل بيته وأذاني في عترتي، ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب، ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة، قال السيد الحسيني: وذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى [ص20] باختلاف في اللفظ. عن عليّ (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله حرّم الجنة على من ظلم أهل بيته أو قاتلهم أو أغار عليهم أو سبهم. قال: أخرجه الامام عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام).

وفي كنوز الحقائق للمناوي [ص134] ولفظه: من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله. قال: أخرجه الديلمي، وقال السيد الحسيني، وذكره المتقي أيضاً في كنز العمال [6: 217] ولفظه: من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله، قال: أخرجه أبو نعيم عن عليّ (عليه السلام).

وفي ذخائر العقبى للطبري [ص7] قال: وعن أبي هريرة قال: جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله ! إن الناس يقولون: أنت بنت حطب النار. فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو مغضب فقال: ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي، من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله. قال: أخرجه الملا في سيرته.

وفي الصواعق لابن حجر [ص177] في «المقصد الثالث» قال: صح أنه (صلى الله عليه وآله) قال: والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار.

وقال: وأخرج أحمد مرفوعاً: من أبغض أهل البيت فهو منافق. وأخرج هو والترمذي عن جابر: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً.

وقال أيضاً: وصححه الحاكم غير أنه (صلى الله عليه وآله) قال: يا بني عبد المطلب! إنني سألت الله لكم ثلاثاً «الحديث».

فهذه بحمد الله جملة مما اطلعنا عليه بمئه وفضله، مع قلة ما عندنا من الكتب التي نعتمد عليها، وضعف باعنا وقصور معرفتنا في هذا الفن، غير أن الدافع إلى ذكر تلكم الأخبار والروايات، طول غربتها عن مسامع آذان الأمة، لعدم من يذكرها، مع كثرة خطبهم في مجالس العلم، والمبلغين في كل محفل. وليت شعري أيرون بأن العلم بهاتيك الأخبار النبوية ليس من الضروري للملاء الديني؟ أو ليست

من إحدى المهمات الدينية في حقهم؟ أو لم يكن مفاد تلكم الأخبار يعرب بكل وضوح بأن حب أهل بيته (صلى الله عليه وآله) علامة لإيمان المؤمن، وانتفاء البغض لأهل بيته عن قلوب المتعبدین شرط في قبول عباداتهم، وبغضهم من أمارات النفاق ومن مقتضيات الدخول في النار؟

فمن أجل ذلك وعظيم ضرورتها للكثيرين من العامة، قال ابن حجر في صواعقه [ص 173 ط. مصر]: تنبيه! قال القاضي في «الشفاء» «يعني القاضي عياض اليعصبی» ما حاصله: من سبّ أبا أحد من ذريته (صلى الله عليه وآله) ولم تقم قرينة على إخراجہ (صلى الله عليه وآله) قتل، وقال: وعلم من الأحاديث السابقة، وجوب محبة أهل البيت، وتحريم بغضهم التحريم الغليظ. ولزوم محبتهم صرح البيهقي والبخاري وغيره، أنها من فرائض الدين، بل نص عليه الشافعي فيما حكى عنه في قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم *** فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم *** من لا يصلي عليكم لا صلاة له

وقال في [ص 168]: وللشيخ الجليل شمس الدين ابن عربي:

رأيت ولائي آل طه فريضة *** على رغم أهل البعد يورثني القربا

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى *** بتبليغه إلا المودة في القربى

* * *

المبحث الحادي والسبعون

في قوله تعالى: (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الاعراف: 181].

قال الحلّي وهو الحسن بن يوسف بن المطهر من كبار علماء الإمامية في القرن الثامن الهجري كما في «دلائل الصدق [2: 186 ط. بصيرتي] في قوله تعالى: (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ): قال عليّ (عليه السلام): أنا وشيعتي.

وقال الإمام المظفر في كتابه دلائل الصدق «في الصفحة والجزء المذكورين»: لا يخفى أنه ورد في كثير من أخبار القوم أن المراد بالأمة في الآية أمة محمد، وليس المراد هو الأمة بإطلاقها، كما في تفسير الرازي قال: قرأ النبي (صلى الله عليه وآله) الآية وقال: إن من أمتي قوم على الحق حتى ينزل ابن مريم.

ولما استفاض في الأخبار من أن أمة محمد (صلى الله عليه وآله) تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية وما سواها هالكة في النار، فلا يمكن أن تكون كلها هادية بالحق، بل بعضها، وهي الفرقة الناجية، وقد فسرتها الرواية التي أشار إليها المصنف «يعني الحلّي» بعلي وشيعته، كما يشهد لها حديث الثقلين وغيره.

في الدر المنثور [3: 149] قال السيوطي: وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع في قوله تعالى: (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُودُونَ بِالْحَقِّ) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم متى ما نزل.

وقال: أخرج أبو الشيخ عن عليّ بن أبي طالب قال: لتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة. يقول الله: (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) فهذه هي التي تنجو من هذه الأمة.

والطبرسي أيضاً في تفسيره مجمع البيان [2: 123 ط. مؤسسة التاريخ العربي] قال: وروى العياشي بإسناده عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) أنه قال: والذي نفسي بيده، لتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) فهذه التي تنجو. وروى فيه أيضاً عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام)، قالوا: نحن هم.

وفي ينابيع المودة للقندوزي الحنفي في الباب الخامس والثلاثين [ص 109] قال: وأخرج موفق بن أحمد الخوارزمي عن عمر بن أذينة عن جعفر الصادق عن آبائه عن عليّ (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عليّ مثلك في أمتي مثل عيسى ابن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون

وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن دين الله وهم النصارى، وأن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق: فرقة اتبعوك وأحبوك وهم المؤمنون، وفرقة عادوك وهم الناكثون والمارقون والقاسطون، وفرقة غلوا فيك وهم الضالون، يا عليّ، أنت وأتباعك في الجنة، وعدوك والغالي فيك في النار.

وفي ينابيع المودة أيضاً «في الباب المذكور» قال: وأخرج موفق بن أحمد الخوارزمي المكي، عن زاذان عن عليّ (عليه السلام) قال: تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الذين قال الله عزّ وجلّ في حقهم: (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) وهم أنا ومحبيّ وأتباعي.

وفي دلائل الصدق للإمام المظفر [2: 187 ط. بصيرتي] قال: قال عليّ (عليه السلام): في هذه الرواية كما في «كشف الغمة» عن ابن مردويه: وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهم الذين قال الله تعالى: (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) وهم أنا وشيعتي.

أقول: وأما الأحاديث الواردة في كون شيعة أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) وأتباعه هم الفرقة الناجية الفائزة، والراضية المرضية الواردون على الحوض مع العترة النبوية، فقد رواها جمع كثيرون من أعلام الأمة، وأعظم الأئمة، وقد مضى ذكر شطر منها في «المبحث السادس» في تفسير معنى قوله تعالى: (أولئك هم خير البرية).

وقد نقل السيد الحسيني الفيروز آبادي في كتابه النفيس «فضائل الخمسة» [3: 98 ط. دار الكتب الإسلامية] باب «أن علياً (عليه السلام) وشيعته يردون على الحوض» عن الهيثمي في «مجمع الزوائد» [9: 131] قال: وبسنده «يعني الطبراني» أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام): أنت وشيعتك تردون على الحوض رواة مرويين، مبيضة وجوهكم، وإن أعداءك يردون على الحوض ظماء مقمحين.

وفي كنوز الحقائق للمناوي [ص189] ولفظه: يا عليّ أنت وشيعتك تردون على الحوض وروداً.

وفي مستدرک الصحيحين [3: 151] روى الحاكم بسنده عن عاصم بن ضمرة عن عليّ (عليه السلام) قال: أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلت: يا رسول الله، فمحبّونا، قال: من ورائكم. «قال الحاكم: صحيح الإسناد» وقال الحسيني في فضائل الخمسة [3: 133]: وذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى [ص27] وقال: أخرجه أبو سعيد.

وفي كنز العمال [12: 104 ط. مؤسسة الرسالة] ولفظه: يا عليّ إن أول أربعة يدخلون الجنة: أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيمننا وعن شمائلنا. قال: أخرجه ابن عساكر عن عليّ (عليه السلام) وأخرجه الطبراني عن أبي رافع.

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم [4: 329] روى بسنده عن الشعبي عن عليّ (عليه السلام)، قال: قال لي النبي (صلى الله عليه وآله): إنك وشيعتك في الجنة «الحديث» ورواه الخطيب البغدادي أيضاً في تاريخ بغداد [12: 289].

وفي تاريخ بغداد للخطيب [12: 358] روى بسنده عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت: كانت ليأتي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتته فاطمة (عليها السلام) ومعها عليّ (عليه السلام) فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة. الحديث.

قال الحسيني في فضائل الخمسة [3: 119 ط. بصيرتي]: وذكره الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد [10: 21] وقال: رواه الطبراني في الأوسط.

وفي مجمع الزوائد للهيثمي [9: 173] قال: وعن أبي هريرة أن علي بن أبي طالب قال: يا رسول الله! أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال (صلى الله عليه وآله): فاطمة: أحب إلي منك، وأنت أعزّ عليّ منها، وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وإن عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة، إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إخواناً على سرر متقابلين) لا ينظر أحد في قفا صاحبه. قال: رواه الطبراني.

وفي المناقب لابن المغازلي الشافعي [ص 339 برقم 296] قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد ابن المظفر العطار الفقيه الشافعي (رحمه الله)، أخبرنا عبدالله بن محمد بن عثمان المزنيّ الملقّب بابن السقاء الحافظ، حدّثنا عبدالله بن زيدان، حدّثنا عليّ بن يونس بن عليّ بن يونس العطار، حدّثنا محمد بن عليّ الكندي، حدّثني محمد بن سالم، حدّثنا جعفر بن محمد، قال: حدّثني محمد بن عليّ، حدّثني عليّ بن الحسين، حدّثني الحسين بن عليّ، حدّثني عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال: يا عليّ إنّ شيعةً يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والدنوب، وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقد فرجت عنهم الشدائد، وسهّلت لهم الموارد، وأعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تلالاً نوراً، على نوق بيض لها أجنحة، قد ذللت من غير مهانة، ونجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر، ألين من الحرير، لكرامتهم على الله عزّ وجلّ.

ونذكر ما رواه ابن حجر في صواعقه، والذي نقله عن الإمام أحمد بن حنبل، والطبراني، والديلمي ولا نرى بإيراده بأساً لو تكرر بما سبق في المبحث السادس مما رواه غيره عن أولئك الحفاظ الثلاثة، ورب تكرر يجدي نفعاً، ويزيد بياناً واعتباراً.

قال في [ص 140 ط. الميمنية]: وفي حديث ضعيف عن علي: شكوت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حسداً في الناس، فقال لي: أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذريتنا خلف أزواجنا.

وقال في [ص96 ط. الميمنية] أيضاً: أخرج الطبراني أنه (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ: أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيمننا وشمالنا.

وقال فيه أيضاً: أخرج أحمد في «المناقب» أنه (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ: أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيمننا وشمالنا. وقال في [ص151]: وأخرج الطبراني بسند ضعيف أن علياً أتى يوماً البصرة بذهب وفضة، فقال ابنيّ واصفريّ غريّ غيري، غريّ أهل الشام غداً إذا ظهوروا عليك، فشق قوله ذلك على الناس: فذكر له ذلك، فأذن في الناس فدخلوا عليه، فقال: إن خليلي (صلى الله عليه وآله) قال: يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عدوك غضاباً مقمحين، ثم جمع عليّ (صلى الله عليه وآله) يده إلى عنقه يريهم الاقماح. ثم قال الشيخ: وشيعته هم أهل السنة.

إن من الغريب عن مستوى الأفهام، ويتعجب منه بسطاء الأمة من العوام، فضلاً عن ذوي الاعتبار من الأعلام، تعبيره عن معنى الشيعة في الحديث المذكور بأهل السنة، مع أن لفظة الشيعة منذ أوائل نشأتها ما كانت تطلق إلا على محبيّ أمير المؤمنين وأبنائه من أهل بيت الوحي. ومنذ مقتل سيد الشهداء الحسين السبط (عليه السلام) اتسع معنى الشيعة حتى أطلقت غالباً على مواليهم ومناصريهم ومؤازريهم وعلى المعادي لمن عاداهم، والمحاربين لمن حاربهم، إلى يوم الناس هذا. وقد شاع ذلك وذاع بين الخاص والعام، شرقاً وغرباً، كالنار على المنار، والنور على الطور، فأى جدوى يا هل ترى بالتأويلات الباردة، والاحتمالات البعيدة؟ وحاشا أن يلتبس على الأمة معناها الحقيقي.

وأما ما نقله في [ص96] عن الديلمي فلفظه: يا عليّ إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبيّ شعيتك، فأبشر فأنت الأنزع البطين. وفي [ص139 ط. الميمنية] قال: وفي رواية: إن الله قد غفر لشيعتك ولمحبيّ شعيتك. كذا رواه السيد الحسيني في فضائل الخمسة [2: 95].

وذكر الزمخشري في الكشاف [4: 220] في تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً) الآية، قال: روي عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): شكوت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حسد الناس لي، فقال (صلى الله عليه وآله): أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيمننا وشمالنا وذريتنا خلف أزواجنا.

وفي المناقب لابن المغازلي الشافعي [ص293 برقم 335] قال: أخبرنا القاضي أبو جعفر محمد بن إسماعيل العلوي، حدّثنا أبو محمد عبدالله بن عثمان المزني الحافظ الملقب بابن السقاء، حدّثنا أبو عبدالله أحمد بن عليّ الرازي، حدّثنا عليّ بن حسين بن عبيد الرازي، حدّثنا إسماعيل بن أبان الأزدي، عن عمرو بن حريث، عن داود بن سليك عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً لحساب عليهم، ثم التفت إلى عليّ (صلى الله عليه وآله) فقال: هم من شيعتك وأنت إمامهم.

* * *

المبحث الثاني والسبعون

في قوله تعالى: (والنجم إذا هوى * ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطقُ
عن الهوى * إن هو إلا وحيّ يوحى) [النجم: 1 - 4].

قال ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص226 برقم 313]: أخبرنا أبو البركات إبراهيم ابن محمد بن خلف الجماري السقطي، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد، حدّثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن بن سهل المالكي المصري الواعظ بواسط في القراطيسيين، حدّثنا سليمان ابن أحمد المالكي قال: حدّثنا أبو قضاة ربيعة بن محمد الطائي، حدّثنا ثوبان ذو النون، حدّثنا مالك بن غسان النهشلي، حدّثنا ثابت عن أنس قال: انقضّ كوكب على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): انظروا إلى هذا الكوكب، فمن انقض في داره فهو الخليفة من بعدي، فنظروا فإذا هو قد انقض في منزل عليّ، فأُنزل الله تعالى: (والنجم إذا هوى * ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيّ يوحى).

قال المحقق والمعلق على الكتاب الفاضل محمد باقر البهبودي: أخرجه العلامة الذهبي في «ميزان الاعتدال»⁽¹³⁾ [2: 45 برقم 2756] من طريق الجوزجاني بهذا السند. وأورده ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» [2: 449].

وأورده أيضاً ابن المغازلي في «المناقب» [ص310 برقم 353] بغير السند المذكور، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن أحمد بن عثمان، أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخراز إذناً، حدّثنا أبو عبدالله الحسين بن عليّ الدهان، المعروف بأخي حماد، حدّثنا عليّ ابن محمد بن الخليل بن هارون البصري، حدّثنا محمد بن الخليل الجهني، حدّثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي (صلى الله عليه وآله) إذ انقضّ كوكب، فقال (صلى الله عليه وآله): من انقضّ هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي، فقام فتية من بني هاشم فنظروا، فإذا الكوكب قد انقضّ في منزل عليّ (عليه السلام). قالوا: يا رسول الله، قد أغويت في حب عليّ، فأُنزل الله تعالى: (والنجم إذا هوى) إلى قوله تعالى: (وهو بالأفق الأعلى).

(13) في ذيل الحديث الذي ينقله صاحب ميزان الاعتدال: فقال جماعة قد غوى محمد في حب عليّ فنزلت: (والنجم إذا هوى * ما ضلّ صاحبكم وما غوى).

قال الفاضل محمد باقر البهبودي: أخرجه من طريق مؤلفنا ابن المغازلي عبدالله الشافعي في مناقبه [ص76]، وأخرجه الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» [ص260] بالإسناد إلى أبي عمر محمد بن العباس بن حيويه بعين السند واللفظ، ثم قال: هكذا ذكره محدث الشام في ترجمة عليّ (عليه السلام).

وفي المناقب [3: 10 ط. دار الأضواء] للحافظ محمد بن علي بن شهر آشوب قال: أخرج أبو جعفر بن بابويه في «الأمالي» بطرق كثيرة، عن جويبر، عن الضحاك، عن أبي هارون العبدى، عن ربيعة السعدي، وعن أبي إسحاق الفزاري، عن جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السلام) كلهم عن ابن عباس.

وروي عن منصور بن الأسود عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام) واللفظ له قال: لما مرض النبي (صلى الله عليه وآله) مرضه الذي توفي فيه، اجتمع إليه أهل بيته وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله، إن حدث بك حدث فمن لنا بعدك؟ ومن القائم فينا بأمرك؟ فلم يجبه جواباً وسكت عنهم، فلما كان اليوم الثاني أعادوا عليه القول فلم يجبه عن شيء مما سأله، فلما كان اليوم الثالث قالوا: يا رسول الله، إن حدث بك حادث فمن لنا بعدك؟ ومن القائم لنا بأمرك؟ فقال لهم: إذا كان غداً هبط نجم من السماء في دار رجل من أصحابي فانظروا من هو، فهو خليفتي فيكم من بعدي والقائم بأمرى، ولم يكن فيهم أحد إلا وهو يطمع أن يقول له أنت القائم من بعدي، فلما كان اليوم الرابع جلس كل واحد منهم في حجرته ينتظر هبوط النجم، إذ انقضّ نجم من السماء قد علا ضوءه على ضوء الدنيا حتى وقع في حجرة عليّ، فماج القوم وقالوا: ضل هذا الرجل وغوى، وما ينطق في ابن عمه إلا بالهوى، فأنزل الله في ذلك: (والنجم إذا هوى) الآيات.

ويقال ونزل: (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم). وفي رواية نوف البكالي أنه سقط في منزل عليّ نجم أضاعت له المدينة وما حولها، والنجم كانت الزهرة، وقيل بل الثريا.

قال ابن حمّاد:

قال الإمام هو الذي في داره *** ينقض نجم الليل ساعة يطلع
فانقض في دار الوصيّ فغاضهم *** وغدت له ألوانهم تتمقع
قالوا أمال به الهوى في صنوه *** وتوازرروا إلبا عليه وشنعوا
وله أيضاً:

نص عليه أحمد *** في خبر لا يجحد
والقوم كل يشهد *** قال لهم وما افتري
من ذا هوى نجم الأفق *** في داره عند الغسق
فهو الإمام المستحق *** لا تقعدوا عنه بطا
قالوا بدا في حكمه *** هوى لابن عمه
يجعلها بز عمه *** فقال والنجم إذا
في تلکم الدار هوى *** ما ضلّ ذا ولا غوى
صاحبكم كما ادّعى *** بل هو حق قد أتى

وقال خطيب منيح:

ويوم النجم حين هوى فقاموا *** على أقدامهم متألّمين
فقالوا ضلّ هذا في عليّ *** وصار له من المتعصبين
وأنزل ذو العلى في ذاك وحياً *** تعالى الله خير المنزلين
بأن محمداً ما ضلّ فيه *** ولكن أظهر الحق المبين
وقال ابن علوية:

هل تعلمون حديث النجم إذا هوى *** في داره من دون كل مكان⁽¹⁴⁾
قالوا أشرّ نحو النبي بنعمة *** نسمع له ونطعه بالإذعان
قال النبي ستكفرون إن انتم *** ملتم عليه بخاطر العصيان
وستعلمون من المزنّ بفضلّه *** ومن المشار إليه بالازمان
قالوا أبنة فلم نخالف أمره *** فيما يجيء به من البرهان
فإليه أوم فقال إن علامة *** فيها الدليل على مراد العاني
فابغوا الثريا في السطوح فإنها *** من سطح صاحبكم كلمع يمان
سكنت رواعده وقل وميضه *** فتبيّنته حسائر العوران
فضلاً عن العين البصير بقلبه *** والمبصر الأشياء بالأعيان
حتى إذا صعدت حقائق أمره *** نفروا نفور طرائد البهزان
زعموا بأن نبينا اتبع الهوى *** وأتاهم بالإفك والعدوان
كذبوا ورب محمد وتبدّلوا *** وجروا إلى عمه وضدّ بيان

وهناك أحاديث وروايات كثيرة، فلعل من الخير أن نذكر شطراً منها لمناسبة في المقام الذي نحن بصددّه، لما انضم مدلولاتها بعضها إلى بعض لمن تدبر مرماها ومغزاها، ولاتفاق معانيها باعتبار مفهومها وفحواها، وإن كانت ألفاظها قد اختلفت، وعباراتها قد تباينت، فلتطوّر أطوار الأحوال والمواقع والمقامات. كما أخرجّه نقلة الأخبار والآثار، ونقلها عنهم ابن شهر آشوب في مناقبه [3: 53 ط: دار الأضواء].
منها ما نقله المنقري بإسناده إلى عمران بن أبي بريدة الأسلمي. وروى يوسف بن كليب المسعودي بإسناده عن داود عن بريدة. وروى عبّاد بن يعقوب الأسدي بإسناده عن داود السبيعي عن أبي بريدة أنه دخل أبو بكر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إذهب وسلم على أمير المؤمنين، فقال: يا رسول الله وأنت حيّ؟ قال: وأنا حيّ. ثم جاء عمر فقال له: مثل ذلك.

وفي رواية السبيعي أنه قال عمر: ومن أمير المؤمنين؟ قال (صلى الله عليه وآله): عليّ بن أبي طالب، قال عن أمر الله وأمر رسوله؟ قال: نعم.

(14) هكذا في الأصل وفي صدره خلل في الوزن ظاهر.

ومنها ما رواه في نفس المصدر [3: 53] عن إبراهيم السقفي، عن عبدالله بن جبلة الكناني، عن ذريح المحاربي عن الثمالي عن الصادق (عليه السلام): أن بريدة كان غائباً بالشام فقدم وقد بايع الناس أبا بكر، فأتاه في مجلسه فقال: يا أبا بكر هل نسيت تسليمنا على عليّ بإمرة المؤمنين واجبة من الله ورسوله؟ قال: يا بريدة إنك غبت وشهدنا، وإن الله يحدث الأمر بعد الأمر، ولم يكن الله يجمع لأهل هذا البيت النبوة والملك.

وفي رواية الثقفي والسري بن عبدالله بإسنادهما: أن عمران بن الحصين وأبا بريدة قالاً لأبي بكر: قد كنت أنت يومئذ فيمن سلم على عليّ بإمرة المؤمنين. فهل تذكر ذلك اليوم أم نسيته؟ قال: بل أذكره، فقال بريدة: فهل ينبغي لأحد من المسلمين أن يتأمر على أمير المؤمنين؟ فقال عمر: إن النبوة والإمامة لا تجتمع في بيت واحد، فقال له بريدة: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) [النساء: 54]، فقد جمع الله لهم النبوة والملك. قال: فغضب عمر وما زلنا نعرف في وجهه الغضب، حتى مات.

وأنشد بريدة الأسلمي:

أمر النبي معاشراً هم أسوة *** ولازم أن يدخلوا فيسلموا

تسليم من هو عالم مستيقن *** إن الوصي هو الإمام القائم

وفي نفس المصدر [3: 63] ما رواه عن ابن مردويه وعن السمعاني في «فضائل الصحابة» عن ابن مسعود أنه قال: كنت مع النبي (صلى الله عليه وآله) وقد تنفس الصعداء، فقلت ما لك يا رسول الله؟ قال: نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود، قلت استخلف، قال: من؟ قلت: أبا بكر، فسكت. ثم مضى ساعة ثم تنفس، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: نعيت إلي نفسي، فقلت: استخلف، قال: من؟ قلت: عمر، فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: نعيت إلي نفسي، قلت: استخلف، قال: من؟ قلت: عليّ بن أبي طالب، فسكت ثم قال: والذي نفسي بيده، لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين.

وروى في نفس المصدر [3: 48] نقلاً عن «حلية الأولياء» لأبي نعيم، وكتاب الولاية للطبري، قال النبي (صلى الله عليه وآله): يا أنس يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المرسلين⁽¹⁵⁾، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، قال أنس: قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته، إذ جاء عليّ فقال (صلى الله عليه وآله): من هذا يا أنس؟ قلت: عليّ، فقام مستبشراً واعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، فقال عليّ: يا رسول الله! لقد رأيتك صنعت بي شيئاً ما صنعته بي قبل، قال (صلى الله عليه وآله): وما يمنعني وأنت تؤدّي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي.

وفي [ص 249] روى المؤلف عن «العقد الفريد» لابن عبد البر وقال: بل روته الأمة بأجمعها عن أبي رافع وغيره: أن علياً نازع العباس إلى أبي بكر في برد النبيّ وسيفه وفرسه، فقال أبو بكر: أين كنت يا عباس حين جمع النبيّ (صلى الله عليه وآله) بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال: أيكم يؤازرني فيكون

وصيّ وخليفتي في أهلي، وينجز موعدي ويقضي ديني؟ فقال له العباس: فما أقعدك مجلسك هذا تقدّمته وتأمّرت عليه؟ فقال أبو بكر: أغدراً يا بني عبد المطلب؟

وفي [ص260] روى عن مسند أبي يعلى عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، وذلك: سئل أبو ذر عن اختلاف الناس عنه فقال: عليك بكتاب الله والشيخ عليّ بن أبي طالب، فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: عليّ مع الحق، والحق معه وعلى لسانه، والحق يدور حيثما دار عليّ. ورواه صاحب اعتقاد أهل السنة عن سعد بن أبي وقاص عن النبي (صلى الله عليه وآله).

وفي [ص47] روى عن الطبري بإسناد له عن سلمان الفارسي قال: قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) يا رسول الله إنه لم يكن نبي إلا وله وصيّ، فمن وصيّك؟ قال: وصيّ وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي مؤدّي ديني، ومنجز عداوتي عليّ بن أبي طالب.

وفيها أيضاً عن أبي رافع قال: لما كان في اليوم الذي توفي فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) غشي عليه، فأخذت بقدميه أقبلهما وأبكي، فأفاق وأنا أقول: من لي ولولدي يا رسول الله؟ فرفع إليّ رأسه وقال: الله بعدي ووصيّ صالح المؤمنين.

وفي رواية عن زيد بن عليّ عن أبيه (عليه السلام) أن أبا ذر لقيه عليّ (عليه السلام) فقال أبو ذر: أشهد لك بالولاء والإخاء والوصيّة. وروى مثل ذلك ابن مردويه عن سلمان والمقداد وعمار.

وروى أيضاً عن المسعودي عن عمر بن زياد الباهلي عن شريك بن الفضل بن سلمة عن أم هاني بنت أبي طالب قالت: قلت: يا رسول الله! إن ابن أُمّي يؤذيني «تعني علياً» فقال النبي (صلى الله عليه وآله) إن علياً لا يؤذي مؤمناً، إن الله طبعه على خلقي، يا أم هاني! إنه أمير في الأرض، وأمير في السماء، إن الله جعل لكل نبي وصيّاً، فثيث وصيّ آدم، ويوشع وصيّ موسى، وأصف وصيّ سليمان، وشمعون وصيّ عيسى، وعليّ وصيّ وهو خير الأوصياء في الدنيا والآخرة، وأنا صاحب الشفاعة يوم القيامة، وأنا الداعي وهو المؤدّي.

* * *

المبحث الثالث والسبعون

في قوله تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً) [الاسراء: 81].

روى الحاكم في المستدرک [2: 366 - 367] عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قال: انطلق بي رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أتى بي الكعبة فقال لي: إجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنكبي، ثم قال لي: إنهض، فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال لي: إجلس فنزلت وجلست، ثم قال لي: يا عليّ إصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه ثم نهض بي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما نهض بي خيل إليّ لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لي: ألق صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس موثداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عالجهم، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لي: إيه إيه جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فلم أزل أعالجه حتى استمكننت منه، فقال: إقذفه فقذفته فتكسر، وتردّيت من فوق الكعبة، فانطلقت أنا والنبي (صلى الله عليه وآله) نسعى، وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم، قال عليّ: فما صعد به حتى الساعة.

وروى الزمخشري في تفسيره «الكشاف» [2: 688 ط. دار الكتاب العربي] عند تفسيره الآية قال: وعن ابن عباس (رضي الله عنه): كانت لقبائل العرب أصنام يحجّون إليها وينحرون لها، فشكا البيت إلى الله عزّ وجلّ فقال: أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك؟ فأوحى الله إلى البيت: أني سأحدث لك نوبة جديدة، فأملأك خدوداً سجداً يدقّون إليك دفيف النسور، ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها، لهم عجيج حولك بالتلبية.

ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبرئيل (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله): خذ مخصرتك ثم ألقها، فجعل يأتي صنماً صنماً وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً، وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر، فقال (صلى الله عليه وآله): يا عليّ إرم به، فحمله رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى صعد فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمّد (صلى الله عليه وآله).

وروى الامام أحمد بن حنبل في مسنده [1: 84] عن عليّ (عليه السلام) قال: انطلقت أنا والنبي (صلى الله عليه وآله) حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): إجلس، وصعد على منكبي فذهبت لأن نهض به فرأى مني ضعفاً فنزل: وجلس لي نبي الله (صلى الله عليه وآله) وقال: إصعد على منكبي، قال: فصعدت

على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إليّ أني لو شئت لنتلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس. فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذ استمكنت منه قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): إقذف به، ففذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس.

وفي «دلائل الصدق» [2: 294 ط. بصيرتي] قال: ونحوه في مسند أحمد لكن من دون تعيين الليلة، وكذا في كنز العمال نقلاً عن ابن أبي شيبة وأبي يعلى في مسنده وابن جرير والخطيب. ثم قال: إن اختصاص أمير المؤمنين (عليه السلام) بمشاركة النبي (صلى الله عليه وآله) في هذه الواقعة الخطيرة بطلب من النبي (صلى الله عليه وآله) دليل على فضله على غيره، لا سيما وقد رقى على منكب دونه العيوق، وهام الملائكة والملوك. وقد أشار الشافعي إلى هذه الواقعة مادحاً لأمر المؤمنين (عليه السلام) كما حكاه القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» في الباب الثامن فقال:

قيل لي قل في عليٍّ مدحاً *** ذكره يحمد ناراً موصده

قلت لا أقدم في مدح امرئ *** ضلّ ذو اللب إلى أن عبده

والنبي المصطفى قال لنا *** ليلة المعراج لما صعد

وضع الله بظهري يده *** فأحس القلب أن قد برّده

وعليٍّ واضع أقدامه *** في محل وضع الله يده

وقال ابن شهر آشوب في مناقبه [2: 135 ط. دار الأضواء]: وقد استنابه «يعني علياً» يوم الفتح في أمر عظيم، فإنه وقف حتى صعد على كتفيه وتعلق بسطح البيت وصعد، وكان يقلع الأصنام بحيث تهتز حيطان البيت ويرمي بها فتتكسر. رواه أحمد بن حنبل، وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما، وأبو بكر الخطيب في تاريخه، ومحمد بن الصباح الزعفراني في الفضائل، والخطيب الخوارزمي في أربعينه، وأبو عبدالله النطنزي في الخصائص، وأبو المضا صبيح مولى الرضا (عليه السلام) قال: سمعته يحدث عن أبيه عن جده في قوله تعالى: (ورفعناه مكاناً علياً) [مريم: 57] نزلت في صعود عليٍّ على ظهر النبي لقلع الصنم.

وقال: حدّثني أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، عن إسماعيل بن أحمد الواعظ، عن أبي بكر البيهقي بإسناده عن أبي مريم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إحملني لنطرح الأصنام عن الكعبة، فلم أطق حمله فحملني، فلو شئت أتناول السماء فعلت، وفي خبر: والله لو شئت أن أنال السماء بيدي لنتلتها.

وروى فيه أيضاً عن أبي بكر الشيرازي في نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): عن قتادة عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال لي جابر بن عبدالله: دخلنا مع النبي (صلى الله عليه وآله) مكة وفي البيت وحوله ثلاثمئة وستون صنماً، فأمر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فألقيت كلها لوجوهها، وكان على البيت صنم طويل يقال له هبل، فنظر النبي إلى عليٍّ وقال له: يا عليّ تركب علي أو أركب

عليك لألقي هبل عن ظهر الكعبة؟ قلت: يا رسول الله بل تركبني، فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة، قلت: يا رسول الله بل أركبك، فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو أردت أن أمسك السماء لأمسكتها بيدي، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة، فأنزل الله تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الأنعام: 81].

وفيه قال أيضاً: وروى القاضي أبو عمرو عثمان بن أحمد عن شيوخ بإسناده عن ابن عباس قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعليّ: قم بنا إلى صنم في أعلى الكعبة، فقاما جميعاً، فلما أتياه قال له النبي (صلى الله عليه وآله): قم على عاتقي حتى أرفعك عليه، فأعطاه علي ثوبه فوضعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عاتقه، ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ عليّ الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة، فنادى رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنزل، فوثب من أعلى الكعبة كأنما كان له جناحان.

ويقال: إن عمر كان تمنى ذلك، فقال (صلى الله عليه وآله): إن الذي عبده لا يقلعه. ولما صعد أبو بكر المنبر نزل مرقاة، فلما صعد عمر نزل مرقاة، فلما صعد عثمان نزل مرقاة، فلما صعد عليّ صعد إلى موضع يجلس عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فسمع من الناس ضوضاء، فقال (عليه السلام): ما هذه التي أسمعها؟ قالوا: لصعودك إلى موضع رسول الله الذي لم يصعده الذي تقدمك، فقال (عليه السلام) سمعت رسول الله يقول: من قام مقامي ولم يعمل بعلمي أكبه الله في النار، وأنا والله العامل بعمله، الممتثل قوله، الحاكم بحكمه، فلذلك قمت هنا.

ثم ذكر في خطبته: معاشر الناس! قمت مقام أخي وابن عمي، لأنه أعلمني بسرّي وما يكون منّي. فكانه قال: أنا الذي وضعت قدمي على خاتم النبوة، فما هذه الأعواد؟ أنا من محمد ومحمد منّي.

وقال (عليه السلام) في خطبة الافتخار: أنا كسرت الأصنام، أنا رفعت الأعلام، أنا بنيت الإسلام. قال ابن نباتة: حتى شدّ به أطناب الإسلام، وهذّ به أحزاب الأصنام، فأصبح الإيمان فاشياً بأقياله، والبهتان متلاشياً بصياله، ولمقام إبراهيم شرف على كل حجر، لكونه مقاماً لإبراهيم. فيجب أن يكون قدم عليّ أكرم من رؤوس أعدائه، لأن مقامه كتف النبوة.

ثم قال ابن شهر آشوب: والغالية والمشبهة تقول أكثر من هذا كما أنشد شاعرهم. وقد روي عن أبي نواس:

قيل لي قل في عليّ المرتضى *** كلمات تطفي ناراً موقده

قلت لا يبلغ قولي رجلاً *** حار ذو الجهل إلى أن عبده

وعليّ واضعاً رجلاً له *** بمكان وضع الله يده

وأنشد آخر:

قالوا مدحت عليّ الطهر قلت لهم *** كل امتداح جميع الأرض معناه

ماذا أقول لمن حطت له قدم *** في موضع وضع الرحمن يميناه

وقال العوني:

أمير المؤمنين أبو تراب *** بنى الاسلام بالبيض الرقاق
غياث محمد في كل كرب *** إذا ما الحرب قامت فوق ساق
وجاهد في سبيل الله ما إن *** يحابي في الجهاد ولا يتاقي
علي كاسر الأصنام لما *** رقى كتف النبي إلى بساق
وله أيضاً:

فهذا ويوم الفتح نادى محمد *** ألا قم إلى الأصنام حيدر فاقلع
وطأطأ له حتى اعتلى فوق ظهره *** فأجلل بهذا من مقام وأرفع
فقال عليّ لو أنشأ نلت عندها *** سما الله أورمت النجوم أنت معي
وقال الزاهي:

مكسر الأصنام في اليوم الذي *** أريح عن وجه الهدى عماسه
رقى على الكاهل من خير الورى *** والدين مقرون به انباسه
ونكس اللات وألقى هبلاً *** مهشماً يقلبه انتكاسه
وقام مولاي على البيت وقد *** طهر إذ فارقه أنجاسه
وقال المفجع:

رام حمل النبي كي يقلع الأصنام *** من سخطها المشول الجثيا
فحباه ثقل النبوة حتى *** كاد ينأد تحته مثنيا
فارتقى منكب النبي عليّ *** صنوه ما أجلّ ذاك رقيّا
فأماط الأوثان عن طابة *** الكعبة ينقي الأرجاس عنها نقيا
ولو أن الوصيّ حاول مس النجم *** بالكف لم يجده قصيا
وقال المرزوقي «وقيل الحصفكي»:

يا رب بالقدم التي أوطأتها *** من قاب قوسين المحل الأعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها *** كتف المؤيد بالرسالة سلماً
إجعلهما ربي إليك وسيلتي *** في يوم حشر أن أزور جهنما
وقال السروجي:

رقى على ظهر النبي حيدرٌ *** من دون جمع بين بدو وحضر
حتى علا البيت وألقى هبلاً *** من كعبة الله سريعاً وانحدر

وذكر فيه [2: 141] أيضاً ما رواه اسماعيل بن محمد الكوفي في خبر طويل عن ابن عباس: أنه كان
صنم لخزاعة من فوق الكعبة، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): يا أبا الحسن! إنطلق بنا نلقي هذا الصنم عن
البيت، فانطلقا ليلاً، فقال له (صلى الله عليه وآله): يا أبا الحسن إرق على ظهري، وكان طول الكعبة أربعين
ذراعاً، فحمله رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: انتهيت يا عليّ؟ قال (عليه السلام): والذي بعثك بالحق، لو

هممت أن أمس السماء بيدي لمسستها، واحتمل الصنم وجلد به الأرض، فتقطع قطعاً، ثم تعلق بالميزاب وتخلّى بنفسه إلى الأرض، فلما سقط ضحك، فقال النبي(صلى الله عليه وآله): ما يضحكك يا عليّ؟ أضحك الله سنّك، قال(عليه السلام): ضحكت يا رسول الله تعجباً من أني رميت بنفسي من فوق البيت إلى الأرض فما أَلَمْتُ ولا أصابني وجع فقال(عليه السلام): كيف تألم يا أبا الحسن، أو يصيبك وجع؟ إنما رفعك محمد(صلى الله عليه وآله) وأنزلك جبرئيل(عليه السلام) انتهى.

وفي أربعين الخوارزمي في خبر طويل : فانطلقت أنا والنبي وخشنا أن يرانا أحد من قريش أو غيرهم، ففدفته فتكسر ونزوت من فوق الكعبة.

قال الحميري:

وليلة خرجا فيها على وجل *** وهما يجوبان دون الكعبة الظلما
حتى إذا انتهيا قال النبي له *** إنا نحاول أن نستنزل الصنما
من فوقها فاعلّ ظهري ثم قام به *** خير البرية ما استحيى وما احتشما
حتى إذا ما استوت رجلا أبي حسن *** أهوى به لقرار الأرض فانحطما
ناداه أحمد أن ثب يا عليّ لقد *** أحسنت بارك ربي فيك فاقتحما
وله أيضاً:

وليلة قاما يمشيان بظلمة *** يجوبان جلباباً من الليل غيهبا
إلى صنم كانت خزاعة كلها *** توقره كي يكسراه ويهربا
فقال اعلّ ظهري يا عليّ وحطّه *** فقام به خير الأنام مركبا
يغادره فضاء جذاذاً وقال ثب *** جزاك به ربي جزاء مؤربا

وقال [2: 140]: وحديث الارتقاء مثل حديث المعراج سواء، وقد روي كل واحد منهما من وجهين في زمانين مختلفين، فيدل هذا على أن كل واحد منهما كان مرتين.

وروى القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة [ص140 في الباب 48] خبراً طويلاً وقال أخيراً: وقد احتمل(صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين يوم حديقة بني النجار وكانا نائمين فيها، وقال(صلى الله عليه وآله): نعم الراكبان وأبوهما خير منهما، وأنه(صلى الله عليه وآله) يصلي بأصحابه فأطال سجدته، فيقول: إن ابني ركبني فكرهت أن أرفع رأسي حتى ينزل باختياره. فعل ذلك إظهاراً لشرفهم وعظيم قدرهم عند الله عزّ وجلّ، وحمل علياً على ظهره إشارةً إلى أنه أبو ولده والأئمة من صلبه، كما حوّل رداءه في الاستسقاء إعلماً أنه تحول الجذب خصباً، وإعلاماً أن ما حمله المعصوم فهو معصوم. وقال: يا عليّ، إن الله حمل ذنوب أتباعك ومحبيك عليّ ثم غفرها لي. وذلك قوله تعالى: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) [الفتح: 2].

وأخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص202 برقم 240] مسنداً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب يوم فتح مكة: أما ترى هذا الصنم بأعلى كعبة؟ قال: بلى يا رسول

الله، قال: فأحملك فتناوله، فقال علي(عليه السلام): بل أنا أحملك يا رسول الله، فقال(صلى الله عليه وآله): والله لو أن ربيعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حيّ ما قدروا، ولكن قف يا عليّ، فضرب رسول الله(صلى الله عليه وآله) بيده إلى ساقّي عليّ فوق القرونوس، ثم اقتلعه من الأرض بيده فرفعه حتى تبين بياض إبطيه، ثم قال له: ما ترى يا عليّ؟ قال: أرى أن الله عزّ وجلّ قد شرفني بك حتى أنّي لو أردت أن أمس السماء لمسستها، فقال له: تناول الصنم يا عليّ، فتناوله ثم رمى به، ثم خرج رسول الله(صلى الله عليه وآله) من تحت عليّ فترك رجله فسقط على الأرض فضحك، فقال له(صلى الله عليه وآله): ما أضحكك يا عليّ؟ فقال: سقطت من أعلى الكعبة فما أصابني شيء، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): وكيف يصيبك شيء وإنما حملك محمد وأنزلك جبرئيل(عليه السلام)؟

قال الفاضل⁽¹⁶⁾ في تعليقاته على الكتاب: قد أخرجه بهذا السند الشيخ عبدالله الشافعي في مناقبه المخطوط [ص38] على ما في ذيل «إحقاق الحق» وتراه في المناقب المرتضوية [ص188 ط. بمبي] وقد أخرجه عن مؤلفنا ابن المغازلي السيد ابن طاووس في «الطرائف» [ص20] وابن البطريق في «العمدة» [ص191] وهكذا أخرج ابن شهر آشوب في المناقب، عن أبي بكر الشيرازي.

وفي تفسير الدر المنثور [4: 199 ط. منشورات مكتبة المرعشي النجفي] روى السيوطي ذلك من عدة طرق، ولكن كلّها مختصرة، وقد اقتصر على رواية دخول النبي(صلى الله عليه وآله) مكة، فجعل يطعن الأصنام المعبودة حول الكعبة بعود بيده حتى انكبت لوجهها قائلاً: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً. وفي «الخصائص» للنسائي [ص31] كما في «فضائل الخمسة» [2: 340] روى بسنده عن أبي مريم قال عليّ(عليه السلام): انطلقت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) حتى أتينا الكعبة، فصعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) على منكبها، فنهضت به فلما رأى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ضعفي قال لي: إجلس، فجلست فنزل النبي(صلى الله عليه وآله) وجلس لي وقال لي: إصعد على منكبها فصعدت على منكبها فنهض بي، فقال عليّ(عليه السلام): إنه يخيل إليّ أني لو شئت لنتل أفق السماء، فصعدت على الكعبة وعليها تمثال من صفر أو نحاس، فجعلت أعالجه لأزيله يميناً وشمالاً وقداماً ومن بين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه، فقال نبي الله(صلى الله عليه وآله) إقذفه، فقذفت به فكسرتة كما تكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله(صلى الله عليه وآله) نستبق حتى تواريها بالبيوت خشية أن يلقانا أحد.

وفي المستدرک [3: 5] روى الحاكم من طريق أبي بكر بن محمد بن إسحاق عن عليّ(عليه السلام) بلفظ: لما كان الليلة التي أمرني رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن أبيت على فراشه وخرج من مكة مهاجراً، انطلق بي رسول الله(صلى الله عليه وآله) إلى الأصنام فقال: إجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثم صعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) على منكبها، ثم قال إنهض فنهضت به، فلما رأى ضعفي تحته قال: إجلس، فجلست فأنزلته عني، وجلس لي رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم قال لي: يا عليّ إصعد على منكبها، فصعدت على منكبها، ثم نهض بي رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخيل إليّ أني لو شئت نلت السماء، وصعدت إلى الكعبة

وتنحى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فألقيت صنمهم الأكبر وكان من نحاس موثقاً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله(صلى الله عليه وآله) عالجته، فعالجت فما زلت أعالجه ويقول رسول الله(صلى الله عليه وآله): إيه إيه، فلم أزل أعالجه حتى استمكننت منه، فقال: دقه، فدققته فكسرتة ونزلت. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فهذا بعض ما أطلعنا الله عليه بإعانتته وتأييده، ووقفنا على جمع ما اقتطفناه بفضل كرمه وتوفيقه، فله جزيل الحمد والشكر أولاً وآخراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *